



اخرتنا للـ

١٨

في مواجهة الحرب الباردة



بقلم
تشانا كياسن

ترجمة عبد الرزاق ابراهيم

محمد عبد الله السققي

الدكتور مصطفى فهمي

مكتبة
مكتبة
مكتبة



اخترونالك

في مؤامرة الحرب الباردة

تأليف: تشاناكيا سن

ترجمة: عبد الرزاق ابراهيم

مراجعة: محمد عبد الله السفيقي

تقديم: الدكتور مصطفى فرهمي

تقديم

« الحرب الباردة » ظاهرة من ظواهر العلاقات الدولية أو المسرح العالمى فى القرن العشرين نشأت كنتيجة للتطاحن الفكرى والخلاف الايديولوجى بين دول كانت تعتقد فى وقت ما خلال نضالها المشترك فى الحرب العالمية الثانية ضد النازية ، أن لديها ذخيرة حية من أسس الصداقة ، وعوامل التقارب بما يقضى على اسباب الفرقة وعناصر الخلاف ، الا أنه ماكادت الحرب تنتهى وينتصر الحلفاء حتى ظهرت بوادر النزاع بما يخلق فى جو العلاقات الدولية تيارات باردة من عدم الثقة والتشكك والتنافس لابتست مناورات عدة لاستعادة مراكز ثقل فى الميزان الدولى أو للاستيلاء على مواقع جديدة قلبت موازين القوى وتطورت ثم تباورت لتعرف فى العلاقات الدولية الحديثة باسم «الحرب الباردة» .

ولا يقل تأثير « الحرب الباردة » فى عرقله التقدم الانسانى عن الحرب الحقيقية ، لذلك فليس غريباً أن يتشبث المحبون للسلام بمحاولات كثيرة ومتكررة لتخفيف حدة الحرب الباردة ، والتقليل من خطورتها .

وجدير بالذكر ان **الجمهورية العربية المتحدة** قد قامت قبل ، وبعد مؤتمر باندونج فى أبريل سنة ١٩٥٥ بدور أساسى فى تخفيف حدة «الحرب الباردة» بين الكتلتين والدعوة الى مبدأ الحياد الإيجابى وعدم الانحياز، وسياسة **الجمهورية العربية المتحدة** الخارجية ونشاطها فى المجالات الدولية يؤكدان بصورة قاطعة هذا الاتجاه : فباندونج الى بريونى والدار البيضاء الى بلغراد ، كلها مؤتمرات دولية ساهمت فيها **الجمهورية العربية المتحدة** مساهمة فعالة ، رسمت وخططت لمبادئ السلام العالمى القائم على العدالة والمساواة بما يبعد العالم عن تيارات المعسكرات السياسية .

وإذا كانت بعض هذه الدول قد تمسكت فى سياستها بعدم الانحياز فان **الجمهورية العربية المتحدة** قد قامت بتطبيق وتنفيذ هذه السياسة بصورة ايجابية :

فالمبدأ الاول من مبادئ الثورة « القضاء على الاستعمار » ما هو الا تأكيد لضرورة الابتعاد عن المعسكرات والارتباطات العسكرية الدولية، فقد قاوم الشعب العربى فى مصر التكتل العسكرى ، وتمسك بضرورة الجلاء غير المشروط للقوات البريطانية عن القناة ، فلم تقبل حكومة مصر اى مشروعات « للدفاع المشترك » مما اقترحتة الدول الغربية ، فكان ذلك تأكيدا عمليا لمبدأ عدم الانحياز فى مرحلة دقيقة من مراحل تقرير المصير ، اوضح ان تمسك **الجمهورية العربية المتحدة** وشعبها بمبادئ عدم الانحياز لا يعود الى باندونج بل يرجع الى عقيدة راسخة وايمان مكين بأن « التكتلات العسكرية » انما هى تهديد صارخ للسلام والامن الدوليين وانتقاص لسيادة الدول التى تقبل مثل هذه الارتباطات ،

وقد اكد الميثاق الوطنى هذه الحقيقة عندما ذكر ان « اصرار شعبنا على محاربة الاحلاف العسكرية التى تريد ان تجر الشعوب برغم ارادتها الى فلك الاستعمار كان صوتا عاليا بالحق ارتفع فى جميع المجالات منها ومحدرا :

وتاريخ العلاقات الدولية للجمهورية العربية المتحدة يوضح بما لا يدع مجالا للشك ان مبدأ عدم الانحياز كان رائدا وهاديا فى تسيير علاقاتنا مع مختلف القوى الدولية .

والخطوات العملية فى السياسة الخارجية العربية تؤكد لهذا المبدأ : فما وقفة السويس سوى برهان عملى على تمسك شعب **الجمهورية العربية المتحدة** بعدم الانحياز ، وما انتصار الراى العام العالمى لشعب **الجمهورية العربية المتحدة** المكافح والمناضل فى سبيل استقلاله سوى تأكيد لمدى نجاح وفاعلية هذه السياسة ، فقد جاء بالميثاق الوطنى ان شعبنا الذى عقد العزم على رفض كل الحيل الاستعمارية التى حاولت ان تجره الى مناطق النفوذ قاد مقاومة هائلة فى الشرق الاوسط كله ضد حلف بغداد حتى اسقط ولم يتردد فى مواجهة العدوان الثلاثى المسلح الذى أقدمت عليه اثنتان من دول العالم الكبرى ، زحفنا عليه من القاعدة الاستعمارية التى خلقتها المؤامرة الرامية الى ارباب الامة العربية وتمزيقها وهى « اسرائيل » .

ومساندة الجمهورية العربية المتحدة لتحركات التحرر والنضال ضد الاستعمار اينما وجد ماهى الا اثبات قاطع لتمسك الجمهورية بمبادئها ، فمناصرة الجمهورية العربية المتحدة للجزائر وثورتها ضد الاستعمار الفرنسى بالتأييد المادى والادبى ما هو الا مثل واحد يضرب فى هذا السبيل ، يضاف اليه قيام الجمهورية العربية المتحدة بارسال قواتها المسلحة ونقلها عبر البحر الاحمر لتقف الى جوار الشعب اليمنى فى ثورته ضد الرجعية والاستعمار .

فلأول مرة في التاريخ يخرج جيش من بلاده لا غازيا ولا فاتحا ولا مستعمرا بل يخرج ناصرا لمبادئ ثابتة رافعا للواء الحرية التي يؤمن بها شعب الجمهورية العربية المتحدة ، وقد جاء بالميثاق ما يؤكد أن شعبنا الذي يعيش على الباب الشمالي الشرقي لأفريقية المناضلة وبين القارين اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرير الوطني لا يستطيع أن يعيش في عزلة عن تطورها السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

إن ارتباط ودور الجمهورية العربية المتحدة بمجموعة الدول الآسيوية والأفريقية ومواقفها الدولية لا يرجع فقط إلى مؤتمر باندونج بل إلى التعاون الصادق الذي قام بين مصر وبين الدول الآسيوية بالأمم المتحدة بعد سنة ١٩٥٢ في أعقاب المحاولات الأولى التي قامت بها بعض الدول في سنة ١٩٥٠ نظام مؤقت للمجموعة الآسيوية الأفريقية ظل على حاله إلى أن ظهرت المجموعة الآسيوية الأفريقية على مسرح السياسة الدولية بصورة واضحة وتبلورت في مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ وبدأ تأثيرها ووزنها في الجمعية العمومية للأمم المتحدة وخارجها يتحدد وتظهر قيمته ووزنه في المعترك الدولي .

إن الميثاق قد أوضح الخطوط الثلاثة العميقة للسياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة والتي تعبر عن كل ميادئها الوطنية ، وهي الحرب ضد الاستعمار والسيطرة ، بكل الطاقات والوسائل ، وكشفه في جميع أقنعتة ومحاربتة في كل أوكاره ، والعمل من أجل السلام واحتمالاته هي الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطني ، ثم التعاون الدولي من أجل الرخاء فإن الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة كما أنه أصبح في حاجة إلى التعاون الجماعي لتوافره .

وهذه المبادئ الثلاثة لسياستنا الخارجية تحمل في طياتها وتمزج بين أعطافها سياسة عدم الانحياز .

واختيار الجمهورية العربية المتحدة عضوا في لجنة الدول الثماني عشرة لبحث موضوع نزع السلاح اعتراف دولي وتأكيد رسمي لوقوفنا الدائم كدولة غير منحازة لها وزنها وثقلها في المجموعة الآسيوية الأفريقية، فقد كان اختيار الجمهورية العربية المتحدة في هذه اللجنة على أساس تمثيلها للقارة الأفريقية وقد ضمت اللجنة خمسا من الدول الغربية وخمسا من الدول الشرقية وثمانيا من دول عدم الانحياز .

وقد قمت الجمهورية العربية المتحدة بالدعوة إلى مبدأ عدم الانحياز في مؤتمر اديس ابابا (أقطاب أفريقية) هذا العام ، فهي دائما الداعية إلى سياسة عدم الانحياز للتخفيف من حدة « الحرب الباردة » وصيانة السلام والأمن الدولي .

يتضح من ذلك كله أن « الحرب الباردة » من الاخطار التي تهدد السلام الدولي بصورة فعالة ، وان هناك دولا معجبة للسلام تقف في وجه الحرب الباردة لتحذ من خطرهما ، وتمتد هذه الدول بين القارتين المناضلتين آسيا وافريقية .

وهذا الكتاب يقوم بتحليل دور هذه الدول في العمل على توطيد السلام والامن الدولي ، ولا شك ان الجمهورية العربية المتحدة تقف من ذلك كله في مركز لاندانيها فيه الا كل دولة عقدت العزم على حب السلام ومناصرة الشعوب المكافحة في كل مكان بكرم وشجاعة وفداء وسخاء .

دكتور
مصطفى فهمي

مقدمة

أصبح عدم الانحياز سياسة معترفا بها على الصعيد الدولي ،
وأصبحت كلتا الكتلتين تضعانه في اعتبارها .

تشكك الكثيرون في عدم الانحياز .. في الغرب والشرق ، وسائره
كثيرون في بعض الأحيان لتحقيق أغراضهم ، ولكن عدم الانحياز برغم
كل هذا أثبت وجوده في العالم ، وخرج أخيرا ، من معركة التحدى التي
تعرضت له ، قوة فعالة يلاذ بها كلما وصل الامر بالكتلتين الى حافة
الهاوية .. فلقد تدخلت الدول غير المنحازة ، وقامت بدورها في أزمة
كوبا .. وأفلت العالم من الازمة ، وتدخلت في أزمة الحدود الصينية
الهندية ، واستطاعت ، لأول مرة ، أن تقدم مقترحات واضحة محددة
قبلها الطرفان ، كأساس عادل لاجراء المفاوضات .

غير أن القصة طويلة .. وكان الصراع فيها قويا وجبارا ، وصل في
بعض فصوله الى حد العدوان المسلح .. ووصل في فصول أخرى الى
الحصار الاقتصادي ومنع المعونات والمساعدات ، وبرغم ذلك قاومت الدول
غير المنحازة ، قاومت بشدة واصرار .

والواقع أن فلسفة عدم الانحياز تنبع من صميم مبادئ هذه
الدول ومذهبها في الحياة ، فقد بدأت الحرب الباردة ، ولم يكن قد مضى
وقت طويل على نهاية الحرب العالمية الثانية ، وكانت الحرب الباردة بين
حلفاء فترة الحرب بين الحلفاء الذين قضوا على ألمانيا النازية بجهدهم
المشترك ، وكانت هذه الحرب تتعاقب بأوروبا وتدور حولها ، ولم يكن
لدول آسيا وأفريقية أى دخل فيها أو غرض .

ومما ضاعف من الصراع بين حلفاء فترة الحرب ، أن ميزان القوى
في العالم كان قد تغير تماما ، فلم تعد أمريكا في عزلتها التقليدية ، بل
تقدمت لتمسك بزمام زعامة الدول الغربية أو المعسكر الغربي في الحرب
الباردة . وتراجعت بريطانيا وفرنسا الى الخلف قليلا أو كثيرا لتصبحا
دولتين من الدرجة الثانية ، تلحقان جراحهما وتنظران الى الدمار الذي

حل بهما نتيجة للنصر الذى احرزته فى الحرب العالمية الثانية ، ونجد من ناحية أخرى الاتحاد السوفيتى وقد خرج من الحرب معتدا بقوته التى استطاع أن يكسر بها شوكة هتلر والنازية ، وظل الصراع قائما بين الكتلتين : الكتلة الغربية بزعمامة الولايات المتحدة الامريكية وتعتنق الرأسمالية مذهبها وعقيدة ، والكتلة الشرقية بزعمامة الاتحاد السوفيتى وتؤمن بالماركسية اللينينية دينها لها ، وانتقل الصراع من مسألة الى أخرى فمن صراع حول القنبلة الذرية ، الى نزاع حول برلين وحصارها ، بيد ان الحرب لم تخرج عن نطاق أوروبا ، التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت المجتمع العالمى كله ، فلم يكن لآسيا وافريقية أى وزن فى هذا المجتمع .

ثم دخلت الحرب الباردة الى آسيا . . دخلت حينما تحولت الصين الى دولة شيوعية حليفة للاتحاد السوفيتى . وكان هذا النصر الذى احرزته الكتلة الشرقية أقوى بكثير من القنبلة الذرية التى لم يكن الاتحاد السوفيتى قد حصل عليها بعد . ومنذ ذلك الحين والحرب الباردة على أشدها فى قارتى آسيا وافريقية .

وجاء عام ١٩٥٥ - عام باندونج - واجتمعت الدول المستقلة فى القارتين لتحديد أهدافها وتنطلق نحو آمالها . وكان أن أصدر المؤتمر قراراته العشرة الشهيرة التى ان أردنا تلخيصها فى كلمتين فهما : التعايش السلمى ومناهضة الاستعمار ، وهكذا وضعت دول آسيا وافريقية لأول مرة فى تاريخها الحديث فلسفة وسياسة لا تقتصران عليها وحدها إنما تمتدان الى جميع الدول المحبة للسلام .

وظهرت فى العالم « روح باندونج » لتشجيع بها سياسة بعض الدول ولترغم الدول الاخرى على احترامها أو مسايرتها على الاقل . وعقدت مؤتمرات عالمية كثيرة فى ظل مبادئ هذا المؤتمر . فعقد مؤتمر بريونى الذى كان يضم الرئيس عبد الناصر والرئيس تيتو والرئيس نهرو ، كما عقدت اجتماعات ثنائية بين رئيسى الوزراء الهندى والصينى لفض المنازعات القائمة بين البلدين حول الحدود .

وأخيرا ، فى عام ١٩٦٠ ، بعد دخول الدول الافريقية الجديدة الامم المتحدة بدأ التفكير فى عقد مؤتمر للدول غير المنحازة فى العالم ، وكان هذا المؤتمر نتيجة طبيعية لاجداث ضخمة مضت وكان وليد ارادة شعوب استطاعت أن تمارس هذه الارادة لأول مرة منذ اجيال طويلة . كما أن مؤتمر دول عدم الانحياز كان ضروريا بعد أن قام مؤتمر باندونج - بمبادئه العشرة - بدوره خير قيام . لقد جمع هذا المؤتمر بين شعوب هاتين القارتين ، دون نظر الى مذهب او عقيدة ، من أجل مناهضة الاستعمار والقضاء عليه . كانت هناك الصين الشعبية التى تدين بالمذهب

الشيوعى . وباكستان . وبورما المواليتان للغرب . ومصر والهند اللتان كانتا قد أعلنتا وقوفهما على الحياد ورفضهما دخول الحلف ومناطق النفوذ .

وكانت هذه المرحلة ضرورية من أجل تجميع قوى هذه الشعوب لتحرير القارتين من بين برائن القوى المعادية للتحرر والتقدم . وكان المؤتمر الجديد المزمع عقده مرحلة جديدة في النضال العالمى مرحلة بناء أسس وقيم جديدة للعالم من أجل المحافظة على السلام فيه ، ومنع ترديده في هاوية الحرب الذرية والنووية وتحملت الجمهورية العربية المتحدة ، ويوغوسلافيا ، والهند - بتأييد من أندونيسيا وغانا وغينيا - عبء هذه المرحلة الجديدة ، وأخذت بزمام المبادرة ، ودعت الى مؤتمر لدول عدم الانحياز لبحث مشاكل هذه الدول وتسوية المشاكل العالمية بالطرق السلمية . وعقد مؤتمر تحضيرى في القاهرة حضرته الدول التى وافقت على الدعوة وتقرر في هذا المؤتمر تحديد خمسة معايير يتم على أساسها وصف دولة بأنها غير منحازة ، ومن ثم دعوة هذه الدول لحضور المؤتمر الذى تقرر عقده في بلغراد . وكانت هذه المعايير الخمسة تقضى بأنه يتعين على الدولة غير المنحازة أن تتبع سياسة مستقلة ، سياسة التعايش مع الدول ذات النظم السياسية والاجتماعية المختلفة ، ويتعين عليها أن تساند ، باستمرار ، حركات الاستقلال الوطنى ، وينبغى ألا تكون هذه الدولة عضوا في تحالف عسكرى متعدد الاطراف ضمن نطاق سياسة الدول الكبرى ، وإذا كان لديها اتفاق ثنائى مع دولة كبيرة أو عضو في حلف دفاعى اقليمى ، فانه يتعين ألا تكون الاتفاقية أو الحلف داخل نطاق الحرب الباردة ، وإذا كانت قد نزلت عن قواعد عسكرية لدولة أجنبية فيتعين ألا يكون ذلك قد تم في نطاق الحرب الباردة أيضا .

وكان المؤتمر التحضيرى في القاهرة أول محاولة لتحديد معنى عدم الانحياز كفلسفة وسياسة دولية . وعقد مؤتمر عدم الانحياز في بلغراد في الاول من سبتمبر عام ١٩٦١ وحضرته خمس وعشرون دولة من دول عدم الانحياز .

وأصدر المؤتمر قراراته التى اتخذها بشأن الموقف الدولى والمشاكل التى تهم العالم مثل مشكلة برلين ، وفلسطين ، والجزائر ، وأنجولا ، كما وجه المؤتمر نداء للسلام ، الى كل من الرئيس كنىدى والمستر خروشوف . ونجح المؤتمر في تثبيت مبادئ عدم الانحياز ، وجعلها سياسة فعالة في المجتمع الدولى .

ونجحت دول عدم الانحياز في التوسط في كثير من المشاكل ، وفرضت رأيها عليها في بعض الاحيان ، فقد تدخلت في أزمة كوبا . . وأفلت

العالم من أزمتهما الرهيبة ، وتدخلت المحادثات الدائرة حول نزع السلاح واستطاعت أن تقرب إلى حد ما ، بين بعض وجهات نظر الطرفين . وأخيرا تدخلت دول عدم الانحياز متمثلة في ست دول منها اجتمعت على شكل مؤتمر في كولومبو ، في النزاع القائم بين الهند والصين حول الحدود . هذا النزاع الذي تطور إلى حد الاعتداء المسلح وتبادل إطلاق النار وخرجت هذه الدول بمقترحات مجددة لحل النزاع بين البلدين مما جعل السيد « علي صبري » رئيس المجلس التنفيذي في الجمهورية العربية المتحدة يقول : « في رأيي أننا استطعنا أن نثبت أن دول عدم الانحياز تستطيع أن تقف من أية مشكلة شائكة بهذا الشكل ، موقفا يؤدي إلى حلها مع صعوبة الموقف والجو المحيط بها . وهي أول مشكلة من نوعها تواجه عدم الانحياز . فقد كانت كل المشاكل التي واجهتها تلك الدول - أي دول عدم الانحياز - مشاكل بين دول الاستعمار ، ودول كانت مستعمرة أصلا . أو مواقف ناتجة عن مشاكل دولية متنازع عليها بين الكتلتين الشرقية والغربية وقد كان من السهل اتخاذ موقف بصدد هذه المشاكل وأن تعبر دول عدم الانحياز عن رأي موحد فيها » .

أما مشكلة الهند والصين فتختلف عن ذلك لأنها تخص دولتين من دول باندونج ، ومن أكبر دول آسيا ، ولكل منهما تأثيرها على سياسة القارة الآسيوية وعلى المجموعة الآسيوية الأفريقية وبرغم صعوبة الموقف ودقته استطاعت دول عدم الانحياز أن تثبت قدرتها على مواجهة المشكلات . وحتى لو لم تكن دول عدم الانحياز قد حققت كل هذا النجاح فإنه يكفي على الأقل أنها منعت تدهور الموقف بين الهند والصين إلى أسوأ مما كان عليه وأبعدت إلى حد كبير احتمال العودة إلى النزاع المسلح . .

وبعد فإن الكتاب الذي بين أيدينا يقدم لنا صورة لنضال هذه الدول حتى انعقاد مؤتمر بلغراد من وجهة نظر صحافي هندي هو المستر تشاناكياسن .

مقدمة المؤلف

حينما كان هذا الكتاب في المراحل الأخيرة من الطبع وقعت حادثة فوق التربة الهندية ذات أثر هائل ، ففي يوم ١٨ من ديسمبر عام ١٩٦١ قامت القوات الهندية بالتحرك الى داخل الجيوب البرتغالية الثلاثة : جوا ، ودامان ، وديو ، وحررتها جميعا في مدى أربع وعشرين ساعة واستسلم الجنود البرتغاليون دون أية مقاومة .

وقد قامت الحكومة البرتغالية - التي كانت تتحدى دائما قرارات الامم المتحدة حول الاستعمار ، والتي تم ادانتها من جديد في الجمعية العامة للامم المتحدة قبل ذلك بأيام قليلة بسبب سياستها الاستعمارية - بتقديم شكوى لدى مجلس الامن . وعارضت الدول الاربعة الافريقية - الآسيوية الاعضاء في مجلس الامن قرارا « انجلو - أمريكي » يدعو الى وقف اطلاق النار في الحال وسحب القوات الهندية من الجيوب البرتغالية كما استخدم الاتحاد السوفيتي حق الفيتو ضد هذا القرار واذ تمت هزيمة هذه الخطوة الانجلو - أمريكية ، والتي قوبلت هزيمتها بالاستحسان في آسيا وافريقية رأى مستر ادلاي ستيفنسون المندوب الأمريكي في الامم المتحدة بداية تفكك محتمل للامم المتحدة . فقد قال : « اننا نشهد الليلة الفصل الاول من مأساة قد تنتهي بالقضاء عليها (اى الامم المتحدة) اننى اذكركم أن عصبة الامم قد انتهت حينما لم يعد أعضاؤها يقاومون مبدأ استخدام القوى العدوانية » وبعد مضي تسعة أيام في الثامن والعشرين من ديسمبر تحدث لورد هيوم وزير الخارجية البريطانى عن « أزمة ثقة في الامم المتحدة » ، وقال :

« لقد ظهرت هذه الازمة لان عددا من الدول قام - لأول مرة منذ انشاء الامم المتحدة - بالتصويت جهارا . وبدون خجل ، مؤيدا مبدأ استخدام القوة لتحقيق بعض الاهداف القومية . وايدت أربع دول أعضاء في مجلس الامن قرارا بالتجاوز عن استخدام الهند القوة ضد جوا ولو كانت هذه المناقشة في الجمعية العامة ، لصوتت دول أخرى كثيرة بل ربما الاغلبية بالطريقة نفسها لقد تكهن كثير منا بأزمة الثقة هذه . »

واذ نظر وزير خارجية بريطانيا الى الثلاث والخمسين دولة الجديدة في آسيا وافريقية ، والتي تتمتع بعضوية الامم المتحدة ، واذ نظر الى معارضتها الشديدة للسيطرة الغربية على شعوب ما وراء البحار والموارد الطبيعية الكامنة في اراضيها ، وجد في هذا تهديدا - لايعادله - تهديد - للقانون والنظام الدوليين . وقد حذر انه اذا ما استغلت الامم المتحدة في الاعتداء على القانون الدولي ، او اذا شلت حركتها في حالة استخدام الامم الافرو - آسيوية للقوة ضد مصالح الغرب الشرعية ، فان الدول الغربية قد يتعذر عليها البقاء في المنظمة العالمية .

وقد جاءت غصبة وزير الخارجية البريطاني هذه . في وقت كانت فيه الحكومة البريطانية نفسها متهمة بمعارضتها الخفية لمهمة الامم المتحدة في الكونغو . فبعد ان فضح الدكتور كونور اوبريان ، الايرلندي ، نشاط المناورات التي تحاك حول كاتانجا في الخفاء ، اماطت الحكومة البريطانية اللثام عن موقفها ، تعضدها دول استعمارية اوروبية مثل فرنسا وبلجيكا والبرتغال وهولندا ، ويساندها رجال مثل سير روي ويلنسكي ، فعارضت مهمة الامم المتحدة التي كانت تتمتع ، مع ذلك بتأييد الولايات المتحدة .

وقد جاء الرد الافرو - آسيوي على الاتهام الانجلو - امريكي ، من جانب مستر نهرو رئيس الوزراء الهندي . ففي مؤتمر صحفي عقده نيودلهي في ٢٨ من ديسمبر قال نهرو وهو يشير الى احداث كاتانجا وانجولا : « ان بعض الامور التي نعتبرها خطيئة كبيرة ، تعتبرها الدول الغربية مجرد سوء تصرف بسيط ، يمكن ان تمر عليه مر الكرام ، وبعض الامور التي نعتبرها نحن سوء تصرف بسيط ، تعتبرها هذه الدول خطيئة كبيرة . وهكذا تختلف قيمنا ، ومن الواضح ان مقاييسنا تختلف كذلك . ان ما يقال عن الخطر الذي يتهدد الامم المتحدة يبدو وكأنه خطر نابع من الحقيقة التالية وهي ان البلاد الآسيوية - الافريقية قد أصبحت لها وزنها أكثر مما كانت عليه من قبل » .

وقد استنكر مستر نهرو هذا الانشقاق المتزايد بين امم الغرب والامم الحديثة في افريقية وآسيا التي تخلصت من السيطرة الاجنبية ..

ان هذا الانشقاق قد يؤدي الى احداث تفكك في المجتمع الدولي .

ويرجع هذا الانشقاق في جوهره الى فشل الغرب في تقدير المغزى الحقيقي لظهور آسيا وافريقية الذي وصف بحق بأنه أكبر حدث في عصرنا . وقد أدى الضعف الذي أصاب الفكرة الاستعمارية التي عمرت قرونا ، الى حدوث تحول كامل في العلاقات الدولية : وأصبحت الظاهرة

اللا أخلاقية واللا طبيعية الخاصة بتحكم عدد قليل من الأمم القوية في سكان العالم كله تقترب سريعا من نهايتها .

والكتاب محاولة لتوضيح مفزى ظهور الدول الأفرو - آسيوية في عالم تكتنفه الحرب الباردة . ولا شك في أن الحرب الباردة ، في ذاتها ، تعبّر عن التغيير الجوهرى الذى طرأ على علاقات الدول بعضها ببعض . بيد أن هذه الحرب قد أسهمت ، بشكل كبير ، في عملية ظهور الدول الأفرو - آسيوية . كما أنها في الوقت نفسه تهدد خطر لاستقلال ورخاء هذه الدول الجديدة التى تحاول - لهذا السبب - أن تكبح جماح الحرب الباردة قدر استطاعتها .

وبينما نجد غزارة في إنتاج الكتب التى تتناول مشاكل آسيا وإفريقية وظهور الدول الجديدة فيها ، نجد أن المؤلفين الغربيين يعالجون الموضوع من وجهة نظر بالادهم على حين تعاني المطبوعات الشيوعية من نظرة مذهبية جامدة . . والكتاب الحالى محاولة لتفسير المشاكل المعاصرة من وجهة النظر الأفرو - آسيوية ، حتى يستطيع القراء الغربيون أن يتفهموا الدوافع العميقة التى تحرك الجهود الانسانية في آسيا وإفريقية ، كما أنه قد يساعد القراء في البلاد الأفرو - آسيوية على تفهم أهمية نجاحهم ، وفشلهم ، وكفاحهم .

ويدين المؤلف بالكثير لعدد كبير من الكتاب والمعلقين في بلاد مختلفة ، الذين سعى الى دراسة مؤلفاتهم وكتاباتهم مما عاد عليه بالنفع . كما أنه مدين بالشكر لكثير من الاصدقاء والمتحمسين الذين قدموا مساعدات قيمة في اعداد هذا الكتاب ، وهو مدين بالشكر خاصة لمسترف . ل . رامانتان الذى ساعد في جميع مراحل الكتاب كما كلف نفسه عناء المساهمة في تبويبه ويجد المؤلف لزاما عليه أن يوجه الشكر الى زوجته على ما أبدته من صبر ، وما قدمته من مساعدة في عملية التبويب .

١٠ من فبراير عام ١٩٦٢

تشانغ كيانسن

نيودلهى

الفصل الأول

الحرب الباردة تدخل آسيا

تم في الرابع عشر من أغسطس عام ١٩٤٥ الانهيار الكامل في صفوف دول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية . وبعد ذلك بأيام ثلاثة وفي السابع عشر من أغسطس قامت ثلة من الاندونيسيين ، في اجتماع يتسم بالحماس المكتوم في ركن متواضع في جاكرتا باعلان استقلال اندونيسيا ، ولم تمض ستة أسابيع الا كانت القوات البريطانية قد هبطت في اندونيسيا كي تشن أول حرب استعمارية في فترة ما بعد الحرب . ومنذ ذلك اليوم حتى يومنا هذا وآسيا وأفريقية لا تخلوان تماما - ولو ليوم واحد - من حرب ضد الاستعمار .

غير أن الحرب مادة كيميائية عجيبة ، فانها تضم في ذراتها الخفية ، عناصر غير مرئية تمزق أحلام المنتصرين والمهزومين على السواء . . فالحرب العالمية الثانية التي فاقت بكثير أية حرب أخرى فيما استنفدته من موارد الأرض ، قد أطلقت قوى غريبة من عقالها ، غيرت بطريقة عجيبة من وجه القارات . فالعالم الذي أشعل الحرب ، اندثر معظمه معها . وعندما انتهت الحرب ، ظهر عالم جديد ليحل محل العالم القديم ، وتغير ميزان القوى تماما . وكان الوضع الجديد للأمور ، ذلك الوضع الذي ظل يحير الساسة في جميع أنحاء العالم ويشير دهشتهم ، ينطوي على تطور لم يتكهن به أحد من قبل ، تطور يستدعي اهتماما غير عادي . وكان هذا التطور هو يقظة آسيا وأفريقية .

ان الحرب الباردة لم تبدأ في أية من القارتين أو بسببهما . وحينما هبط البريطانيون في أندونيسيا ، واستخدموا القوات اليابانية في محاربة القوات الوطنية ، كانت الولايات المتحدة أكثر من تعرض للاحساس بالصدمة والدهشة . وقد جاء انقاذ الجمهورية الاندونيسية الوليدة من بين مخالف الاستعمار ، عن طريق تدخل الولايات المتحدة الى حد كبير . أما الاتحاد السوفيتي فكان ما يزال يلحق جراح النصر ، ولم يمتد اهتمامه الى ما وراء حدود بولندا .

وقد أوضح رئيس الوزراء البريطاني ، خلال الحرب ، أن المثل العليا السامية التي تضمنها ميثاق الاطلنطي ليست خليقة بقارتي آسيا وافريقية المستعبدتين . وبعد الحرب كانت الدول الاستعمارية الاوروبية مصممة على المحافظة على مافي ايديها ، وعلى استعادة ما نزلت عنه لليابان .

لقد بدأت الحرب الباردة في أوروبا وبسبب أوروبا . فانها كانت صراعا عالميا خفيا أخذ يستجمع قواه على مر السنين حتى أصبحت شاملة في طابعها . وحينما بدأت هذه الحرب ، لم يعبأ مشعلوها بالمشاعر الآسيوية الافريقية ، ولم يتوقفوا لحظة للتفكير في التعهدات التي يدينون بها للملايين من البشر تكافح من أجل حياة افضل .

وحينما كانت الحرب - العالمية الثانية - تقترب من نهايتها وهي تحمل علامات لاتخطيء عن انتصار الحلفاء ، طرح آسيوى عظيم - وهو معتقل في سجن بريطاني - أسئلة مؤلة تعذب روح آسيا وافريقية :

« ماذا سيقول زعماء الدول المنتصرة حينما يجتمعون معا بعد أن كللت الحرب جهودهم بالنجاح ؟ اى صورة من صور المستقبل ستتشكل في اذهانهم ؟ والى اى مدى يتفقون أو يختلفون فيما بينهم ؟

اى رد فعل آخر سيحل بهم عندما يغير حماس الحرب . ويحاول الناس العودة الى طرق السلام التي ندر ان تذكروها ؟ وماذا عن حركات المقاومة السرية في أوروبا وعن القوى الجديدة التي اطلقتها من عقالها ؟ ما الذى سيقوله الملايين الجنود ويفعلونه عندما يعودون الى اوطانهم وقد ازدادوا رجاجة في العقل وتمرسا بالتجربة بعد أن صلبت الحرب اعوادهم ؟ أنى لهم أن يتكيفوا مع الحياة التي استمرت فى تغيرها حينما كانوا بعيدا ؟ ماذا سيحدث لاوروبا الشاهدة المحطمة وماذا سيحدث لآسيا وافريقية ؟ ماذا عن « الاندفاع الساحق نحو الحرية من جانب مئات الملايين من آسيا » كما وصفه مستر ونديل ويلكى ؟ ماذا عن هذه الامور كلها وماذا عن غيرها ؟ وأهم من هذا كله ، ماذا عن الخدعة الغريبة التي غالبا مايقوم بها القدر فيقلب خطط زعمائنا التي احسن وضعها ؟ » .

ومن وراء أسوار السجن لم يكن أمام ذلك العقل الكبير الا أن يتكهن بما كان يجرى في مقار رياسة وزراء البلاد المتحاربة . . وكان يعرف أن نهاية الحرب سوف تسبب للامبراطورية البريطانية أزمة لم يسبق لها مثيل ، ولكنه كان يدرك أيضا كيف كان للشعور الاستعماري جذور عميقة في طابع الحكم البريطاني .

وقد أدرك أن ميزان القوى سوف ينتقل ، فى عالم ما بعد الحرب .

الى موسكو وواشنطن . وكان يعرف أيضا أنه « مهما يكن أمر المستقبل، فانه من الواضح أن اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد الحرب سيكون اقتصادا توسعيا بصورة جبارة وذا نتائج طاغية تقريبا » وقد تساءل : « هل سيؤدي ذلك الى نوع جديد من الاستعمار ؟ » .

وكانت السياسة المقبلة للاتحاد السوفيتي مازالت لغزا من الالغاز . ولكنه استطاع أن يرى ، عن طريق بعض اللوحات الكاشفة ، أن روسيا تهدف ، في عالم ما بعد الحرب ، الى أن « تكتسب بلادا صديقة ومستقلة أو شبه مستقلة بالقرب من حدودها بقدر الامكان » . وقد تصور أنه بالرغم من أن الاتحاد السوفيتي قد يعمل في بعض البلاد الاخرى لاقامة تنظيم عالمي معين ، فانه سيعتمد « أكثر على دعم قوته الخاصة على أساس لا يمكن مهاجمته » .

وستحاول أمم أخرى أن تفعل المثل على قدر استطاعتها . وقد فكر جواهر لال نهرو على حين كان يكتب الصفحات الاخيرة من كتاب « اكتشاف الهند » « أن ذلك ليس افتتاحية مشرفة للتعاون العالمي » . واستطرد يقول : « ليس هناك بين الاتحاد السوفيتي والبلاد الاخرى الصراع الذي يدور بين بريطانيا والولايات المتحدة من أجل اسواق التصدير . ولكن الخلافات أعمق من ذلك فان وجهة نظر كل منها تتباعد ، ولم يهدأ الشك المتبادل بينهما حتى نتيجة لجهودهم المشتركة في أثناء الحرب ، واذا ما تفاقمت هذه الخلافات فستميل الولايات المتحدة وبريطانيا الى التودد كل منهما الى الاخرى وتعاونان ضد مجموعة أمم الاتحاد السوفيتي » .

وتساءل نهرو « أين تأتي مئات الملايين من آسيا وافريقية في هذه الصورة ؟ » ثم أسرع ليضيف : « لقد تزايد وعيهم بأنفسهم وبمصيرهم . وأصبحوا في الوقت نفسه على علم بما يجري في العالم . فان اعدادا غفيرة منهم تتبع احداث العالم باهتمام . وكان الحكم على كل حركة أو حدث يستند لا محالة الى الاسئلة الآتية :

هل يساعد على تحريرنا ؟

هل ينهى سيطرة دولة على دولة أخرى ؟

هل سيساعدنا على أن نحيا ، بحرية الحياة التي نختارها بالتعاون مع الآخرين ؟

هل يحقق المساواة والفرص المتكافئة للدول ، والطوائف داخل كل دولة ؟

هل يحمل - هذا الحدث - وعدا بتصفية الفقر والجهل في وقت مبكر ، حاملا معه ظروفا افضل للمعيشة ؟

ان هذه الملايين من شعوب اسيا وافريقية تحمل الشعور بالقومية ولكن هذه القومية لا تترنو الى السيطرة على الآخرين او التدخل في شئونهم . ان شعوب اسيا وافريقية ، ترحب بجميع المحاولات لاقامة تعاون عالمي ونظام دولي ولكنها تتساءل وتتشكك في احتمال ان ذلك ليس خدعة اخرى لاستمرار السيطرة القديمة . فلم تعد المناطق الواسعة من اسيا وافريقية التي يقطنها اناس متيقظون وساخطون يعيشون في غليان مستمر ، لم تعد تتحمل الاحوال القائمة . ان الظروف والمشاكل تختلف بشدة باختلاف بلدان اسيا ، ولكن خلال هذه المنطقة الواسعة في الصين والهند ، وفي جنوب شرقي اسيا ، وفي غربي اسيا والعالم العربي ، تجري خيوط مشتركة من المشاعر ، وروابط غير مرئية تربط بينهم جميعا داخل رباط واحد .

لقد بدأت الحرب الباردة لان حلفاء فترة الحرب قد فشلوا في الوصول الى اى اتفاق حول السيطرة السياسية الخاصة بأوروبا فيما بعد الحرب ، وقد امتد النفوذ السوفييتي الى حوالى نصف القارة الاوروبية ، ولم يكن مارشال ستالين على استعداد للانسحاب او ان يدخل الى بلاد أوروبا الشرقية نظما سياسية تروق للغرب .

وقد كان ستالين الزعيم الوحيد الذى بقى من زعماء فترة الحرب الثلاثة على قيد الحياة ، فقد مات الرئيس روزفلت ودفع الناخبون البريطانيون بونستون تشرشل الى العزلة السياسية .

والى اليوم لا يزال التساؤل عن كيفية اعلان الحرب الباردة ومكانها ، ومن الذى اعلنها ، موضع جدال . « غير ان العادة قد جرت على تحديد تاريخها ب : فولتون ، ميسورى ، ١٠ من ابريل سنة ١٩٤٦ » .

ففى ذلك اليوم القى بونستون تشرشل خطبة بحضور مستر هارى ترومان رئيس الجمهورية الامريكية الذى سبق ان وافق على نص الخطبة . وكان من الواضح ان تشرشل منزعج من وجود القوة العسكرية الروسية الضخمة في قلب أوروبا ، ومن الفراغ الذى نتج عن انسحاب القوات الامريكية السريع . وكان ان نطق فى خطبة فولتون بذلك التشبيه الذى أصبح مشهورا : « لقد نزل ستار حديدى عبر القارة يبدأ من ستيتين في البلطيق حتى تريستا في الادرياتيک » .

كان الاتحاد السوفييتي يهرب بعيدا بشار الحرب ، شارعا في

التوسع غير المحدد لقوته وعقائده . لذا كان لازما على الغرب ان يتحدد في وجه اى اتجاه روسى الى التوسع » .

« فاذا وقفت الديمقراطيات الغربية بعضها مع بعض في ايمان صارم بمبادئ ميثاق الامم المتحدة ، فان نفوذها من اجل تطوير هذه المبادئ سيكون هائلا ، ولا يحتمل ان يناوئها في ذلك مناوئ . اما اذا انقسمت على نفسها او تراخت في اداء واجبها ، واذا سمحت لهذه السنوات الهامة ان تفلت من بين ايديها ، فان الكارثة قد تطيح بنا جميعا بالفعل » .

« وبعد ذلك ببرهة نادى تشرشل بتكوين روابط قليجية بين الدول غير الشيوعية ، تلك الروابط التى تحولت ، فيما بعد ، الى مجموعة من الاحلاف العسكرية . واعلن ونستون تشرشل ان الارتباطات الخاصة بين اعضاء الامم المتحدة الذين ليست لديهم اية نوايا عدوانية ضد اية دولة اخرى ، والذين لا يبيتون اية خطة تتعارض مع ميثاق الامم المتحدة ، ارتباطات غير ضارة باحد ، ومفيدة . . بل واعتقد انه لا يمكن الاستعاضة عنها » .

فاذا لم تكن خطبة فولتون التى القاها زعيم بريطانيا ابان الحرب تحدد - بالفعل - بداية الحرب الباردة ، فقد كانت على الاقل ، اول بيان صريح لها . ونستطيع ان نستند في تأييد قولنا هذا الى مصدر لا يخطئ يتمثل في شخصية مستر تريجنفى لى اول سكرتير عام للامم المتحدة ، والذي رفض الاتحاد السوفيتى انتخابه لمدة ثانية بسبب عواطفه الصريحة المؤيدة للغرب .

فقد قال مستر « لى » في معرض تعليقه على خطبة تشرشل « انها كانت مشار جدل كبير ، وقدر كبير من النقد وخاصة بين اواسط الاحرار الاوروبيين ، والديمقراطيين الاشتراكيين وبين اكبر مؤيدى الامم المتحدة في كل مكان تقريبا . وسبب ذلك انه واجه روسيا بالتحدى في وقت كان معظم الناس ياملون فيه بنجاح التعاون مع الاتحاد السوفيتى وقت السلم . وكنت اشاركهم في هذه المشاعر آن ذاك . وحينما انتطلع الى تلك الفترة التى مضت يتضح لنا ان خطبة ونستون تشرشل في فولتون ، كانت ارهاصا للسياسة الغربية التى أنجبت ، بعد ذلك بعام ، مبدا ترومان ومشروع مارشال ، ثم حلف الاطلنطى بعد ذلك بوقت وجيز . وفي ذلك الحين لم تكن هناك اية حكومة على استعداد لتبنى مقترحاته ، كما لم يكن الراى العام مهيبا بعد ، اما السياسة الحكومية فلم تكن قد تحددت بصورة نهائية » .

وكما سبق أن ذكرنا كان الرئيس ترومان - الذي حضر القاء الخطبة - قد وافق عليها سلفا . ورفض مستر ترومان أى طلب للتعليق على الخطبة من شأنه أن يوحى بعدم الرضا عن دراسة تشرشل للموقف الدولي . وبعد مضي اسبوعين على القاء هذه الخطبة ، أعلن مستر بيفن وزير الخارجية البريطاني ، الذي كان على علم بالسخط الكبير الذي سببته الخطبة بين الدوائر العمالية ، أعلن في اجتماع عام أن هذه الخطبة قد ألقيت على عهدة مستر تشرشل الشخصية ، وأن الحكومة البريطانية لم يتم استشارتها ، ولذلك فهي ليست طرفا فيها . وكان اعتراض مستر بيفن فاترا للدرجة كبيرة حتى بات من الواضح أن الحكومة البريطانية تحمل عطفًا كبيرًا نحو طريقة تشرشل في التفكير . وأن كانت غير مستعدة لاحتضانها على أنها سياستها المباشرة .

وقد اقتضى وضع مبدأ تشرشل موضع التنفيذ سنة واحدة بالضبط من حكومة الولايات المتحدة وحكومة بريطانيا العظمى ، فقد قامت أول معركة في الحرب الباردة بسبب اليونان .

ومن الأمور المعروفة أن تشرشل كان يعارض - كلية في أثناء الحرب - امتداد النفوذ السوفييتي إلى دول البلقان . وعبثًا دعا هو والرئيس روزفلت إلى تضافر الجهود الانجلو - أمريكية من أجل انتقاذ دول البلقان من ظلال الشيوعية العالمية التي أخذت تمتد فوقها . وإذا كان قد فشل في معظم مناطق البلقان ، فإنه اتخذ موقفًا صلبًا إزاء اليونان . فقد توصل إلى تفاهم مع ستالين يقضي بأن توافق الحكومة السوفيتية على اعتبار اليونان منطقة خاضعة للنفوذ البريطاني ، فقد ظلت السياسة البريطانية الخارجية لأكثر من قرن من الزمن تبعد روسيا بنجاح عن تركيا واليونان، وأدرك ونستون تشرشل أنه ما إن تغلت هاتان الدولتان ذواتا الموقع الاستراتيجي الهام ، من قبضة بريطانيا حتى تتعرض الامبراطورية في آسيا لخطر شديد .

وقد شهدت نهاية الحرب اندلاع حرب أهلية في اليونان بين مؤيدي الحكومة الملكية والاحزاب اليسارية بزعامة الشيوعيين . وقد وقف حزب العمال في بريطانيا بجانب الملكية في اليونان . ولكن بات من الواضح ببداية عام ١٩٤٧ أن بريطانيا العظمى لا تمتلك القوة المادية أو الموارد المالية التي تكفل لها القيام بحملة طويلة في اليونان . وفي فبراير عام ١٩٤٧ أبلغت الحكومة البريطانية الولايات المتحدة أنها لم تعد قادرة

على مساعدة اليونان وتركيا بسبب مشاكلها المالية الخطيرة بالداخل والمشاكل التي تعاني منها داخل امبراطوريتها .

وناشد الرئيس ترومان الكونجرس من اجل تخصيص اعتمادات لمساعدة البلدين (اليونان وتركيا) . وقد أعلن وهو يطلب من الكونجرس اعتماد اربعمائة مليون دولار لهذا الغرض : « اننا لن نستطيع ان نحقق اهدافنا الا اذا كنا على استعداد لمساعدة الشعوب الحرة على صيانة نظمها الحرة ووحدتها الوطنية في مواجهة الحركات العدوانية التي يبدو أنها تفرض عليها نظما استبدادية . ولا يعدو أن يكون هذا اعترافا جديدا بأن هذه النظم الاستبدادية المفروضة على الشعوب الحرة ، من طريق العدوان المباشر او غير المباشر ، تقوض صرح السلام الدولي ومن ثم أمن الولايات المتحدة . اننى اعتقد انه يتعين ان تقوم سياسة الولايات المتحدة على مساندة الشعوب الحرة التي تقاوم الخضوع المدبر من جانب الاقليات المسلحة او الضغط الخارجى » .

وكانت هذه هي المرة الاولى التي استخدمت فيها عبارة « بلد حر » لكى يقصد بها أية دولة خارج الفلك الشيوعى . وقد وصف مستر وليام هاردى ميكفيل فى كتابه « بداية الحرب الباردة » ، خطبة ترومان بأنها بداية مرحلة جديدة للحرب الباردة ، مرحلة تُسم بأنها أكثر وضوحا .

ولم يتوان الجانب الآخر عن الاستجابة لصوت نفي الحرب الباردة : ففي خريف عام ١٩٤٧ تقابل ثمانية عشر مندوبا شيوعيا بارزا ، بصفة سرية ، لمدة اربعة أيام فى بولندا . وقد مثل الاتحاد السوفييتى فى هذا المؤتمر كل من زدانوف ومالينكوف ، ومن بين القرارات التي اتخذت قرار يقضى باقامة مكتب استعلامات شيوعى يكون مقره الرئيسى فى بلجراد . وقد عرف ، بعد ذلك ، باسم الكومنفورم واعتبره العالم الغربى بديلا للكومنتيرن فيما بعد الحرب . وأعلن الكومنفورم ، بصراحة ، فى البيان الذى اذاعه نبأ تقسيم العالم الى معسكرين متنافرين :

« لقد تبلور خطان سياسيان متعارضان : ففي الطرف الاقصى نجد اتحاد الجمهوريات السوفيتية والبلاد الديمقراطية تهدف الى القضاء على الاستعمار ودعم الديمقراطية . . وفى الطرف الآخر نجد الولايات المتحدة وبريطانيا تهدفان الى دعم الاستعمار وخنق الديمقراطية . ونظرا لان اتحاد الجمهوريات السوفيتية والبلاد الديمقراطية تقف عقبة امام تحقيق الخطط الاستعمارية التي تهدف الى السيطرة على العالم وسحق الحركات الديمقراطية تعرض الاتحاد السوفييتى وبلاد

« الديمقراطية الجديدة » لحملة ، غذاها ايضا تهديد بحرب جديدة من جانب اكثر ساسة الولايات المتحدة وبريطانيا الاستعماريين حبا للدمار . وفي ظل هذه الظروف يتعين على المعسكر الديمقراطى المعادى للاستعمار ان يضم صفوفه ويتقارب ، ويتفق على قاعدة مشتركة لتنفيذ تكتيكاته ضد قوى المعسكر الاستعماري الرئيسية .

وفي الوقت الذى كانت الحرب الباردة فيه تتشكل ، كان هناك تطور عظيم يدور على اشداه في شبه القارة الهندية القديمة : ففي يناير عام ١٩٤٦ اى قبل أربعة شهور من خطبة تشرشل التى القاها في فولتون ، قامت بعثة برلمانية مكونة من عشرة اعضاء بالطواف بالهند لمناقشة الموقف السياسى مع زعمائنا الوطنيين . وفي ٢٣ من مارس وصلت الى الهند بعثة من مجلس الوزراء البريطانى ، تتكون من سير ستافورد كرييس ، ولورد بيثك لورانس ، ومستر ا.ف. الكسندر ، وفي اغسطس شكل مستر جواهر لال نهرو اول حكومة مؤقتة للهند حتى يملأ الفراغ الناتج عن انسحاب البريطانيين وانتقال السلطة . . . وفي ليلة ١٤ من اغسطس عام ١٩٤٧ خرجت الى الوجود دولتا الهند وباكستان من قلب شبه القارة الهندية . واجتمع المجلس التأسيسى الهندي في منتصف الليل تماما كي يعلن استقلال الامة . وأعلن مستر نهرو في خطبة خالدة :

« منذ سنوات طويلة مضت ضربنا موعدا مع القدر ، والآن جاء الوقت الذى سنفي فيه بتعهداتنا ، لا بحدافيرها ولكن بالقدر الاكبر منها ، فعندما تدق الساعة معلنة انتصاف الليل ، وحينما ينام العالم ، سوف تبعث الهند الى الحياة والحرية . لقد حانت اللحظة ، ومثل هذه اللحظات نادرة في التاريخ ، اللحظة التى سنخرج فيها من القديم الى الحديث ، وتنتهى فيها حقبة من التاريخ ، وتفصح فيها روح الامة عن نفسها بعد ان ظلت مخنوقة لفترة طويلة . وفي هذه اللحظة الجليلة نجد انه من المناسب ان نتعهد بخدمة الهند وشعبها ، وان نهب انفسنا لتلك الرسالة الكبرى ، رسالة الانسانية . »

وهكذا نجد انه حتى حينما بدأت الحرب الباردة ، كان تقسيم عالم ما بعد الحرب الى ثلاثة معسكرات - ذلك التقسيم الذى كان سيفصح عن نفسه في مدى خمسة عشر عاما - واضحا للعين الواعية . وكان نهرو يفكر في الاسئلة الصامتة التى كانت تجول بخاطر آسيا وافريقية ، حينما كان يجلس في سجن بريطانى وقد اوشكت الحرب ان تضع اوزارها ، ولم تكن الجروح قد التأمّت بعد ، حينما اطلق

تشرشل صيحتة من أجل حرب مقدسة جديدة ، ومن أجل ان تتحد الدول الغربية في مواجهة الشيوعية . وسرعان ما قبل ستالين التحدي ، وأعلن الكومنفرم تقسيم العالم الى معسكرين متنافرين . غير ان استقلال الهند اقتطع شريحة كبيرة من الارض بعيدا عن حدود الكتلتين المتجمعتين . وقد وضع الاساس الذي ارتفع فوقه - في السنوات المقبلة - عالم يتوسط الكتلتين ، حدث هذا في الوقت الذي كان فيه حلفاء الحرب يشرعون رماحهم ويستعدون لامتحان قوتهم من جديد .

وليس من الغريب ان ينمى رجال السياسة اضطراب آسيا وافريقية في اثناء انتفاضة ما بعد الحرب ، الى التقدم وسط انواء الحرب الباردة الثلجية . وقد اشار كارلوس رومولو وزير خارجية الفلبين السابق منذ سنوات قلائل الى : « انه من نكبات التاريخ ان تتصادف نهضة آسيا مع الصراع القاسي بين الدول الكبرى للسيطرة على العالم » .

والواقع ان تقدم آسيا وافريقية البارز نحو الاستقلال ، قد اصبحت ممكنا الى حد كبير ، بسبب هذا الصراع القاسي بين الدول الكبرى .

فلقد احدثت الحرب العالمية الثانية تغيرا كليا في ميزان القوى العالمي ، أدت الى ظهور قطبين في العلاقات الدولية . وقد ساعد الضعف الذي انتاب الدول الاستعمارية العتيقة في أوروبا - نتيجة للحرب - على بعث آسيا وافريقية ، الى حد كبير ، ومساعدتهما ، ايضا ، ظهور دولتين كبيرتين ، كل منهما تنافس الاخرى في القوة الاقتصادية والسياسية ، وكل منهما تتنافس مع الاخرى لسيادة العالم . . . واذا ما أردنا وضع أي تقدير واقعي لتطورات ما بعد الحرب فعلى ان نضع هذا العامل الاساسي موضع الاعتبار . فلو لم يكن بنيان القوى قد تغير نتيجة للحرب ، ولو لم تخرج الدول الاستعمارية العتيقة منهوكة القوى تماما من جراء معارك انتصارها ، ولو لم يواجه الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة كل منهما الاخر بقوى وتسليح متعادل ، لكان التقدم السياسي والاقتصادي لآسيا وافريقية اكثر بطئا وترددا . وقد اتاح تقسيم معظم بلدان العالم الى نظامين متنافسين ، اتاح للبلاد الآسيوية الافريقية الحديثة الاستقلال فرصة تاريخية كي تؤدي دورا دوليا ايجابيا من أجل اقامة منطقة واسعة من عدم التورط ، ومد جسور تربط بين الجانبين المتعارضين .

وفي الوقت الذي نشبت فيه الحرب الباردة ، برز نظام جديد لعلاقة الدول بعضها ببعض ، وتمثلت المظاهر الرئيسية لهذا النظام فيما يلي :

- ١ - تدهور أوروبا .
 - ٢ - ظهور الولايات المتحدة كدولة غربية رئيسية ، وزعيمة لمجموعة الدول الغربية .
 - ٣ - ظهور الاتحاد السوفيتي كقوة عسكرية تعادل قوة الولايات المتحدة ، وكقوة اقتصادية تأتي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة مباشرة .
 - ٤ - انتشار الشيوعية بوسائل عدة ، الى ثلث العالم أجمع، وبذلك وضع حد لموقف الاتحاد السوفيتي قبل الحرب كدولة اشتراكية وحيدة يحيط بها « الاعداء » الرأسماليون .
 - ٥ - ظهور البلاد الآسيوية والافريقية كدول مستقلة . وظهرت اهدافها الصريحة بالابتعاد عن الصراع الدائر بين الكتلتين من اجل القوى .
- وقد كان تدهور أوروبا ذا اثر مباشر في مصلحة اسيا وافريقية . وذلك لان أوروبا ، كانت القارة التي ظلت تستعيد القارتين لعدة قرون. فقد شهدت نهاية الحرب افول نجم المانيا وايطاليا في أوروبا ، واليابان في اسيا ، وهى الاقطار التي كانت تشكل الدول الاستعمارية الجديدة في القرن العشرين . وكانت فرنسا من الدول الكبرى من باب المجاملة فقط . . ولم تعد بريطانيا في وضع يسمح لها بالسيطرة على امبراطوريتها الشاسعة الأطراف . ولم يكن تحول القوى هذا من صنع الحرب العالمية الثانية وحدها . فقد بدأت العملية مع مطلع القرن . ووصلت الى مرحلة حاسمة خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها . فقد أدخل مولد الاتحاد السوفيتي على أنقاض روسيا القيصرية تفيرا بارزا في بنين القوى التقليدى في أوروبا . وظهرت امريكا في عهد ولسون ، واللحظة خاطفة ، كزعيمة للمجموعة الغربية التي كانت ما تزال تحكم الكرة الارضية . وحتى حينما انسحبت امريكا الى قوقعتها المنعزلة ، أصبحت المصنع الذى ينتج احتياجات العالم ، والذي كانت أوروبا العتيقة المنهارة تستجدى منها . وقد تكهن الكثيرون من ساسة أوروبا ومثقفها من اصحاب النظرة البعيدة، بأن الصراع التالى سيكون بين الشيوعية بزعامة الاتحاد السوفيتي والرأسمالية بزعامة الولايات المتحدة. وفشلت محاولة استخدام ادولف هتلر كراس ومع غربى ضد الاتحاد السوفيتي لان مطلق الفوهرر

السياسية رفضت أن تقاس على أساس عالم يتم تقسيمه ، باطمئنان .
بين نصف دسنة من الدول الاستعمارية . وقد حددت الحرب التي
شنها هتلر مصر أوروبا . . فبعد انتهاء الحرب مباشرة ، نظرت أكبر
دولتين في منتصف القرن العشرين بعضهما الى بعض ، عبر المحيط
الاطلنطى ، فى كراهية باردة صريحة . . غير أنهما بدأتا تطالبان الآن بدائرة
من الدول التابعة .

منذ ظهور اليقظة السياسية فى السنوات الاولى من هذا القرن .
وآسيا تنتظر انهيار الروابط الأوروبية . فقد دأب « اتفاق الدول » ،
طويلا ، على الاساءة الى قارتى آسيا وأفريقية المستعبدتين .
وما أن سقطت روسيا القيصرية وظهرت الدولة السوفيتية الجديدة .
الى الوجود حتى اكتشف دكتور صن يان صن مصدرا جديدا يستمد منه .
المساندة السياسية والاقتصادية ، فقد أعلن : « اننا لم نعد ننظر نحو
الغرب ، فان وجوهنا قد اتجهت شطر روسيا » .

وفى الهند ، بالرغم من أن قيادة المؤتمر القومى لم تكن متأثرة
بالمبدأ السياسى للثورة البلشفية ، فانها كانت متأثرة بقوة بريطانياس
الآخذة فى الاضمحلال ، وسرعان ما تحولت القيادة الى مقاومة جماعية
للحكم الاستعماري . ولكن تأثير الثورة الروسية على الجيل الأصغر كان
أقوى من تأثيرها على الجيل القديم ، فقد قال مستر نهرو فى خطبته الاولى
بعد توليه منصب الرئاسة فى دورة المؤتمر القومى الهندى عام ١٩٢٩ ،
« اذا كان المستقبل مفعما بالامل فذلك بفضل الاتحاد السوفيتى وما قام
به . اننى مقتنع بأنه لو لم تتدخل كارثة عالمية ، فان المدنية الجديدة
سوف تمتد الى بلاد أخرى وتضع حدا للحروب والصراع الذى تغذيه
الرأسمالية » .

وقد تحدث مستر بانىكار عن نتيجتين رئيسيتين للثورة الروسية .
وذلك فيما يتعلق بآسيا : « حدد اعلان حقوق الشعوب فى روسيا
المساواة والسيادة التى تتمتع بهما الشعوب المستعمرة فى الامبراطورية
القيصرية . فانه - أى الاعلان - أكد مبادئ تقرير المصير القومى
والانفصال السلالى للاقلييات . ومهما كان التاريخ اللاحق لهذا المبدأ
فانه أحدث دويا هائلا فى ذلك الوقت ، وكان له تأثير عظيم على تشكيل
الأقطار فى آسيا . وأعلن السوفييت ، منذ البداية ، عن مساندتهم
لحركات الكفاح القومى للشعوب المستعمرة . فلأول مرة أصبحت هناك
أمة أوروبية مستعدة ، جهارا ، لتزعم قضية الشعوب المستعمرة » .

وقد زادت حدة حركات الكفاح الوطنى فى فترة ما بين الحربين
العالميتين ، فى آسيا . وفى أفريقية أيضا كانت هناك أولى انتفاضات
اليقظة القومية . وفى أوروبا ، كان لظهور الحركة الفاشية مع تستر
القوى الديمقراطية عليها ، والقضاء الفعلى على عصبة الأمم ، والتشجيع

«الذى حظى به المعتدون الجدد ، ايطاليا ، والمانيا ، اثره فى توسيع الهوة القائمة بين العقلية الأوروبية والعقلية الآسيوية .

وقد استحوذ الاتحاد السوفيتى ، كدولة أوروبية تتزعم قضية الانسانية المظلومة ، على مشاعر الأجيال الجديدة فى آسيا وأفريقية . ولكن لا شك فى أن صورة الاتحاد السوفيتى كحارس لجميع القسوى التقدمية قد اهتزت بشدة حينما قام ستالين بغزو فنلندا ، ثم توقيعه بعد ذلك ، على معاهدة عدم اعتداء مع المانيا النازية . ومرة أخرى أعلن نهرو عن شكوك جيل آسيوى بأكمله حينما سأل « هذا الحالف الروسى الالماني ، وهذا الغزو السوفيتى لفنلندا ، وهذا التودد الروسى لليابان : هل هناك أى مبادئ أو معايير للسلوك فى هذا العالم ، أو أن الامر يتعلق بالانتهازية المحضة ؟ » .

ومن ناحية أخرى ضاعف دور الأحزاب الشيوعية الوطنية من حدة الانشقاق بين القومية الآسيوية والاتحاد السوفيتى ، واتضح هذا بصفة خاصة خلال مرحلتى الحرب العالمية الثانية . فحينما كان السوفيت خارج هذه الحرب كان الشيوعيون ينظرون الى هذه الحرب على أنها حرب استعمارية ، ينبغى مناهضة الدول المتحالفة فيها بكل وسيلة ممكنة بل ان هتلر نفسه صار فاضلا ، بصفة مؤقتة ، نتيجة لتحالفه مع روسيا . ولكن ما ان تمت مهاجمة السوفيت ، حتى أصبحت الحرب بين عشية وضحاها ، حربا يخوضها الشعب . أما حزب المؤتمر ، فى الهند ، بجميع عواطفه المعروفة نحو الديمقراطيات ، وكراهيته للفاشية ، فكان يهتم أولا وقبل كل شيء ، بحرية البلاد . وحينما رفضت الحكومة البريطانية التماس حزب المؤتمر الشديد احداث تحول كبير فى السلطة . ماكان من حزب المؤتمر بزعماء غاندى الا أن تزعم حركة « ارحلوا عن الهند » .

غير أن البريطانيين قمعوها بلا هوادة ، متسلحين بالسلطات المجحفة التى منحوها أنفسهم باسم جهود الحرب . بيد أن الشيوعيين انتهجوا اتجاها مغايرا تماما فجعلوا اتجاهم يشمل التعاون استعدادا للحرب ، ومعارضة الحركات الوطنية ، واتهام موبهاز تشاندرا بوز ، « النمر الواثق » الذى هرب من الاعتقال فى داخل البلاد الى المانيا واليابان ، بالخيانة ، وبتنظيم جيش آزاد هند « لتحرير » الهند من الحكم البريطانى . وقد وجدت الحرب العالمية الثانية الأحزاب الآسيوية الوطنية منعزلة عن الشيوعيين الآسيويين من الناحيتين العاطفية والتخطيطية وتحطمت فى أثناء الحرب جميع الفرص لقيام جبهة شعبية فى آسيا .

غير أن هذا كله لم يصرف نظر التفكير الوطنى الآسيوى عن الاتحاد السوفيتى ، بل كان هناك قدر كبير من التعاطف الطبيعى

في آسيا مع السوفيت في أثناء حربهم مع ألمانيا النازية . وكانت الانتصارات الروسية تثير آسيا ، وساد شعور بأن السوفييت يتلقون كل ضربات الحرب التي شنها هتلر ، دون أية مساعدة تذكر من جانب الحلفاء . وبينما انتهت الحرب وخرجت روسيا منها ندا لأمريكا ارتفعت هيبتها في آسيا الى عنان السماء . وقد استراح الوطنيون الآسيويون كمجموعة حينما وجدوا دولة أوروبية من الدول العظمى قادرة على تحدى دول أوروبا الاستعمارية المتبعة بطريقة فعالة .

فما طابع تأثير أمريكا على العقلية الآسيوية الأفريقية بين الحربين ؟ لقد جعلت الحرب العالمية الأولى الولايات المتحدة أكبر دولة في العالم ، وقد تأكد ذلك في مؤتمر الصلح بباريس ، فقد أسفر تدخل أمريكا عن انتصار الدول المتحالفة ، وقد حرر صون ولسون ملايين من الارواح في جميع أنحاء العالم .

وبينما انتهت الحرب ، نظر الجنس البشرى كله تقريبا الى الولايات المتحدة طلبا لزعامة جديدة . وفي عام ١٩١٩ أصبح من الواضح أن القرن العشرين هو القرن الأمريكى .

وإذا كانت الولايات المتحدة قد عجزت عن المحافظة على مركز الزعامة ، فلأن الرئيس ولسون وسياسته قد رفضها الكونجرس ، وعادت أمريكا الى عزلتها التقليدية بعيدا عن أوروبا غير أن هذا الانسحاب من على المسرح الأوروبى كان سياسيا أكثر منه اقتصاديا . فمن الناحية الاقتصادية لم تكن الولايات المتحدة أكبر دولة في العالم فحسب ، بل انها كانت أيضا الدولة الدائنة الوحيدة التى استعادت قوتها . وانتقلت عاصمة المال في العالم من لندن الى نيويورك ، وحل الدولار مكان الاسترلينى كعملة دولية .

وبالرغم من ان الولايات المتحدة انسحبت سياسيا من أوروبا ، فإنها احتفظت بمركز السيادة على شرقى آسيا والباسفيكى . وبينما كانت الولايات المتحدة هى التى فتحت الطريق أمام اليابان الى العالم الخارجى ، كانت تحمل دائما مشاعر عداوية ضد فكرة وقوع الصين تحت سيطرة أية دولة أو مجموعة من الدول ، الامر الذى يعرض وضعها في منطقة الباسفيكى للخطر . ولذلك دعت الولايات المتحدة الى سياسة « الباب المفتوح » بالنسبة للصين . وقد استطاعت ان تحافظ على قدر من الزعامة وروح المبادرة بسبب معارضتها الصلبة للجهود اليابانية للسيطرة على الصين .

ولم تتنازل أمريكا طوال فترة ما بين الحربين من زعامتها هذه فقد عارضت الغزو اليابانى للصين ، وذهبت الى حد مساعدة الحكومة الصينية في الدفاع عن استقلالها ومبادئها .

غير أن الولايات المتحدة لم تبذل محاولة تذكر لممارسة أى نفوذ لها فى بقية أجزاء آسيا ، وفى ثلاثينيات القرن بدأت شركات البترول الأمريكية تتغلغل فى الشرق الأوسط ، ولكن الولايات المتحدة تركت للدول الاستعمارية الأوروبية الأسواق التقليدية فى آسيا وأفريقية ، ولم تتدخل فى شئون امبراطوريات أوروبا الاستعمارية .

وقد جعلت الحرب العالمية الثانية الولايات المتحدة تدرك لأول مرة مدى الخطورة التى يتعرض لها أمنها فى سماحها للدولة من الدول الكبرى الأعداء للنمو فى منطقة الباسفيكى .

ولذلك بذلت أمريكا فى ثناء الحرب ، كل ما فى وسعها للعمل على إعادة بناء الصين ديمقراطيا وتوثيق عرا الصداقة معها .

وقد دفعت حرب الباسفيك بالولايات المتحدة داخل أنواء الشئون الآسيوية ، على حين أدت الحرب الأوروبية الى تورطها فى الشرق الأوسط . غير أن تشرشل كان قد قرر أن يحتفظ بالامبراطورية خارج نطاق النفوذ السياسى الأمريكى .

من أجل هذا عجز الرئيس روزفلت ، بالرغم من تعاطفه الشديد مع حركات التحرر الآسيوية ، عن الاقدام على أية خطوة سوى ارسال بعض التقرير المؤدب الى تشرشل يحثه فيه على تعديل سياسة امبراطوريته وخاصة بالنسبة لهند .

وحيثما انتهت الحرب العالمية الثانية خرجت الولايات المتحدة منها كأكبر دولة فى تاريخ الانسانية . وقد حمل تداعى أوروبا الهائل ، الولايات المتحدة مسئولية لم تستطع ان تفهمها حتى عشر سنوات مضت . واعتمد انتعاش أوروبا ومستقبل الاستقرار السياسى فيها على الولايات المتحدة ، وكانت الولايات المتحدة ايضا القوة التى لا ينازعها احد فى الباسفيك . لقد ارتمت اليابان عند مواطىء قدميها . وقد اعتبرت نفسها الوصى الوحيد على إعادة الصين الى الديمقراطية المسالمة .

وبعد الحرب مباشرة تجلّى الشعور بأن الولايات المتحدة تؤثر على الشئون الآسيوية خارج منطقة الباسفيكى . وعندما هاجمت القوات الانجلو - هولندية جمهورية أندونيسيا الوليدة لتحقيق هدفها الشرير الرامى الى إعادة النظام الاستعمارى ، تدخلت حكومة الولايات المتحدة فى الحال متعاطفة بصراحة مع قضية الحرية الآسيوية .

وقد رفع هذا العمل الذى ينم عن بعد نظر السياسة الأمريكية عن قدر الولايات المتحدة فى اعين البلاد الآسيوية غير ان الحرب الباردة التت

بظلالها الاولى على اوربا . وانتهت روح المبادرة الامريكية فى آسيا ما بعد الحرب ، عند حدود أندونيسيا .

هذا ، اذن ، هو الموقف الذى كانت عليه آسيا فى السنوات الاولى التى أعقبت الحرب : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يواجه كل منهما الآخر كعملاقين يقع على كاهلهما الاحمال الهائلة الخاصة بمستقبل الجنس البشرى . ولم يكن الواحد منهما يدرك حقيقة الآخر تماما .

ولم تكن العلاقات ، بين أمريكا وروسيا وثيقة على الاطلاق ، حتى قبيل مولد الدولة السوفيتية . بل ان الأمر اقتضى مرور ستة عشر عاما كى تعلن الولايات المتحدة اعترافها الدبلوماسى بالجمهورية السوفيتية . بل ان فترة الاعتراف هذه لم تؤد الى أى تفاهم عميق متبادل .

وقد شهدت فترة ما قبل الحرب مباشرة والسنتين الأوليان للصراع ، تدهورا أكبر فى العلاقات الروسية الامريكية . ثم جاء الفيض المفاجئ من الصداقة خلال السنوات الاربع الاخيرة من الحرب . ولكن هذه الصداقة لم تسنطع أن تعمر الى أكثر من فترة انهيار العدو التام ، ذلك العدو الذى جمع بينهما .

وفى ظل زعامة مستر نهرو ، بدأت الهند رحلتها البكر فى مجال الشئون الخارجية معلنة رغبتها فى أن تبتعد ، بقدر الامكان عن مناطق نفوذ هاتين الدولتين العملاقتين .

ورفعت مع بعض الجارات اللاتى يشاركنها فى التفكير ، مبدأ خلق منطقة متواضعة للسلام . ولكن أصبح من الواضح ، حتى فى ذلك الوقت ، ان الحرب الباردة مقبلة على آسيا وكان من الممكن تأجيل اندلاعها نوعا ولكن ايقافها النهائى لم يكن ممكنا .

فقد ظلت آسيا لقرون عدة ، قاعدة لسلطان اوربا ومجدها ، والآن بمجرد أن أصبح لآسيا كيائها الخاص ، انهيار سلطان اوربا ، وأصبح هناك ، بأسلوب سياسة القوى ، « فراغ » خطير فى أجزاء واسعة من آسيا . واندفع العملاقان من أجل ملء هذا الفراغ .

فأخذ السوفيت الصين . وأخذ الامريكيون يبذلون جهودا مستميتة من أجل عقد أحلاف عسكرية تحدد من قوة الدولة المنافسة ، ودلفت آسيا الى فلك الحرب الباردة .

الفصل الثاني

الدول الحديثة وعلاقتها بالدول القديمة

اننا نعيش فى عالم يتقلص ويتمدد فى آن واحد .

فقد قضى العلم على بعد مسافة المحيطات الواسعة والعوائق التى تصنعها الجبال العالية ، وقام العلم بربط اركان الارض ربطا اكبر بكثير مما كان عليه حتى عند مطلع هذا القرن . وقد صار هناك اعتراف بمزيد من الامم ، والاقطار ، والشعوب ، والحضارات ، والمدنيات واللغات والاداب ، والفنون والحرف ، وهو أمر يكن يتصوره أحد منذ خمسين عاما مضت .

ولم يكن هناك ، منذ مائة عام ، أى جهاز منظم دائم لكى يعالج مشاكل المجتمع العالمى السياسية ، كما لم تكن هناك محكمة عالمية أو جهاز ادارى دولى . أما اليوم فليس هناك ، الامم المتحدة بجمعيتها العامة ، ومجلس الامن ، وبعض الهيئات الاخرى فحسب ، بل هناك ايضا محكمة العدل الدولية ، والمجلس الدائم للتحكيم فى لاهائى ، وخمس عشرة لجنة دولية أخرى مشكلة من أجل فض المنازعات بين الأمم .

ومرة اخرى نجد ان الولايات المتحدة ، منذ خمسة وسبعين عاما ، لم تكن تنفق دولارا واحدا لمصلحة أية منظمة دولية ، واليوم تدفع ٣٩٪ من ميزانية الامم المتحدة ، وهو مبلغ يصل الى خمسين مليون دولار !

وهكذا نرى اننا نعيش فى عالم دولى فى بنيانه ، ودولى فى نظريته . أكثر مما كان فى أى وقت مضى . ومع ذلك فان القومية اليوم أقوى تيار سياسى ، وان توسعها السريع الى مناطق العالم النائية سياسيا ، لمن اهم سمات عصرنا الحاضر .

وقد كانت مجموعة الدول القانونية ، من وجهة نظر النظام الاوروبى ، مقصورة ، حتى نهاية القرن السابع عشر ، على الدول المسيحية التى فى أوروبا وحدها . وقد سمح لروسيا بالانضمام الى هذه المجموعة فى أواخر ذلك القرن فقط .

واقضى الأمر مضي مائة سنة أخرى للاعتراف بالولايات المتحدة ، وقد سمح لدول أمريكا اللاتينية بالدخول في القرن التاسع عشر . ولم يتم توسع الدائرة كي تضم البلاد غير الغربية وغير المسيحية الا في عام ١٨٥٦ بعد السماح لتركيا بالدخول الى هذه المجموعة .

وبلغ عدد الدول الاعضاء في عصبة الامم ستا وعشرين دولة ، وفي سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ وقعت ست وأربعون دولة على ميثاق الامم المتحدة . وفي مدى عشر سنوات قفز العدد الى ٧٧ ، واليوم هناك أكثر من مائة دولة أعضاء في الامم المتحدة . وكل منها كما في أى مجتمع ديمقراطى يتمتع بحقوق مساوية في التصويت بصرف النظر عن حجم هذه الدولة أو عدد سكانها ، أو مواردها ، أو مستوى التنمية والقوة العسكرية بها . . وقد يرتفع العدد في السنوات العشر القادمة ليبلغ مائة وخمسة وعشرين عضوا في هذه المنظمة الدولية .

ومنذ سنين غير بعيدة كان المجتمع السياسى في العالم يتكون أساسا من البيض ، وكانت أوروبا هي التي تقرر مصير البشر . أما اليوم فان المجتمع العالمى يمثل صورة متباينة الالوان واللغات والحضارات .

وفي أى اجتماع دولى يفوق الملونون والسود والصفر عدد الاعضاء البيض بسهولة . .

لقد ظلت أوروبا ، بمساحتها التي تبلغ ٣٦٣٪ من مساحة العالم ، ويسكنها ٨٪ من عدد سكان العالم ، تتحكم في بقية اجزاء الارض لما يزيد عن ثلثمائة عام . وفي أثناء هذه الفترة الطويلة من السيطرة الاستعمارية ، كانت أوروبا أو بالأحرى أوروبا الغربية ، تصدر أيضا الى هذه المستعمرات والامبراطوريات عصب العلم الحديث والتكنولوجيا بجانب القوى التحررية الكامنة في الافكار الثورية والحرية . . وقد تغلغت النظم السياسية والمفاهيم الخاصة بأوروبا الغربية في أركان العالم للنائية . . وتفككت مدنات الشرق العريقة الغنية ، واندثرت تحت تأثير السيطرة الاقتصادية والسياسية والايديولوجية الغربية .

ولكننا نعيش الآن في عصر لم تعد فيه أوروبا قوة ترسم مصاير الآخرين . . وانتقل مركز القوى الى مكان آخر . . انتقل الى الاتحاد السوفيتى الشبيه بالآسيوى ، والى الولايات المتحدة الامريكية .

وبدأت مدنيت الشرق العريقة تعود الى الحياة ، تواقة الى جنى ثمار
التكنولوجيا الحديثة ، ومهتمة بتأكيد شخصيتها فى مجتمع الدول (١) .

(١) بدأ الآن فقط ، الشعور بتأثير التحول الكبير فى المجتمع الدولى ، على
القانون الدولى المتعارف عليه . فلم يكن هناك أكثر من الملكية قداسة فى النظام القانونى
النابع من الغرب ، فلم تكن الملكية الخاصة ، سواء اكانت فردية أم جماعية ، تتمتع
بالحماية الشديدة فى كل بلد فحسب ، بل كانت تحظى بحماية دولية أيضا .. وحينما
تسلمت دول افريقية وآسيا الحديثة الممتلكات الخاصة بالمصالح الاوروبية والأمريكية ..
أصبح ذلك ، فى نظر الغرب ، اغتصابا وعملا من أعمال القرصنة ، وأدى تأميم الحكومة
المصرية لشركة قناة السويس عام ١٩٥٦ ، وتأميم حكومة كوبا للمصالح الأمريكية الضخمة
عام ١٩٦٠ الى غزوين فاشلين .

غير أن حق التأميم ، فى نظر الدول الحديثة ، أمر لا يمكن مناقشته ، وأصبحت
مشكلة الصراع بين الحكومات الوطنية فى آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية ، وحكومات
الغرب صاحبة هذه الملكيات ، مشكلة خطيرة للدرجة أن الجمعية العامة للأمم المتحدة
شكلت لجنة عام ١٩٥٩ لبحث مسألة التأميم على ضوء الحقائق الدولية الجديدة ..
وقد أيد تقرير اللجنة ، الذى صدر فى مايو عام ١٩٦١ حق الدولة فى تأميم أى ممتلكات
مع دفع التعويض لأصحابها ، وكان الاتحاد السوفيتى هو العضو الوحيد فى اللجنة
الذى عارض مبدأ التعويض ، وكان مقدرًا أن يكون هناك خلاف كبير فى رأى حتى حول
مسألة التعويضات . وترى الشركات الأمريكية أن التعويض الذى دفعته الحكومة
الكوبية غير ذى قيمة تقريبا ، كما كان رد الفعل الانجلو - فرنسي - تجاه التعويضات
التي قدمها الرئيس ناصر بعد تأميم قناة السويس ، هنيئا .. ولا بد أن يظهر قانون
دولى جديد فى السنوات القادمة ، ليشمل بالاعتبار مسألة الملكية التي تستحوذ عليها
مصالح اقتصادية قوية فى الاقطار الأجنبية .

وأخذ المجتمع الدولى يسلم بحق شعب من الشعوب فى القيام بثورة وقلب
الحكومة ، وقد حانت فرصة أمام محكمة العدل الدولية لتصدر حكمها على هذه المسألة
حينما أصدرت حكمها فى ادعاء البرتغال حق المرور فى الاراضي الهندية الى المستعمرتين
البرتغاليتين : دادرا ، ونارجا هافيلى ، اللتين قام بتحريرهما السكان المحليون عن طريق
ثورة سلمية .. فبينما أيدت المحكمة حق الهند فى رفض طلب المرور ، لم يصدر حكم
الاغلبية أى رأى حول السند القانونى للتحرير .. غير أن عددا من القضاة اعتقد أن
التحرير قد غير الصورة تماما .

ولنضرب مثلا واحدا مما قاله القاضي اليونانى سبيرولوس : « الواقع أنه بعد رحيل
السلطات البرتغالية ، أقام سكان المستعمرتين سلطة جديدة تتمتع بالاستقلال الذاتى ،
سلطة تعتمد على ارادة الشعب . وحيث أن حق المرور يعنى أن حكم البرتغاليين
للمستعمرتين ما زال قائما فان اقامة سلطة جديدة فى المستعمرتين ينبغى أن يعتبر أمرا
واقعا ، أمرا وضع حدا لحق المرور » .

ومن الجدير بالذكر أن مذهب الاحرار الاوروبي قد خارت قواه ولم يعد يلهم ويغذى ملايين العقول في القارات الاخرى وهو الذي كان يفعل ذلك في القرن التاسع عشر . وقد فضحت النظم السياسية الأوربية - عن طريق فشلها في منع قيام الدكتاتوريات - فضحت افتقارها للكامن الى القوة ، على حين بدأ كثير من الناس في الشرق يتساءلون : هل كانت هذه النظم مناسبة ، على الاطلاق لحقائق الشرق ؟

هذا ، وتعانى الصناعة الأوروبية في الوقت الحالى من التدهور بعد أن وصلت الى أوج مجدها ، أما الموارد الطبيعية الأوروبية فبعد أن حرمت الاستغلال الحياى للمستعمرات لم تعد قادرة وحدها على المحافظة على مقتضيات النصر ابان المنافسة التى قامت مع اقتصاديات الدول الشيوعية الآخذة فى النهوض . لقد تبدد ميزن القوى القديم فى أوروبا وأصبحت أوروبا الغربية اليوم فى حكم الحاجز الذى يقف بين الدولتين الكبيرتين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية .

ان ازدياد أهمية آسيا وافريقية فى عالم اليوم المتغير لمن الأمور المعترف بها . ولكن من الممكن المبالغة فى تصوير هذه الأهمية بالنسبة للحرب الباردة . وإذا حدث ونشبت الحرب القادمة فستتطلب من العالم موارد أعظم مما تطلبته الحرب الأخيرة . وليس هناك من دولة سوى الاتحاد السوفييتى تتمتع باقتصاد يستطيع أن يشبع مطالب حرب عالمية أخرى .

اننا نواجه اليوم موقفا عالميا ، وصل فيه ما يسمى بـ « العالم الحر » الى قمة النمو الاقتصادى ، ليواجه الآن فترة تدهور اقتصادى وفى الناحية الأخرى نجد أن العالم الشيوعى يتمتع بموارد وأفرة لم تستغل ، كما أن اقتصاده ينمو بسرعة كبيرة .

وفى ظل موقف كهذا لا يمكن ، ولن يمكن ، ترك الدول الآسيوية الافريقية وحدها اذا ما اندلعت الحرب . ذلك أن المتحاربين سيطالبون بالموارد الطبيعية التى فى آسيا وافريقية كما أن المناطق التى تعتبر عصب الحياة على الارض ، على الاقل ؛ ستكون لا محالة مسرحا للصراع .

والأمر الوحيد الذى تستطيع آسيا وافريقية أن تفعله ؛ والذى تحاولان جاهدتين أن تفعله هو الفصل بين الدولتين الكبيرتين ؛ وان تغريهما بالابتعاد عن حافة الكارثة التى تدفعهما اليها سياستهما دائما ، ومعهما الجنس البشرى بأكمله .

واذا استثنينا الاتحاد السوفييتى ، وجدنا أن آسيا وافريقية تحتلان ٤٢٪ من مناطق الارض المسكونة تماما كما تضم ٦٠٪ تماما من سكان هذه الارض .

وبينما نجد أن آسيا قد نفضت عن نفسها تقريباً السيطرة الاستعمارية الأوروبية ، نجد أن هذا الاجراء قد استجمعت قواه في افريقية . وبطريقة مثيرة . والقومية هي أعظم العوامل المساعدة التي تجتاح ٦٠٪ من الجنس البشرى ، تعضدها رغبة ملحة في تحقيق التنمية الاقتصادية .

ان هذه القومية ؛ كما ذكرنا آنفا . قد جاءت الى آسيا وافريقية قادمة من أوروبا . وهي ثمرة لاتصالات التي تمت بين أوروبا وهاتين القارتين ومع ذلك فان الغرب مازال عاجزا عن تقدير هذه القوة الكبيرة حق قدرها . فأوروبا تجد أن القومية معتدية ، عنيدة ، وطموح لابعد الحدود ، وذات صبر نافذ . وفات أوروبا أن القومية الآسيوية قد ظهرت - كقوة سياسية - في وقت متأخر جدا ، وانها تزدهر في عالم ، تسود فيه روح القومية غير أن ايمانه يزداد ، عاما بعد عام ، بالنزعة الدولية . انها قومية عصر لذرة ، وعصر المساواة والعدالة الاجتماعية . وأمام القومية الآسيوية مهام يتعين عليها أن تنجزها في عشرات من السنين . على حين تستطيع لدول القومية في أوروبا انجازها على مهل في عدد من القرون .

وقد بدأت القومية ، في أوروبا ، في عهود الملكيات المطلقة . وقد استمدت قوتها من الثورة المضادة لحكم الكنيسة في القرن السادس عشر . حينما أخذ ليلاند في طول مملكة هنري الثامن وعرضها يدعوه وقد أدرك « ما فعلته يد الزمان من تشويه للعهود التي دفعت ثمن الثراء غالبا . » واستمدت القومية قوتها أيضا من تدهور اللغة اللاتينية كلغة عالميا ، ومن انهيار النظام الاقطاعي ، وظهور الآداب الوطنية ، ومن النزعة الانسانية والفردية التي جلبها عصر النهضة ، ومن انهيار سيطرة الكنيسة ، ومن ظهور الرأسمالية وطبقات التجار المتوسطة ، كذلك استمدت قوتها من القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية التي أطلقها من عقالها عهد الاصلاح البروتستانتي . لقد تغيرت عناصر الصورة التي أصبحت صوفية في طبيعتها وتطورها .

وفي القرن الثامن عشر صاحبت الثورة التي طرأت على أساليب الانتاج في أوروبا ، ثورة خطيرة في مجال الفكر ، ثورة انضم فيها فولتير . وبيكون . وهوارد . وبنثام ، ولوك إلى فيلدنج : وأديسون ، ودكتور جونسون ، لكي يدفعوا بالفكر الانساني دفعات هائلة الى الامام . وفي القرن التاسع عشر بدأت أخصب مرحلة وأميزها في الانقلاب الصناعي : الصلة بين الحديد والفحم . وبينما كان الانقلاب الصناعي يسير قدما ، كانت القومية تتوقد بالأفكار الحرة ، وترعرعت القومية ، في أوروبا وفي العالم الجديد ، في ظل ديمقراطية الاحرار .

وقد جعلت الثورتان الفرنسية والامريكية من القومية -ولاول مرة-
أمر يتعلق أساسا بالجمهير .

ويلخص كل من فردريك الأكبر ، وجورج واشنطن التغيير الذى طرأ
على الموقف بالرغم من أن الفجوة الزمنية بينهما كانت لا تزيد على خمسين
عاما . لم يكن فردريك يحكم بروسيا كدولة وإنما كضيعة ، وكانت حروب
بروسيا ، تمثل منازعاته هو مع الملوك الاوروبيين الآخرين ، ولكننا نجد
من ناحية أخرى أن واشنطن وجيفرسون قد تم انتخابهما زعيمين للحكومة
تعمل فى ظل موافقة الشعب . وكانت الحرب التى يقودها واشنطن من
أجل المستعمرات الامريكية ، حربا شعبية ، وكانت الديمقراطية التى
مساعد جيفرسون على صياغتها تعتمد على السيادة الشعبية . . وفى أوروبا
كانت جيوش نابليون لأول مرة جيوشا شعبية ، وكانت انتفاضة جماعية
وحملت هذه الجيوش معها عبر أوروبا المثل العليا للثورة الفرنسية .

وهكذا نجد أن القومية الغربية قد اقتضت مرور ثلاثة قرون كي
تتطور من ملكيات مطلقة الى دولة للرفاهية . . وكان لديها الفرصة
لتستوعب وتتشكل بالقوى المساعدة العميقة بما فى ذلك من ثروات ومجد
امبراطورية استعمارية شملت العالم . . على حين تشمل -فى الجهة المقابلة-
الانتفاضات الاجتماعية والاقتصادية والعاطفية التى بعثتها الماركسية .

وكان لدى القومية أيضا الوقت الكافى الذى يتيح لها فرصة اختبار
العقائد والنظم المختلفة ، وعن طريق سلسلة طويلة من التجربة والخطأ
استطاعت أن تقيم توازنا يناسب القوميات الغربية المختلفة . بل واستطاعت
أوروبا الغربية أن تتمتع بنعيم سنوات طويلة من الحروب ، وسنوات طويلة
من التعديل المستمر فى الحدود دون قلب ميزان القوى أو تعريض سكانها
ومواردها لأدنى جزء من الحسائر المهلكة التى تتسبب فيها الحرب الحديثة .

وقد ظل النظام السياسى الاوروبى يعتمد لقرون عدة على ميزان
دقيق للقوى ، وفى كل وقت ينقلب فيه هذا النظام تدخل أوروبا فى أتون
حرب جديدة . وقد قيل انه فى الفترة بين عام ١٥٠٠ وعام ١٩٤٠ كان
هناك نحو ٢٧٨ حربا مع استثناء الثورات وعمليات التدخل والحملات
التأديبية وعمليات التهدة والاكتشافات التى استخدمت فيها القوة . .
ونستطيع أن نعزو كل حرب من هذه الحروب الى مظاهر القومية الأوروبية
والى التخلخل المتعدد فى ميزان القوى .

وهنا نجد أن عنصر الزمن هو العامل الاكبر الذى يقف بين القومية
الاوربية والقومية الآسيوية الافريقية . .

ومما يساعد أيضا فى تصوير الفارق بين القوميتين أن الدول القومية

في أوروبا كانت تظهر على مهل ودون ما توتر ، أما مثيلاتها في آسيا
وافريقية فكانت تتطور وهي تلهث .

لقد أخذت القومية الآسيوية الأفريقية تعدو من تطور الى تطور ،
وكانت هذه القومية تنسم بالروح السلمية على وجه العموم ، اللهم الا
اذا تعلق الامر بانسحاب الدول الاستعمارية .

فاليابان هي الدولة الآسيوية الوحيدة التي كانت تشكل تهديدا
للبلاد الشقيقة في القارة ، غير أن الوسائل التي طبقتها كانت مقتبسة
من وسائل الدول الغربية، وجاء هذا الاقتباس متأخرا عن حينه ثلاثة أرباع
قرن على الأقل .

وقد تجنبت القومية الآسيوية في فترة ما بعد الحرب الصراع داخل
القارة ، وحيثما كانت القوى الأوروبية تنسحب بهدوء كانت القومية
تزدهر في سلام وفي جو من التعاون الودي مع الغرب (١) .

ولم تأخذ هذه القومية طريق العنف الا حيثما كانت الدولة
المتهجرة معتدية أو مستفزة أو غير راغبة في الانسحاب .

وحيثما كان الغرب يظهر تفهما مؤيدا للغليان القومي لم ترفض
اية دولة آسيوية - افريقية التعاون والصداقة من جانبها ولم تفضب
دول آسيا وافريقية الا حينما حاول الغرب فرض ضغطه على هذه
البلاد . وقد ظل هذا الاستياء قائما على الرغم من استعداد زمرة من
السياسيين ، لا تتمتع بأي تأييد شعبي في بعض البلاد الحديثة ،
للتفاهم مع الغرب حتى يظلوا في الحكم .

وعندما اقبلت القومية من أوروبا الى آسيا في القرن التاسع عشر

(١) ليس معنى هذا أنه لم يكن هناك نزاع بين الدول الآسيوية أو بين الدول
الافريقية ، فقد كانت هناك حالات عدة من الصراع بين الدول العربية ، واحتلت الصين
١٢٠٠٠ ميل مربع من مناطق الحدود الهندية ، وحدثت بين الاثنين اشتباكات على
الحدود ، وكانت هناك حرب محدودة بين الهند وباكستان غير أن شعب آسيا كان يعزو
جميع هذه المنازعات الى تدبير الاستعمار ، قاصدا بذلك دول أوروبا الغربية والولايات
المتحدة ، فقد كان لدولة أو لاكثر من الدول الاستعمارية دخل في كل نزاع محلي في آسيا
وافريقية منذ عهد الاستقلال ، والاستثناء الوحيد هو منازعات الحدود الصينية الهندية،
ولكن حتى في هذه الحالة حاول الصينيون القاء اللوم على البلاد الاستعمارية ، والنقطة
التي نريد أظهارها هنا هي أن دول آسيا وافريقية الوليدة لم تتورط ، بعكس دول أوروبا،
في حرب أو نزاع داخل هاتين القارتين ، وغالبا ما يتجاهل الكتاب الغربيون هذه النقطة .

أقبلت كقوة تحريرية . وقد أثارت وسخرت جيلا من الآسيويين كان قد افتتن بالديمقراطية الغربية وحكم القانون وحقوق الإنسان .

ومما يستحق الذكر على وجه الخصوص أن الاستعمار الأوروبي قد انتشر في آسيا وأفريقية في الوقت الذي كان ينحسر فيه عن العالم الجديد . وكانت أوروبا قد تخلصت منذ وقت طويل من العذاب الذي سببته الثورة الفرنسية ، ولم تعد الديمقراطية والحكم النيابي وحدهما هما لنمط السائد في أوروبا ، وإنما كانت الاشتراكية بل وحتى الشيوعية ، قد بدأت أيضا في الاستحواذ على أتباع متزايدين من المثقفين والطبقات العاملة .

وقد ظهرت أقدم دولتين من الدول الكبرى في نظام الدول الأوروبية، وهما بريطانيا العظمى وفرنسا . . . ظهرتا كأكبر دولتين استعماريتين في آسيا وأفريقية بعد فترة المنافسة البشعة بين عديد من الدول الأوروبية التي تبحث عن مستعمرات ، وكانت الامبراطورية البريطانية قبيل الحرب العالمية الثانية تغطي ربع اليابسة ويقطنه ربع اجمالي سكان العالم . . . أما الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية فكانت من نواح كثيرة ثمرة جديدة من ثمار القرن التاسع عشر . وقد انتشرت في شمالي افريقية وأواسطها وجنوب غربي المحيط الهندي وجنوب شرقي آسيا . . . ويتضح مدى حداثة الاستعمار الفرنسي لجنوب شرقي آسيا ، حينما يتذكر المرء أن تكوين الهند الصينية الفرنسية لم يتم الا في عام ١٨٩٢ . بعد ضم لاوس . . . وكانت البرتغال وهولندا واسبانيا وبلجيكا والدانمرك والنرويج شركاء استعماريين صغارا لبريطانيا وفرنسا .

وكانت الامبراطورية البريطانية هي الوحيدة التي استمرت قائمة اعتبارا من القرن الثامن عشر وظلت شبه القارة الهندية التي يقطنها سدس الجنس البشري أكبر نموذج على الأرض للاستعمار الأوروبي الحديث . . . وذلك لفترة طويلة . . . لذلك فإن العلاقة بين بريطانيا والهند هي التي حددت النمط الاستعماري الذي ظل سائدا لعشرات السنين . . . وكان وجود الهند في الأسر معناه أن قارتي آسيا وأفريقية في الأسر أيضا . وقد عجل تحرير الهند بعملية تحرير آسيا وأفريقية .

وقد غزا مذهب الاحرار الأوروبي الهند في القرن التاسع عشر عن طريق التربية والأدب الانجليزى . . . كان بيرك وكارليل وماكولبي وميل

الدول ، حينما سمعوا هذه الصيحة أدركوا أن هذه المشكلة هي مشكلتهم أيضا ، فعليهم أن يقطعوا مسافة الخمسين عاما في عشر أو عشرين سنة بمجرد أن يتحرروا من السيطرة الاجنبية .

والأسفاه لم يتحقق هذا التحرر الا بعد أن خارت قوى مذهب الاحرار الاوروبى ، والا بعد أن تم تقسيم العالم بالفعل الى معسكرين فى الحرب الباردة ، وبعد أن انتقل مركز القوة فى العالم من أوروبا الى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، وحصلت الهند على حريتها فى أغسطس عام ١٩٤٧ عندما وضع مبدأ ترومان موضع التنفيذ الفعلى وأصبحت الدبلوماسية الغربية تتحدث فى ثقة بلهجة القبلة الذرية . ولم يمض عام على حصول الهند على استقلالها حتى وقعت أراضى الصين الهائلة فى يد الشيوعية . وانتقلت زعامة العالم الديمقراطى - أيديولوجيا وسياسيا واقتصاديا - الى الولايات المتحدة . . . وجذبت الحرب أمريكا الى آسيا . وحال السلام بينهما وبين التراجع .

وكانت هناك هوة تاريخية وثقافية هائلة بين آسيا والولايات المتحدة ، وكما قال أحد الكتاب الأمريكين :

« بينما نرى فى روسيا نظاما كريها قائما على بنیان من المدنية الغربية ، كثيرا مانجد فى آسيا نماذج مصغرة ومألوفة لبنیان الغربى ، نماذج تقوم على أسس تبدو لنا غريبة ان لم تكن مجهولة تماما ، وهناك هوة تاريخية واسعة تفصل بين الغربيين والآسيويين ، وغالبا ما تؤدي أوجه التشابه السطحية الى توسيع حدة الاختلاف » .

ان معالم السياسة الأمريكية نحو آسيا فى الأزمنة السابقة لم تمس الا جزءا ضئيلا من مشاكلها السطحية . وفجأة فشلت السياسة الأمريكية فى الصين وكان هذا الفشل بمثابة تجربة مؤلمة لشعب الولايات المتحدة ، وكان رد الفعل الذى تبع التجربة رد فعل أمة خاب مسعاها .

فالساسة الجديدة التى خرجت من نبع الفشل حملت معها صقيع الحرب الباردة الثلجى ، ولم يكن فيها ذلك الدفء والضياء اللذان ميزا مذهب الاحرار فى عهد غابر ، أو المثل العليا السابقة لولسون أو المثل العليا الواقعية لفرانكلين روزفلت .

وقد فشلت الولايات المتحدة فى التعرف على أصدقائها الحقيقيين فى آسيا ، وتحالفت مع البقايا المتراكمة من تاريخ مشوه آخذ فى الأفول . . . وكانت تنظر الى كل شىء على ضوء المنطق الجامد للحرب الباردة ، وأغمضت عينيها كما فعل نلسون فى كوبنهاجن عن كل مظاهر القومية

الآسيوية طالما أنها لا تلائم أغراضها وسياساتها التي تهدف الى تطوير الشيوعية الدولية .

واتسعت الثغرة بين القومية الآسيوية والديمقراطية الغربية . وقد ضاعف من اتساعها التسابق اللاهث وراء الاسلحة الذرية ، وفقد الراى العام الآسيوى قدرا كبيرا من ايمانه بالنزعة الانسانية الغربية بسبب الاستمرار فى اجراء التجارب النووية فى مناطق متاخمة للأقطار الآسيوية .

وكان على القومية الآسيوية أن تزدهر وتجسد الآمال والمثل الآسيوية العليا . . .

ومما يسترعى النظر أن ازدهار القومية الآسيوية قد بدأ مع تجربة الهند الديمقراطية الحرة ، ولكن يجب ألا ندهش حين نرى الديمقراطية الحرة قد ذبلت ، على مدى عشر سنوات ، فى عديد من البلاد الاخرى . وقد لخص سىرونستون تشرشل فى مجلده الاخير عن « تاريخ الشعوب الناطقة بالانجليزية » المجد الاستعماري الذي كانت تنعم به بريطانيا فقال :

« ان مائة عام تقريبا من السلام والتقدم قد حملت بريطانيا الى مركز الزعامة فى العالم . وقد كافحت مرارا من أجل المحافظة على السلام مهما كلفها هذا ، وكان التقدم والرخاء مستمرين فى جميع الطبقات ، وقد تم التوسع فى حق الانتخاب الى أبعد الحدود تقريبا ، ومع ذلك ساد الهدوء والنظام . وظهرت القوى المحافظة أنها تستطيع أن تواجه الخطر ، والواقع أنه لم تكن هناك عواصف شديدة بين الاحزاب ، وتمكنت جماهير الشعب من أن تستمر فى أعمالها اليومية، وترك السياسة لهؤلاء الذين يتشيعون لها دون خوف أو وجل، وأثبت الحصان الوطنى أن من الممكن أن نترك له العنان دون أن يؤدي ذلك الى عدو مخيف فى هذا الاتجاه أو ذاك . ولم يشعر احد أن الدستور أغفله، غير أن الافراط فى تأكيد ذواتنا قد يعود علينا بالضرر ولا شك فى أن مسرح القرن العشرين بدأ مضيئا ومستقرا أمام هؤلاء الذين يعيشون داخل نطاق حدود الامبراطورية البريطانية المترامية او الذين حاولوا ان يجدوا مأوى داخل حظيرتها . كانت هناك أعباء لا نهاية لها تنتظر من ينجزها . ولم يكن من المهم أى الاحزاب يحسكم ، ذلك أن كل حزب كان رقبيا على الآخر ، وكان محقا كل الحق فى ذلك ولم تقف أى من النظم القديمة حجر عثرة امام المفاهيم . فاذا حدثت بعض الاخطاء ، فقد سبقتها اخطاء مشابهة وكان فى استطاعة بريطانيا أن تصلح هذا

الخطأ دون حدوث نتائج خطيرة . وكان لا بد من وضع سياسة حيوية وقوية . وبدا أن من الحكمة التقدم الى الامام بالتدرج ولكن بجرأة «
هكذا كانت بريطانيا تشرشل في فجر القرن العشرين . وبريطانيا هذه هي التي خاطبها الشاعر روديارد كيبلنج ، شاعر الاستعمار بسطورة الشهيرة عشية القرن الحالي :

« فلتضطلعوا بأعباء الرجل الأبيض

ولتسلموا أبناءكم للمنفى

كى يلبوا حاجة أسراكم ،

كى يسهروا ، بعنادهم الثقيل ،

خافقين ومتوثبين - على

الشعوب المشاكسة التي وقعت

حديثا فى أسركم

أنصاف شياطين

وأنصاف أطفال »

وبعد خمسة وأربعين عاما فقط انتهت بريطانيا العظمى كدولة من الدول الكبرى . وانطلقت « الشعوب المشاكسة التي وقعت حديثا فى الأسر » الى صعيد بحرية الواسع الذى تملؤه الشمس .

غير أن هذه الشعوب لن تنعم بمائة عام أو حتى خمسين عاما من السلام والتقدم ، تشكل خلالها مصيرها عن طريق التجربة والخطأ . فقد ظهرت القومية الآسيوية الأفريقية فى عالم دولة الرفاهية والمساواة الاقتصادية والاجتماعية . فى عالم المنازعات الحزبية والصراع الطبقي ، وفى عالم حق الانتخاب الشامل الذى يمتد الى أبعد الحدود تقريبا ، فى عالم تظهر فيه الاشتراكية بمعايير مختلفة ، عالم الطاقة النووية والاقمار الصناعية وحروب الفضاء .

ويتعين أن يسير التضامن السياسى جنبا الى جنب مع التقدم الاقتصادى السريع ، والتعمير ، ويتعين أن تمنح الجماهير الفقيرة من الشعوب الأمية حق الانتخاب ، وأن تكون هذه الجماهير الأساس الذى تعتمد عليه الديمقراطية الجديدة ، ويتعين أن تتحرر هذه الجماهير من الاقتصاديات الريفية الراكدة ، وأن تتحرر أفريقية من الشعارات والتحريمات القبلية ذات الاثر المميت . ولا يمكن أن يتحقق هذا كله

الا عن طريق التصنيع السريع على أن يتم تحقيق التوازن بين الاقتصاد
الصناعى النامى حديثا والحياة الريفية المعقدة التى بعثت من جديد .

ونظرا لان رأس المال الخاص والاستثمار الخاص غير كافيين للقيام
بهذه المهام الهائلة ، فانه يتعين على الحكومة المسلحة بقدر كبير من المثل
الأكاديمية العليا ، ولكن بقليل من الخبرة العملية ، أن تضطلع بالتخطيط
الاقتصادى . وهى مسئولة ظلت الديمقراطيات الغربية تتجنبها قرونا .
ويتعين أيضا أن يتم القضاء على حصون الرجعية الاقطاعية عن طريق
أحد أجهزة الدولة دون اطلاق قوى الانتفاضات الاجتماعية العنيفة من
عقالها . ويجب أن يدرك الزعماء السياسيون أن الآمال الكبيرة التى
ظلت شعوبهم تعيش عليها ، أجيالا عدة ، لا بد أن تتحقق فى فترة زمنية
محدودة . وعليهم أن يدركوا أن هناك منافسة حامية بين الشيوعية
والديمقراطية ، منافسة تدور فوق أرض آسيا نفسها من أجل تحقيق
هذه المهمة ومن أجل الاستحواذ على عقل الانسان ، عليهم أن يخلقوا
الثورات خلقا ، ولكن عليهم ألا يجعلوا زمام هذه الثورات يفلت من
أيديهم .

ولا يزال النفوذ الثقافى والعاطفى لأوروبا عاملا هاما فى آسيا
وافريقية ، بالرغم من أنه أخذ فى الافول ، وبالرغم من أنه قد يضمحل
الى حد كبير بعد انقضاء جيل ، ويختلف هذا النفوذ من بلد الى آخر .
وفى آسيا ، يظهر هذا النفوذ فى أوضح صورته فى الهند ، ذلك أن الجيل
الذى حقق الاستقلال ظل تحت التأثير الثقافى لبريطانيا العظمى . وقد
ظل غاندى حتى عام ١٩٢٠ ، على ولائه ، وكان ايمانه لا يتزعزع بالعدالة
البريطانية ونزاهتها . وقد تجنب غاندى ، عن قصد حتى خلال فترة
عدم التعاون والعصيان المدنى ، تجنب الحز على كراهية البريطانيين .
وقد أثرى بعض الرجال ، مثل رابندرانات طوغور المفكر الهندى الحديث
بالطابع الدولى الخصب . وقد أوجد نهرو كرئيس للوزراء ، علاقات
وثيقة مع بريطانيا العظمى بأن احتفظ بجمهورية الهند داخل نطاق
الكومنولث . وكان الترحيب الفياض الذى استقبلت به الهند الملكة
اليزابيث فى يناير عام ١٩٦١ دليلا بالغا على الروابط العاطفية التى
تربط الهند الحضرية بالنظم والافكار البريطانية .

وفى افريقية استمرت فرنسا تتمتع بصداقة أغلبية زعماء المجموعة
الافريقية .

غير أن عملية التفكك العاطفى قد ابتدأت الآن بالفعل . فكثير من
زعماء الصف الاول فى آسيا اليوم من ثمرة هذا القرن ، ومن خريجي
الجامعات المحلية . فالزعماء من أمثال سوكارنو ، وجواندا ، ونو ، وناصر
ليسوا من نتاج النزعة التحررية الاوربية التى انتشرت فى القرن التاسع

عشر ، كما انهم ليسوا من المفرمين بالنظم الاوربية الخاصة بالحكم النيابى . والزعماء العسكريون الذين أمسكوا بزمام السلطة فى غربى آسيا من مدرسة الشباب الفاضلين الذين ولدوا فى اثناء الحرب العالمية الاولى او قبلها مباشرة .

وفى افريقية ما زال النفوذ البريطانى واضحا فى غانا ونيجيريا ، ولكنه ليس بالوضوح الذى فى كينيا ، وبين الزعماء الافريقيين فى روديسيا الشمالية والجنوبية . وقد تخلص كل من الرئيس سيكوتورى فى غينيا ، والرئيس كيتا فى مالى ، من السحر الفرنسى . وقد توصلت حلقة دراسية عقدت تحت اشراف مؤتمر الحرية فى العاصمة النيجيرية عام ١٩٦٠ - توصلت الى ان شباب مجموعة الدول الفرنسية اكثر عرضة للخضوع للتأثير الشيوعى من شباب المستعمرات البريطانية السابقة . وفى جميع البلاد الافرو - آسيوية نجد هناك مجموعة من الصفوة الجديدة فى كل اقليم عاكفة على تطوير اللغات المحلية ، والملاحظ ان تأثير الفكر والثقافة الغربية طفيف على هذه الصفوة .

اما التأثير الأمريكى على عقول الافريقيين والآسيويين فلا يكاد يذكر . واذا كان هناك مثل هذا التأثير فهو نابع من كتاب أمريكا المثاليين ، ومن مؤسسى الجمهورية الأمريكية . فما تزال أفكار جون آدمز ، وتوماس جيفرسون ، وابراهيم لينكولن ، وولت ويتمان ، وأمرسون موضع تقدير فى الاقطار الجديدة فى آسيا وافريقية ، غير أن هذه الأفكار لم تنسج رابطة عاطفية بينها وبين الولايات المتحدة فى القرن العشرين .

ولا تخضع الصورة السياسية فى افريقية وآسيا لآى نمط ملموس فبينما بدأت جميع البلاد الحديثة تقريبا بالنظام البرلمانى ، نجد انه سرعان ما انهار فى عدد من هذه الدول . وحتى فى الهند حيث كان النظام البرلمانى يؤدى دوره بنجاح ، نجد أن هناك جزءا كبيرا من الراى العام ، داخل حزب المؤتمر الحاكم وخارجه يرى انه سلاح غير ملائم للاضطلاع بالمهمة الثنائية التى تتلخص فى جعل الديمقراطية الشعبية تؤدى دورها بنجاح على جميع المستويات ، مع اثراتها فى الوقت نفسه بالمضمون الاجتماعى والاقتصادى ، وكان الاتجاه العام يميل بشكل واضح نحو الحكم المطلق .

وفى افريقية سادت الانظمة الرئاسية للحكم ، فى غانا وغينيا وتونس ومالى وعدة بلاد اخرى ، وبعض هذه البلاد تعيش فى ظل النظام العسكرى . وقد جلبت الثورات العسكرية فى أعقابها الى العالم العربى ، نظما من الحكم المشترك بين المدنيين والعسكريين يرأسه رجال

أقوياء أمثال الرئيس ناصر . أما باكستان وتايلاند فتعيشان في ظل الدكتاتورية العسكرية ، على حين نجد في اندونيسيا « الديمقراطية الموجهة » التي ابتدعها الرئيس سوكارنو ووضع الجيش تصميمها . وقد تم شل سلطات البرلمانات في معظم البلاد الآسيوية الأفريقية . والهند وسيلان هما الاستثناء الوحيد من ذلك . وقد مرت بورما بفترة حكم عسكري قصير . وان الملكية نظام أخذ في الانقراض ، وهي ماتزال قائمة في بعض البلاد الضعيفة في آسيا - في أفغانستان ، والملايو ، وكمبوديا . ولاوس . ونيبال . وتايلاند ، لكن من المؤكد أن هناك اتجاهها نحو النظام الجمهوري . والنظامان الملكيَّان العربيَّان في العربية السعودية والأردن يقتربان بالتأكيد من نهايتهما . مما يسترعى النظر أنه ليس هناك دولة حديثة الاستقلال في أفريقية اختارت الملكية نظاما لها .

وآسيا أقل تقسيما من أوروبا بمراحل فان مساحة آسيا تبلغ خمسة أضعاف مساحة أوروبا ، وفيها ٢٥ دولة مستقلة مقابل ٢٦ دولة في أوروبا . وهناك في آسيا ثلاث حضارات عظيمة : الهندوسية والاسلامية والبوذية . وأربعة أديان كبيرة من بينها المسيحية . وتسيطر على المسرح السياسي الآسيوي دولتان عملاقان هما الهند والصين . فمن مساحة آسيا الإجمالية التي تبلغ سبعة عشر مليون ميل مربع ، تحتل الصين أربعة ملايين ، والهند مليوناً وربع من مليون الميل المربع . ومن بين سكان آسيا الذين يبلغ عددهم ١٥٠٠ مليون نسمة تتقاسم الصين والهند ١٠٠٠ مليون نسمة - ويعيش نحو ٧٠٠ مليون نسمة في آسيا (بعد استبعاد آسيا الوسطى السوفيتية) في ظل الشيوعية ، ويعيش حوالي ٦٠٠ مليون نسمة في ظل الديمقراطية النيابية ، والباقي في ظل أشكال مختلفة من نظم الحكم المطلقة .

ومن بين شعوب أفريقية التي يبلغ عدد أفرادها ٢٥٠ مليون نسمة، من الزنوج والعرب ، يتنسم ما يزيد عن نصف هذا العدد نسيم الحرية الآن . ولم تسرع أفريقية إلى الحرية خلال فترة الحرب الباردة فحسب ، بل إنها أصبحت ، منذ مطلع الستينات . من أخطر مناطق تلك الحرب ، وبعد أن أصبح المسرح السياسي الآسيوي مستقرا تقريبا في علاقات القارة مع العالم الخارجي على الأقل ، وإذا عدم الاستقرار في الداخل ، أصبحت أفريقية ، وأمريكا اللاتينية ، إلى حد بعيد، مسرحين جديدين للتنافس بين الكتلتين الكبيرتين .

والمظهر الهام للتطورات الأفريقية إنما يتمثل في انحسار الاستعمار الغربي ، تاركا وراءه فراغا سياسيا في أجزاء كبيرة من القارة . ونظرا لأن السياسة لا تعترف بأي فراغ ، انجذبت بعض القوى الأخرى إلى

الاندفاع نحو القارة ، وقد شغلت في الصراع المتشابك قوى القومية وخطر النزعة القبلية ، والمحاولات اليائسة الاخيرة التي بذلها الاستعمار لكى ينتشل كل ما يمكن انتشاله من بقايا المصالح الاستعمارية ، وأخيرا ذلك الصراع بين الكتلتين من اجل الحصول على ولاء الانسانية السوداء في افريقية . وفي السرايب الضيقة لهذه الصورة المتعددة الالوان كانت الولايات المتحدة تحاول من تلقاء نفسها ، أن تؤدي دورا بناءا لغرض ذا شقين ، الاول مساعدة الافريقيين على وضع أيديهم على كيان الاستقلال ، وابعاد القارة عن مجال منافسات الحرب الباردة . وقد منحت الهند والدول غير المنحازة الاخرى جهرد الولايات المتحدة تأييدها في هذا المضمار .

وكثير من اجزاء افريقية المعاصرة يتسم بالحدائثة والجدة . وبالرغم من ان اول حركة كشف اوربية لافريقية بدأت من قبل القرن الخامس عشر في ظل جهود البرتغاليين الرائدة ، فان ٩٠٪ من افريقية السوداء كانت ما تزال مجهولة في عام ١٨٠٠ ولم يأخذ التغفل الاوربي شكلا خطيرا الا في النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، ولذلك لا تستطيع كثير من الاقاليم الافريقية التي تحولت الآن الى دول مستقلة ، أن تدعى ان وجودها السياسى يصل الى قرن . وكانت الحدود الافريقية مرسومة بطريقة مصطنعة تتمشى مع مصالح الحكام الاجانب، دون اعتبار للعوامل السلافية او الاقتصادية .

ونتيجة لذلك كله نجد ان القارة الافريقية تتضمن حدودا دولية تعد الثالثة من نوعها من حيث الطول . وقد تم تفتيت كثير من المناطق بطريقة تعسفية ، مما أدى الى الحاق الضرر بمصالح السكان المحليين وقد كان معظم القارة الافريقية ، عند مطلع هذا القرن او بعده بقليل . في يد سبع دول اوربية : بريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، وايطاليا . والبرتغال ، واسبانيا ، والمانيا . وقد قضت حربان عالميتان على ايطاليا والمانيا كقوتين في افريقية . وبانتهاء الحرب العالمية الثانية ظلت بريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، والبرتغال ، واسبانيا الدول الخمس « الافريقية » التي سيطرت ، فيما بينها على أكثر من ٥٠٪ من هذه الاقاليم .

ولم يكن احد يتصور ، حتى في عام ١٩٤٥ ، ان هذه الاقاليم سوف تهدد ، بهذه السرعة ، باكتساح الامم المتحدة في حقبة ونصف الحقبة، وتقلب تمباما ميزان القوى ، والانحياز في التصويت داخل المنظمة العالمية . ولا يمكن قياس مدى الدفعة التي منحتها الحرب الباردة مجرى التاريخ الافريقى ، فان البنيان الاستعمارى الضخم الذى اقامته

مجموعة الدول الاوربية عبر فترة طويلة من التاريخ تبلغ قرنا ونصف القرن ، انهيار في مدى عشر سنوات فقط . فلا شك أن تدهور أوروبا السياسى والعسكرى هو العامل الوحيد الكبير المسئول عن هذا التطور التاريخى ، وكان تدهور أوروبا احد النتائج الواضحة للحرب العالمية الاخيرة . وأصبحت افريقية تتمتع بأهمية استراتيجية هائلة ، ولذلك يهتم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بمستقبل القارة .

ولما كانت القومية الافريقية هى الطور السليم الوحيد فى صورده كان من الممكن أن تبدو ، لولاها ، محيرة ومعقدة بدرجة كبيرة ، فإن كلا من الدولتين الكبيرتين تعمل على اكتسابها بقدر المستطاع . ولذا كان يتعين على الولايات المتحدة ، بكل ما لها من مصالح كبيرة فى أوروبا الغربية، وتحالف مع الدول الاوربية . أن تتخذ موقفا معاديا - باعتدال - للاستعمار ، وذلك فى علاقتها بافريقية .

وكان هناك فى عام ١٩٤٥ اربعة بلاد مستقلة فى افريقية يصرف الافريقيون شئونها وهذه الدول هى ليبيريا ، وليبيا ، واثيوبيا ، ومصر . وحتى من بين هذه الدول الاربعة، كانت ليبيريا تعتمد اعتمادا كبيرا على الولايات المتحدة ، وكانت ليبيا لا تكاد تقف على قدميها ، أما فى مصر فكانت هناك القاعدة البريطانية الضخمة فى السويس . وقد بدأت أول رياح التغير تهب فى يناير عام ١٩٥٦ حينما حصل السودان على استقلاله ثم تحققت حرية ساحل الذهب الذى تسمى باسم «غانا» ، وفى الفترة من عام ١٩٥٦ الى عام ١٩٦٠ حصلت عشرون دولة افريقية على استقلالها . وسوف يتم دعم مجموعة الدول الافريقية المستقلة بخمس أو ست دول جديدة فى العام أو العامين القادمين .

وفى أول اجتماع عقدته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٦ لم يكن هناك ما يزيد عن اربعة بلاد افريقية ممثلة فى المجموعة الدولية التى كانت تتألف من خمسين دولة . وكانت أكبر كتلة للبلدان ، وتضم احدى وعشرين دولة تشمل الولايات المتحدة ، وتأتى من نصف القارة الغربى . ولذا كانت تمنح الولايات المتحدة مركز المتمتع بالقوة العددية الواضحة . وقد كان فى وسع الولايات المتحدة ، حتى عام ١٩٤٥ ، مع أمريكا اللاتينية وسائر الدول الاوربية أن تحصل على موافقة الجمعية العامة على أى قرار تقدمه .

وقد طرأ أول تغيير على الموقف فى الدورة التاسعة للجمعية العامة عام ١٩٥٥ . فقد تم السماح لمجموعة جديدة من الدول الآسيوية بموافقة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، بالانضمام الى المنظمة العالمية ، وقد فتح مؤتمر باندونج للشعوب الآسيوية الافريقية المجال أمام ظهور

«روح باندونج» وأدى ذلك الى تكوين مجموعة الدول الآسيوية الافريقية فى الامم المتحدة وهى ثانية كتلة ضخمة من الناحية العددية ، وأصبحت عاملا موازنا أمام كتلة أمريكا اللاتينية . واستطاع الاتحاد السوفيتى عن طريق تزعمه جميع الخطوات المناوئة للاستعمار ، أن يمارس قدرا كبيرا من النفوذ على مجموعة الدول الآسيوية الافريقية ، على حين وجدت الولايات المتحدة نفسها - بسبب ارتباطها بدول أوروبا الغربية عن طريق الأحلاف العسكرية والاقتصادية - انها تجاهد ، لأول مرة ، بحثا عن الأصوات . وقد بدأت بعض القوى الجديدة فى الظهور ولا سيما عند بحث المشاكل المناوئة للاستعمار ، فى الامم المتحدة وسببت كثيرا من القلق وعدم الارتياح للكتلة الغربية .

وأصبح معنى التغير السياسى فى أفريقية هائلا فى نظر الامم المتحدة . حينما انعقدت الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة فى نيويورك فى سبتمبر من عام ١٩٦٠ . فلقد أصبح المجتمع العالمى يتكون من تسع وتسعين دولة ، وكان جميع الاعضاء الجدد قادمين من قارة أفريقية . وشكلت خمس وعشرون دولة أفريقية أكبر كتلة اقليمية فى الامم المتحدة ، وأصبحت هذه الكتلة بالاضافة الى السبع عشرة دولة آسيوية فى وضع يسمح لها ، لأول مرة ، أن تحدث تغيرا عميقا فى ميزان القوى فى المجتمع العالمى ، غير ان الضعف الكامن فى الدولة العضو فى المجتمع الآسيوى الافريقى ، وعوامل الجذب المضادة التى كانت تخضع لها كثير من هذه الدول ، كانت تشكل العقبات الرئيسية التى وقعت أمام اتحاد هذه المجموعة وتعاونها . ومن الواضح أن معاداة الاستعمار والرغبة العامة ، السائدة بينها ، فى الحصول على نصيب أكبر من عون الامم المتحدة ، هما العاملان الوحيدان بالفعل ، اللذان يربطانها ببعضها ببعض بل وحتى فى المشاكل الاستعمارية عجزت هذه الدول عن التماسك بالطريقة التى كان البعض يتمناها . غير أنها استطاعت أن تجبر الدول الكبرى على أن تهتم بها أكثر مما كانت تهتم بها فى الماضى .

وقد أدى دخول الدول الافريقية الجديدة الجماعى ، الى الامم المتحدة الى وقوف الزعامة الامريكية موقف الحياد الى حد ما ، وإلى منح الكتلة السوفيتية وقودا أكبر لحرب دعائية تشنها ضد الدول الغربية ، وكانت الكتلة السوفيتية مازال اقلية ضئيلة لاتستطيع أن تعتمد الا على حفنة من الاصوات ، غير أن هذه الكتلة كانت تنحاز بحماس الى جانب الدول الافرو - آسيوية ، اذا كانت المشكلة المطروحة تتعلق بالاستعمار ، وهما كانت تؤيد أكثر الآراء والمطالب تطرفا ، أما اذا كان الموضوع المطروح كبيرا ويتناول نزع السلاح والعلاقات بين الدول فان الكتلة السوفيتية

كانت تؤثر - بمقترحاتها الضخمة - على البلاد الصغيرة أكثر من الولايات المتحدة باتجاهها الحذر المحافظ .

وكانت النتيجة ، وستظل لبعض سنين ، حدوث فراغ معين في الزعامة داخل الأمم المتحدة .

فاذا عدنا الى مسرح الاحداث الافريقي ، وجدنا أن التقسيم كان المشكلة الرئيسية التي تواجه القارة بعد انسحاب الدول الاستعمارية منها . والواقع أن اقدام الدول الأوروبية على تجزئة القارة الافريقية الى قطع كثيرة ، حجة مستحبة مقنعة تخدم الدعوة الى الوحدة الافريقية . وليس هناك من انسان عاقل ، أفريقيا كان أم أوروبا ، يؤيد رؤية مزيد من التقسيمات في افريقية ، ومع ذلك ظهر قدر هائل من الرأي العام الأوروبي في أثناء أزمة الكونغو ، يؤيد انفصال كاتانجا كدولة مستقلة . ومن الناحية الاخرى أدرك الوطنيون الافريقيون الخطر الكامن في الحركة الانفصالية التي تقوم بها كاتانجا ، وهو خطر كان له أثره المباشر على اتحاد مالي الجديد . وكانت المهمة الرئيسية امام الوطنيين الافريقيين ، وأمام الأمم المتحدة أيضا ، هي أن تضع الامور في نصابها من جديد في الكونغو ، ومن ثم تحبط الحركة التي تميل نحو اجراء المزيد من التقسيمات .

ولم تلق الجهود التي بذلت من أجل خلق وحدات افريقية اكبر والتي بدأها الدكتور نكروما رئيس وزراء غانا عام ١٩٥٧ ، أي نجاح ملحوظ ، غير أن الرغبة مازالت قائمة بالرغم من أن المشاكل التي يتعين القضاء عليها مشاكل هائلة . فكل دولة في افريقية تتمتع بقوميتها الخاصة بها ثم هناك بعد ذلك المشكلة المعقدة التي خلقها رؤساء القبائل الذين مازالوا يمارسون نفوذا كبيرا بين صفوف رجال القبائل البدائيين ومع ذلك فإن المستقبل يبشر بظهور وحدات افريقية أكبر ، وبدون هذه الوحدات لن تستطيع افريقية أن تجعل صوتها مسموعا في مجال الشؤون الانسانية ولن تستطيع تطوير مواردها الضخمة بما يعود عليها بالنفع .

وكما ذكرنا في البداية فإن تلك الدراما الفريدة ، دراما الوجود الافريقي الاسيوي ، انما تظهر في عالم شطرته الحرب الباردة الى نصفين لقد تحول العالم أجمع الى ساحة تقف فيها الدولتان الكبيرتان وجهها لوجه استعداد للقتال . وكل منهما تناور باستمرار من أجل دفع الاخرى بعيدا عن مراكز النفوذ . وليس هناك أي مكان في العالم لم يكتسب أهمية سياسية جغرافية وأهمية استراتيجية جديدة في مجال الحرب الباردة .

ولن تستطيع أية من الدولتين الكبيرتين شن حرب نووية شاملة

معتمة على مواردها الخاصة وحدها . فكل منهما ستحاول أن تجعل الحرب بعيدة عن حدودها بقدر الامكان ولأطول فترة ممكنة .

ومنذ ثلاثين عاما كانت هناك أجزاء من العالم لا تحظى بأية أهمية غير أنها أصبحت اليوم بالغة الأهمية .

وقد وجدت الدولتان الكبيرتان نفسيهما في وضع يتعذر الوصول فيه الى حل ، لذا أصبحت مهمة الدول الصغرى تتلخص في التمسك بينهما واقناعهما بتجنب أى صدام قد تتورط فيه الكرة الارضية جمعاء وفي ظل هذه الظروف ، تؤدي الدول الصغيرة بكل عجزها في حالة قيام الحرب دورا هاما طالما أن الحرب لم تقع بعد .

يقول مستر جون جنتر في كتابه الشهير عن افريقية :

« ان هذه القارة الخيالية الصعبة انما تهم العالم الغربى الى حد بالغ . لا لانها هامة من الناحية الاستراتيجية وغاصة بالمواد الخام الحيوية . فحسب ، بل لانها معقلنا الاخير . فقد خسرنا معظم آسيا أما افريقية فما زالت قائمة . غير أن افريقية ترقد مفتوحة كما لو كانت فراغا ، وهي بلا دفاع تقريبا ، انها أثمن جائزة على الارض (١) .
هذه هي افريقية الجديدة ، كما ترى من خلال ما يتوقع من نتائج الحرب الباردة .

ويعلن مستر ادوين ا . رايز شوار ، وهو كاتب أمريكي مشهور :
« اننا نعيش جميعا في معركة آسيا (٢) والاسباب مشروحة في نشرة أمريكية أخرى عن آسيا أصدرتها منظمة للبحوث تابعة لاحدى الجامعات (٣) .
جاء في هذه النشرة .

« ان للولايات المتحدة مصلحتين متباينتين ، لكنهما مرتبطتان ، في قارة أوراسيا الواسعة . ونظرا لان موارد أوراسيا المجتمعة قد تشكل تهديدا خطيرا بالهزيمة العسكرية للولايات المتحدة ، فان من مصلحتهما ألا تسيطر دولة واحدة أو مجموعة من الدول - معادية أو يمكن أن تكون معادية للولايات المتحدة - على هذه المنطقة . ونظرا لان وجود أوراسيا (مهما كان الموقف العسكرى) فى ظل الدكتاتورية الاستبدادية قد يهدد الديمقراطية ، سواء فى الولايات المتحدة أو خارجها ، كان حريا بنا تصور مجتمعات أوراسيا ، على خطوط عريضة تتمشى مع مفهومنا عن

(١) « فى داخل افريقية » جون جنتر .

(٢) مطلوب : سياسة آسيوية بقلم مستر ادوين رايز شوار ص ٢٧٤ .

(٣) « سياسة أمريكية لآسيا » بقلم و . ودوستو بالاشتراك مع ريتشارد و . هاشر .

علاقة الفرد بالصحيحة بالدولة بميرانها الحضارى الخاص . . غير أن الموقف فى آسيا أكثر تعقيدا منه فى أوروبا ، فبينما نجد أن ألمانيا الغربية فى أوروبا هى أساسا جوهر الموضوع ، نجد اليابان فى آسيا من ناحية ومنطقة جنوب شرقى آسيا كلها من ناحية أخرى ، ويمتد جنوب شرقى آسيا من الهند الصينية ويدور حول تايلاند وبورما والملايو واندونيسيا والهند وباكستان . وقد يصبح التهديد حقيقة واقعة فى آسيا ، اذا ما فقد العالم الحر اليابان أو جنوب شرقى آسيا .

وفى هذا العالم المتغير ، المتغير على حسب ماتليه الحرب الباردة والعلوم والتكنولوجيا ، وحافز الانسان - الذى لا يقهر - من أجل النمو فى ظل الحرية ، وجدت آسيا وافريقية نفسيهما فى النصف الاخير من القرن العشرين .

وتشتد المعركة فى سبيل الاستحواذ على عقول الناس أكثر من الاستحواذ على مواردهم الطبيعية، ولا شك فى أن الطريقة التى سيختارها ثلاثة أرباع الجنس البشرى لتشكيل مصيرهم سوف تؤثر بقوة على مستقبل الجنس بأكمله .

الفصل الثالث

ميزان القوى المتغيرة

لقد وصفت السياسة بأنها ثانى أقدم حرفة عرفها الانسان ، فمنذ البداية ، كانت السياسة لاتنفصل عن القوة وكانت الحرب ، كما قال كلاوز فيتز ، سياسة مستمرة بوسائل أخرى أى بوسائل عنيفة . وبينما كان السلام أحد الرغبات الجادة التى يحن اليها الانسان ، فان تاريخه مشحون بالصراع والعنف . وقد تغيرت قوة الحرب من وقت لآخر موسعة لمجال المنازعات ، وحدود العنف حتى أصبحت الحرب فى عصرنا الحاضر . تعنى الفناء التام ، وأصبحت الكرة الارضية أصغر من أن تحتملها حرب شاملة .

وقد قامت الجغرافية فى الصراع من أجل القوة بدور كبير حيث أن مجالها يعتمد على معرفة الانسان لبيئته وللظروف المادية والسائدة وراء حدود كل منطقة سياسية .

ويمكننا أن نعثر على أحد المظاهر الأولى للعلاقات الجغرافية التى تحدد الصراع من أجل القوة ، فى كتاب «أرثا ساسترا» الذى وضعه كاوتيليا والذى يرجع تاريخه الى عام ٣٠٠ ق . م . وهذا الكتاب يعطى أيضا صورة لجوانب التنافس السياسى فى الهند القديمة .

يقول كاوتيليا : « يلقب الملك - الذى هو مصدر السياسة بسبب تمتعه بشخصية عظيمة ، وعناصر ملائمة للسيادة - «بالفاتح» والملك الذى يعيش فى أى مكان متاخم لاقليم الفاتح يلقب بالعدو . أما الملك الذى يقيم أيضا بالقرب من العدو ، ولكن لايفصله عن الفاتح الا العدو ، فيعتبر صديقا للفاتح . ويدخل فى تعريف العدو الخصم المجاور الذى يتمتع بقوة كبيرة ، وحينما يتورط فى كوارث ، أو يزج بنفسه فى مسالك الشر ، يصبح عرضة للهجوم ، وحينما يصبح بدون معونة أو بقليل منها يصبح قابلا للتدمير ، فاذا لم يكن كذلك تعين ازعاجه وكسر شوكرته . تلك هى مظاهر العدو . ويحدث أن يكون أمام الفاتح أو بالقرب من عدوه بعض الملوك مثل صديق الفاتح ويأتى بعده صديق العدو . ويحدث أن يكون

هناك فى صف الفاتح عدو فى المؤخرة ، وصديق فى المؤخرة ، وحليف للعدو الذى فى المؤخرة ، وحليف للصديق الذى فى المؤخرة .

تلك هى رقعة الشطرنج التى تعرض سياسة القوى فى الهند القديمة .

ونحن نهتم ، فى دراستنا لآسيا وافريقية فى ميدان الحرب الباردة ، بالتغيرات التى طرأت على ميزان القوى نتيجة للحرب العالمية الثانية . فقد انهارت الدول القديمة ، وظهرت قوتان كبيرتان جديدتان ، يتبع كلا منهما فريق من الدول الصغيرة وانكمش العالم وجعلت أسلحة الدمار الجماعى من الحرب الشاملة حلم رجل مجنون .

ويتعين علينا أن نرجع الى الوراء الى ميزان القوى فى أوروبا عند مطلع هذا القرن كى نفهم التغيرات الهائلة التى طرأت على هذا الميزان فى العشرين سنة الماضية .

كانت المحافظة على ميزان القوى التقليدية فى أوروبا تتم عن طريق منع نمو دولة مركزية قوية أكثر من اللازم ، وعن طريق المحافظة على نوع من التوازن بين عدد من الدول القوية . وكانت النتيجة الحتمية لاي اضطراب فى هذا الميزان ، هى الحرب . وكانت لظهور ألمانيا القوية فى الحقب الأخيرة من القرن التاسع عشر ، أثر فى حدوث تغيير فى التوازن فى أوروبا ، وإلى ظهور تجمعات جديدة للدول .

وفى عام ١٨٨٢ حينما ظهر الى الوجود التحالف الثلاثى بين ألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا ، دفعت أوروبا فجأة الى حافة الحرب ، وبعد وفاة بسمارك وقعت روسيا وفرنسا بروتوكولا سرى عام ١٨٩١ تحول بعد ثلاث سنوات الى تحالف ثنائى . وقد أمكن الاحتفاظ بنوع من توازن القوى بين التحالف الثلاثى والتحالف الثنائى . وظلت بريطانيا وهى دولة على شكل جزيرة تمتلك امبراطورية تمتد الى جميع مناطق العالم بعيدة عن لعبة القوى هذه ولكنها كانت تفرض التوازن فى لحظات الأزمات .

وفى عام ١٩٠٠ جعلت مطامع ألمانيا المتزايدة من المستحيل على بريطانيا أن تظل فى معزل عن الاحداث . لذلك وقعت بريطانيا مع اليابان اتفاقية تحالف عام ١٩٠٢ حتى تتمكن من تركيز جهودها على الشئون الأوروبية .

كما تمكنت فى العام نفسه من أن تسوى خلافاتها مع فرنسا تلك الخلافات التى نشأت عن المنافسة الاستعمارية ، ووقعت معها ما عرف فيما بعد باسم الاتفاق الودى . غير أن مخاوف بريطانيا من التوسع الروسى نحو امبراطوريتها الاستعمارية فى الهند ، منعها من أى تقارب

مع ، لقيصر . بيد أن هذا الخوف قد تلاشى بعد الهزيمة التي عانت منها روسيا على يد اليابان عام ١٩٠٥ . وبعد ذلك بعامين ، أي في عام ١٩٠٧ امتد الاتفاق الودى ليصبح اتفاقا ثلاثيا يضم بريطانيا وفرنسا وروسيا . وهكذا وقفت أوروبا موقف التوازن بين التحالف الثلاثي والاتفاق الثلاثي .

وفي عام ١٩٠٧ وضع سير ايركرو كتابه المشهور « مذكرة عن السياسة البريطانية » ، وهو الكتاب الذى ظلت تسترشد به السياسة الخارجية للحكومات البريطانية المتعاقبة وتلقى الالهام منه لسنوات عدة . وقد حدد كرو أهداف الدبلوماسية البريطانية وقت السلم ، بأسلوب واضح ، ووضع فى اعتباره مركز بريطانيا القريد الذى يتمثل فى جزيرة صغيرة قطعت فى التصنيع شوطا كبيرا وسيطرت على امبراطورية مترامية الاطراف ، وتعتمد قوتها كلية على مناعة أسطولها البحرى . وكانت بريطانيا جزءا من أوروبا ومع ذلك كانت منفصلة عن أوروبا ليس من الناحية الجغرافية فحسب بل أيضا من ناحية نظرتها الى الامور .

كتب سير اير كرو يقول : « تتحدد السمات العامة لسياسة بريطانيا الخارجية بالظروف الثابتة النابعة من مركزها الجغرافى الذى على جانب أوروبا المتاخم للمحيط ، والذى يتمثل فى دولة تتكون من جزيرة تمتلك مستعمرات وممالك شاسعة عبر البحار والتي يرتبط وجودها وبقاؤها كمجتمع مستقل ارتباطا وثيقا بامتلاكها قوة بحرية تتمتع بالغلبة وكانت الدولة البحرية جارة - بالمعنى الحرفى لكلمة الجارة - لكل دولة يمكن الوصول اليها عن طريق البحر . لذلك كان من الطبيعى أن يبعث قيام دولة بحرية كبيرة روحا من الغيرة والخوف المنتشر وان تظل عرضة لخطر القضاء عليها من جانب تجمع عام لدول العالم » .

كان هذا التجمع للقوى أخشى ماتخشاه بريطانيا ، ووجدت أن من الضرورة الملحة أن تجمد دبلوماسيتها من أجل ازالة هذا الخطر وان الخطر لايمكن أن يزول بالفعل - وهذا ما أثبتته التاريخ - إلا اذا شكلت السياسة القومية للدولة البحرية العازلة بطريقة تتمشى مع الرغبات والمثل العليا العامة المشتركة بين الجنس البشرى كله ، وأهم من هذا أن تكون السياسة مطابقة تماما للمصالح الاولى والحوية للغالبية ، أو لمصلحة أكبر عدد ممكن من الامم الاخرى .

والآن الاهتمام الاول لجميع الدول يتمثل فى المحافظة على الاستقلال الوطنى . ولذا كانت انجلترا أكثر من أية دولة أخرى ، تهتم اهتماما مباشرا وايجابيا بالمحافظة على استقلال الدول ولذلك ينبغى أن تكون

العدو الطبيعي لاية دولة تهدد استقلال الآخرين . وان تكون المدافع الطبيعي عن المجتمعات الضعيفة .

معنى هذا ، بصراحة ، انه اذا كان من مصلحة بريطانيا - كى تسد الطريق أمام ظهور دولة برية قوية أو مجموعة من الدول فوق القارة الاوروبية - أن تتحالف مع الدول الاوروبية الصغيرة . وأن تحافظ على استقلالها الوطنى وسيادتها . وان تبدو فى دور حامى المجموعات الاوروبية الضعيفة فانها تفعل .

ثم انتقل سير اير كرو الى النقطة الاساسية التالية فى سياسة بريطانيا الخارجية وهى « حق التبادل والتجارة الحرة » فى الاسواق العالمية .

وقال : « اننا نجد انه بمقدار ماتكافح انجلترا عن مبدأ حرية التجارة على أوسع نطاق ، فانها تدعم روابط الصداقة مع الدول الأخرى ، على الأقل الى الحد الذى يجعلها أقل تخوفا من السيادة البحرية التى تكمن فى يد دولة حامية رئيسية : فالتاريخ يبين أن الخطر الذى يهدد استقلال هذه الدولة أو تلك ، قد ينبع - ولو جزئيا على الأقل - من الامتياز المؤقت لدولة مجاورة تصبح بسرعة دولة قوية عسكريا ، وقادرة اقتصاديا ، وطامحة فى مد حدودها أو نشر نفوذها ، وهذا الخطر يتوقف على مدى قدرة وكفاية هذه الدولة ، وعلى مدى تلقائية أو حتمية مطامعها . فان الشيء الوحيد الذى يحول دون ظهور السلطان السياسى التابع من موقف كهذا ، يتمثل فى وجود منافس على هذه الدرجة من القوة ، أو تجمع من عدة دول تشكل روابط دفاعية . ان التوازن الذى يؤلفه هذا النوع من تجمعات القوى ، يعرف فنيا ، بـ « توازن القوى » ولقد كان من قبيل الحفيفة التاريخية تقريبا أن تجند انجلترا قوتها المادية لصيانة هذا التوازن بأن تلقى بثقلها فى هذه الكفة تارة وفى تلك الكفة تارة أخرى ، ولكنها دائما فى الجانب الذى يعارض الدكتاتورية السياسية التى تمارسها أقوى دولة أو مجموعة من الدول فى وقت معين » .

والجدير بالذكر ، هنا ، أن توازن القوى الذى دار فى ذهن كرو كان يتعلق بأوروبا والعالم الجديد . فقد كانت بريطانيا سيدة البحار السبعة أما آسيا وأفريقية فلم تكونا فى الاعتبار الا على أساس انها منساقق للمنافسة بين الدول الاوروبية .

وقد ظلت السياسة الخارجية الاساسية التى رسمها سير اير كرو لبريطانيا تحدد توازن القوى الاوروبى حتى الحرب العالمية الثانية ، ومن المرجح أنها المرشد الثابت لسياسة بريطانيا حتى فى أيامنا هذه .

وهناك ملامح تكمن فى مذكرة كرو السياسية التى حاولت بريطانيا أن تتبع خطوطها العريضة منذ عام ١٩٠٧ ، فقد انحازت بريطانيا أولا ضد ألمانيا حينما أصبحت ألمانيا أقوى من اللازم فوق القارة ، وأخذت تمتد ذراعيها نحو المستعمرات البريطانية فى أفريقيا وقد أدى ذلك الى اندلاع الحرب العالمية الاولى ، وانضم قيصر روسيا الى بريطانيا فى تلك الحرب ، وذلك - كما شرح بنفسه فى برقية أرسلها الى ملك إنجلترا ، لان السيطرة النمساوية - المجرية على الصرب «قد قلب ميزان القوى فى دول البلقان التى تعتبر بالغة الاهمية بالنسبة لامبراطوريتى ، وبالنسبة للدول التى ترغب فى المحافظة على ميزان القوى فى أوروبا» . واننى أثق فى أن بلادكم لن تفشل فى مساندة فرنسا وروسيا فى حربها من أجل المحافظة على ميزان القوى فى أوروبا» .

وقد أدت الحرب العالمية الاولى الى اعادة تغيير ميزان القوى الاوروبى فقبل ابتدائها ، هجرت ايطاليا ألمانيا التى تنضم الى فرنسا ، وروسيا وبريطانيا . . . وقذفت أمريكا بقوتها فى الميزان ضد ألمانيا ، والسبب الرئيسى ، أنها كانت خائفة من أن انتصار ألمانيا فى الحرب قد يجعل منها أقوى دولة فى الاطلنطى تهدد أمن الولايات المتحدة ، وعندما أوشكت الحرب أن تضع أوزارها تدهورت الدول البارزة، وخرجت من الامبراطورية النمساوية - المجرية ست دول تتمتع بالسيادة وهى : النمسا ، والمجر وتشيكوسلوفاكيا ، وبولندا ، ورومانيا ، ويوغوسلافيا ، وزالت الدولة العثمانية من الوجود ، ولم تعد ألمانيا دولة استعمارية ، ودخل الشرق الأوسط بأكمله تحت سيطرة بريطانيا ، ومعها فرنسا كشريك صغير . وبرغم أن الولايات المتحدة قد عادت الى عزلتها من جديد بعد الحرب ، أصبح واضحا أن أية دولة من الدول الكبرى فى أوروبا لن تستطيع أن تكسب الحرب بعد ذلك دون مساندة أمريكية . وعلى أنقاض روسيا الاستعمارية ظهرت الى الوجود دولة جديدة ، وهى الاتحاد السوفيتى . ظهرت بفلسفة جديدة ونظام اجتماعى جديد .

واذا كانت الدول الاساسية قد انتهت ، فان الدول المتحالفة قد تفككت أيضا فى السنوات التالية للحرب . وقد جاءت الضربة الاولى حينما اندلعت شرارة الثورة فى روسيا ، وانسحبت من الحرب ، وكانت الصدمة أقوى حينما انسحبت الولايات المتحدة من على مسرح السياسة الاوروبية ، وعادت الى عزلتها التقليدية . . . وكانت الدول الثلاث التى وجدت نفسها وحيدة فى أوروبا هى : فرنسا ، وبريطانيا ، وايطاليا ، على حين ظهرت اليابان فى الشرق الأقصى كقوة معتدية ضخمة على وشك القيام بتوسع اقليمى فى كوريا والصين وما وراءهما .

وبدأت بريطانيا ، أول الامر بمساعدة ألمانيا المهزومة على استعادة

مكانتها ، وقد جلب حلف لوكارنو (عام ١٩٢٥) معه تفاهما قصير الأمد بين ألمانيا وفرنسا ، ومنح ألمانيا مقعدا مرموقا في مجلس عصبة الأمم .

وهكذا لم تمض سبع سنوات على نهاية الحرب العالمية الأولى ، حتى عادت ألمانيا مرة أخرى الى مصاف الدول الكبرى ، وعادت بريطانيا الى مركزها التاريخي كدولة تعمل على حفظ التوازن بين مختلف القوى .

ولا حاجة بنا هنا الى تتبع التاريخ المحزن لعصبة الأمم ولو باختصار . فقد تحطمت العصبة على صخرة المطامع الإيطالية واليابانية والألمانية الراجبة في التوسع الذي لا يردعه رادع .

وكان هدف بريطانيا الاساسي ، في الثلاثينيات ، هو احباط التحالف القائم بين الاتحاد السوفيتي وفرنسا ، وكان السلاح الخطر الذي استخلمته هو تهديده هتلر ، وحينما تألف محور روما - برلين - طوكيو عام ١٩٣٦ ، أمسى ميزان القوى العالمي من جديد على حافة الانهيار وغزت إيطاليا الحبشة ، وشكلت تهديدا مباشرا للسيادة البريطانية على أفريقية وحوض البحر الابيض المتوسط ، وعكف هتلر على مهمته في غزو أوروبا الغربية ، وتحركت اليابان جنوبا الى الصين ، وكانت الدبلوماسية البريطانية تهدف الى دفع هتلر الى الاصطدام بالاتحاد السوفيتي ، ولكن حينما وقع هتلر ، عام ١٩٣٩ ، على حلف عدم الاعتداء مع روسيا دفع أوروبا مرة أخرى نحو حافة الحرب ، وفي الشهر التالي اندلعت الحرب العالمية الثانية .

وقد جلبت الحرب العالمية الثانية معها تغيرا لم يسبق له مثيل في العلاقات بين الدول ، فموارد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانيا مجتمعة مزقت دول المحور ، ولكن ما ان كادت العداوات تقترب من نهايتها حتى أدرك الحلفاء الحقيقة الكئيبة التالية : سيكون هناك فراغ كبير في القوى ، في أجزاء كثيرة من العالم ، وسيكون الصراع الجديد من أجل القوة مختلفا تماما عن النمط التقليدي الذي ظل متبعيا قرونا .. عدة .

وقد أوضح مستر لويد جورج في مذكرة سرية الى مؤتمر الصلح المنعقد في باريس بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة أن «الخطر الأعظم الذي أراه في الموقف الحالي هو أن ألمانيا قد تجرب حظها مع البلشفية ، وتضع مواردها ، وعقولها الهائلة ، القادرة على التنظيم ، تحت تصرف المتطرفين الثوريين الذين يحلمون بغزو العالم من أجل البلشفية بقوة السلاح . وإذا ماتم ذلك ، فإن جميع بلاد أوروبا الشرقية سوف يجرفها التيار الى فلك الثورة البلشفية ، وقد نشهد خلال عام واحد صورة خوالى ثلثمائة مليون شخص ، وقد انتظموا داخل جيش أحمر كبير مستعدين

لتجديد الهجوم على أوروبا الغربية . ان الاستعمار السوفيتي لا يهدد الدول التي على حدود روسيا فقط ، وانما يهدد آسيا بأكملها ، وهو قريب من أمريكا مثلما هو قريب من فرنسا ، (١) .

ولم تكن ألمانيا هي التي وضعت مواردها في أثناء الحرب العالمية الثانية تحت تصرف الاتحاد السوفيتي ، وانما بريطانيا والولايات المتحدة . وحينما انتهت الحرب خضعت أوروبا الشرقية بأكملها للسلطان الروسي . والواقع أن الحرب الباردة قد بدأت ، حتى في غمرة الحرب العالمية الثانية ، وذلك بسبب النفوذ السوفيتي في دول البلقان .

وقد أثار تشرشل ، في أكتوبر عام ١٩٤٤ ، مسألة البلقان مع ستالين «في مؤتمر موسكو» وكتب تقسيما جديدا للدول «على نصف صحيفة من الورق» وتلخصت فكرته في أن يصرف الاتحاد السوفيتي شئون رومانيا وبلغاريا على حين تصرف بريطانيا شئون اليونان ، وعلى أن تتفاسم روسيا وحلفاء الغرب النفوذ في يوغوسلافيا والمجر .

ومن الملاحظ أن التاريخ الذي كتبه تشرشل للحرب العالمية الثانية وهي الأحداث التي تبدأ بدخول السوفيت بولندا والمجر ، انما سجله في كتابه الثاني من المجلد الأخير ، بعد ان اختار له العنوان العام «الستار الحديدي» .

وجاءت بداية الحرب الباردة مع المعركة السياسية التي نشبت بين بريطانيا وأمريكا ، من ناحية ، وروسيا من ناحية أخرى ، حول وضع وشكل حكومة وطنية لبولندا المتحررة ، وكتب تشرشل يقول: (٢) (جعل تقدم الجيش السوفيتي نحو أوروبا الوسطى والشرقية في صيف عام ١٩٤٤ من الضروري التوصل الى ترتيبات سياسية مع الروس حول هذه المناطق،

وفي ٤ من مايو عام ١٩٤٤ طلب من ايدن ، وزير الخارجية أن يجعل مجلس الوزراء يعد له مسودة مذكرة يبين فيها «المسائل الشائكة القائمة بيننا وبين الحكومة السوفيتية» وهي المسائل التي تظهر في ايطاليا وبلغاريا ويوغوسلافيا ، وفوق كل ذلك في اليونان ، .

وفي آخر يوم من ذلك الشهر ، أرسل رئيس الوزراء البريطاني برقية الى الرئيس روزفلت جاء فيها : « لقد ظهرت حديثا دلائل مقلقة عن احتمال وجود شقاق في السياسة بيننا وبين الروس فيما يتعلق بدول البلقان ، وخاصة نحو اليونان ، . وكان تشرشل على استعداد لمنح الاتحاد

(١) «مرآة الماضي» بقلم كوني زيلياكوس - الفصل الرابع .

(٢) «الحرب العالمية الثانية» المجلد الرابع «النصر والمأساة» الفصل الخامس .

السوفيتي مجالا للنفوذ في رومانيا ، ولكنه كان عازما على أن يحتفظ باليونان . في ظل النفوذ البريطاني ، نظرا لأهمية هذا الاجراء بالنسبة لوضع بريطانيا في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وفي الشرق الأوسط وفيما وراء ذلك : في الامبراطورية الهندية ، وقد حاول أن يؤكد للرئيس روزفلت ، المرة بعد المرة ، أنه لا يجرى وراء مناطق للنفوذ، غير أن روزفلت كان ينتابه الخوف من أن أي نزاع حول المستقبل السياسي لدول البلقان قد يؤدي بالتأكيد الى استمرار الخلافات بينكم (بريطانيا) وبين السوفيت والى تقسيم منطقة البلقان الى مناطق نفوذ ، بالرغم مما أعلن من أن الترتيبات ستقتصر على المسائل العسكرية .

وبينما كانت الحرب تقترب من نهايتها ، نشبت الحرب الباردة بعنف ، ولم يعد روزفلت هناك يمارس نفوذه الحر ، المعتدل ، وكانت دول البلقان هي السبب المباشر للحرب الباردة ، بالرغم من أنها سرعان ماتغذت على المنازعات الكثيرة الاخرى .

وكانت المبادئ الاساسية للدبلوماسية البريطانية التي وضع خطوطها سير اير كرو عام ١٩٠٧ ، تعتمد على كثرة عدد الدول ، غير أن هذا التعدد ضاع في ميادين المعارك العالمية في أثناء الحرب العالمية الثانية . واخذ عدد الدول الكبرى يتناقص بانتظام حتى عندما كانت الحرب تقترب من نهايتها ، وأصبح واضحا أن النصر ، وما يتبع هذا النصر سيعتمد على دولتين فقط .

وبعد الحرب كان واضحا أن الدول الغنية الواسعة ، المصنعة تصنيعا عاليا ، والتي على مستوى قارة ، هي التي تتمتع بخصائص القوة اللازمة للاستعداد لحرب فعالة ، وشن هذه الحرب بالفعل وبعد ان كانت تلك دولا متعددة في الماضي ، أصبحت هناك دول ثنائية ، وبعد أن كانت السياسة العالمية منجذبة الى عدة أطراف ، أصبحت منجذبة الى طرفين فقط .

وقد أدى هذا التغير الى بطلان استعمال كثير من الاسلحة الدبلوماسية وسياسة القوى العتيقة ، ولم يعد صحيحا أن « كل دولة هي العدو المحتمل لجيرانها ، والحليف المحتمل لجيران جاراتها » ، ولم يعد التطويق الدبلوماسي ممكنا حيث تتصارع قوتان فقط ، وكما يحدث في جميع النظم السياسية المنجذبة الى طرفين ، فان الدول الصغرى ، أي العاجزة نسبيا ، تبحث عن الأمان عن طريق تحالفها مع إحدى الدولتين العملاقتين ، وتبذل كل دولة عملاقة كل مافي وسعها لاستخدام المجتمعات التي هي أصغر المتاخمة لها كدول تابعة ، أو دول عاجزة ، أو ألعيب ، أو حصون ضد الآخرين «ومهما استخدمت الاساليب المهدبة للدبلوماسية التقليدية لحفظ ماء الوجه ، فان التحالف بين الأنداد لم يعد ممكنا ،

فالدولتان الكبيرتان هما التندان بصفة عامة ، أما الدول الأخرى جميعها فأقل قوة ، ولذلك فهي تعتمد على هاتين الدولتين (١) .

ولم تتقابل الدولتان الكبيرتان اللتان بعثتا من داخل أتون الحرب العالمية الثانية في أى مكان على ظهر هذا العالم إلا في مضيق على مقربة من جزيرتي ديوميد، والمعروف أن إحدى هاتين الجزيرتين سوفيتية والأخرى أمريكية ، هذا التباعد الطبيعي كان يصاحبه جهل بالمشاكل المشتركة ونواحي الفشل والنجاح .

وطالما كان ميزان القوى مقصورا ، الى حد كبير ، على قارة أوروبا استمر الصراع من أجل القوة بين بلاد متصلة اتصالا وثيقا بعضها ببعض من الناحية الجغرافية ، وكل واحدة منها تعرف الأخرى معرفة وثيقة .

غير أن المسافة الفكرية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة كانت أعظم من البعد الجغرافي . فبعد الحرب العالمية الأولى مباشرة انسحبت الولايات المتحدة من الصراع الأوروبي من أجل القوة ولكنها تدخلت في الحرب الأهلية الروسية . وبرغم أن عددا كبيرا جدا من الأمريكيين قد عمل في الاتحاد السوفيتي من أجل المساعدة على بناء كثير من مشروعات التنمية ، لم تكن هناك علاقات دبلوماسية ، لما يزيد عن عشر سنوات ، بين موسكو وواشنطن . وافتتح روزفلت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، بيد أن الاتصالات بينهما تجارية أو غير تجارية ظلت ضعيفة حتى قاربت بينهما الحرب العالمية الثانية ليحاربا. عدوا مشتركا . وما كادت الحرب الساخنة تقترب من نهايتها حتى نشبت الحرب الباردة وفرقت بينهما من جديد على نطاق عالمي .

ونظرا لأن العملاقين لم يتقابلا ، سواء من الناحية المادية أو المذهبية كان الخوف المتبادل يسيطر عليهما . وكان هدف دبلوماسية كل من الدولتين أن تبعد الأخرى قدر إمكانها عن حدودها . وأدى ذلك الى حلقات مختلفة من التحالف والقواعد العسكرية التي أنشئت بقصد استخدامها كمراكز متقدمة للهجوم في أية حرب عالمية ثالثة ، ومن ناحية أخرى شجع هذا الخوف على صناعة الصواريخ الموجهة التي حطمت حدود الفضاء ، والقواعد العسكرية .

وتحاول الدولتان الكبيرتان تجنب بعضهما البعض غير أن المعركة الجديدة ، من أجل النفوذ كانت معركة شاملة ، لدرجة أن الصدام حدث بينهما بالفعل فوق كل جهة في المعمورة . واستمرت الدولتان في

(١) « السياسة الدولية » شومان ص ٤١٤ .

معركتهما على أراضي الشعوب الاخرى في أوروبا ، وآسيا ، وافريقية ، وأمريكا اللاتينية . ولم تكن هناك مشكلة ذات مظهر بدولي ، لم تزدد تعقيدا نتيجة لعوامل شائكة نابعة من الصراع بين هذين العملاقين . وأصبح العالم صغيرا عليهما ، وعلى أسلحة ألفناء الجماعي التي قاما بتخزينها .

وقد أضفى وجود القطبين المتنافرين أهمية كبيرة على أماكن منعزلة وعديمة الأهمية من العالم ، ولم تكن هذه الأماكن تحلم بتلك الأهمية منذ عشرين عاما مضت . مثال هذا أن بلدا صغيرا مثل لبنان أو الاردن احتل أهمية غير عادية في ظل الموقف المعقد بالشرق الاوسط ، أما جزيرتا كيموي وماتسو الصغيرتان اللتان لا تتمتعان بأهمية تذكر في ذاتهما ، فأصبحتا قادرتين على دفع العالم الى حافة الحرب ، وظهرت أرض التبت المحرمة ، مرة واحدة ، على المسرح العالمي تحمل في طياتها رغودا عاصفة شديدة . وجعلت الحرب الباردة من العالم عالما واحدا : عالما واحدا على حافة الكارثة .

ودخلت الجغرافية السياسية geopolitik في حساب وزارتي خارجية ودفاع الدولتين العملاقتين .

وقد فكر رودلف كجيلين في كلمة « جغرافية سياسية » هذه وسط الحرب العالمية الاولى ، وقد أكد هذا الجغرافي السويدي في كتاب صدر عام ١٩١٦ ، أن قوة الدولة وحياتها لا تعتمدان على شعبها ، وحكومتها ، واقتصادها ، وحضارتها فحسب ، بل أيضا أرضها ، وتربتها وطرقها وموادها الخام وطعامها .

غير أن ماكندر البريطاني ، وأدميرال ماهان وبروفيسور نيكولاس سبيكمان الامريكيين طوروا فيما بعد مفهوم الأرض كوحدة سياسية جغرافية واحدة . وفسر ماكندر تأثير الدولة البرية - كمقابل للدولة البحرية . على حين قدم المؤلفان الامريكيان تفسيراً لقوى الدولة ، تفسيراً يعتبر أميريكيا بحق .

وقد لاحظ ماكندر أن ثلاثة أرباع الكرة الأرضية تغمرها المياه ، والربع الباقي جزيرة . وتشكل قارات أوروبا وآسيا وافريقية كتلة واسعة من اليابسة وقد وصفها بـ « جزيرة العالم » . ولم يعد الرأس القطبي الثلجي الذي يبلغ اتساعه ألفي ميل ، والذي كان يمنع البحارة في الماضي من الدوران حول « جزيرة العالم » ، لم يعد عائقا بفضل التطور الذي طرأ على القوة الجوية .

وبعد ذلك شرع ماكندر يحدد محور هذه المنطقة ، أو قلب جزيرة العالم . فكان أن وجد القلب في الجزء الشمالي والداخلي من أوراسيا ، والذي يمتد من شرقي أوروبا حتى الصرب . واعتقد ماكندر أن منطقة

القلب تحتوى على عناصر قوة كاحنة كافية للسيطرة على العالم كله . وأعلن
تحذيره الكلاسيكى :

• من يحكم شرقى أوروبا فقد
سيطر على منطقة القلب .
ومن يحكم منطقة القلب يسيطر
على جزيرة العالم .
ومن يسيطر على جزيرة العالم
يسيطر على العالم .

وقسم ماكندر بقية أجزاء العالم الى مناطق تشمل بلدان ألمانيا ،
والنمسا ، وتركيا ، والهند ، والصين .

ويرى ماكندر أن جميع هذه الاقاليم عرضة لتغلغل القوات البرية
من منطقة القلب . أما البلدان المتبقية - وهى بريطانيا العظمى ، وجنوبى
أفريقية ، واستراليا ، والولايات المتحدة ، وكندا ، واليابان ، فقد اعتبرت
تابعة للهلل الخارجى أو الهلال الحاجر .

وأشار ماكندر الى دثار من الصحارى يبدو أنه يحف بالمنساق
الشمالية المعتدلة ، وهى تمتد شرقا من الصحارى ، وتشمل صحارى
شبه الجزيرة العربية ، وإيران ، والتبت ، ومنغوليا ، ثم تمتد بعد ذلك
عبر برارى لينالاند والاسكا . والدرع اللوردانسى التى تحيط بكندا
لتصل الى الحزام الشبيه بالقاحل الذى يحيط بالولايات المتحدة . ويغضى
هذا الحزام من البرارى حوالى ربع أراضى العالم ولكنه يضم سبع سكان
العالم فقط .

وفى نطاق هذا الحزام الاراضى المركزية الهامة وحوض المحيط
الوسط (شمالى الاطلنطى) ، بالاضافة الى البحار الثانوية ، وهى البحر
الابيض المتوسط ، والبلطيق ، والكاريبى .

واعتبر المنطقة التى بين نهري ميسورى وبينيسى ، والتى تضم
حوالى ألف مليون نسمة ، نقطة ارتكاز للسلطان العالمى .

وخارج المحيطات الكبرى (الباسفيكى ، والهندي ، وجنوبى
الاطلنطى) ، أراض تصب مياهها فى هذه المحيطات كالاراضى الآسيوية
التي تهب عليها الرياح الموسمية ، واستراليا وأمريكا الجنوبية ، وأفريقية
جنوب الصحراء ، والساحل الغربى لأمريكا الشمالية .

ووجد ماكندر بين أراضى العالم الخارجى هذه منطقتين تبشران
بالتقدم فى المستقبل . واحدى هاتين المنطقتين الغابات التى يسقط عليها
المطر ، والتى تطل على ساحلى جنوبى الاطلنطى فى أمريكا الجنوبية .

وأفريقية . وقد تكهن بإمكانية استيعاب هذه الاراضى لآلف مليون نسمة ، هذا اذا كرست هذه المناطق جهودها للزراعة ، وحول التقدم الفنى والطبى ، بطريقة ما ، هذه المناطق الاستوائية الى مناطق منتجة للطاقة البشرية ، شأنها شأن المناطق المعتدلة .

وأشار ماكندر فى النهاية الى ألف مليون النسمة التى تغطى الارض التى تهب عليها الرياح الموسمية فى الهند والصين ، وعبر عن أمله فى أن يزداد رخاؤهم بسرعة ، تجاوبا مع ألف مليون الآخرين الذين يعيشون بين نهرى ميسورى وبينيسى .

ويعتقد أدميرال ماهان الذى كتب عند نهاية القرن الماضى أن البحر «سهل واسع لا تغرقه عوائق، تعبّر طرق رئيسية عدة غير ملحوظة، ولكنها كثيفة - يعتقد أن القوة البحرية هى العامل الحاسم فى الصراع من أجل السيادة بين الدول . وشك فى احتمال أن بريطانيا تستطيع أن تظل دائما سيدة البحار ، وتصور زمنا تضطر فيه الولايات المتحدة الى الحلول محل بريطانيا كقوة بحرية رئيسية فى العالم . وحث الحكومة الأمريكية على انشاء أسطول ضخم يستطيع أن يبعد أية حرب عن السواحل الأمريكية ، وحذ أن يكون لدى الولايات المتحدة أسطول فى الأطلنطى ، وآخر فى الباسفيكى .

ولكن أدميرال ماهان ، الذى توفى عام ١٩١٤ ، لم يستطع أن يتكهن بتطور سلاح الطيران ، الذى تحدى - فى عشرات السنين التالية - نظريته تحديا جادا . غير أن قضيته الرئيسية القائلة بأن الأمة التى يحوطها جيران أقوياء لا تستطيع أن تسيطر على البحار ، هذه القضية قد ظلت قائمة وسط التطورات الكثيرة التى طرأت على مسار الحروب . وقد ثبت هذا فى حالة ألمانيا فى الحربين العالميتين ، كما أنه يفسر لنا طموح الاتحاد السوفيتى ، الذى لم يتحقق ، فى السيادة على البحار .

وحاول بروفيسور نكولاس سبيكمان الاستاذ فى جامعة بيل ، أن يوجد توازنا بين أهمية الجغرافيا فى تحديد السياسة الخارجية، وبين أهمية بعض العوامل الأخرى مثل حجم الاقليم، وطبيعة الجدد، وحجم السكان ، وتوافر أو عدم توافر المواد الخام ، والتنمية الاقتصادية والفنية ، والمركز المالى ، وتجانس السلالات ، والتكامل الاجتماعى الفعال ، والاستقرار السياسى ، والروح القومية . وحذر حتمية الأوضاع الجغرافية ، ولكنه أضاف أن الجغرافية كانت « أكثر العوامل المحدودة بطريقة أساسية » عند رسم السياسة الخارجية ، ذلك أنها أكثر العوامل دواما . وأعاد تشكيل رأى ماكندر الاصلى : اذا استطاعت أية دولة أو مجموعة من الدول أن تخضع الاراضى التى على الحافة

والسهول الساحلية لأوراسيا ، لسيطرة موحدة ، فإنها تستطيع أن تسيطر على جزيرة العالم، وتهدد أمن دول منطقة القلب (روسيا والصين) والدول التي على شكل جزر (بريطانيا والولايات المتحدة) . واعتقد أنه من الممكن أن تحيط الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية يوما ، وعلى نطاق عالمي ، دولة كبيرة أو مجموعة من الدول تسيطر على أوراسيا وأفريقية وأستراليا .

وتكهن سبيكمان أيضا باحتمال ازدياد شكيمة الصين في آسيا . واعتقد سبيكمان - دون أن يطبق تماما قضية القوة البحرية أو الكتلة الأرضية على القوة العالمية - أنه يتعين على السياسة الأمريكية الصحيحة أن تمنع قيام أية دولة مهيمنة على مشارف أوروبا، والشرق الأوسط، وجنوبي آسيا ، والشرق الأقصى . وإذا قامت دولة استعمارية متحدة في هذه المناطق . فإن سبيكمان يتوقع قيام خطر يهدد أمريكا، وبريطانيا ، والاتحاد السوفيتي . واعتقد سبيكمان أيضا أنه بالتضافر مع بريطانيا والتمكن من قوة بحرية كبيرة يمكن السيطرة على مشارف أوراسيا ، وأن « من يسيطر على المشارف يحكم أوراسيا ، ومن يحكم أوراسيا يسيطر على مصائر العالم » . ولكنه لم يكن يدعو إلى فرض السيطرة الأمريكية على العالم ، فقد كان يرغب أساسا أن يرى عالما مسالما يحقق توازنا في القوى داخل نطاق أوراسيا نفسها ، وأما عالما يعتمد على بعض الترتيبات المبرمة بين الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، والاتحاد السوفيتي .

ومن الطبيعي أن الولايات المتحدة تخشى ، بوصفها قارة على شكل جزيرة ، أن تفرض عليها الخسارة من بقية العالم ، وأكثر ما تخشاه ، وتشاؤها بريطانيا في هذا الخوف إنما هو ظهور دولة في أوراسيا تمتد من أوروبا الشرقية حتى الشرق الأقصى . وفي ظل هذا الخوف لمحت الولايات المتحدة ظهور دولة محورية قارية قوية أو مجموعة من الدول ذات أطماع استعمارية في آسيا ومنطقة الباسفيكي ، وبهذا الوجه أيضا تنظر الولايات المتحدة إلى كتلة الأرض الشيوعية الكبيرة التي تحتل من تشيكوسلوفاكيا إلى الصين ، وأن تدهور بريطانيا - باعتبارها قوة عسكرية تحافظ على التوازن - وعدم وجود دولة برية حاضرة في أوروبا يضاعف من خطر ظهور قوة أوراسية باطشة .

ولكي تطوق الولايات المتحدة قوة أوراسيا الشيوعية ، أقامت سلسلة من القواعد العسكرية بعيدة للغاية عن شواطئها ، تستطيع عن طريقها في حالة الحرب أو توجه الضربات الهائلة إلى العدو ، ومع ذلك

يخيم عنصر خوف دائم عند وضع السياسة الأمريكية الخارجية وعند ممارستها ، كما يخيم شعور بعدم وجود نظام للتطويق ملائم حقا .

وقد قدم مستر هاتسون . و . بولدوين المراسل الحربى لجريدة النيويورك تايمز فى اثناء أزمة الشرق الاوسط عام ١٩٥٧ حينما هددت تركيا بمهاجمة سورية واستعد الاتحاد السوفيتى للتدخل ، قدم التفسير السياسى الجغرافى التالى للصراع بين الدولتين العملاقتين :

ان الصراع العالمى بين الاتحاد السوفيتى والدول الشيوعية من ناحية ، وبين الولايات المتحدة وحلفائها من ناحية اخرى - بالمعنى السياسى الجغرافى المبسط - انما هو صراع بين منطقة القلب ومنطقة الاطراف ، فالاتحاد السوفيتى والدول التى تدور فى فلكه ، وحلفاؤه ، يحتلون معظم المناطق الداخلية من اوراسيا ، على حين تسيطر الدول الغربية ، على وجه العموم ، على المناطق الساحلية ، وهذه الاطراف تحاصر ، وتلتف تقريبا ، حول الامبراطوريات الشيوعية الواسعة التى على البر .

واذا ما نفذت الشيوعية الى اعالى البحار كان ذلك هزيمة استراتيجية ساحقة للعالم غير الشيوعى ، بل انها قد تودى به فى النهاية حقا . . وهذا هو السبب فى ان غزو الشيوعيين للصين كان اكثر من مجرد خسارة معركة فى الصراع من اجل العالم ، فقد وضع هذا الغزو معظم ساحل آسيا الشرقى تحت راية الشيوعية الحمراء . وقد امكن ابطال تأثير هذا الغزو نوعا ، وان لم يكن تماما ، فى منطقة الباسفيكى عن طريق وضع قوة أمريكية فى سلسلة الجزر الممتدة من جزر ألوتيانز حتى جزر الفلبين وتحيط هذه الجزر بساحل آسيا ، ولا يملك الاتحاد السوفيتى أى ميناء يطل على اعالى البحار فى أى مكان ، باستثناء ميناءى بيترو بافلوفسك ، أو كامتشاتكا ، وفى الاطلنطى تمثل الجزر البريطانية وايسلاند قواعد بعيدة عن البطاطىء تساند مراكز الحلفاء فى أوروبا الغربية ، غير ان الحلفاء لا يسيطرون فى شرقى البحر المتوسط على مثل هذه القواعد الجزيرية الهامة ، باستثناء قبرص التى تمزقها الثورة . أما فى منطقة البحر العربى والمحيط الهندى الشاسعة ، فليس هناك قواعد جزيرية هامة فى متناول يد الغرب سوى مدغشقر وجزر مالديف ، وكلتاها بعيدة عن سواحل الشرق الاوسط ، ولذا لا تمثلان سوى فائدة استراتيجية ضئيلة .

« وقبل أن تستولى البلشفية على السلطة فى روسيا بوقت طويل كانت الحكومات القيصريّة تكن أطماعا توسعية ، وتحلم بميناء على مياه دافئة فى الخليج الفارسى . ولم يتلاش هذا الحلم ، بل انه يتجسد

رويدا رويدا كلما توسع الاتحاد السوفييتى فى اقتصاده ، وبنى أسطوله
التجارى ، وأصبح دولة مصدرة

وبالإضافة الى ذلك ، فان أى اندفاع سوفييتى ناجح نحو الخليج
العربى والمحيط الهندى قد يعنى ، بالمعنى الاستراتيجى ، انتصارا فى
النهاية فى معركة الصراع من أجل العالم والشيوعية تسيطر بالفعل ،
على الصين وفيتنام الشمالية ، وتهدد بورما ، وتايلاند ، ولاوس ،
وكمبوديا ، وفيتنام الجنوبية ، والملايو وأندونيسيا وسوف يعنى نجاح
الشيوعيين فى جنوب شرقى آسيا ، أن الهند قد حوصرت ، وأى نجاح
شيوعى مصاحب عن طريق أفغانستان ، التى خضعت بعض الشيء
لنفوذ موسكو ، أو عن طريق إيران أو أية دولة أخرى فى الشرق
الأوسط ، قد يعزى الهند من ناحية الغرب

وحينئذ من يستطيع أن يشك فى مصر باكستان ، والهند نفسها
فى النهاية ؟ فإذا أصبحت شبه القارة المكتظة بالسكان حمراء ، بالإضافة
الى منطقة الشرق الأوسط كلها المتاخمة لها ، كان فى ذلك نهاية لمنظمة
حلف جنوب شرقى آسيا . وماذا سيكون - حينئذ - مصر شبه
الجزيرة المسماة أوروبا ؟

« ان النظام العالمى الخاص بتأمين مناطق الاطراف الذى أقامته
الولايات المتحدة يحقق ميزة استراتيجية هائلة ، فهو يقدم قواعد
للقوات الجوية الاستراتيجية كى تعمل بالقرب من منطقة قلب الاتحاد
السوفييتى ، وتحيط هذه القواعد بمنطقة القلب هذه - بإستثناء
الثغرة التى بين كراتشى وتايلاند ، وليس أروسيا السوفييتية قواعد فى
نصف الكرة الغربى . ومن الواضح أن هذه الميزة سوف تقل إذا ما تمكنت
الشيوعية من الاستيلاء على منطقة الاطراف المحيطة بقارة أوراسيا ،
ويقدم الشرق - وهو فراغ كبير للقوى - طريقا الى المناطق المطلة على
المحيط الهندى التى اذا ما تم الاستيلاء عليها فان حاكمة الامان الغربى
ستذهب دون أن تعوض ، ويتم عزل الهند » (١).

لذلك فانه من الواضح أن آسيا وأفريقية قد تم إيقاعهما ، دون
رحمة ، فى صراع عالمى وراء السيطرة بين الدولتين العملاقتين . وقد
حاولت كل من الدولتين الكبيرتين استمالة الدول الحديثة الاستقلال
فى القارتين تجاهها عن طريق وسائل اغراء عدة سياسية ، واقتصادية،
وعسكرية . والغرض النهائى من وراء ذلك هو دعم موقف أحدهما فى
مواجهة الأخرى . وقد وقعت أيضا القومية الآسيوية الأفريقية ،
ومجهودات البناء فى بلاد القارتين المختلفة فى خضم هذا الصراع العالمى.

(١) « الشؤون الخارجية » يوليو عام ١٩٥٧ .

ولا يعنى هذا ، على أية حال ، أن بلاد آسيا وأفريقية ليس لديها أدوار محدودة تقوم بتحقيقها - فأهم دور إيجابى . تستطيع أن تؤديه - والدولتان الكبيرتان يتوقعان منها أن تفعل ذلك - هو أن تكون بمثابة جسور توفيق عندما يندفع العالم الى حافة الكارثة تحت ضغط منطق الصراع من أجل السيطرة .

وهنا تكمن أهمية السياسة التى أصبحت معروفة بعدم الانحياز أو الحياد الإيجابى .

الفصل الرابع

آسيا وأفريقية في ميزان القوى الجديد

بالرغم من تكرار الصيحات على جانبي الخط الكبير الذي يفصل بين الكتلتين ، الصيحات التي تطالب بوجود تلاقى العملاقين كي يواجهها الحقائق المرة التي ينطوى عليها الصراع بين الدول في القرن العشرين فان كل دولة من الدول الكبرى تحاول دائما عزل اندولة الاخرى من بقية اجزاء العالم .

ويبدو انهما وصلتا ، في علاقاتهما المتبادلة ، الى حد تجمد اتجاهاتهما التي لا تلين ، وحتى حينما حدث امر لم يحدث من قبل ، مثل زيارة مستر خروشفوف للولايات المتحدة في سبتمبر عام ١٩٥٩ . يظل الهدف الرئيسي لكل منهما يتمثل في عزل الاخرى ، وجدير بالذكر انهما تتكلمان في جميع المؤتمرات الدولية من قطبين متناظرين وتكيلان الاتهامات كل منهما للآخرى وتحاول كل واحدة انقاء اللوم على الاخرى بسبب جميع شرور العالم .

ان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة يسيطران على مجموعتين شمسييتين في الصراع من اجل القوة ، والدول المتحالفة مع كل منهما عاجزة في ذاتها عن تقرير مصير شعوبها نفسها فما بالك بالشعوب الاخرى ..

ويستقر العالم غير المتروك بين هاتين المجموعتين الشمسييتين ، ويضم هذا العالم جزءا كبيرا من آسيا وأفريقية ، ولم يتنظم هذا العالم في كتلة ، بل الواقع ان الدول غير المتروكة الرئيسية قد نبذت ، عن قصد ، فكرة قيام كتلة ثالثة ولا تعتبر هذه الدول شيئا يستحق الذكر فيما يتصل بالقوة العسكرية الحديثة ولكنها تعنى الكثير من ناحية الطاقة البشرية والموارد وتبذل جميع هذه الدول جهودها من اجل بناء اقتصادياتها وتنظيم سيادتها . وهي في المجال الاول في حاجة ملحة الى مساعدة وتعاون من البلاد التي تنتمي الى الكتلتين . ويتميز طابعها

في المجال الثاني ، أن تكون متيقظة لأي اعتداء عليها من جانب أية من الكتلتين .

ويواجه هذا الموقف المتعارض كل دولة من دول عدم الانحياز ، فإنه يتعين عليها أن تبحث عن المصونة الاقتصادية والفنية من الدول التي عليها أن تحترس من سيطرتها السياسية .

وهكذا نجد أن العالم ينقسم ثلاث مناطق سياسية وعسكرية : الكتلة الغربية ، والكتلة الشيوعية ، والأمم غير المترمة .

ويبلغ اجمالي عدد سكان الكتلة الغربية ٨٤٠ مليون نسمة ، منهم ٣٧٤ مليوناً في الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية و ٢٧٢ مليوناً في أوروبا الغربية و ١٩٤ مليوناً في بلاد آسيا وأفريقية المنحازة للغرب .

ومن ناحية أخرى يبلغ اجمالي عدد سكان الكتلة الشيوعية ٩٤٠ مليون نسمة ، والغالبية العظمى منها ، ٦٢٥ مليوناً ، في جمهورية الصين الشعبية . وهناك ٢٠٠ مليون نسمة في الاتحاد السوفيتي و ٩٥ مليوناً في أوروبا الشرقية و ٢٠ مليوناً في كوريا الشمالية وجمهورية فيتنام الديمقراطية .

أما سكان البلاد المحايدة فيبلغون ٩٦٠ مليون نسمة ، منهم ٦٦٧ مليوناً في قارة آسيا و ٢٢٠ مليوناً في أفريقية و ٧٣ مليوناً في أوروبا .

ومن ناحية المساحة : تضم الكتلة الغربية ١٨ مليون ميل مربع والكتلة الشيوعية ٩٨ مليون الميل المربع ، وتحتل البلاد المحايدة ١٧٠ مليون ميل مربع من (مساحة العالم الاجمالية هي ٥٨٥ مليون الميل المربع) .

ومن ناحية القوات العسكرية : تملك الكتلة الغربية قوة اجمالية تبلغ ٧٨١ مليون الرجل تحت السلاح ، ولدى الكتلة الشيوعية ، ٨٧٠ مليون الرجل ، على حين لا تملك الدول المحايدة سوى مليوني رجل .

وأية دراسة مقارنة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كزعيمتين للكتلتين ، تكشف على الفور عدداً من الاختلافات الرئيسية بينهما . فالدولتان الكبيرتان تتزعمان نظماً تتباين في الشكل والمضمون في الاطار التاريخي والقيم الروحية ومع ذلك فإن الآلة والعلم والتكنولوجيا تربط فيما بينهما وترى الديمقراطيات الغربية أن الشيوعية تنكر لجميع

القيم التي رعاها الانسان واعتز بها عبر المدينة ، ويعتبر الشيوعيون ان نظامهم هو اقرب النظم الى المدينة الفاضلة .

والكتلة الشيوعية ، كما ذكرنا من قبل ، كتلة برية متماسكة تمتد من قلب أوروبا الى مشارف آسيا المظلة على غربي الباسفيكي ، أما الكتلة الغربية فهي كتلة جزيرية في معظمها ، فالولايات المتحدة نفسها قوة جزيرية ، وتفصل الولايات المتحدة عن مركز جاذبية التوتر العالمي - أي أوروبا - بحار ومحيطات واسعة ، كما أن المملكة المتحدة قوة جزيرية والواقع أنها جزيرة صغيرة تعتمد في رخائها وقوتها على امبراطوريتها الاستعمارية والكونولت الأخذتين في التحول المنتظم غير أن فرنسا وألمانيا الغربية بريتان ، بيد أنهما لا تعتبران في ذاتهما شيئاً في التقديرات العسكرية للعصر النووي . ولذلك فبينما نجد أنه يتعين على الولايات المتحدة أن تذهب بعيداً فيما وراء شواطئها كي تقيم حلقة من القواعد العسكرية على طول محيط الكتلة الشيوعية ، نجد الدول الشيوعية في مركز ممتاز يساعدها على الاحتفاظ بإمكانياتها العسكرية وتركيزها داخل نطاق كتلة الأرض الهائلة التي تحتلها أقاليمها وبينما يتعين على الولايات المتحدة أن تسير دفة الصراع من مراكز مبعثرة في جميع أنحاء العالم ، نجد أن الدولة المنافسة لها تستطيع أن تظل داخل حدودها تقريباً وتشرع في ترتيب برامجها الهجومية والدفاعية .

وقد منح ذلك الكتلة الشيوعية ميزة كبيرة تفتقر اليها الولايات المتحدة . وقد ألفت الولايات المتحدة أحلافاً عسكرية مع عدد كبير من الدول يبلغ ثلاثاً وأربعين دولة ، وألف الاتحاد السوفيتي أحلافاً مشابهة مع دول لا تزيد على العشر ويتعين على أمريكا الاحتفاظ بمائة وخمسين قاعدة عسكرية تنتشر في جميع أنحاء العالم . أما الاتحاد السوفيتي فلا تزيد قواعده على العشرين ويتعين أيضاً على الجنود الأمريكيين أن يخرجوا خارج حدودهم للدفاع عن المواقع الامامية الخاصة بـ « العالم الحر » في حوالي خمس وثلاثين دولة ، أما القوات السوفيتية فتربط في ألمانيا الشرقية والمجر وبلغاريا فقط ، ولا يعتبر هذا التناقض في الموقف بين القوتين المتصارعتين أمراً ذا فائدة للاتحاد السوفيتي من الناحية الاقتصادية فحسب ، ولكنه يوفر أيضاً على الكرملين الصداق المستمر والقلق الذي يصاحب مرابطة قوات كبيرة بالخارج .

وقد اضطلعت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية بثلاثة تعهدات دولية ذات أبعاد ثلاثة : سياسية واقتصادية وعسكرية ، لم يسبق أن اضطلعت بها دولة في التاريخ ، وبذلك ابتعدت أمريكا بطريقة مشيرة عن تحذيرات مؤسسي الجمهورية الأمريكية الذين لم يوافقوا على التورط في الأحلاف .

واليوم ترتبط الولايات المتحدة بمعاهدات معونة متبادلة مع ٤٣ دولة من العالم . وتبلغ مساحة هذه المناطق ١.٧ مليون ميل مربع ويبلغ عدد سكانها ٦٣.٠ مليون نسمة .

ويعتمد التطويق العسكري الأمريكى للاتحاد السوفيتى على خمسة أحلاف عسكرية متعددة الاطراف اولها حلف ريو الذى وقع فى أغسطس عام ١٩٤٧ ، فقد انضمت الولايات المتحدة الى دول أمريكا اللاتينية العشرين فى تعهد جماعى يقضى بأن تقدم المساعدة فى حالة الاعتداء على اية دولة منها لاية دولة تطلب تلك المساعدة .

ويأتى بعد ذلك حلف شمال الاطلسى فى ابريل عام ١٩٤٩ ، وبمقتضى هذا الحلف ، تعتبر الدول الاعضاء اى هجوم على دولة منها هجوما عليها جميعا .

ووقعت المعاهدة الثالثة فى سبتمبر عام ١٩٥١ بين الولايات المتحدة ونيوزيلاندا واستراليا ، ويسمى هذا الحلف بحلف الاندوس ، ويعطى هذا الحلف أن اى هجوم فى الباسفيك ضد اية دولة منها يمس الجميع ، وانها ستعمل متضامنة من أجل مواجهة الخطر الشيوعى .

وقد تبع حلف الاندوس منظمة حلف جنوب شرقى آسيا فى سبتمبر عام ١٩٥٤ وغدت هذه المنظمة ما كان يوصف « بالمنطقة العامة التى تشمل جنوب شرقى آسيا وغربى الباسفيك » .

وتشترك فيه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلاند وثلاث دول آسيوية هى : تايلاند والفلبين وباكستان .

وباكستان هى الحلقة التى تربط بين منظمة حلف جنوب شرقى آسيا وحلف بغداد الذى ظهر بعد ذلك بأكثر من سنة ، وقد وقعت خمسة دول فى نوفمبر عام ١٩٥٥ ، وقد خرجت العراق ، الدولة العربية الوحيدة فى الحلف ، عام ١٩٥٩ ، بعد مضى عام تقريبا من قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٨ ، ثم أعيد تسمية الحلف فأصبح منظمة الحلف المركزى . ويضم الآن أربع دول هى المملكة المتحدة وباكستان وتركيا وإيران . وكانت الولايات المتحدة عضوا فعليا وان لم يكن رسميا تتحمل معظم النفقات العسكرية المطلوبة للحفاظ على الحلف حيا .

وبالإضافة الى هذه الاحلاف المتعددة الاطراف ، عقدت الولايات المتحدة معاهدات عسكرية ثنائية مع الفلبين ، واليابان ، وكوريا الجنوبية ، وحكم شيانج كاي شيك فى فورموزا ، التى تسمى بـ « الصين الوطنية » .

وزيادة على التزامات المعاهدات الخاصة المكتوبة هذه ، والتى تشمل التزامات عسكرية وسياسية ، هناك عدد كبير من اتفاقيات المعونة لهذه

الدول نفسها ، واتفاقيات ، ومخالفات ، وتعهدات ، والتزامات ، مكتوبة .
وغير مكتوبة ، رسمية وغير رسمية مع كثير من الدول الاخرى . فلدينا
على سبيل المثال اتفاقيات عسكرية اقتصادية - سياسية تشمل استخدام
القواعد ، وتقديم معونة عسكرية وبعض المعونات الاخرى لاسبانيا ،
والمغرب . (تبعا للأمر الواقع لا للقياسات) ، وليبيا ، والعربية
السعودية ، واثيوبيا ، وبناما (معاهدة منطقة القناة) . وقدمنا أسلحة ،
ومعونة عسكرية ، ومشورة لأكثر من أربعين دولة ، ودرينا حوالي ١٤٠٠٠
ضابط ورجل من تلك البلاد ، وذلك في مدارسنا العسكرية عام ١٩٥٨ .

واذ أيدنا فكرة خلق دولة اسرائيل ، وأصدرنا بياننا الثلاثي لعام
١٩٥٠ (بالتضامن مع إنجلترا وفرنسا) فيما يتعلق بحدود الهدنة ، فإنا
نكون قد التزمنا أدبيا نحو هذه الدولة الى جانب التزامنا للعرب (١) .

وهكذا ذهبت الولايات المتحدة ، وهي قوة جزيرية ، بعيدا خلف
حدودها ، باستعدادات عسكرية هدفها تطوير القوة الصينية الروسية ،
وتوجيه سلسلة من الضربات الشاملة من سلسلة واسعة من القواعد ، اذا
ما نشبت أية حرب نووية .

وهناك اعتباران آخران مشتركان في هذا الامر الخاص بتطوير كتلة
الارض الشيوعية - أولهما الابتعاد بالحرب العالمية الثالثة لأطول مسافة
ولأطول فترة ممكنة ، عن مسواطي الولايات المتحدة ، والاعتبار الآخر هو
مواجهة الهجمات الدبلوماسية السوفيتية المتكررة والمتعددة الجوانب لخلق
انشقاق داخل الصفوف الغربية ، ولعزل الولايات المتحدة عن شركائهم
الرئيسيين في التحالف الغربي .

وكنتيجة طبيعية لسياسة التطويق العسكري المتقدمة هذه ، تتركز
القوات الامريكية في كل بقعة استراتيجية من العالم غير الشيوعي
باستثناء منطقة المحيط الهندي . فالولايات المتحدة تحتفظ ، في جميع
أنحاء العالم ، بمائة وخمسين قاعدة عسكرية ، ٦٣ منها في أوروبا ، و ٣٧
في جنوبى آسيا ، ونحو ٤٠ في الباسفيك والقارة الامريكية ، وثمان في
غربي آسيا وافريقية .

وتقوم قوات أمريكية قوامها مائتا ألف جندي بحراسة المصالح
الامريكية والغربية في الشرق الاقصى ، وتربط هذه القوات في اليابان ،
والجزر المحيطة بها ، وكوريا الجنوبية . وهناك أربعون ألف جندي من
القوات الامريكية في جزر الباسفيك وعشرون ألفا في البحر الكاريبي .

(١) مبرر هانسون بلدين في جريدة النيويورك تايمز العدد الصادر في ٢٢ من
أغسطس عام ١٩٥٨ .

• وخمسة عشر ألفا فى شمالى افريقية ، وعشرة آلاف فى الشرق الاوسط .
و ٣٥٠ ألفا فى غربى أوروبا • ويعتمد ٤٥٠٠٠ امرأة وطفل على هؤلاء
المجندين الذين داخل هذه التجمعات الضخمة ومعظم هذه القوات مزودة
بالاسلحة النووية التكتيكية •

وهناك أحلاف أو التزامات عسكرية مباشرة أو غير مباشرة بين
الولايات المتحدة وسبع دول آسيوية ، تتضمن بعد استبعاد تركيا ،
وفرموزا وباكستان وايران وتايلاند ، وهى ملزمة بالاضافة الى ذلك ،
بالمحافظة على وحدة كوريا الجنوبية والاردن ، بالقوة اذا لزم الامر • وفى
افريقية ترتبط الولايات المتحدة بالتزامات مشابهة نحو المغرب وتونس •

وفى آسيا ، على وجه العموم ، نجد أن الالتزامات الامريكية كثيرة
للمغاية فى غربى الباسفيكى أكثر من أية منطقة أخرى • وهذا مفهوم حيث
أن الباسفيكى منطقة حيوية للأمن الامريكى ، ويعتبر ظهور الصين ، كدولة
وراء الباسفيك ، عاملا يثير ازعاجا كبيرا لواضعى الاستراتيجية الامريكية •
فقد ظلت الولايات المتحدة ما يزيد على مائة عام تفرض سياستها الكاملة
على منطقة الباسفيكى الشاسعة الاطراف • وقد أبعد مبدأ مونرو الدول
الاوربية عن نصف الكرة الغربى ، وبذا استطاعت الولايات المتحدة أن
تقوم بدور هام فى شئون اليابان والصين • وقد شكل ظهور اليابان
كقوة عظيمة ، تهديدا للولايات المتحدة لم تدركه تماما الا بعد واقعة بيرل
هاربر ، وكان من نتيجة الهزيمة الكاملة التى منيت بها اليابان فى الحرب
العالمية الثانية ، أن انطلقت الولايات المتحدة من جديد ، فى الباسفيكى •
ولكنها ظلت كذلك لفترة قلقه وجيزة • ففى خلال أربع سنوات من
استسلام اليابان ، أصبحت الصين فى ظل حكومة شنيوعية • وفى مدى
عشر سنوات ، أصبحت تمثل مصدر صدام سياسى وعسكرى للولايات
المتحدة • والواقع ان النفوذ البرى للصين وروسيا جعل من اليابان بلدا
حياديا بالرغم من امكانياتها العسكرية الفعالة ووجدت الولايات المتحدة
نفسها لأول مرة فى التاريخ ، تواجه احتمالات مقلقة للمغاية ، احتمالات
ظهور قوة باسيفيكية منافسة •

ولذلك فانه من الطبيعى أن تكون الالتزامات الامريكية ، فى آسيا ،
أكبر التزامات تواجهها فى غربى الباسفيكى اذ فى اليابان خمسة وسبعون
ألف جندي من القوات الامريكية ، وخمسون ألفا فى كوريا الجنوبية ،
 وخمسون ألفا فى أوكيناوا ، وسبعة آلاف فى فورموزا ، وعشرة آلاف فى
الفلبين •

وبالاضافة الى هذا كان هناك الاسطول السابع الامريكى الذى يسيطر
على قوة محاربة تبلغ سبعين ألف جندي • أما القوات المحلية التى قامت

الولايات المتحدة ، الى حد كبير ، بتدريبها ، وتمويلها ، وتزويدها بالاسلحة
فموزعة على النحو التالي : ٢٠٥ آلاف جندي في اليابان و ٦٩١ ألف جندي
في كوريا ، لجنسوية و ٦٠٠ ألف جندي في فورموزا ، وأخيرا ٥٠ ألف
جندي في الفلبين .

أما في جنوب شرقي آسيا فليست هناك أية قوات أمريكية مرابطة
في أي مكان ، اللهم الا بعثات عسكرية في تايلاند ، وفيتنام الجنوبية ،
ولاوس ، وباكستان ، أما عن الجيش التايلاندي القوي الذي يتألف من
٩٠٠.٠٠٠ جندي والجيش الباكستاني القوي الذي قوامه ١٩٠.٠٠٠ جندي .
والقوات المسلحة في فيتنام الجنوبية التي « تغطيها » منظمة حلف جنوب
شرقي آسيا ، فان الولايات المتحدة تقوم بتدريبهم ، وتزويدهم بالسلاح ،
وتساعدهم ماليا .

وإذا ما عقدنا مقارنة بين الالتزامات العسكرية الأمريكية في غربي
الباسفيكي ، والالتزاماتها في جنوب شرقي آسيا ، والشرق الاوسط ،
وشمال أفريقيا ، وجدنا ان الالتزامات الاخيرة تبدو غير ذات أهمية .
وهكذا ، نجد أن معظم جهود التطويق الأمريكي للسلطان الشيوعي تتركز
في منطقتين : منطقة غربي أوروبا والاطلنطي ، ومنطقة غربي الباسفيكي .

ولا يمكن أن تعمل سياسة القواعد الامامية المنتشرة في جميع أنحاء
العالم دون أن تسبب المتاعب للولايات المتحدة نفسها ولحلفائها أيضا .
وأول مشكلة خلقتها انما هي أعباء الميزانيات العسكرية التي تقصم الظهر .
فقد ظلت الولايات المتحدة نفسها تنفق ثلثي دخلها الكلي كي تحافظ على
مظهرها القوي أمام القوة الشيوعية . كذلك كانت هذه الاعباء باهظة على
الحلفاء فليست هناك تقريبا أية دولة تنفق أكثر من نصف دخلها على
الدفاع .

ويذهب المال - الذي كان ينبغي أن يستخدم في بناء الاقتصاديات
المتخلفة في بلدان آسيا وأفريقية المتحالفة مع الكتلة الغربية - الى النواحي
العسكرية . وفي الصراع القائم بين الزيد والمدفع فاز المدفع ، ليخسر
الزيد . وكانت أعباء التسليح في أوروبا الغربية ، أيضا ، جسيمة .
وبالإضافة الى ذلك دعمت المرحلة النووية في الحرب الباردة من اعتماد
حول غربي أوروبا على الولايات المتحدة من أجل الصمود في الحرب ، وفي
الولايات المتحدة يحصلون الآن على نصيبهم المروع من الاسلحة النووية
التكتيكية . وبمرور الوقت يزداد اندماجهم داخل نمط عسكري
لن يستطيعوا القيام فيه بدور ، الا دور التوابع العاجزة . فاقترابهم
الوثيق من الاتحاد السوفيتي يجعلهم في الخطوط الامامية لاية حرب
عالمية ثالثة ، وليس في جعبتهم سوى أمل ضئيل في مقاومة فعالة ،
ويزداد الامل ضالة اذا ما اتصل الامر بالبقاء .

ومن الناحية الايديولوجية نجد ان المركز الذى يحتله الاتحاد السوفيتى فى الكتلة الشيوعية ، أقوى بكثير ، وأرفع ، من المركز الذى تتمتع به الولايات المتحدة فى الكتلة الغربية . وبالرغم من كثرة الضغط الداخلى ، والقيود ، داخل نطاق الكتلة الشيوعية فان الايديولوجية اللينينية الماركسية المشتركة تربط زعماء هذه الدول بروابط الايمان المتعصب بنجاح هذا النظام فى النهاية . والشيوعية ايديولوجية ديناميكية ، وبرغم الاعمال الوحشية والاجبار القامى الكامن فيها ، فانها تلقى اعجابا ، لا يمكن انكاره ، من جانب قطاعات كبيرة من الناس فى أنحاء العالم كله .

ولا شك فى أن الديمقراطية ، فى شكلها ومضمونها الحقيقى ، بمثابة مثل أعلى أعظم من الشيوعية ، غير ان الديمقراطية التى تمارس فى الولايات المتحدة لا تلقى احترام دول أوروبا اذا ما قورنت بالاحترام الذى تلقاه الشيوعية السوفيتية فى جميع أنحاء الكتلة الشيوعية . وفى عديد من بلدان غربى أوروبا ولا سيما المملكة المتحدة ، والدول الاسكندنافية . نجد ان المنظمات الديمقراطية أقوى وأسلم من مثيلاتها فى الولايات المتحدة الامريكية . وبرغم أن غالبية شعوب غربى أوروبا تتقبل الزعامة الامريكية فى المجالات الاقتصادية والعسكرية ، فانها تتمتع بشعور ، له ما يبرره ، بالتفوق فى ميادين الفكر السياسى ، والنظم الحكومية والفنون والآداب .

ومن ناحية أخرى نجد أن الاتحاد السوفيتى ، من حيث مركزه داخل الكتلة الشيوعية . لا يتزعم فقط فى ميدان السلطان الاقتصادى والعسكرى ، وانما يتزعم الكتلة أيضا بفضل فلسفة الشيوعية الشاملة التى تغطي كل المسائل .

وموجز القول أن الزعامة الرومسية تلقى من التأييد داخل الكتلة الشيوعية ما لا تلقاه الزعامة الامريكية داخل الكتلة الغربية .

وقد تسبب ظهور الصين ، ذلك « العملاق النائم » فى احداث تغير كفى وكفى فى الكتلة الشيوعية . والصين ليست دولة تدور فى فلك روسيا . فهى تنمو لتصبح دولة من الدول الكبرى ، فى ذاتها ، وذلك بفضل مساحتها الضخمة ومواردها السكانية الهائلة . وقد أدى بحث الصين ، بالفصل ، الى ظهور تغير فى توازن الزعامة داخل الكتلة الشيوعية . وبالرغم من أن الاتحاد السوفيتى ما زال أقوى من الصين من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية ، فان الزعامة المذهبية لم تعد حكرًا على الكرملين .

ونستطيع الى حد ما أن نقارن مركز الصين داخل الكتلة الشيوعية بمركز بريطانيا داخل الكتلة الغربية ، مع اختلاف واحد هو أن الصينيين

مرتبطون أيديولوجيا بالاتحاد السوفيتي ، أكثر من ارتباط بريطانيا في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، بالولايات المتحدة الأمريكية .

ومشاكل القومية قائمة في كلتا الكتلتين ولا تستسيغ أية منهما « انحرافات » النزعة القومية التي يمارسها شركاؤها الصغار .
والشعور القومي في بلاد أوروبا الشرقية موضع اهتمام كبير من جانب الزعماء الشيوعيين في عواصم بلدان أوروبا الشرقية ، وفي بكين وموسكو أيضا . غير أن القومية في البلاد الشيوعية غالبا ما يهددها إخلاص مفرط للشيوعية الدولية .

لكن المشاكل التي تثيرها القومية ، في الكتلة الغربية ، تختلف اختلافا بينا ، فقد عادت ألمانيا الغربية واليابان من جديد تؤكدان شخصيتهما القومية ، واتخذت القومية الفرنسية بالفعل لونا تأكيديا ذا نزعة عدوانية ، تحت زعامة جنرال ديغول . والخوف من روسيا ومن الشيوعية وحده هو الذي يجمع هذه الدول تحت الراية الأمريكية ، وستؤدي أية بادرة كبيرة لتخفيف حدة التوتر العالمي ، إلى بث الفوضى في صفوف التحالف الغربي .

أما القومية - أو بمعنى أصح النزعة الانفصالية للاستعمار - في الدول الاستعمارية فتعتبر من أكبر العوامل التي توحد بين صفوفها ، فهي غيور على سيادتها ، ويكاد يستحوذ عليها الشعور القومي ، وفي الوقت الذي ترفض فيه الانضمام إلى كتلات الدول ، فإنها تسير على نهج ميراثها القومي . ولم تشكل - حتى بين بعضها وبعض - أية كتلة أو مجموعة خشية أن يحد ذلك بطريقة ما من سيادتها القومية العليا .

والهدف الرئيسي للولايات المتحدة هو تطويق السلطان الشيوعي داخل حدوده الحالية والعمل على إضعافه إذا أمكن بتشجيع الفتن الداخلية . وكانت الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون ، حتى عام ١٩٥٠ ، يستجيبون أساسا للأحداث العالمية التي خلقتها سلسلة من الهجمات الدبلوماسية والعسكرية السوفيتية في أجزاء مختلفة من العالم . فقد أدت الحرب الأهلية في اليونان إلى ظهور مبدأ ترومان ، وأدى حصار برلين و « انقلاب » براغ إلى تشكيل منظمة حلف شمالى الأطلسي ، وأدت الحرب الكورية إلى التنظيم العسكري الحالى في منطقة الباسفيكى .

وبعد تولى الحزب الجمهوري الحكم في الولايات المتحدة عام ١٩٥٣ دخل عامل طويل الأجل على سياسة التطويق . وقد شرح مستر دالاس هذا الطور الجديد في سياسة التطويق في خطبة القساها أمام مجلس العلاقات الخارجية في ١٢ من يناير عام ١٩٥٤ قال دالاس : « ليس من تعبيل الاستراتيجية الحربية السلمية ، أو الاقتصاديات السلمية ، أن

يكون هناك اعتماد على الاستجابات الطارئة للإجراءات الهجومية من الجانب الآخر • لا بد من وجود عامل طويل الأجل • وكان الشيوعيون السوفييت يخططون لما يسمونه «الحقبة التاريخية الكاملة» و «علينا أن نفعل المثل» •

وكانت سياسة بنساء قوة انتقامية كبيرة لضرب العدو في أماكن «من اختيارنا» هي التي أدت ، في السنوات التالية ، إلى إقامة الولايات المتحدة لحلقة واسعة من القواعد فيما وراء البحار وتعين أن تأتي القوة الرادعة من ناحية تفوق أمريكا في مجال التسليح النووي • وكان الاتحاد السوفيتي يمتلك القنبلة الذرية في ذلك الوقت ، ولكن لم يكن لديه القنبلة للهيدروجينية ولذلك كان تفوق أمريكا في مجال التسليح النووي أمرا لا يمكن الجدل فيه •

غير أن هذا التفوق لم يدم طويلا • فقد لحق الاتحاد السوفيتي بسرعة مذهلة ، بالولايات المتحدة في مجال تطوير الأسلحة الهيدروجينية • وكان الروس متخلفين عن الأمريكيين أربع سنوات في مجال صنع القنبلة الذرية ، وتسعة أشهر فقط في صنع القنبلة الهيدروجينية • وخلال عامين ، أصبحوا متقدمين في السباق من أجل الوصول إلى «السلاح الحاسم» •

وحيثما رأى الاتحاد السوفيتي نفسه مطوقا بحلقة من القواعد العسكرية الأمريكية الامامية ، وجد واضعو الاستراتيجية أن من الأهمية بمكان اختراع أسلحة يمكنها كسر حاجز القواعد ، وضرب الولايات المتحدة عبر المحيطات الواسعة التي تفصلها عن كتلة الأراضي الشيوعية • لذلك عمل الاتحاد السوفيتي بتصميم قوى ، على تطوير الصواريخ والقذائف التي تستطيع تضيق المسافة بين القارات وضرب قلب أمريكا الصناعي • ولن يؤدي النجاح في هذا الميدان إلى إحباط تأثير حلقة القواعد الباهظة التكاليف التي تحيط بالاتحاد السوفيتي فحسب ، وإنما صيقت أيضا على غزلة أمريكا الجغرافية عن جبهات القتال التقليدية • وفي يولية من عام ١٩٥٧ أجرت الولايات المتحدة تجاربها على صاروخ عابر للقارات ، لكن التجربة فشلت • وفي أغسطس أجرى الاتحاد السوفيتي بنجاح تجاربه على صاروخه العابر للقارات • ولأول مرة تفوقت روسيا على أمريكا ، بخطوات ، في مجال سباق التسليح •

ما النتائج السياسية الجغرافية لهذا الاقتحام السوفيتي ؟ •

قامت جريدة «ذا نيو منتسيمان» اللندنية الأسبوعية بشرح هذه النتائج على النحو التالي :

منذ أن فجرت روسيا قنبلتها الهيدروجينية عام ١٩٥٣ ، والعالم يعيش في قلق تسببت فيه أزمة التسليح النووي • غير أنه لم يكن موقفا

حرجا الا لأن الطاقة المدمرة لدى الجانبين . بلغت من الضخامة بحيث لم يعد كلا الجانبين يأمل الإفادة من الحرب في حالة وقسوع صراع . ولا نغنى انه كان هناك ميزان متعادل للقوة العسكرية. فما زالت أمريكا تمتلك سلاحا حادا ، لا بسبب زعامتها في حقل التكنولوجيا ، أو رصيدها الأكبر من القنابل ، ولكن لوجود حلقة القواعد النووية في مكان متاخم لأراضي العالم السوفيتي . وقد منح عدد هذه القواعد وطريقة توزيعها أمريكا ميزة عسكرية حاسمة ، فقد ضاعف هذا من عدد الاهداف الهجومية التي قد تضطر القوات الجوية السوفيتية الى ابطال أثرها ، كما ضاعف من محاور الهجوم ضد روسيا .

« وبعد أن أصبحت روسيا سباقا في ميدان القذائف الموجهة أخذت تهدد الآن بضرب الرقم القياسي في القوة النووية الضاربة ، ولذلك فإن الولايات المتحدة ستواجه مراكز إطلاق متعددة مساوية لها ، ان لم تكن أعظم ، وتتميز بصعوبة أكثر في مراقبتها ومن ثم تدميرها من القواعد الجوية : وبذلك أصبح إقامة أي نظام للانداز والاعتراض المبكر ، حتى بجانب الفاعلية المحدودة لخط Dw-line الحالي غير ممكنة من الناحية الاقتصادية. وهكذا سيتم الوصول الى توازن في القوة الضاربة وفي مدى التعرض للهجوم » (١) .

وفي خلال شهرين من نجاح الاتحاد السوفيتي في تجربته للصاروخ الموجه العابر للقارات ، انطلق أول قمر صناعي روسي يخترق اجواز الفضاء ، ليثبت ، لعالم مذهول ، تفوق الصواريخ السوفيتية الذي لا جدال فيه . وتبع ذلك القمر الصناعي الثاني والأكبر حجما بعد مضي شهر تماما . ولم يؤد ذلك ، فقط ، الى انهيار الاساس الذي كانت تقوم عليه التقديرات العسكرية الأمريكية لحقبة كاملة من الزمن ، دون مسابق انداز ، وانما أدى الى تأكيد زعامة السوفييت في ميدان التكنولوجيا . ولم يعد في الامكان رفض الادعاءات السوفيتية بطريقة سافرة ، باعتبارها ضربا من الدعاية . وأصبح تحصين القارة الأمريكية من الهجوم شيئا عفى عليه الزمن . وبات من الواضح أن أية حرب في المستقبل سوف تتم داخل الولايات المتحدة مثلما تتم خلف حدودها .

وعند نهاية عام ١٩٥٨ ، أصبح واضحا ان العالم في قلب أزمة عسكرية حقيقية . فلم تكن كفة أي من الجانبين الراجحة . وأوضح مستر هانسون بولدوين في كتاب ، ظهر في وقته ، أن مسباق التسليح غدو للهدف الذي وضع من أجله فلم يستطع أي جانب أن يحتفظ بالزعامة مدة طويلة .

(١) جريدة « ذا نيو ستسمان » العدد الصادر في ٣١ من أغسطس عام ١٩٥٧ .

وقدّر مستر بولدوين أن لدى الروس ، بالفعل ، صواريخ مداها ٥٥٠٠ ميل في حالة استعداد للعمل ، وقد يكون لدى الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، بين عامي ١٩٥٩ ، ١٩٦١ رصيد صغير من هذه الأسلحة المميّنة . ولكن الأمريكيين بالتأكيد أكثر من الروس استعدادا في مجال قاذفات القنابل المتوسطة المدى والبعيدة المدى التي يقودها طيارون . أما روسيا فلها الغلبة في مجال قاذفات القنابل الخفيفة ، وقاذفات القنابل المقاتلة ، والمقاتلات . وفي حقل النقل الجوي لاحقت روسيا الركب بسرعة . وذلك في ميدان طاقة الحمولة الكاملة فهي تستخدم مثلا طائرة الهليكوبتر الضخمة لنقل متين من رجال المشاة .

إن أمريكا وروسيا في مستوى واحد تقريبا من حيث الدفاع الجوي . فقد قال مستر بولدوين : « إن الرادار السوفيتي أكثر نجاحا من رادارنا من حيث اكتشافه لقاذفات القنابل التي تطير على ارتفاع بعيد » .

وكان واضعوا النظريات العسكرية من امروس ما زالوا يعتقدون أن نتاج أية حرب في المستقبل سوف يتقرر على أساس الجنود في ميدان المعركة وليس على أساس قذف الأماكن الاستراتيجية بالقنابل .

ولذلك فإن الاتحاد السوفيتي يملك قدرا هائلا من الجنود قوامه مليونان ونصف مليون الجندي في مقابل ٩٦٠٠٠٠ جندي أمريكي .

وهؤلاء الجنود مدربون ومسلحون تسليحا كاملا . وأصبحت الزعامة التي ما زالت لأمريكا في مجال الأسلحة النووية التكتيكية التي في متناول اليد « رصييدا آخذا في التناقص السريع » .

وكان يلوح ، على الدوام ، في الجو ، وفي البر ، بل وحتى في الفضاء الخارجي شبح أزمة أبدية . ولكن الجهد الأساسي لقلب ميزان القوى قد يحدث في البحر ، أو على الأصح ، تحت البحر . إذ تمتلك روسيا أكبر أسطول غواصات في العالم ، أسطول يضم مائة وخمسين رصيعين غواصة في مقابل مائة وعشر غواصات لدى أمريكا .

ولكن أمريكا متقدمة على الاتحاد السوفيتي في مجال الغواصات التي تسير بالطاقة النووية . وقد أوضح مستر بولدوين مدى الخطورة القائلة الكامنة في نظام هذا السلاح حين قال : « إن عشر غواصات ترابط في مراكز مختلفة بعيدا عن سواحل أوراسيا ، تستطيع أن تهدد حياة نحو خمسة وثمانين ألف نسمة من السكان » .

بيد أن الروس لم يقفوا مكتوفي الأيدي . فقد أجروا التجارب على بعض الصواريخ التي تطلق من الغواصات ، وذهبوا أبعد من ذلك في

مسح ما قد يصبح ميدان المعركة الرئيسية في الحرب العالمية الثالثة ،
وفاقوا بذلك الامريكيين (١) .

وفي مقال نشرته جريدة «نيويورك تايمز» في صيف عام ١٩٥٨ ،
« انتهى مستر بولدوين الى انه ليس من المحتمل قيام أية حرب ساخنة بين
العملاقين ، واعترف بوجود « بعض العوامل التي لا يسيطر عليها، أى
من الجانبين ، سيطرة كاملة ، غير انها عوامل تميل الى تشجيع قيام
الحرب ، كان هناك سباق عالمي على التسليح ، زلم يتم حل أية من مشاكل
العالم السياسية ، وأخيرا هناك تجربة تاريخ مضى ، تبين أن الحروب
الصغيرة لم تتوقف تقريبا ، ومع ذلك هناك بعض الدلائل المشجعة تظهر
في الصورة العالمية ، -

وأضاف مستر بولدوين قائلا : « ان الموقف العالمي ، لدى كان
قائما بعد عشر سنوات من الحرب العالمية الثانية ، هذا الموقف الذي
تسيطر فيه الكتلتان الكبيرتان ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، على
الكرة الارضية قد أخذ يخف ، ولو قليلا من جراء ظهور كتلة ثالثة من
الحيايين والدول « الرمادية » - وهي الهند ، وبورما ، وكثير من الدول
العربية ، ويوغوسلافيا (وبولندا التي كانت تقاوم القيد الشيوعي) .
وبالرغم من ان هذه الدول ما زالت ضعيفة ، في وقوفها بمفردها أو مع
الآخرين ، فانها تؤثر على الكتلتين الكبيرتين وتميل الى عدم تشجيع
الحركات العدوانية من جانب أية منهما » .

وقال مستر بولدوين : ان العالم يعيش اليوم ، في ميزان من الرعب
« فالولايات المتحدة وروسيا السوفيتية تسيطر كل منهما على قوة
تستطيع تدمير الاخرى وتدمير نصف العالم المتبقى في العملية . ومع
فجر عصر الصواريخ والخطوات الاولى الى الفضاء أصبحت عوائق الزمن
والمسافة القديمة والبحار والجبال والعوائق البرية والمناخية - تلك
التي كانت تحدد الطابع الاستراتيجي في يوم من الايام - تتضاءل
الآن وتصبح مجرد تفاصيل فنية . لقد تصور الدكتور ج . روبرت
أوبنهايمر « وجود عقربين في المعركة تستطيع كل منهما أن تلدغ الاخرى
الذغة مميتة ، وقد صح تصوره » .

وتكهن مستر بولدوين انه اذا تصادف ونشبت حرب عالمية ثالثة،
فانها ستنتشب من أجل آسيا وافريقية وبسببهما وقال : « ان الستار
الحديدي في أوروبا محدد تحديدا كاملا ، وعليه حراسة شديدة ، ولذلك
فان أية مغامرة هوجاء ستؤدي بالتأكيد الى انتقام دموي . ولكن هذا

(١) « سباق التسليح الكبير » بقلم هاريسون و . بولدوين .

لا ينطبق على آسيا أو افريقية ، فهناك تتحرك الشيوعية الزاحفة - سياسيا واقتصاديا وسيكولوجيا وعسكريا - لتحقيق أهدافها ، لقد فتحت ثغراتنا ويمكن هزيمتنا دون اطلاق طلقة واحدة ، أو قد تستطيع آسيا وافريقية ، أن تطلق الشرارة التي قد تؤدي الى حرب محدودة بآدى الأمر ، ثم ربما الى حرب غير محدودة ، وهذا يشكل الى حد كبير ، أعظم الاخطار التي ستواجه السنوات القادمة « (١) » .

وبعبارة أخرى ، فبعد أن وصلت الدولتان الكبيرتان الى مأزق سياسى وعسكرى كامل بسبب أوروبا ، انطلقنا من أجل الاستحواذ على ولاء وتبعية آسيا وافريقية ، والتمتع بطاقتيها البشرية ومصادر المواد الخام بهما والافادة من جغرافيتهما ذات الامكانيات الاستراتيجية الهائلة .

ولم تنعم آسيا وافريقية بالسلام يوما واحدا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . فقد وقعت سلسلة من الحروب المحدودة المستمرة . وتقع المسؤولية على احدى الكتلتين أو كليتهما فى اشعال نار كل من هذه الحروب .

(١) جريدة « نيويورك تايمز » عدد ١١ من مايو عام ١٩٥٨ د

الفصل الخامس

المظاهر الاقتصادية للحرب الباردة

لقد كان أهم تغير ثوري حدث من بين جميع التغيرات الثورية التي عمت العالم منذ الحرب العالمية الثانية ، هذا الانطلاق السياسى لمجموعة من الدول الحديثة فى آسيا وإفريقية ، والانطلاق الاقتصادى لحوالى ثلث سكان العالم المتعطلين الى النمو والرخاء . وقد حدثت انتفاضات انسانية هائلة فى قارتينا ، وسوف تؤدي هذه الانتفاضات الى احداث تغير هائل على شكل العالم فى السنوات القادمة ، وهذه التغيرات تشكل تحديا للزعامة الانسانية ، كما أنها أنجبت رجالا يبشرون بالتقدم ورجالا يلوحون بالنذر .

وقد بدأت الحرب الباردة ، أول ما بدأت ، على الصعيد السياسى ، غير أنها كانت مدفوعة منذ البداية بحوافز اقتصادية هائلة ، فقد خرجت الولايات المتحدة الامريكية من الحرب أكبر دولة تتمتع بالرخاء والامكانيات فى العالم ، وعلى الطرف الآخر أوروبا الغربية المنهارة اقتصاديا ، والاتحاد السوفيتى الذى حطمه النصر ، وبلاد أوروبا الشرقية التى بدأت تجرب الاشتراكية الاجبارية ، وتخضع لجميع أنواع القيود الغامضة ، وأسرت الاموال الامريكية عن طريق مشروع مارشال الى انقاذ أوروبا الغربية ، فى الوقت الذى خلقت فيه التجارب الاقتصادية الجديدة على الطراز الستالينى القديم سلسلة من الصعوبات فى أقطار أوروبا الشرقية ، ونظرا لتفوق أمريكا المؤقت فى ميدان الاسلحة النووية ورخائها الاقتصادى الذى لا جدال فيه اضطرت الكتلة السوفيتية الى اتخاذ موقف المدافع العنيد عن حدود أراضيها . وركز الاتحاد السوفيتى وحلفاؤه كل اهتمامهم لعشر سنوات بعد الحرب العالمية الثانية ، على بناء اقتصادهم وقوتهم العسكرية ، وفى الوقت نفسه انضمت الصين الى الكتلة الشيوعية ونفضت نحو عشرين دولة عن نفسها نيز الاستعمار الاوروبى فى آسيا وإفريقية ، ورفضت اغلبية هذه الدول أن تجر الى أحد معسكرى الحرب الباردة .

وهكذا تشابه النمط الاقتصادى السائد فى العالم مع النمط الذى

فرضته الحرب الباردة . ووقفت فى وضع المنافسة الكئيب الكتلتان
الاقتصاديتان : الرأسمالية الديمقراطية ، والشيوعية تواجه كل منهما
الآخرى . ووقفت بينهما الدول الحديثة التحرر فى آسيا وأفريقية ،
وجمهوريات أمريكا اللاتينية بخليطها العجيب من النظم السياسية
والاجتماعية . واعتمدت زعامة الولايات المتحدة على الكتلة الاقتصادية
الرأسمالية الديمقراطية ، وزعامة الاتحاد السوفيتى على الكتلة الشيوعية
على اقتصاديات كل منهما وهى اقتصاديات على مستوى الزعامة ، وتفوق
أى نمو اقتصادى لدولة أو لمجموعة من الدول .

وقد ظلت زعامة العالم الاقتصادية ، فى الفترة من عام ١٩٤٥ -
١٩٥٥ خارج بلاد الكتلة السوفيتية بين يدي الولايات المتحدة والدول
الغربية الأخرى التى أخذت تستعيد قوتها بالتدريج بعد ويلات الحرب
وأدركت العواصم الغربية أهمية مساعدة الدول الحديثة التحرر فى
آسيا ، ولكن مطالب المقتضيات العسكرية للحرب الباردة تركت النز
اليسير - نسبيا - للعون الاقتصادية الفعال للأمم الآسيوية . واستمرت
الدول الغربية ، بما فى ذلك الولايات المتحدة تطل على آسيا وأفريقية
من عل باعتبارها مصدرا غير محدود للمنتجات الأساسية الرخيصة التى
تحتاج إليها صناعاتها . وكانت أية محاولة من جانب الدول الآسيوية
لتصنيع نفسها على نطاق واسع تلقى أعراضا ، على حين يقدم لها النصيح
القائل بأن عليها أن تطور زراعتها وتتوسع فى حياتها الاجتماعية والثقافية
بدلا من أن تأخذ على عاتقها اقامة صرح صناعات ثقيلة .

وهكذا حينما أعدت الهند أول مشروع للسنوات الخمس فيها عام
١٩٥١ اضطرت الى أن تجعله مشروعا زراعيا أساسيا ، على أن توضع فى
المرتبة الثانية مسألة تنمية الطاقة والرى ، ولم يشمل المشروع اقامة أية
صناعة ثقيلة . وقد خصصت الدول الغربية ، من جانبها ، معظم أرصدة
المعونة الأجنبية للدول المرتبطة بها فى أحلاف عسكرية . وكانت معونة
الدفاع هذه تتجه الى زيادة الموارد العسكرية للدول التى تتلقى المعونة ،
أو لدعم استقرار الحكومات التى تبدى للغرب روح المودة .

وبعد وفاة ستالين ، أى فى عام ١٩٥٥ ، جاءت انطلاقة السوفيت
الى السوق الاقتصادية العالمية . وتعد هذه الانطلاقة من أكبر الأحداث
التى وقعت فى النصف الأخير من القرن العشرين .

وقبل هذه الانطلاقة ، لحق الاتحاد السوفيتى بالولايات المتحدة فى
مجال الأسلحة النووية ، ودخلت الحرب الباردة الى أزمة لا خلاص منها على
الصعيد السياسى .

وحدثت سلسلة من التعديلات السياسية والاقتصادية فى بلدان

أوروبا الشرقية ، أصلحت بعض مساوى العهد الستالينى على حين حققت الصين دفعة هائلة لتعبئة الطاقة البشرية الريفية الهائلة من أجل الأغراض الانتاجية ، وادى هذا الى تخليص الاقتصاد الصينى من الركود الذى ظل فيه لعدة قرون .

وشهدت السنوات التالية على عام ١٩٥٥ تلك الحقيقة الهائلة ذلك التحدى الاقتصادى الذى يواجه به الاتحاد السوفيتى دول الغرب . وكانت الحرب الباردة قد أخذت تكتسب ، بالتدريج شكلا مختلفا . وانتقلت الاهمية من المظهر السياسى الى المظهر الاقتصادى للمنافسة بين النظامين العالميين .

وظهر الاتحاد السوفيتى ، تحت زعامة خروشوف ، كقوة اقتصادية عملاقة ، وأصبح أحد اثنين من أكبر مصادر المعونة الاقتصادية والفنية للدول الخديثة التحرر فى آسيا وأفريقية .

ويتعين علينا أن نضع فى الاعتبار أنه حتى عندما كانت الولايات المتحدة تقدم مساعدات ضخمة الى حلفائها الغربيين لإعادة بناء اقتصادها ، بعد الحرب العالمية الثانية ، حول الاتحاد السوفيتى قدرا كبيرا من رأس ماله ومواده التكنولوجية الى بناء اقتصاد الدول التى داخل معسكره ، وكانت العلاقات الاقتصادية بين الاتحاد السوفيتى من جانب ، ودول أوروبا الشرقية والصين من جانب آخر ، مفيدة للطرفين .

بيد أن الغرب اعتقد ، أن الاتحاد السوفيتى قد حصل على ثمن كبير يتمثل فى المواد الخام والتعويضات التى كان يتلقاها من بلاد أوروبا الشرقية مقابل المعونة المقدمة . ومع ذلك لا يستطيع أحد أن ينكر أن التقدم الصناعى فى الصين وشرق أوروبا ، يدين بالكثير للتعاون السوفيتى مهما كان الثمن الذى دفع من أجله . ويمكننا أن نلمس مدى الدور الذى قام به الاتحاد السوفيتى فى الحياة الاقتصادية لقطار الكتلة اذا عرفنا أنه قد تم اقامة - أو سيتم اقامة - ما لا يقل عن ٥٥٠ مصنعا - تشمل ٤٦ مصنعا للصلب و ٣٧ للأعمال الكيماوية و ١١ معملا لتكرير البترول و ٧٦ مصنعا للاشغال الهندسية و ٧٣ محطة قوى ، وثم هذا كله فى بلاد الكتلة السوفيتية ، عن طريق المساعدات الروسية .

وارتفعت جملة المبيعات بين الاتحاد السوفيتى ، وحلفائه من ٣١٠٠ مليون روبل عام ١٩٤٦ الى ٢٥٥٠٠ مليون روبل عام ١٩٥٨ . ونحن نجد ، فى الوقت الحالى ، أن الاتحاد السوفيتى يصرف ثلاثة أرباع تجارته الخارجية فى بلدان الكتلة .

وكما ذكرنا منذ قليل ، بدأ اشتراك روسيا فى التنمية الاقتصادية الخاصة بالدول الآسيوية منذ خمس أو ست سنوات فقط .

غير ان السرعة التي تضاعف بها التعاون السوفيتى قد أخذت الدول الغربية على حين غرة . ويمكننا أن تأخذ فكرة عن طبيعة العلاقات الاقتصادية الروسية الآخذة فى التوسع مع بلاد آسيا وافريقية ، والتي تحققت جميعها منذ عام ١٩٥٥ ، اذا قرأنا الفقرات التالية التي جاءت فى احدى المجلات السوفيتية المتخصصة :

« لقد تضاعفت التجارة بين الاتحاد السوفيتى والاقطار المتخلفة اقتصاديا بدرجة كبيرة خلال السنوات القليلة الماضية . فقد زادت التجارة مع الهند حوالى ست عشرة مرة خلال السنوات الاربع الماضية ، وشهد عام ١٩٥٨ زيادة قدرها ٤٣٪ .

وسجلت التجارة مع الجمهورية العربية المتحدة زيادة قدرها ٩ أضعاف ، ومع اندونيسيا أكثر من ١٠ أضعاف . كما أن التجارة مع أفغانستان ، وسيلان ، واليمن ، وأثيوبيا وبعض البلاد الاخرى آخذة فى الزيادة .

« وتحتل المعونة الاقتصادية والفنية مجالا أوسع فى العلاقات الاقتصادية السوفيتية مع البلاد الاخرى : ففي السنوات القليلة الماضية ، وقع الاتحاد السوفيتى اتفاقيات المعونة الاقتصادية والفنية مع الهند ، والجمهورية العربية المتحدة ، وأفغانستان ، واندونيسيا ، وبورما ، وسيلان ، واليمن . وفى عام ١٩٥٩ وقع على اتفاقيات مشابهة مع العراق ، ونيبال .

وبمقتضى هذه الاتفاقيات يقوم الاتحاد السوفيتى بالفعل - أو سيقوم سريعا - بمساعدة البلاد السالفة الذكر اقتصاديا وفنيا ، لبناء حوالى مائتى مصنع ، ومحطات للقوى ، ومشروعات للرى ، وغير ذلك من المنشآت ، وسوف يسهم أيضا فى مشروعات أخرى حددتها برامج التنمية القومية بهذه الدول ، (١) .

وفى الوقت المناسب أدركت عواصم الغرب هذا التحدى الاقتصادى من جانب السوفييت ، وكانت احدى نتائج هذا التحدى ان أدركت الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وألمانيا الغربية ، وبريطانيا ، أنه يتعين عليها أن تبذل المزيد سواء بطريقة فردية أو جماعية للمساهمة فى التنمية الاقتصادية فى البلاد الآسيوية والافريقية .

ونظرا لأن ذلك لن يكون ممكنا دون اجراء بعض التعديلات فى العلاقات الحالية بين الدول ، وهى العلاقات التي خلقتها الحرب الباردة :

(١) الشؤون الدولية : أكتوبر عام ١٩٥٩ .

أخذت اقتراحات نزع السلاح المتفق عليها ، وتخفيف حدة التوتر ،
يلقيان في الآونة الأخيرة من الاهتمام ما لم يلقيا منذ نهاية الحرب .

وإذا ما تركنا الاعتبارات الايديولوجية جانبا ، وجدنا أن اقتصاد الكتلة السوفيتية يتمتع بامتيازات معينة لا يتمتع بها اقتصاد الكتلة الغربية ، وهذه الامتيازات تسمح للزعماء الشيوعيين بدخول ميدان المنافسة الاقتصادية العالمية مسلحين ببعض الثقة الراسخة . وأول هذه المميزات أن اقتصاد الكتلة السوفيتية اقتصاد آخذ في النمو ، على حين نجد أن اقتصاد الكتلة الغربية قد وصل الى درجات التشبع .

والمشكلة التي تواجهها البلاد الرأسمالية العتيقة مثل بريطانيا العظمى وفرنسا هي المحافظة على المستوى الحال في الاستثمار والانتاج .

وفي ألمانيا الغربية أيضا ، نجد أن التوسع الاقتصادي المشهود الذي كان سائدا في فترة ما بعد الحرب ، قد وصل الى أوجه في أواخر الخمسينيات ، ومنذ ذلك الحين وهناك : أما تجدد في الموقف وأما تدهور طفيف . بل اننا نجد في الولايات المتحدة نفسها أن استثمار رأس المال والانتاج آخذان في التدهور (١) .

وطبقا لما يقوله آلن دالاس رئيس المخابرات الامريكية فان الانتاج الكلي في روسيا يزداد بنسبة تزيد على ٩٪ سنويا ، أي أكثر من ثلاثة

(١) رسم الرئيس كينيدي - في رسالته الاتحادية الى الكونجرس في يناير عام ١٩٦١ - صورة كئيبة لاقتصاد الولايات المتحدة وأعلن : « ان حالة اقتصادنا الراهنة تدعو الى القلق » ، وأضاف أنه تولى الحكم في أعقاب سبعة أشهر من الكساد ، وثلاث سنوات ونصف السنة من التراخي ، وسبع سنوات من النمو الاقتصادي الآخذ في التناقص ، وتسع سنوات من انخفاض الدخل من الزراعة ، ووصلت افلاسات الشركات الى أعلى نسبة لها منذ « الكساد الكبير » . وقد انخفض الدخل من الزراعة منذ عام ١٩٥١ بنسبة ٢٥٪ ووصلت البطالة المؤمن عليها الى أعلى مرحلة لها في التاريخ - باستثناء فترة قصيرة عام ١٩٥٨ : فمن بين حوالي خمسة ملايين ونصف مليون العامل الأمريكي بلا عمل ، ظل نحو المليون يبحثون عن عمل منذ مدة تزيد على أربعة شهور (وهذا يدل على أن البطالة ليست مشكلة موسمية عادية) . ويعيش نحو ١٨\١ المتعطلين بلا أمل تقريبا ، في حوالي مائة منطقة مضطربة تعاني من الكساد بصفة خاصة .

يضاف الى هذا أن انتعاشنا من كساد عام ١٩٥٨ كان طفيفا وغير كامل . ولم يستعد انتاجنا القومي الاجمالي طاقته الكاملة على الاطلاق . ولم تعد البطالة الى معدلاتها العادية ، ولم تعد نقيذ الافادة القصوى من طاقتنا الصناعية القومية . وباتت أكبر بلاد الارض من ناحية الموارد والصناعة تعد من بين أقل الدول شأنا في معدلات النمو الاقتصادي وقد انخفضت نسبة النمو الاقتصادي عندنا بالفعل منذ الربيع الماضي ، كما أن استثمار الاموال في المشروعات آخذ في التدهور . وكذلك انخفضت الارباح عن المستويات المقررة ، وتوقفت حركة التعمير . وهناك مليون سيارة في البلاد لم يتم بيعها .

أضعاف النسبة التي في الولايات المتحدة (وهي أقل من ٣٪) كما أنها تبلغ ستة أضعاف النسبة التي في بريطانيا العظمى (١٥٪) .

وقال آلن دالاس : « ان مشروع السنوات السبع السوفيتي سوف يزود الاتحاد السوفيتي بالامكانيات اللازمة لمضاعفة التوسع التجاري والمعونة للدول غير الملتزمة ، والدول المتخلفة في العالم الحر . وسوف يقترب الانتاج السوفيتي لبعض المواد الخام الاساسية وبعض المنتجات الصناعية (عام ١٩٦٥) من انتاج الولايات المتحدة ، وقد يتفوق عليها في عدد من الحالات ، وسوف تكون هذه المنتجات من النوع الذي تحتاج اليه الدول التي هي أقل تقدما من أجل حركة التصنيع بها » .

وقد رت خطة السنوات السبع السوفيتية أن ينتج الاتحاد السوفيتي ، بحلول عام ١٩٦٥ ، مزيدا من السلع الصناعية لنكل فرد من السكان ، ساع تزيد عما ينتج اليوم ، في أكثر بلاد أوروبا الرأسمالية تقدما ، وهي بريطانيا وجمهورية ألمانيا الاتحادية .

وسوف يتفوق السوفييت ، في السنوات السبع التالية ، في الانتاج المادي لبعض المواد الصناعية الرئيسية ، وسوف يقتربون من مستوى الانتاج الحالي لبعض السلع الاخرى في الولايات المتحدة .

أما من ناحية المنتجات الزراعية الرئيسية فسوف يفوق الانتاج السوفيتي اجماليا ، وبالنسبة لكل فرد ، مستوى الانتاج الحالي في الولايات المتحدة .

وتدعي الصين أنها لحقت ، بالفعل ، بالملكة المتحدة من حيث اجمالي الانتاج الصناعي . بل ان معدل استثمار رأس المال في الصين ، أعلى من معدله في الاتحاد السوفيتي ، بالرغم من أن ذلك قد تحقق عن طريق تطبيق الاقتصاد الموجه بشدة .

وقد تم تصميم كوميونات القرية الصينية من أجل تنشيط السكان الريفيين العديدين ، من أجل أغراض الانتاج ، وتكوين الثروة .

ويشكل هؤلاء السكان في بلاد آسيا وافريقية الاخرى عبئا ثقيلا على عاتق الاقتصاد . (ارجع الى تقرير اللجنة الخاصة بسياسة المواد ، لعام ١٩٦٠ ، بعنوان « موارد من أجل الحرية » الجزء الأول) .

وهناك ميزة كبيرة أخرى يتفوق بها الاتحاد السوفيتي على الولايات المتحدة في ميدان المنافسة الاقتصادية . وهي أنه بينما نجد أن الاتحاد السوفيتي ، يتمتع بالاكثفاء الذاتي الحقيقي في المواد الخام ، يتعين على الولايات المتحدة أن تعتمد في تموينها على مجموعة من الدول .

ويمثل انتاج الولايات المتحدة حوالي ٤٠٪ من الانتاج الصناعى العالمى ، ومن ثم تعتبر أكبر مستهلك فى العالم للمواد الخام .

وكان يتعين على الحكومة الامريكية ، فى بداية عام ١٩٥٠ ، أن تعلن قائمة بأكثر من سبعين نوعا من المواد الخام باعتبارها « استراتيجية وخطيرة » واعتبرت تخزين هذه المواد ضروريا للأمن القومى .

ولم تتضمن القائمة المعادن فحسب وإنما تضمنت أيضا منتجات عضوية مثل زيت جوز الهند ، والجملكة النقية ، والصوف والفلفل الاسود .

ويتعين الآن على الولايات المتحدة الامريكية أن تستورد جميع المعادن باستثناء المنجنيز والموليبدنيوم .

ومن بين المواد الاستراتيجية والخطرة « المتضمنة » فى قانون عام ١٩٥٠ الصادر عن الكونجرس ، أكثر من أربعين مادة لا تنتجها الولايات المتحدة الامريكية بكميات كافية .

وهناك ثمانى مواد فقط ، من بين تلك المواد التى تنتج فى أمريكا بكميات كبيرة ، فى متناول اليد لمواجهتها نصف مطالب البلاد زمن السلم . وهناك ثلاثون مادة لا يمكن الحصول عليها فى نصف الكرة الغربى كله . (سنعرض ، فى الفصل العاشر ، لتحليل مفصل للنمو الاقتصادى بالصين) .

ويأتى ٧٥٪ من هذه المواد المتضمنة فى قائمة التخزين ، من بلاد العالم التى هى أقل تطورا ، وبخاصة من أمريكا اللاتينية .

ومن ناحية أخرى نجد أن الاتحاد السوفييتى يتمتع بوفرة فى المواد الخام الاساسية الضرورية لنموه الصناعى ، وسوف يمر وقت طويل قبل أن ينضب معين هذه المواد من جراء الاستهلاك الصناعى .

كما أن بلدان أوروبا الشرقية تمد الاتحاد السوفييتى بمجموعة متنوعة من المواد الخام ، كذلك تفعل الصين . وتدعى الصين من جانبها أنها تستحوذ على مواد خام أساسية للنمو الصناعى ، ومن ثم فإنها أسعد حظا من اليابان .

والعامل الثالث الذى يعضد الاتحاد السوفييتى فى حربه الباردة الاقتصادية ضد الدول الغربية هو أن الاقتصاد الرأسمالى قائم بطبيعته على المنافسة ، وتضعف هذه المنافسة ، فى حالات كثيرة من السلطات الاقتصادية للكتلة الغربية ككل .

كما أن هناك منافسة حامية بين الشركاء الرئيسيين فى التحالف الغربى من أجل مواد العالم الاساسية ، ومن أجل المستهلكين .

وهذا أمر معروف لدرجة لا تستدعى الاستفاضة . فقد طردت الولايات المتحدة كلا من بريطانيا وفرنسا من معظم أسواقها العالمية التقليدية ومن وضعهما الراشح فى الاقتصاد العالمى وذلك منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، وأصبحت ألمانيا الغربية ، اليوم ، منافسا قويا للولايات المتحدة .

وتبين المنافسة الحالية بين الدول الاوربية الست الداخلية ، والدول السبع الخارجية - مع تعضيد الولايات المتحدة للدول الست الداخلية - المساوى التى تعاني منها الدول الغربية وهى تواجه الهجوم الاقتصادى القادم من الكتلة السوفيتية .

ولا بد أن يكون هناك ، فى الكتلة السوفيتية أيضا ، بعض التشددات والقيود فى العلاقات الاقتصادية وخاصة بين الاتحاد السوفيتى والدول التى هى أقل تقدما .

وقد شهدت الفترة الستالينية وخاصة فى شرقى أوروبا سياسة سوفيتية تكاد تأخذ شكل المصادرة ، وانتقلت ملكية مصانع ضخمة من يولندا وبعض الدول الاخرى كتعويضات .

وظل اقتصاد هذه البلاد مربوطا ، لعدة سنوات ، الى عجلة الاقتصاد السوفيتى ، يمدد بالمواد الخام ، ويجرب السياسات الاقتصادية التى وضعت فى موسكو .

وكان من نتيجة ذلك انتشار موجة من السخط عمت جميع أنحاء أوروبا الشرقية ، أدت الى قيام حركات تطهير ، وتصفية واعتقال للناس ، وتقييد للحرية البشرية .

ووصل هذا السخط الى أوجه فى حوادث الشغب التى قامت فى يوذنان فى بولندا ، وأخيرا فى الثورة المجرية عام ١٩٥٦ .

ولكن حدث منذ ذلك الحين أن طرأت تغيرات عميقة على السياسات السوفيتية نحو كل قطر من أقطار أوروبا الشرقية ، بما فى ذلك من منح الزعامة الشيوعية فى كل بلد حرية اجراء التعديلات الضرورية فى البرامج الاقتصادية .

غير أن الاتحاد السوفيتى لم يحاول أن يفرض سيطرته السياسية أو الاقتصادية على الصين . فقد قامت العلاقات بينه وبين الصين الاقتصادية كانت أو سياسية ، على أساس المشاركة .

وبالرغم من الخلافات القائمة داخل الكتلة السوفيتية ، فان اقتصادها لم يصل بعد الى المرحلة التي يتعين على دول الكتلة أن تتنافس فيها بعضها مع بعض كما تفعل الدول الرأسمالية .

وعلى أية حال، يدعى زعماء الكتلة السوفيتية أن اقتصادهم الاشتراكي لن يتنافس بالطريقة الرأسمالية ، ذلك أنه سيستمد مقومات حياته من مطالب الجماهير المتزايدة باستمرار نتيجة لارتفاع مستوى معيشتهم .

وقد سمح التخطيط الصارم لاقتصاد الكتلة السوفيتية ، بمزيد من تقسيم العمل على نطاق دولي أكثر مما هو ممكن في اقتصاد الكتلة الغربية .

وقد جعل فقدان الحرية بالمعنى المتعارف عليه في الغرب ، والرفض القاطع لعدم السماح بقيام أية معارضة ضد الحكومة وعدم وجود اضرابات من جانب العمال ، والدفع الاجباري للطاقة البشرية من أجل أهداف الانتاج - جعل كل ذلك من الممكن أن يحقق الاتحاد السوفيتي نتائج لا تستطيع أن تتوصل اليها بلاد الكتلة الغربية .

ولكن التكرار اللانهائي للمنتجات في العالم الرأسمالي ، بما في ذلك من تبديد للطاقة البشرية والموارد ، والمنافسة المهلكة من أجل الاستحواذ على المستهلكين ، كلها نقاط ضعف لا علاج لها في اندول الغربية سواء في نطاق مجتمع كل منها ، او في نطاق المنافسة الاقتصادية الجماعية مع الكتلة الاشتراكية .

كما ان مشاكل التعريفية الجمركية والعملية تزيد من اندحار الدول الغربية في حربها الباردة الاقتصادية مع روسيا .

وفي مقابل ذلك نجد ان التجارة ، داخل نطاق الكتلة الشيوعية تعتمد على تبادل السلع المتفق عليها ، على أن يتم الدفع في معظم الاحيان ، بالعملات المحلية .

وتستخدم كل من الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفيتي، المعونة الاقتصادية للبلدان الأجنبية كأسلحة سياسية .

ولكن بينما نجد ان الوسائل الامريكية كانت ، على وجه العموم بدائية وخرقاء - ومن ثم أقل نجاحا - كان السوفيت يستخدمون وسائلهم بمهارة ودهاء .

وقد وجهت الولايات المتحدة الجزء الأكبر من اعتمادات معونتها الخارجية الى البلاد التي اختارت الانحياز ، من الناحية العسكرية نحو الكتلة الغربية ، وقد كانت المساعدات الامريكية الى البلاد غير الملتزمة خشيلة نسبيا . وقد بلغت المعونة الامريكية جميعها الى البلاد الاجنبية،

بين الأول من يوليو عام ١٩٤٥ و ٣١ من ديسمبر عام ١٩٥٧ حوالى ٤٠ بليون دولار . ذهبت ٢٥ بليون دولار منها الى أوروبا الغربية ، وما يزيد قليلا عن ٤ بلايين الى الشرق الاوسط وافريقية ، وحوالى ١١/٢ من البليون الى جمهوريات أمريكا اللاتينية ، ٨٤ من بليون الدولار الى آسيا ومنطقة الباسفيكى . وفى هذه المنطقة الأخيرة حصلت اليابان على ٢٤ من البليون وكوريا الجنوبية على بليون ، وفورموزا (١٤) من البليون والفلبين حوالى بليون ، والدول الباقية ، بما فى ذلك من دول عدم الانحياز فى آسيا ، خصص لها ١٤ من بليون الدولار . وحصلت **الباكستان والهند على قدر متشابه من المعونة تقريبا . وحصلت إسرائيل على معونة أكثر منهما معا (جريدة النيويورك تايمز . عدد ٧ من ديسمبر عام ١٩٥٨ - النسخة الدولية)** .

والى وقت قريب كانت الولايات المتحدة تلقى اعتبارا ضئيلا نسبيا ، لتطلبات البلاد التى ترفض أن تربط نفسها بمجلة سياستها الخارجية ، وقد استخدمت المعونة الخارجية ، فى حالات عدة ، بطريقة كريمة ، كوسيلة من وسائل السياسة الأمريكية فى المجال الدولى . وأكبر الحالات المعروفة لنا هى سحب دالاس للعرض الأمريكى للمساعدة على بناء سد أسوان العالى . وقد وجدت بعض البلاد ، مثل الهند ، وكالات دولية . مثل البنك الدولى ، تفرض شروطا صارمة حينما تقدم قروضا لبعض المشروعات المعينة ، وكانت نصيحة البنك المستمرة ، الى الحكومة الهندية هى أنه ينبغى عليها ألا تسير فى مشروعات صناعية كثيرة . وحتى على المستوى غير الحكومى ، نظر الغرب نظرة قاصرة للغاية الى ضرورة الملحة للنمو الاقتصادى فى آسيا وافريقية . وهناك اتجاه الى تجميد وضع الدول الآسيوية الافريقية كممولة للمواد الخام الرخصية ، وكمشترية للمنتجات الغربية المصنعة .

وهنا استطاع الاتحاد السوفيتى أن يجنى أحسن النتائج . فابتداء من عام ١٩٥٥ ، قدم الاتحاد السوفيتى عروضاً لاقامة الصناعات الأساسية فى عدد من البلاد الآسيوية - الافريقية : فقام ببناء مصنع للصلب فى الهند ، وعرض اقامة مصنع مشابه فى سيلان . هذا وتساعد الكتلة السوفيتية الهند فى كشف موارد البترول بها ، وهيأت للعرب أول منظمة لتسويق البترول ، ويقوم الاتحاد السوفيتى بتعبيد الطرق واقامة السدود فى أفغانستان ، والموانى واحواض السفن فى سورية ، ومجموعة من المصانع فى العراق . وعرض اقامة معاهد عالية للتكنولوجيا فى عدد من الاقطار الآسيوية . وتوج أعماله ، بتعهده ببناء سد أسوان العالى كله ، وهو أكثر مشروعات التنمية العربية طموحا .

وقد ادعى الزعماء الروس أن علاقتهم الاقتصادية مع الدول

الأجنبية لا تحركها الاهداف السياسية . وقد برروا هذا الادعاء ، بأن أشاروا الى تعاونهم الاقصادى مع الجمهورية العربية المتحدة برغم عدااء الرئيس ناصر ، الصريح ، للشيوعية . ومساعدتهم للهند . واندونيسيا . وسيلان ، وبعض الدول الأخرى التى ليست مستعدة لاحتمال أى تهديد شيوعى فى الداخل

وتقدموا خطوة الى الامام ليعبروا عن حرصهم على تنمية علاقاتهم مع ايران وتركيا ، وباكستان ، بل ومع دول أوروبا الرأسمالية وأهم من هذا كله ، مع الولايات المتحدة نفسها .

واذا ما تحدثنا بصفة عامة ، نجد أن ظهور انظمين الاقتصاديين المتنافسين قد أثبت فائدته الكبرى للدول المتخلفة فى افريقية . وآسيا ، وأمريكا اللاتينية . وانتقضت الأيام التى كانت تضطر فيها الدولة الى رجال البنوك فى العالم الغربى من أجل قدر ضئيل من المعونة والمساعدة (١) . بل ان الحقيقة القائلة بأن افريقية وآسيا تستطيعان أن تعتمدا على الكتلة السوفيتية فى مجال المساعدات الاقتصادية ، لظاهرة جديدة تماما ، و ظاهرة برزت منذ عام ١٩٥٥ ، ولاسباب عدة ، ذكرنا بعضها فى الاجزاء الاولى من هذا الفصل ، ينعم الاتحاد السوفيتى بوضع ممتاز يتيح له أن يشكل منافسة اقتصادية للكتلة المنافسة ، فى البلاد غير الملتزمة . وتضع النسبة المئوية المنخفضة للفائدة التى تطلبها الكتلة السوفيتية ، والتحرر

(١) والمثال التقليدى على ذلك هو كوبا ، فقد استطاعت أن تقاوم الضغط الاقتصادي الأمريكى بمساعدة الكتلة الشيوعية ، وحينما ألقت الولايات المتحدة حصتها من السكر الكوبى عام ١٩٦٠ ، اشترى الاتحاد السوفيتى والصين معظم السكر الكوبى ، ومنحت حكومة فيدل كاسترو كمية كبيرة من المساعدات الاقتصادية ويميل زعماء الثورة الكوبية الى اعتبار العداء الأمريكى لحكم كاسترو ، على أنه أساسا صدام بين مصالح اقتصادية . وقد قال ارنستو تشي جوفارو ، واضح النظريات الرئيسى لمهد كاسترو ، موجها حديثه الى مستر ك . س . كارول مراسل صحيفة « نيوسيتسمان » اللندنية ، بعد الفوز بالفاشل فى ابريل عام ١٩٦١ :

« ان الأمريكين يكرهوننا ليس من أجل نياتنا . وانما لاننا تهدد مصالحهم الاقتصادية ، ولان ثورتنا مثال خطر يخشى أن تحتديه دول أمريكا اللاتينية قاطبة . لقد خضعف الاصلاح الزراعى من انتاجنا الزرامى . وبعد قليل ، سيقضى برنامج التصنيع الذى وضعناه على البطالة فى كوبا . ولم يحدث شيء مشابه لهذا فى تاريخ أمريكا اللاتينية كله .

وهذه هى كل جريرتنا فى عرف أمريكا . وقد صرف النظر عن تلميحاتنا الكثيرة من أجل التفاهم ، وكان هناك كثير من هذه التلميحات ، ومستظل رغبة الولايات المتحدة قائمة فى القضاء علينا ، لاننا أشرنا الى الطريق الذى يجب أن تسلكه بقية بلاد أمريكا اللاتينية . ولنأخذ فى اعتبارنا ايضا ماقاله الرئيس ناصر فى مارس عام ١٩٦١ : « ان الكفاح ضد الاستعمار كفاح من أجل الارض الافريقية ، والناجم الافريقية ، لان الثروة القومية هى لصارى الذى ترتفع عليه راية القومية .

من حسابات الربح والخسارة ، والتحرر من المنافسة التى تميز جميعها الاقتصاد الحر ، والمضمون السياسى للمنافسة الاقتصادية بين الكتلتين ، تضع هذه الاعتبارات جميعها مجموعة الدول السوفيتية فى مركز يتيح لها العمل مع سرعة اتخاذ القرارات بطريقة تزجج البلاد افريقية تقريبا . ومن ناحية دول آسيا وافريقية ، أتاح لها هذا الوضع فرصة ، لم تكن تنتظرها ، لدعم موقفها فى مواجهة كتلتا الكتلتين .

وكما ذكرنا من قبل ظلت المساعدات الاقتصادية الغربية ، لسنوات طويلة ، توزن بقوة على أساس الاعتبارات العسكرية ولم تعدل الدول الغربية من نظرتها الخاصة بالمعونة والمساعدة - وبدأت فى اعطاء شىء من الأولوية الى مساعدات التنمية الخالصة - الا بعد أن حقق الاتحاد السوفيتى انطلاقته الاقتصادية . وكان استعداد الكتلة السوفيتية لاقامة المشروعات الرأسمالية فى البلاد المتخلفة ، عاملا آخر من العوامل التى تسبب القلق فى الكتلة الغربية . وهدف الكتلة السوفيتية واضح بالطبع: فهدفها حرمان الاقتصاديات الغربية من أسواق المواد الخام التقليدية فى افريقيا وآسيا ، وزيادة حدة المنافسة داخل نطاق الاقتصاد الحر نفسه ويعتقد الزعماء الشيوعيون ان ذلك سوف يؤدى الى التفجير بقيام أزمة فى الميزان الاقتصادى للعالم غير الشيوعى .

وقد كانت هناك . داخل الولايات المتحدة نفسها ، انتفاضة من الفكر المتحرر ، فى السنوات الحديثة ، تحاول أن توقظ زعماء أمريكا من نومهم وتطلعهم على التحدى الذى تفرضه المنافسة الاقتصادية من جانب الكتلة الشيوعية . ويقف على رأس هذه الموجة الحرة المفكرون من أمثال بروفيسور ج.ك. جالبريث الذى قدم فى كتابه ، الواسع الانتشار « المجتمع الموتر » قضية اقتصادية جديدة تعكس المرحلة المعاصرة للاقتصاد الأمريكى » يقول بروفيسور جالبريث :

ان اقتصاد الولايات المتحدة قد وصل الى نقطة يستطيع منها أن يشبع مطالب الاستهلاك لجميع السكان تقريبا على مستوى عال لم يسبق له مثيل .

لقد اختفى الفقر الجماعى ، ووصلت الاسرة العادية الى مستوى الميسرة . وأصبحت الحكمة الاقتصادية التقليدية القائمة على فقر الجماهير ، والصراع الناتج عنها بين الطبقات ، قديمة ولا تتماشى مع الواقع . ولكن المجتمع الموتر ينطوى على مشاكل تحدياته الخاصة . فانه يتعين عليه كى يظل محتفظا بدوره القيادى فى العالم ، أن يحرر نفسه من قيود التحيز والتقاليد وينطلق الى آفاق جديدة . ويقبع الخطر فى الاهتمام الزائد بانتاج وتوزيع السلع الاستهلاكية حتى حينما يكون الطلب على مثل هذه السلع قد تم اشباعه تماما تقريبا . وفى

الاسبوع الذى أطلق فيه الروس أول قمر صناعى من الارض . أنتج
الامريكيون مجموعة رائعة من موديلات السيارات . من بينها السيارة
ادريل الجديدة التى تنفرد بأناقته . ويقول بروفيسور جالبريث : « اننا
لم ندرك بعد أن الأسباب (أى أسباب تخلف الولايات المتحدة) كانت
أكثر عمقا ، وأن اقتصادنا ، والنظرية الاقتصادية التى تفسر سلوكه
وتجعله منطقيا - لا يتضمنان الا اجراء صغيراً من الانتاج الخاص ، والذى
يعتبر من وجهة نظر الامن القومى ، انتاجاً ثانوياً . ولم نر بعد أن
المشكلة أكثر من مشكلة زيادة الميزانية - وانما هى مشكلة مواقفنا من
أهداف المجتمع نفسه :

فالمجتمع انذى يضع هدفه الاسمى فى انتاج السلع الاستهلاكية
الخاصة ، سيظل يعكس مثل هذه الاتجاهات على جميع قراراته العامة،
وسوف يجعل اتخاذ قراراته العامة فى ايدى رجال يعتبرون أى هدف
آخر ، أمراً غير معقول أو متطرف . ومازال علينا أن نرى أنه ليس الموارد
الاجمالية وانما استقلالها الثابت والمعقول هو مفتاح النجاح » (١)

ويريد رجال مثل بروفيسور جالبريث من الولايات المتحدة أن تركز
اهتمامها على تنمية الموارد البشرية عن طريق انفاق أموال أكثر على
التعليم والخدمات الاجتماعية ، على الابحاث العلمية والتكنولوجية ،
وعلى التنمية الاقتصادية للمناطق المتخلفة من العالم .

وهم يحثون الزعماء الامريكيين على انتزاع أنفسهم من الطرق
البالية للتفكير التقليدى ، سواء كان ذلك فى ميدان المنافسة العسكرية او
الاقتصادية مع الكتلة السوفيتية . واذا استطاعت هذه الموجة الحرة
فى أمريكا أن تؤثر على حكم هؤلاء الذين يتحكمون فى سياسة الولايات
المتحدة ، فان النتائج ستكون مفيدة لأفريقية وآسيا (٢) .

(١) « المجتمع المور » بقلم جون كنيث جالبريث - لندن - ص ٧٢٤ .

(٢) بدأ المسئولون يدركون القصور الاساسى لبرامج المعونة الخارجية الامريكية
خلال السنوات الاخيرة من حكم ايزنهاور ، غير أن هذا الادراك لم يظهر قبل أن يتبدد
الرضا الامريكى الساذج على يد المنافسة السوفيتية ، فحتى يناير عام ١٩٥٨ كانت المعونة
الامريكية الى الهند تبلغ فى جملتها أقل بقليل من المساعدات التى تقدم للباكستان ، ولم
تكن تزيد بكثير عما كانت تمد به فرموزا . والبلغ الوحيد الكبير ، وهو ١٩٠ مليون دولار
قدم لها عام ١٩٥١ لشراء قمح .

وقد كتبت صحيفة « ذاوول ستريت جورنال » تقول فى عددها الصادر فى ٥ من
يونية عام ١٩٥٩ : « لقد اختفت المعونات الامريكية فى اقتصاد الهند الذى هو فى أمس
الحاجة الى رأس المال ، مثلما تختفى الاحجار التى تقذف الى البحر . وهذه المعونة
الامريكية التى تنتشر بضالة على مايزيد على مائة مشروع : ٧٥٠ مليون دولار للاسمنت،
٢٤٠ مليون دولار لرافعات الجيوب و ٣ ملايين دولار للموانى الحديثة و ٢٣ من
مليون الدولار لجهاز الاستشارة الادارية . هذه الخدمات الامريكية لا يكاد يراها
المسافر فى هذه الارض التى حطمها الفقر » .

وقد أدى تحرير ملايين من الجياع في افريقية وآسيا الى حدوث تغيير بارز في النظرة الدولية : ففي جميع مراحل التاريخ كان البشر كلهم تقريباً يعانون من الفقر المدقع ، فقد كانت القلة الغنية تقوم باستغلالهم ، وكان الفاصل بين الطبقتين هائلاً . وفجأة صاحبت انطلاقة آسيا وافريقية السياسية في اقرن العشرين أفكار «عن مجتمع الرفاهية ، وعن الديمقراطية الاقتصادية والسياسية» . . وأصبح هناك في كل بلد آسيوى - افريقى طلب واضح على لقمة العيش ، ومزيد من الفرص للنمو ، والمطالبة بمجتمع يؤمن بالمساواة ، وقذف بجميع النظريات الاقتصادية التقليدية ، التي تبدأ من آدم سميث الى ريكاردو ، وتشمل اليأس الكبير الذى أطلقه توماس روبرت مالتس ، الى الرياح من جانب هذه الموجة الهائلة المعبرة عن الرغبة الانسانية في النمو والتطور .

وفي الوقت نفسه أدى هذا الى فرض ضغط كبير على المنظمات السياسية التى صيغت حديثاً في آسيا وافريقية ، كان على حكومات هذه الاقطار أن تحقق - في فترة وجيزة من الزمن - ما حققته الدول الأوروبية في قرون . وكما أن كل حكومة من حكومات آسيا وافريقية تحاول عن وعى أن تحقق قدر المستطاع المضمون الاقتصادى للحرية السياسية ، فان الأنظمة السياسية القائمة على «فهوم الديمقراطية النيابية اتجهت نحو الانفجار تحت ضغط الصيحات المطالبة بتحقيق التنمية ، وظهرت نظم حكم استبدادية ذات أشكال متعددة في عديد من البلاد الافرو-آسيوية . وقد دفعت هذه الظاهرة البارزة الملايين من الشعب الى المطالبة بامتيازات النمو في الغرب ، وخاصة في الولايات المتحدة ، ودفعت بعض المثقفين والسياسيين الى حالة من اليأس .

== وفي هذا العام نفسه قال مستر هوارد . أ. هوستون مدير التعاون الدولى في الهند وهو يعقد مقارنة بين المعونة السوفيتية والأمريكية فيقول : « على العكس من المعونة الأمريكية التى تفقد شخصيتها بمجرد أن تلمس الاقتصاد الهندى » نجد أن السوفيت يستطيعون أن يسيروا الى المشروعات التى قام بإنشائها الروس كلية مثل مصنع للصلب ومصنع للنظارات الطبية .

ويرجع الفضل الى المهندسين السوفيت في معظم عمليات التنقيب عن حقول البترول الجديدة في الهند .

كما عقد هوستون مقارنة بين هيئة الموظفين الأمريكين والسوفيت الذين يديرون المعونة عبر البحار وقال : انه كان هناك نحو ٣٠٠ مستشار من الكتلة الشيوعية في الهند وجميعهم - باستثناء ما لا يزيد عن ستة أشخاص منهم - فنيون أو مهندسون أما هيئة التعاون الدولى الأمريكية وحدها فلديها هيئة موظفين يبلغ عددها ٢١٧ ، نصفهم في الميدان يقدمون النصائح الفنية ، والنصف الآخر مشدود الى المكاتب يدبر البرامج .

وقد ناقش الكتاب التغيرات التى أدخلتها حكومة الرئيس كيندى الديمقراطية ، على برامج المعونة الخارجية ، بشيء من التفصيل في الفصل الاخير .

والسؤال المتداول هو : هل في الارض من الموارد ما يكفى مواجهة المطالب المتزايدة لجنس بشرى جائع آخذ في التكاثر بسرعة مخيفة ، بل لقد اقنع البعض أنفسهم بأنه قد يكون من الضروري قيام حرب نووية تمحو من الوجود جزءا كبيرا من الجنس البشرى !

وان أساليب اليأس الفكرى هذه لا يمكن الا أن تثير حمق شعوب افريقية وآسيا ، ذلك أن هذه الشعوب تتجه الى اكتشاف أنانية فجأة في هذا الموقف ، ورفض كامل للتجاوب مع اليقظة الجديدة التى تجتاح معظم أجزاء الارض ، وقد ظلت بلاد أوروبا والولايات المتحدة ، عدة قرون ، قادرة على المحافظة على مستوى عال من المدنية عن طريق الاستيلاء على الموارد الطبيعية واليد البشرية الرخيصة في افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية . والآن انتهى هذا العهد ، واستيقظت الجماهير التى ظلت موطئا للأقدام فترة طويلة ، وطالبت بحريتها السياسية وتحررها الاقتصادى . وبدأ الغرب يفقد الأمل في مستقبل الجنس البشرى ! . والواقع أنه فقد الأمل في مركزه المرموق الذى ظل يتمتع به قرونا طويلة .

وهناك رفض قاطع في افريقية وآسيا للنظر الى المستقبل نظرة كئيبة أكثر من اللازم . وأصبح العالم من جديد على أبواب ثورة علمية وتكنولوجية هائلة ، وذلك لان الطاقة النووية المستخدمة في أغراض الإنتاج ، قادرة على أحداث انقلاب صناعى شبيه في جبروته بالانقلاب الذى حققه البخار والكهرباء في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وعلى أية حال لم يتم استغلال سوى جزء واحد من موارد الارض من أجل خدمة الجنس البشرى . ومازال لدى الكون - الملىء بالطاقة ، والقوة ، والطبيعة - ثروة ضخمة يمنحها للانسان .

وتستطيع المواد المستخدمة الآن للمحافظة على التقدم العسكرى للبلدان كل على حدة أو لمجموعة من البلدان ، اذا ما تم تحويلها الى أغراض انتاجية أن تضاعف من تنمية الارض وتجلب السعادة الى قلوب الملايين التى لا تحصى في افريقية وآسيا . وسوف تستغرق التفجيرات التى طرأت على القارات ، التى كانت مستعبدة من قبل وقتا طويلا قبل أن تقسدها عقول البشر . ان هناك ، بالفعل ، ثورة جديدة تعمل بأساليب شتى ، وبالرغم من أن الدول سوف تقاومها مثلما فعلت في الماضى دائما نرى أن أحدا لن يستطيع أن يمنع احرازها النصر النهائى .

الفصل السادس

تطور السياسة الأمريكية في آسيا

أدخلت الحرب الباردة بلاد آسيا وأفريقية، في نطاق المنافسة القائمة بين الدول الكبرى من أجل السيطرة على موارد العالم وعقول الناس، وتختلف هذه المنافسة في طابعها عن الصراع من أجل القوى في الماضي، وذلك لأن المنافسة ليست بين دولتين قويتين فحسب، بل أيضا بين نظامين راسخين إذ تنافح الكتلة السوفيتية عن عالم شيوعي، وتؤمن بأن الرأسمالية قد وصلت إلى آخر مرحلة من مراحل وجودها . أما الولايات المتحدة فتعتقد صواب النظام الرأسمالي، مع وجود أو عدم وجود نظم ديمقراطية، فهي في الداخل تلتزم النمط الديمقراطي الخاص بها، وفي أوروبا تتحالف مع بريطانيا الديمقراطية والدول الاسكندنافية الاشتراكية، واسبانيا والبرتغال الفاشيتين، وتساند في أمريكا اللاتينية وأفريقية وآسيا نظما من الحكومات بعيدة كل البعد عن الديمقراطية .

وفي مقابل ذلك نجد أن الكتلة السوفيتية بنيان واحد متماسك، ورغم أن كل دولة تتمتع بمعيارها الخاص في البناء الاشتراكي، وتسير في مرحلة الانتقال الخاصة بها، متجهة إلى الاقتصاد الشيوعي . وفي الخارج تؤمن بتصفية الاستعمار الأوروبي . وصياستها المعادية للاستعمار هي الوسيلة الرئيسية التي تلقن بها بلاد آسيا وأفريقية، وأمريكا اللاتينية. والاتحاد السوفيتي مستعد، في الوقت نفسه لتقديم المعونات الاقتصادية للبلاد الحديثة الاستقلال على شرط أن تظل بعيدة عن تكتلات الدول الكبرى، غير أن الهدف النهائي للسوفيت هو إضعاف النظام الرأسمالي، وأن يبعد عن الكتلة الرأسمالية أكبر عدد ممكن من الاقطار الحديثة .

ولم تدخل الولايات المتحدة معترك الشئون العالمية إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وقد دخلت إلى هذا الميدان لان زعامة العالم قد أقيمت على عاتقها تقريبا . وقد دخلت هذا الميدان على غير استعداد، وبدون المام كاف أو علاقات ملائمة مع المناطق التي تورطت في شئونها تورطا لا مخرج منه .

ويبدأ تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية الحديث في عام ١٨٩٨ ، حينما تخلت الولايات المتحدة عن فلسفة العزلة ، وذلك عن تعهدها بالتزامات استعمارية خارج العالم الجديد ، وكان ذلك واضحا في استيلاء أمريكا على جزر الفلبين . « وكان هذا الاشتغال في الاستعمار فيما وراء البحار مفاجئا ، ولم يتم التفكير فيه من قبل . ولم يكن لدينا الا القليل من الاستعداد له ، حتى أن تفكيرنا لم يستطع أن يتأقلم مع الوضع الجديد ، ولم نستطع أن نفهم ماذا يعنى ذلك بالنسبة لعزلتنا ، ومن ثم لمبدئنا الخاص بالانعزال . وبالرغم من أنه مضى على ضياع عزلتنا نصف قرن تقريبا فإننا ظللنا نتمسك بسياستنا الانعزالية » (١) .

وهكذا نجد أنه بالرغم من أن الولايات المتحدة بدأت تتعامل مع آسيا كدولة استعمارية منذ مطلع القرن ، فإن العقلية الأمريكية ظلت بعيدة تقريبا عن العالم خارج نصف الكرة الغربى . وقد استمرت هذه العزلة الفكرية ، بالرغم من أن الاقتصاد الأمريكى فى السنوات التى بين الحربين قد انتشر بالفعل فى جميع أنحاء العالم ، وأصبحت الولايات المتحدة المصنع الذى يستمد منه العالم حاجاته ، وكانت عزلة أمريكا الفكرية أمرا شاذا قضت عليه تماما الحرب العالمية الثانية . ففي عام ١٩٤٥ كانت الولايات المتحدة الدولة « رقم واحد » فى المجال الاقتصادى والسياسى والعسكرى ، ولم يعد بمقدورها أن تبدى عدم اكتراثها بأى جزء من كوكبنا .

وقد بدأت الحرب الباردة كما ذكرنا من قبل بسبب أوروبا واستلزمت بعض الوقت حتى زحفت الى آسيا ، وحينما تم تأسيس الأمم المتحدة فى سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ ، كان المجتمع الدولى يتكون من خمسين دولة ، كان ما لا يزيد عن عشر دول منها ينتمى الى آسيا وأفريقية ، ولذلك لم يكن من الضرورى للولايات المتحدة أن تفكر كثيرا فى آسيا وأفريقية ، وهى ترسم سياستها الخارجية التى أعقبت فترة الحرب مباشرة . وفى عام ١٩٤٧ أقدم الاستعمار الأوروبى على حركة انسحاب جماعية من آسيا ، وأصبحت مجموعة من البلاد ، بزعامة الهند ، دولا مستقلة ، وكانت الولايات المتحدة قد منحت الفلبين استقلالها قبل ذلك بعام ، ولكنها احتفظت بفضل معاهدة متبادلة ، بسيطرة عسكرية واقتصادية كبيرة على هذه البلاد ، وكانت سياسة أمريكا الآسيوية ، خلال عهد ترومان ، سياسة سليمة فى معظمها أملت التطورات المزعجة التى كانت تجرى فى الصين .

ولم تركز الحكومة الأمريكية جهودها على رسم سياسة آسيوية وطيدة الأركان ، الا بعد أن تولت الحكومة الجمهورية مقاليد الحكم عام

(١) « السياسة الخارجية الأمريكية » بقلم لويس ج . هول لندن عام ١٩٦٠

١٩٥٣ ، ولذلك فإن هذه السياسة الى حد كبير من خلق مستر جون فومستر دالاس الراحل .

ومنذ وفاته في مارس عام ١٩٥٩ ، حدث فراغ في بادئ الامر أعقبته تطورات جديدة في موقف أمريكا من المشاكل الآسيوية . وقد ظل مستر دالاس طوال تسيره لدفة الشؤون الخارجية ، هو الصانع الحقيقي لسياسة أمريكا الخارجية ، وكان يتمتع بثقة الرئيس أيزنهاور الكاملة ، ولم يتدخل الرئيس أيزنهاور في تسيره للشؤون الدبلوماسية الا مرتين أو ثلاثا حينما كان العالم على حافة الحرب . وبعد وفاة دالاس ، بدأ الرئيس الأمريكي بالتدريج يهيمن على اتجاه المسائل الدبلوماسية .

وخلال المدة القصيرة التي تولى فيها مستر أيزنهاور ، شخصيا ، دفة السياسة الأمريكية الخارجية ، كان هناك تقدير أكبر لدول عدم الانحياز الآسيوية في وزارة الخارجية ، وقد بات هذا واضحا بعد زيارة الرئيس أيزنهاور للهند ، والتي استغرقت خمسة أيام في ديسمبر عام ١٩٥٩ ، ثم حدث خلال أزمة الكونغو عام ١٩٦٠ أن تقدم الرئيس الأمريكي خطوة الى الامام واقترح على الجمعية العامة للأمم المتحدة تحييد القارة الأفريقية وإبعادها عن المنافسة بين الدول الكبرى ، وهكذا حدث خلال الأعوام السبعة التي مضت على الحكومة الجمهورية وهي في الحكم أن قطعت السياسة الأمريكية تجاه آسيا وأفريقية شوطا كبيرا ، فبعد أن كانت تحاول الزج بالبلدان الآسيوية - الأفريقية داخل إطار النفوذ الأمريكي اعترفت بجدوى وجودها كقنطرة بين الكتلتين الكبيرتين .

وحينما تولى الرئيس أيزنهاور الحكم ، كانت سياسة الولايات المتحدة الآسيوية في حالة من الكرب والاكتئاب ، وكان مذهب الاحراز الفتى قد استنفد مدته بعد فترة طويلة مثيرة في عهد روزفلت . وقد رأى الناس آخر آثارها في معالجة الولايات المتحدة للمشكلة الاندونيسية بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة حينما تدخلت واشنطن الى حد كبير لمصلحة الحرية الآسيوية ضد مجموعة من المصالح الاستعمارية الخاصة بالولايات المتحدة وهولندا ، ولكن سرعان ما نشبت الحرب الباردة في أوروبا ، وكان يتعين على الولايات المتحدة أن تفوز بتعاون دول غربي أوروبا الاستعمارية في محاولتها ، التي أعيد تنظيمها في عجلة للحد من زحف الشيوعية . ولكي تهدئ أمريكا من ثائرة الدول الأوروبية ، شرعت تخفف من حدة اتجاهها المعادي للاستعمار . ودفعت أمريكا ثمن تعاون أوروبا معها ، حين ضخت بالنيات الطيبة للملايين المتعطشة الى الحرية في آسيا .

ثم جاءت الحوادث الدامية التي جرت في الصين ، وكان انتصار الشيوعيين الصينيين هزيمة لكل ما كانت تدافع عنه أمريكا في آسيا بعد الحرب . كان روزفلت قد رسم سياسة آسيوية ، خلال الحرب ، تعتمد

على اقامة صرح دولة صينية ديمقراطية مستقلة تتحالف مع أمريكا وبريطانيا كأول دولة آسيوية من الدول الكبرى معترف بها . وقد استخدم من أجل تحقيق هذه الغاية ، الدبلوماسية الأمريكية والسلاح الأمريكي والاموال الأمريكية ، بل انه حاول الجمع بين الشيوعيين والكيومينتانج معا ، وأعطى الجمهور الأمريكي - خلال سنواته الاخيرة - صورة عن الشيوعيين الصينيين ، جعلتهم يبدوون كرجال مهذبين مظلومين ذوي نيات حسنة .

وحيثما تهاوى نظام الكيومينتانج مثل بيت من الورق ، وتولى الشيوعيون التحكم في مصير أكثر دولة في العالم اكتظاظا بالسكان (ربع الجنس البشرى) ، وجد الأمريكيون أنفسهم مهزومين بطريقة تدعو الى الانزعاج في الصراع من أجل القوة ، وانتشرت الشيوعية في كتلة الارض الأوراسية ، وباتت الولايات المتحدة مهددة من جانب دولة باسفيكية من الدول الكبرى ذات امكانيات ضخمة ، وكانت اليابان قد تدهورت الى مستوى حليف غير عسكري ، ولم تكن أمريكا مستعدة لهذا التحول المحزن في الاحداث ، وأصابها الفزع والغضب ، وكانت النتيجة ظهور عهد مكارثي الذي كان يجري وراء الاوهام ، وكلف ذلك الولايات المتحدة جزءا كبيرا من تقاليدها المتحررة ، وشيئا فشيئا زحف تغير آخر على العقلية الأمريكية الحاكمة ، ولم يلحظ الشعب الأمريكي هذا التغير تقريبا ، فقد أصبحت الولايات المتحدة نفسها دولة استعمارية ، فقد كانت اليابان تحت أقدامها ، وكانت هناك مجموعة جزر واسعة بعيدة ومتشابهة في الباسفيك تخضع للوصاية ، وبدأت أمريكا ، بلا وعى تقريبا ، تتكلم بأسلوب يمكن فهمه بسهولة في غواصم البلاد الاستعمارية الأوروبية أكثر مما يمكن فهمه في حكومات دول آسيا الحديثة الاستقلال .

وحمل عام ١٩٥٣ معه فصولا جديدة في حياة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . ففي ١٠ من يناير أصبح أيزنهاور أول رئيس جمهوري منذ عام ١٩٢٩ ، وتوفي مارشال ستالين في ٥ من مارس ، بعد فترة حكم فردى تقريبا دامت عشرين عاما . وهكذا تولى رجال جيل جيل المعاصمين ، زمام مصائر بلادهما التي يرتبط بها مصير البشرية كلها . لقد فاز أيزنهاور في انتخابات الرئاسة بانتصار مزعزع ، نتيجة وعد مسرحي قدمه في آخر دقيقة بوضع حد للحرب في كوريا ، وعند نهاية عام ١٩٥٢ ، أي في الوقت الذي قدم فيه أيزنهاور وعده ، أعلن ستالين ، في اجابة له على أسئلة صحفي أمريكي ، أنه مستعد للتعاون في أي اتجاه دبلوماسي جديد يوضع لانهاء الحرب في كوريا .

وبدأت الحكومة الأمريكية الجديدة في الولايات المتحدة باتخاذ - او محاولة اتخاذ - وجهة نظر جديدة نحو التطورات الآسيوية . وكان أول

عمل هام قام به ايزنهاور كرئيس للولايات المتحدة هو زيارة جبهة القتال في كوريا . وكان اول عمل رئيسي قام به دالاس ، كوزير للخارجية ، هو القيام بجولة واسعة النطاق في البلاد الآسيوية - الافريقية ، وكان اول وزير خارجية أمريكي يقوم بمثل هذه الرحلة .

وقد وصفت الحرب الكورية بأنها أكثر حروب التاريخ الحديث عقما ، واستمرت لثلاث سنوات واثنين وثلثين يوما ، واستمرت المفاوضات من أجل انتهاء هذه الحرب ما يزيد على عامين وكانت الخسائر ٣٠٠.٠٠٠ جندي من كوريا الجنوبية ، ١٥٠.٠٠٠ من جنود الامم المتحدة ، وبين مليون ومليون ونصف المليون من كوريا الشمالية والصين . وفقدت ارواح مليون شخص آخرين في كوريا الجنوبية ، وثلاثة ملايين في كوريا الشمالية ، وأصبح مليون ونصف المليون في كوريا الجنوبية من اللاجئين ، وخمسة ملايين من المدمين ، وكل ما استطاعت أن تحصل عليه كوريا الجنوبية هو ألف وخمسمائة ميل مربع من الارض وقد قدرت الخسائر المالية التي فقدتها الولايات المتحدة بحوالي ١٨ بليون دولار ، غير مرتبات الخدمة . وظلت الخسائر الصينية غير معروفة ، غير أنها لا بد أن تكون باهظة .

بيد أن ذلك ليس هو قائمة الحساب الوحيدة ، فان الحرب الكورية أدخلت الحرب الباردة الى الشرق الاقصى (شرقى آسيا) كما أنها جعلت من الصين والولايات المتحدة عدوين لا مجال للتفاهم بينهما . وقد تدخلت حكومة ترومان في كوريا دون أن تحصل على اذن سابق بالانتداب من مجلس الامن ، ولم يأمر الرئيس ترومان القوات الامريكية بالدفاع عن كوريا فحسب ، بل انه أصدر أوامره الى الاسطول السابع بتجهيد فورموزا - وقد منح مجلس الامن حق الانتداب بعد ثمان وأربعين ساعة من اقدام أمريكا على التدابير العسكرية ، وأصبحت الحرب ، حرب الامم المتحدة (اول وآخر حرب حتى تأليف هذا الكتاب) لا لشيء الا لان الاتحاد السوفيتي كان يقاطع المجلس بسبب بعض القضايا الاخرى . وأصبحت كوريا هي الحائط الصيني بين الصين والامم المتحدة .

وجاءت سياسة عدم الانحياز كقوة سياسية دبلوماسية ، وليدة للحرب الكورية . فانه حتى بمجرد أن اجتمع مجلس الامن بعد يومين من اندلاع العدوان ، اقترحت يوغوسلافيا العمل على الوصول الى تسوية عن طريق المفاوضات غير أنها لم تنجح في مسعاها . فقد تمت الموافقة على المشروع الذي تبنته أمريكا بأغلبية سبعة أصوات ضد صوت واحد ، وامتنعت الهند ومصر عن التصويت . وكانت يوغوسلافيا هي الدولة المعارضة الوحيدة أما الاتحاد السوفيتي فكان غائبا عن الجلسة . وفي

النهاية أعلنت ثلاث وخمسون دولة من الدول الاعضاء ، من بينها الهند
من تأييدها لقرار الولايات المتحدة ، غير أن ما لا يزيد عن ست عشرة دولة
فقط هي التي قدمت مساندة عسكرية .

وكانت كوريا هي التي جسدت ببيان جهود الدول الآسيوية
الافريقية المتناسقة من أجل إقامة جسر بين الكتلتين . فبمجرد أن بدأت
الجمعية العامة دورتها في نيويورك ، كافحت مجموعة الدول الآسيوية
الافريقية من أجل الوصول الى وقف إطلاق النار وحينما صوتت الجمعية
العامة في الاول من فبراير عام ١٩٥١ على اقتراح يقضى بادانة الصين
كدولة معتدية في كوريا ، صوّتت الهند وبورما ضد المشروع على حين
امتنعت بقية أعضاء المجموعة الآسيوية الافريقية ، بالإضافة الى السويد،
عن التصويت . وقد أدت الدول غير الملتزمة دورا بارزا في محادثات
الهدنة التي بدأت في ٢١ من يولييه عام ١٩٥١ ، حتى توقيع اتفاقية وقف
إطلاق النار ، واتفاقية الهدنة ، بعد ذلك بسنتين تماما في ٢٧ من يولية
عام ١٩٥٣ (في أول عام لرياسة أيزنهاور) . وفي أثناء هذه المدة ، حاولت
الدول غير المنحازة أن تجعل الحرب محصورة في نطاق خط عرض ٣٨ ،
ونجحت في اقناع حكومة الولايات المتحدة بعبور نهر يالو (وعزل ترومان،
من أجل ذلك ، جنرال مكارثر وهو في أوج شعبيته) ، وحثت ، باستمرار،
على تمثيل الصين الشعبية في الأمم المتحدة ، وعارضت تطبيق العقوبات
الاقتصادية والتجارية ضدها .

وقد كان جون فوسنر دالاس مستشارا في وزارة الخارجية ، قبل
اختياره وزيرا لها ، وكان هو الذي وضع خطة معاهدة الامن الأمريكية -
اليابانية . وقد كان متحمرا من الدور الذي أدته دول عدم الانحياز خلال
مناقشة المشكلة الكورية في الأمم المتحدة ، وكان يعتقد أن الحياد ليس
سوى غطاء مزيف يخفي تحته مساعدة الخطط الشيطانية الخاصة
بالشيوعية العالمية . وفشل في اكتشاف أي مضمون ايجابي في سياسة
عدم الانحياز ، وحينما وجد أن الاتحاد السوفيتي والصين قد بدأا
يتنبهان ببطء الى أهمية الحياد في الدبلوماسية العالمية ، أصبح أكثر شكاً .
وان كان دالاس قد غير كثيرا من آرائه المتعلقة بالحياد ، في المرحلة الأخيرة
من حياته فإنه لم يستطع أن يتقبله تماما . وكان مقتنعا ب « انتهازيته
الكامنة » وضع من « وقفة عدم الاكتراث التي تقفها » وقد أعلن دالاس
أبان اشتغاله التام بعملية الصراع مع الشيوعية أن كل من ليس معه فهو
ضده .

وكان دالاس مدركا تماما للمركز الخطر الذي تقف فيه بلاد مثل
اليابان ، والفلبين ، وتايلاند وفورموزا « الصين الوطنية » التي كانت

تعتمد كلية على القوة الامريكية . ولذلك اعتنق فكرة سلبية تماما نحو الحياد ، ورفض بشدة - مما ضايق حتى الحلفاء الاوروبيين لامريكا - دعوة لزيارة الهند لحضور مؤتمر سياسى عن كوريا . وحينما صوتت اللجنة السياسية الاولى التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، فى ٢٧ من أغسطس عام ١٩٥٢ على الدعوة للذهاب الى الهند لحضور المؤتمر السياسى الكورى اتضح أن ٢٧ حكومة قد أبدت المشروع ضد ٢١، وقفت بجانب أمريكا . وامتنعت احدى عشرة دولة عن التصويت . ولم تصوت الهند .

وبلغ مؤيدو هذه الدعوة أربعة من وفود الكومنولث واثنى عشر وفدا آسيويا - افريقيا ، وثلاثة وفود اسكندنافية ، وبلدين من بلدان أمريكا اللاتينية ، بالإضافة الى يوغوسلافيا والحكومات الخمس فى الكتلة السوفيتية . أما المعارضون فهم : الولايات المتحدة والصين الوطنية واليونان وباكستان ، وسبع عشرة دولة من دول أمريكا اللاتينية . وحتى من بين الدول الست عشرة التى أرسلت قواتها الى كوريا ، أبدت الدعوة خمس دول ، وعارضتها ثلاث ، وامتنعت ثمانى دول عن التصويت .

وكانت هذه هى احدى الهزائم الكبرى التى منى بها دالاس فى اثناء مدة قيادته لدفة السياسة الامريكية ، التى استمرت خمس سنوات .

ولم يكن دالاس رجلا محبوبا فى آسيا وافريقية . ولكنه كان وزير خارجية عظيما اذا ما طبقنا عليه بعض المعايير . وكان ايزنهاور يصفه - باستمرار - بأنه « أعظم وزير خارجية منذ جيفرسون » . وقد استطاع دالاس أن ينقل الدبلوماسية الامريكية من الفوضى التى عمتها فى آخر مراحل العهد الديمقراطى ، بيد أنه لم يتعد كثيرا عن البنيان الاساسى الخاص بالسياسة الخارجية الثنائية الاتجاه ، وهى السياسة التى وضع ترومان أسسها . وخلال توليه منصب وزير الخارجية لم يظهر أكثر من الولاء الظاهرى للجوانب العدوانية لسياسة الحزب الجمهورى الخارجية . وكان يهدد ، ولكنه كان يتمكن دائما من الوقوف عند حافة الهاوية . وكان قادرا على التلاعب بالحرب حتى فى العصر النووى ، ذلك أنه كان يتمتع بثقة هائلة بالنفس وتفهم عميق لطابع القوة التى يعارضها .

غير أن دالاس لم ينجح تماما فى الحد من زحف الشيوعية ، ففى اثناء زعامته للدبلوماسية الغربية ، أصبحت فيتنام الشمالية دولة شيوعية ، وبسط الاتحاد السوفيتى نفوذه فى الشرق الاوسط ، بيد أن دالاس استطاع أن يظهر الغرب بمظهر القوى ، ولا شك أن هذا المظهر أدى دوره كقوة رادعة . وكان فى الشهور الاخيرة من عمره أخذا فى الارتفاع الى مكانه السياسى المحنك حقا ، فقد كان يعمل على الوصول الى معاهدة

كبيرة للتعايش في سلام مع الاتحاد السوفيتي ، وكان يتلاعب بفكرة نظام دولي حقيقي .

ولم يكن دالاس عاجزا عن التعاطف مع شعوب آسيا وأفريقية التي تكافح من أجل الفوز ، أو المحافظة على استقلالها . فبعد جولاته الأولى في آسيا وأفريقية ، أعلن للأمم الأمريكية أن الولايات المتحدة ليست بحاجة ، فيما يتعلق بسياساتها الأفريقية الآسيوية إلى مساندة أو الظهور بمظهر من يساند المدرسة القديمة للاستعمار في البتلاد الأوروبية . واعترف بأن البلدان البعيدة حتى حدود الاتحاد السوفيتي لا تشارك أمريكا في رغبتها الملحة في تطوير الشيوعية قبل أي شيء آخر ، ذلك أن هذه البلدان كانت تعتبر الاستعمار الأوروبي عدوا أكثر واقعية وأكثر قربا . وبدلا من أن يرمى دالاس شبابه على نطاق واسع ، حاول إقامة كتل الدفاع والتحالف مع الدول التي كانت ، لسبب ما ، مستعدة للدخول في أحلاف عسكرية ، وأحلاف مساندة ودفاع مع أمريكا . وكانت النتيجة قيام سلسلة أحلاف في الباسفيكي وجنوب شرقي آسيا وتبلور هذا في حلف جنوب شرقي آسيا ، وحلف بغداد الذي سعى دالاس إلى تنظيمه عن طريق استخدام الحكومة البريطانية أداة في هذا الحلف ، ومن بين الأسباب التي دفعته إلى ذلك حرص بريطانيا على صيانة سلطاتها في منطقة الشرق الأوسط ، ومن بين الأسباب أيضا أن وزارة الخارجية الأمريكية لم تكن مستعدة بعد للظهور على المسرح في الشرق الأوسط كدولة لها الغلبة .

غير أن تعاطف دالاس مع مطامح دول آسيا وأفريقية المستعمرة والحديثة الاستقلال ، كان مشروطا بشروط ، فقد كان همه الأول منحصر في الصراع العالمي مع الشيوعية . وحينما تكون المسألة «الكبرى» في خطر، كان مستعدا للوصول إلى تفاهم حول المشاكل «الصغرى» . وقد جعل دالاس الولايات المتحدة بالنسبة لمشكلة الهند الصينية ، على حافة التدخل العسكري الضخم ، وبينما كانت أمريكا تدفع فاتورة الحساب بالفعل لفرنسا ، وكانت الحرب في الهند الصينية حربا أمريكية تقريبا ، كان رئيس وزراء فرنسي ، وهو منديس فرانس ، يتحدى زعامة دالاس ويتوصل إلى اتفاقية لوقف إطلاق النار وتحقيق تسوية سياسية . ولم يكتف دالاس بالوقوف في جديّة صارمة ضد تسليم فيتنام الشمالية للشيوعيين ، وإنما كان يعارض أيضا فكرة تحييد لاوس وكمبوديا بأكملهما ، ولم يوافق تماما على الفقرة التي تضمنتها اتفاقيات جنيف عام ١٩٥٤ بصدد الهند الصينية ، والتي رفض أن يوقع عليها ، ولم يتقبلها على الإطلاق .

وبمجرد أن قرر دالاس ادخال البرتغال في منظمة حلف شمال
الاطلنطي ظهر ، جهارا ، بمظهر المؤيد لموقف البرتغاليين في جوا . وقد
منح الباكستان معونة عسكرية ووقع على حلف عسكري مع هذه البلاد .
وهو يعلم تمام العلم أن ذلك سوف يفضب شعب الهند وحكومة الهند
ويستعديهما عليه ، بل انه خطا خطوة أخرى وظهر بمظهر من يتعاطف مع
باكستان التي تطالب بحقها في كشمير . وفي ايران رحب دالاس ، وساند ،
الانقلاب العسكري المؤيد للشاة ، والذي قام به جنرال فضل الله زاهدي ،
ومنح العهد الجديد بركات الولايات المتحدة في شكل معونة اقتصادية
وعسكرية ، وفي العراق وقف بجانب نوري السعيد ، وفي فيتنام الجنوبية
بجانب الرئيس ديم .

وهكذا نجد أنه اختار لصداقة الولايات المتحدة ومساندتها مجموعة
من الزعماء الآسيويين لا يتمتعون بأي جذور من الود الصريح عند
الجماهير . أما بالنسبة للزعماء الشعبيين والعهود الشعبية في بورما ،
واندونيسيا ، وسيلان ، والهند ، ومصر ، وسورية ، وفي غيرها ، فقد
عاداها عن قصد بسبب اعتناقها مبدأ عدم الانحياز .

وكان هناك ، في هذا الاتجاه العادل في الظاهر نحو العالم المقسم من
جاء الحرب الباردة ، عنصر من عناصر الانتهازية ، لا شك أن دالاس
أطلق عليه اسما آخر .

وقد تغير الاتجاه لا بسبب القوة الكامنة في القضية وانما لان القضية
بدت مختلفة النظر اليها من خلال الصراع العالمي بين النظامين الكبيرين .
وهكذا اتخذت أمريكا موقفا غامضا من مسألة استقلال المغرب وتونس
حينما عرضت المسألة على مجلس الامن لأول مرة عام ١٩٥٣ . وقد أعلن
هنري بيرود ، مساعد وزير الخارجية ، ما وصف بأنه « أول بيان رئيسي
صدر عن سياسة الولايات المتحدة نحو الاستعمار منذ عدة سنوات » .
أعلن فيه عن « صداقة أمريكا العميقة للشعب الفرنسي » وأشار الى أن
« مصالح أمنها الحيوية تتأثر بقوة الامة الفرنسية » . وفي الوقت نفسه
أبدت أمريكا « حق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها » . وقد اعترف
بأن هذا الامر قد وضع أمريكا في ورطة ، وأخذت تبحث عن سياسة
« بين بين » ، سياسة قد تسمح لنا بأن نحدد موقفنا ازاء المسائل الواقعية
في أثناء ظهورها وبطريقة موضوعية ، ولكن حدث عام ١٩٥٣ أن عجزت
الولايات المتحدة عن تأييد مناقشات الامم المتحدة حول مشكلة الاستقلال
التونسية والمغربية ، وحذت اجراء تسوية ثنائية .

وبعد ذلك بأربع أو خمس سنوات وجه دالاس اهانة عميقة الى

فرنسا بسبب امداده تونس بالاسلحة الصغيرة ، اذن فلم تكن المسألة مسألة الاستقلال التونسي ، انما كانت مسألة المحافظة على شمالى افريقية خارج منطقة النفوذ السوفيتى على المسائل العربية ، وهو النفوذ الذى ظل يمتد .

وكان دالاس يدرك أهمية آسيا وافريقية ، ولكن عطفه على الملايين المكتظة من شعوب القارتين ضاع أمام قلقه على وضغ أمريكا القوية وسط الصراع العنيف من أجل القوة مع الكتلة السوفيتية . وكان يعرف ان الحرب الباردة فى أوروبا قد وصلت الى آخر حدودها على حين تستمر فى آسيا وافريقية لسنوات . وكان يعلم أيضا أن الصراع من أجل القوة ، والحرب من أجل الاستحواذ على « عقول الشعوب أكثر من الاستحواذ على أراضيهم » . أما الصراع من أجل التفوق الاقتصادى فسوف يتحدد فى حقول ومصانع آسيا وافريقيا وليس فى أوروبا .

وبرغم أنه كان من الديمقراطيين ، لم يكن يؤمن كثيرا بنجاح النظام الديمقراطى فى دول القارتين الحديثة الاستقلال . وفى بحثه عن مواطن القوى ، كان يظهر تراخيا غير خاف نحو النظم العسكرية والدكتاتوريات الفردية .

وبينما كانت سياسات دالاس تضادف نجاحا كبيرا فى شرقى آسيا فانها فشلت فى غربى آسيا . فلم تستطع الولايات المتحدة خلال فترة الحرب الباردة كلها ، أن تضع سياسة عربية ايجابية طويلة الاجل . فقد غطى مبدأ ترومان اليونان ، وتركيا ، تاركا البلاد العربية تحت رعاية الدول الاستعمارية القديمة . ولم تعبا حكومة ترومان نفسها كثيرا بالتطورات الجارية فى البلاد العربية ، وكانت ايران هى الدولة الوحيدة فى الشرق الاوسط التى كانت موضع اهتمامها المباشر .

وحينما تولى الرئيس ايزنهاور الحكم ، كانت مصر قد أصبحت فعلا ، جمهورية بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . وانطلقت قوة جديدة من عقائدها لتنتشر فى جميع العالم العربى ، ولكن قليلين هم الذين كانت لديهم فكرة عن مستقبل هذه القوة .

وأبدى دالاس فى اول الامر تعاطفا مع ثورة الجيش فى مصر . ونصح الحكومة البريطانية بالجلء عن قاعدة السويس الحربية وكان من ثم وسيلة لاتمام مصر سيادتها . وساعد على استقلال السودان . وقابل اعتراضات مصر على منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط ضد خطر الشيوعية ، بالتقدير ، ولم يكن فى عجلة لادخالها فى حلف بغداد لفترة مبدئية ، بل انه نصح اسرائيل بتسوية خلافاتها مع البلاد العربية .

وفي عام ١٩٥٥: انضمت الولايات المتحدة الى بريطانيا وفرنسا ليعتلوا ((التصريح الثلاثي)) الذي ينص على أنهم لن يسمحوا بأى تعديل، عن طريق القوة ، للحدود القائمة في العالم العربي . وكان التحذير موجهاً الى اسرائيل وجيرانها .

غير أنه بمجرد أن حصل الرئيس فاصر على صفقة الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا وجدت الولايات المتحدة نفسها في فراغ سياسى . وقام دالاس ، في غيظه ، بسحب المعونة المقدمة من أجل تمويل سد اسسوان العالى ، وكانت طريقة فجأة للضغط على بلد صغير ولكنه يتمتع بالكبرياء . وامم فاصر قناة السويس رداً على ذلك ، واضطرت الولايات المتحدة الى الوقوف بجانب الشركة القديمة ، والمصالح البترولية والدول الاستعمارية . ولكن ذلك كله لم يستطع أن يزعزع من حقيقة التأميم . واستطاعت مصر أن تجمع تأييد العالم غير الملتزم والكتلة الشيوعية أيضاً .

وفجأة وقع العدوان الثلاثى على مصر . وكان ذلك قمة السياسة التى وضعها دالاس في صيف عام ١٩٥٦ بسحب العرض الخاص بتمويل السد العالى ، غير أن الولايات المتحدة اتخذت موقفاً مستقلاً تماماً في عملية غزو السويس . وبالرغم من أن بريطانيا وفرنسا واسرائيل لم توصم بالعدوان (كما وصفت الصين في كوريا) فان أمريكا قد عارضت بشدة اجراءها العسكرى ، وأوقفت الحرب بسرعة عن طريقها الى حد كبير وأرغمت القوات الغازية على الانسحاب في فترة قصيرة .

وقد اخذت السويس وزارة الخارجية الامريكية على غرة . ولم يكن لديها أية سياسة لمواجهة الاندفاع المفاجئ للنفوذ السوفييتى على العالم العربى . وأقام دالاس وهو في عجلة من أمره بناء هشاً سماه مبدأ أيزنهاور . وفشل هذا المبدأ . وتدخلت أمريكا بقواتها في لبنان ، ولكن ثورة العراق جعلت المسألة كلها مضيفة للجهود . فقد كان السد يتقدم في الاتجاه الآخر وترك الغرب في منطقة العالم العربى البالغة الأهمية من الناحية الاستراتيجية دون أية قاعدة سوى اسرائيل . وتخطى السوفييت الحزام الشمالى ، وانتشروا في جميع أنحاء غربى آسيا العربى .

ثم نستطيع الآن أن نلخص جهود جون فوستر دالاس في آسيا ونرى الى أى حد غرض هذا العمل مصالح أمريكا والعالم الحر للخطر في آسيا وأفريقية :

أولاً : حاول دالاس أن يحتفظ بجمهورية الصين الشعبية معزولة عن المجتمع العالمى بأن يبنى حولها سلسلة من الأخلاف العسكرية ، ويسد الطريق أمام دخولها الامم المتحدة ، ويطبق العقوبات التجارية والاقتصادية ضدها .

وكانت سياسته ناجحة فيما يتعلق بهذا المجال وبالرغم من أن حكمتها كانت موضع جدال واسع المدى ، أصبحت الصين المعزولة المتعطشة الى القوة مشكلة العالم الكبرى ، ولم يصبح أمام العالم من وسيلة للتعامل معها غير الحرب .

ثانيا : أدخلت الولايات المتحدة أكبر عدد ممكن من بلدان آسيا في نظام الاحلاف العسكرية ، قاصدة بذلك الحيلولة دون انتشار الشيوعية . وقد نجحت هذه السياسة نجاحا ضئيلا ، وكانت فيتنام الشمالية هي البلد الآسيوى الوحيد الذى أصبح شيوعيا منذ النصر الشيوعى فى الصين .

ثالثا : أوجت الولايات المتحدة بالشعور بأنها تستطيع مساندة القومية الآسيوية ، طالما أن هذا لا يثير عليها حفيظة الاوروبين .

رابعا : أقرت الولايات المتحدة فى أذهان الآسيويين أنها تعضد الحكومات «القوية» المعادية للشيوعية فى البلدان الآسيوية ، حتى لو كان ذلك يعنى قيام دكتاتوريات عسكرية أو حكم فردى من جانب «رجال من حديد» بدلا من النظم الديمقراطية التى يسمح فيها للشيوعيين بالعمل شرعيا وجهارا ، وكان ذلك هو الاتجاه الأمريكى فى بورما ، وأندونيسيا ، وسيلان . . وكانت الهند هي البلد الوحيد الذى لم تطبق فيه أمريكاهذه السياسة .

خامسا : قدمت الولايات المتحدة مساعدات اقتصادية متزايدة دوما ، للبلاد الآسيوية بالرغم من أن معظم المساعدات ذهبت الى الدول المتحالفة مع أمريكا عسكريا .

سادسا : لم تستطع الولايات المتحدة ، فى عهد دالاس ، أن تتقبل سياسة عدم الانحياز كقوة ايجابية ، وتباينت اتجاهاتها نحو الدول غير المنحازة من صداقة الى عقبات مدبرة تحول دون تقدم هذه الدول ، وهكذا لم يوقف دالاس تهريب الاسلحة الامريكية الخاصة الى أندونيسيا خلال الحرب الاهلية التى نشبت عام ١٩٥٨ ، وفى حالة الهند لم يتردد فى تأييد الادعاءات البرتغالية فى جوا .

أما فى افريقية ، فإن دالاس تصرف بطريقة أكثر حذرا ، وذلك لأنه كان يدرك أن لخصمه النهائى هو الاتحاد السوفيتى . وبالنسبة للتفرقة العنصرية فى جنوب افريقية لم يسمح لوفود الولايات المتحدة فى دورات الامم المتحدة بتأييد وجهة النظر الافرو - آسيوية ، وان كانت عواطفه معهم . بيد أنه كان يعلم أن جنوب افريقية البالغ الحيوية للدفاع عن منطقة المحيط الهندى خارج منطقة النفوذ السوفيتى فى افريقية . وقد رضى بأن يترك الامور فى شرقى وأواسط افريقية بين يدي الحكومة البريطانية ، وهو يعلم جيدا أن بريطانيا سوف تدخل بالتدريج اصلاحات

متحررة • وفى غربى افريقية كان يتوق الى اقامة علاقات وثيقة مع غانا
وغينيا ، وكذلك مع نيجيريا التى كان يعقد عليها كثيرا من الآمال • وفى
الشمال كان مدركا للقيمة الاستراتيجية التى تتمتع بها تونس والمغرب ،
وكانت سياسته تتجه نحو توطيد روح الصداقة مع كليهما ، حتى لو
تسبب هذا فى اغضاب فرنسا ، ولم يؤيد جهارا قضية الاستقلال الجزائرية
فى الامم المتحدة ، ولكنه كان يحث فرنسا فى السر على انتهاز سياسة
تحررية •

وقد شرح دالاس بنفسه موقفه من مسألة ترك السدول الحديثه
الاستقلال وحدها ، فى كلمات تعكس السياسة الامريكية تجاه مسألة من
أكثر المسائل الحساسة التى تواجه حكومة الولايات المتحدة ، قال دالاس :
« قد يتحول عهد الاستقلال الجديد الى مجرد فترة انتقالية قصيرة بين
حكم الاستعمار ودكتاتورية الشيوعية الدولية العنيفة ، ولا ينبغى علينا
بسبب هذا الخطر ، أن نبذ ايماننا الاساسى بحق الشعوب وقدرتها على
حكم نفسها بنفسها ، اننا بحاجة الى تأكيد هذا الايمان عاقلين العزم على
مساعدة الامم الحديثة على حل مشاكلها فى ظل الحرية ، وبذلك تحافظ
على استقلالها الذى حصلت عليه أخيرا •

وعندما اكتشف الاطباء أن دالاس مصاب بالسرطان ، كانت المشكلة
الرئيسية التى تواجه الدول الغربية هى التهديد السوفيتى بطردهم من
برلين الغربية • وكان خروشوف قد أعلن عن اقتراحه من أجل حل
مشكلة برلين فى نهاية عام ١٩٥٨ ، وكان دالاس يعد آن ذاك فكرته
الخاصة الرامية الى تخفيف حدة التوتر حينما انتهى الموت حياته الحافلة
بالاحداث • ومنذ وفاته ، والعالم مشغول بالمسألة الرئيسية الخاصة
بتفاهم الدول الكبرى • وقد قام ماكميلان برحلته الى موسكو ، قبل وفاة
دالاس بوقت قصير ، فانتشرت اشاعات بعقد مؤتمر قمة جديد ، وبدأت
تحدث أشياء لم يكن أحد يتوقع حدوثها • وقام رئيس الوزراء السوفيتى
بزيارة صاخبة لا تنسى (لاسباب كثيرة) للولايات المتحدة ، وتردد أن
الرئيس أيزنهاور سيرد المجاملة فى ربيع عام ١٩٦٠ • وتراجعت الحرب
الباردة فجأة ، لفترة قصيرة ، بعيدا عن الخطوط الامامية لميدان الصراع
بين الدول الكبرى (١) •

(١) انهار مؤتمر القمة فى باريس يوم ٨ من مايو عام ١٩٦٠ بسبب حادثة الطائرة
(ى - ٢) ، حتى قبل أن يجتمع رسميا ، ودخلت الحرب الباردة فى الحال مرحلة تحت
الجليدية ، ولكن من الواضح أن الدول الكبرى قد تصادمت خلال عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦١ ،
لا بسبب برلين أو ألمانيا وإنما بسبب لاوس والكونغو وكوبا ، وساد بعض الهدوء فى برلين
الغربية ، بالرغم من أن خروشوف كان قد أخبر وولتر ليبمان ، فى ربيع عام ١٩٦١ أنها
من أكثر المسائل الحرجة التى تسبب الحرب الباردة ، ومن ناحية أخرى اجتاحت آسيا
وافريقية وأمريكا اللاتينية حرب باردة ضروس •

ولكن التوتر زاد فى آسيا ، وكان مركز التوتر الرئيسى هنا هو الصين . . . فقد كان من الواضح أن الصين غير مستعدة لقبول اقتراح بتخفيف حدة التوتر ، ما دام هذا الاقتراح لا يذيب جليد الحرب الباردة . فى منطقة الباسفيكى أيضا ، وتمكنها من الاستيلاء على فورموزا ، والسماح لها بالجلوس على مقعد بالامم المتحدة . . . ولم تكن الولايات المتحدة مستعدة للنزول أمام هذا المطلب ، فكانت أمريكا مستعدة للوصول الى تفاهم مع روسيا ، ولكنها لم تكن على استعداد للتفاهم مع الصين - على الاقل - لفترة من الزمن .

وقام خروشوف بزيارة الصين فى اكتوبر ، بعد عودته مباشرة الى موسكو من زيارته للولايات المتحدة ، وأجرى محادثات لمدة ثلاثة أيام مع ماوتسى تونج وغيره من الزعماء الشيوعيين وبالرغم من أن الصينيين رضوا بزيارته للولايات المتحدة ، كمساهمة منه لتخفيف حدة التوتر فانهم لم يعترفوا بأن الحكومة الامريكية تكن أية نيات سلمية .

وبالمثل اصرت الولايات المتحدة على وصم حكومة الصين الشعبية بالعدوان ، ومعاداة السلام ، ومن ثم فانها لا تستحق عضوية الامم المتحدة . وفى تعلق الولايات المتحدة بسياستها السلبية تماما تجاه الصين ، عزلت نفسها عن الجزء الرئيسى للرأى العام العالمى .

وقد أصبحت هذه العزلة واضحة للغاية حينما ناقشت الجمعية العامة للامم المتحدة فى اكتوبر عام ١٩٦٠ ، مرة أخرى مسألة تمثيل الصين فى الهيئة العالمية . فقد أوصت اللجنة التوجيهية ، كما حدث فى السنوات السابقة ، بحفظ المسألة سنة أخرى .

وجاءت هذه التوصية بناء على أساس اقتراح امريكى ، وحيثما عرض الامر على الجمعية العامة ، تمت الموافقة على اقتراح الولايات المتحدة بأغلبية لاتعدو ثمانية أصوات . فقد صوتت أربع وثلاثون دولة على أنه يتعين مناقشة المسألة بالتفصيل فى الجمعية العامة ، وأيدت اثنتان وأربعون دولة وجهة النظر الامريكية . وقد كانت الدول التى صوتت عام ١٩٥٩ من أجل عرض مسألة تمثيل الصين بالتفصيل على الجمعية العامة ، تسعا وعشرين دولة ، ومن بين الاصوات الخمسة الجديدة التى أضيفت عام ١٩٦٠ أربعة أصوات من افريقية وصوت من أمريكا اللاتينية ، هو كوبا ، وقد امتنعت معظم الدول الافريقية الحديثة الاستقلال عن التصويت ، وقد اتفق المراسلون على أن هذه قد تكون السنة الاخيرة التى تنجح فيها الولايات المتحدة فى منع مناقشة الهيئة العالمية لمسألة تمثيل الصين . وقد خطب مستر نهرو ، بنفسه أمام الجمعية العامة فى ٢٦ من سبتمبر مؤيدا قبول حكومة الصين الشعبية وذكر للمراسلين بأنه يعتقد أن هذا آخر عام تمنع

فيه مناقشة إحدى المسائل في الجمعية . وان الوقت ليس بعيد كي تؤيد
غالبية الوفود قضية تمثيل حكومة الصين الشعبية .

وقد بدا أن الوفود الغربية قد « صدمت » بهذا القدر الضئيل الذي
فازت به الولايات المتحدة في الجمعية العامة عام ١٩٦٠ . وقد نشطت
المناقشة وطالت ، ومن بين أحداثها الطريقة الصدام الذي وقع بين مندوب
الهند كريشنا مينون ، والمندوب الأمريكي جيمس وادزويرث ، وقد
وصفه المراسلون بأنه أسوأ احتكاك هندي - أمريكي في الجمعية العامة خلال
الدورة الحالية .

وقد وقع الصدام - قبل كل شيء - حول تفسير التاريخ الأمريكي ،
فقد كان مستر مينون يحاول أن يدلل بأن تاريخ ودستور الولايات المتحدة
يؤيدان ترشيح العهود الثورية لعضوية الأمم المتحدة . وقال : ان الولايات
المتحدة « لم تكن في أي يوم داعية الى المفهوم الشرعي سواء كان ذلك في
موضوع الامبراطورية النمساوية - المجرية ، أو فردريك برباروسا ، ومن
باب الاحترام لصديقي مستر وادزويرث لن أخوض في نواحي الصراع الاخير
التي تحاول فرض سلطة الحكومة على هذه القارة بأكملها . وسوف أشير
فقط الى عمليات شراء « الإسكا » ، وفلوريدا ، ولوزيانا ، وجزيرة رود ،
حيث لا يستخدم طرف معين القوة ضد طرف آخر ، فاذا كنتم تعارضون
الحكومات الثورية ، فانكم بكل بساطة تحاولون دحض فكرة التقدم كلها ،
لقد آلمني أن أسمع مستر وادزويرث يتحدث ، دون جميع الناس ، يتحدث
عن التراجع عن فكرة السماح بدخول الصين الشعبية (للامم المتحدة)
لأنها جاءت من بلاد صديقة ، ان بلادى صديقة له ولكننا لم نستبعد من
صداقتنا اعتناق الحقائق . اننا لانعتقد ان صداقتنا في حاجة الى النزول
عن مبادئنا ونحن لم نقصد بالصادقة أن تكون وسيلة لعدم الصراحة حين
يحتاج الامر الى صراحة » .

وقد طلب مستر وادزويرث ، في رده ، من مستر كريشنا مينون « أن
يدرس التاريخ الأمريكي بقليل من التوسع » . وطلب مستر مينون ،
يدوره ، من مستر وادزويرث « أن يقرأ اعلان الاستقلال الأمريكي » ويرى
ما قيل عن حق الشعب في قلبه الحكومة التي لا يرضى عنها » (١) .

(١) بعد أن تولى الرئيس كينيدي الحكم في يناير عام ١٩٦١ ، كان هناك أمل في أن
تحقق الولايات المتحدة اراضي جديدة ، وتذيب ثلوج علاقاتها مع الصين وقد تذكر كثير من
الاحرار المبادرة الجريئة التي أقدم عليها فرانكلين روزفلت في أكتوبر عام ١٩٤٢ حينما
دعا الرئيس كالينين الى ارسال مبعوث الى واشنطن لمناقشة طريقة تحسين العلاقات
السوفيتية - الأمريكية ، وقد تحدث مستر كينيدي في مؤتمر صحفي عقد في مارس عام
١٩٦٢ فقال : انه يرغب في أن « يرى تخفيفا في حدة التوتر » ولكنه أسرع يقول « ولكننا
غير مستعدين للاستسلام حتى نحقق تخفيف حدة التوتر » .

وقد كان هذا السجل بين الهند والولايات المتحدة على المنبر الدولي مناسبة تماما لانه يبين كيف تنظر الشعوب المختلفة الى التاريخ من زوايا مختلفة . فبلدان آسيا وافريقية ، التي حصل كثير منها على حريتها بعد صراع طويل مع الدول الاستعمارية تكن عطفا طبيعيا نحو التغيرات الثورية . أما الولايات المتحدة التي اغتصبت استقلالها بعد كفاح دام ، منذ مايزيد عن قرنين من الزمان ، فقد أصبحت ، بمرور الوقت ، هي نفسها دولة استعمارية ، واتخذت موقفا متراجخا تجاه الوضع الراهن . وفي آسيا وافريقية يسود اعتقاد بأن الثورة الامريكية فقدت الكثير من سلطانها في الجيل الامريكي المعاصر . لذلك فان من السخرية الى حد ما ، أن كثيرا من الشعوب في افريقية وآسيا مازالت تشعر ببعض الامتنان نحو الافكار الثورية المتضمنة في « اعلان الاستقلال لامريكا » . ونادرا ماتموت الافكار ، لان انطفاء شعلتها في بلد ما ، يقابله اشتعال جديد في بلد آخر .

وقد قرر المؤرخون الامريكيون انفسهم أن الولايات المتحدة لم تصبح قوة عالمية الا بعد أن باشرت مغامراتها الاستعمارية خارج نصف العالم الغربي . « والمؤرخون متفقون على أن عام ١٨٩٨ — وهو العام الذي وقعت فيه أحداث الحرب الكوبية — الاسبانية — الامريكية — هو العام الذي يحدد ظهور أمريكا كدولة عالمية » (١) .

فقد جعل الصراع بين أمريكا وأسبانيا من الولايات المتحدة قوة استعمارية ، لا في القارة الامريكية فقط ، بل وفي الباسفيكي أيضا غير أنه يتعين علينا أن نلاحظ أن أي ممتلكات استعمارية لامريكا ، في مطلع هذا القرن ، لم تكن تعادل ، في حماسها وفي حدود المنطقة ، ممتلكات الدول الأوروبية الرئيسية فلم تكن الاسكا تضم سوى ٦٠٠ ألف ميل مربع من الاراضي ، فقد بلغت المناطق الاخرى التي حصلت عليها الولايات المتحدة

= وقال دين راسك وزير الخارجية ، مخاطبا مؤتمرا صحفيا ، في الوقت نفسه تقريرا : ان العلاقات الصينية — الامريكية قد دخلت مرحلة من الصعب الخروج منها ، فأمريكا ليست مستعدة لان تهجر شيانج كاي شيك وفورموزا ، كما أن بكين ليست مستعدة لتقبل نظرية شطر الصين الى شطرين ، فقد أوضح الزعماء الصينيون أنهم ليسوا في حالة تسمح لهم بالتفاهم حول مشكلة فورموزا ، ورغم أن شين يي وزير خارجية الصين قد قال في جاكوتا ، في أبريل . ان الحكومة الصينية قد تعتبرها اشارة ودية اذا سحبت الولايات المتحدة اسطولها السابع من مضائق فورموزا .

وفي المؤتمر الذي انعقد بجنيف عام ١٩٥٤ للنظر في مشكلة الهند الصينية التقى دالاس بشواين لاي ، غير أنه لم يكن لقاء محمودا ، وقد تعددت مقابلات راسك وشين يي في جنيف في مايو عام ١٩٦١ ، ولكنهما لم يتقابلا ، على انفراد ، ولو مرة واحدة .

(١) «الولايات المتحدة كدولة مالية — تاريخ دبلوماسي ١٩٠٠ — ١٩٥٥» بقلم صمويل فلاج بيميس الطبعة المنقحة — نيويورك عام ١٩٥٥ ص ٥٠ .

في الباسفيكي ، وفي الكاريبي مالايزيد عن ٤٠٠.٠٠٠ ميل مربع . . « غير
ان الاستيلاء على بعض اجزاء المناطق المستعمرة مهما كانت ضآلتها في
البحر الكاريبي والباسفيكي ، كان العامل الاول المسئول عن حشر الولايات
المتحدة في السياسة العالمية ، ورفع البلاد الى مركز قوة عالمية وهو مركز
مشحون بالمخاطر والمسئوليات ، (١) .

وقد كان تيودور روزفلت ، وسيناتور بيفرديج ، والادميرال ماهان ،
النسخ الامريكية من دزرائيلي ، وجوزيف تشامبرلين ، والمركيز اوف
سالزيرى في انجلترا ، وجول فيري ، وثيوفيل ديلكاس في فرنسا ، وقيصر
ويلهيلم الثانى ، والادميرال فون تيربيتز في ألمانيا ، فاذا كان لدى بريطانيا
سيسيل روديس ، فلدى الولايات المتحدة ستانلى .

وقد ارسى الولايات المتحدة ، خلال النصف الاول من القرن العشرين
دعائم تفوقها الاقتصادى فى القارة الامريكية ، واكتسبت مصالح اقتصادية
ضخمة فى الشرق الاقصى ، والشرق الاوسط ، وجنوبى افريقية ، وشرقى
افريقية ، ، والكونفو (البلجيكي) ، وحينما قامت الحرب الباردة تعين
على الولايات المتحدة اجراء تعديل سريع فى انماط التاريخ المتغيرة ، وكانت
عملية صعبة تستلزم اعادة تقدير سريع لوجهات النظر والسياسات القائمة
وقد تعقدت العملية من جراء قيام القوة الشيوعية ، والمنافسة القاسية
المرتبطة بهذه القوة من اجل سيادة العالم .

ولا ينبع اتجاه امريكا السلبى نحو الصين الشيوعية كلية من
الاختلافات الايدولوجية فكما ذكرنا من قبل تشكل الصين الشيوعية
تهديدا كامنا لسيادة امريكا فى منطقة الباسفيكي - ولم تكن الولايات المتحدة
قد اعتادت ، خلال تاريخها كله ، على وجود قوة منافسة فى الباسفيكي ،
قوة قادرة على التأثير على عقول الناس ، ومسار التاريخ فى مساحات
واسعة تعتبرها امريكا جيوية لتأمين حدودها ، وتأمين طريقة الحياة
الامريكية ، وهو الاهم .

(١) « الولايات المتحدة فى التاريخ العالمى » بقلم جون . ب . راى وتوماس .

ه . د . ماهونى - نيويورك عام ١٩٥٥ من ٤٥٣ .

الفصل السابع

السوفييت في آسيا

حدث خلال الحرب الباردة ، أن رجحت كفة الدول الغربية أي كفة الولايات المتحدة في أوروبا ، مثلما رجحت كفة الاتحاد السوفيتي في آسيا وقد دخلت الدولتان في اشتباك عنيف وقع في الكونغو ، على أرض القارة الأفريقية حيث تبدو ورقة الحساب متعادلة حتى هذه اللحظة (١) .

وحيثما بدأت الحرب كانت الشيوعية قد تقدمت بالفعل الى قلب أوروبا ، وكان الانتصار الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا هو الذي هز الولايات المتحدة وجعلها تسرع في ايجاد إجراءات لمواجهة الموقف . وقد ظلت الدولتان تتصارعان ، حتى عام ١٩٤٩ ، حول المسائل الأوروبية . ولم تسترجع الدول الغربية مركزها في ألمانيا فقط ، وإنما أقامت أيضا منظمة حلف شمالي الاطلسي ، وشرعت في دعم اقتصاديات الدول الأوروبية الغربية باكسير مشروع مارشال . ولاشك انه كان لدى الاتحاد السوفيتي عدد من الدول المرتبطة به أو « التي تدور في فلكه » في أوروبا ، غير أن هذه « الدول التي تدور في فلكه » كانت أكثر منها رصيذا . وقد فشلت الحركة الشيوعية في اليونان ، وانسلت يوغوسلافيا بعيدا عن الاسرة الشيوعية . وقد جاء اقتراح تسوية أزمة برلين من جانب الاتحاد السوفيتي نفسه ، وفي عام ١٩٤٩ كان هناك تطور ملحوظ في السياسة السوفيتية وهو تأييدها الرسمي « لحركة السلام » ونداءات مارشال ستالين وغيره المتكررة التي تؤيد التعايش بل تعتبره حتميا . وعلى حين فجأة انتصرت الشيوعية في الصين ، وكانت مفاجأة لواشنطن وموسكو ، وصاحب هذا تغفل روسيا في آسيا ، تغفلا تبعه انسحاب من جانب أمريكا . « ولأول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح للاتحاد السوفيتي حليف سواء في الواقع أو بالاسم . وقبل ذلك كان المعسكر الروسي يتألف من دولة واحدة من الدول الكبرى وعدد من

(١) وقف الكاتب منذ هذه المرحلة وظهر الكتاب قبل التطورات التي أعقبت ذلك .

الاتباع الذين لا يمكن التكهن بمدى حماسهم . واستطاع المعاقون الغربيون أن يؤكدوا أن الصين قوية جدا حتى أنها لن تصبح دولة تابعة تماما ولاجل غير مسمى للاتحاد السوفيتي ، ووجدوا بعض السلوى في مستقبل قد يجلب معه شقاقا بين الحليفين الجديدين ولكن مهما كانت الآمال المرجوة ، فإن التحالف الصيني الروسي كان مصدر قوة للاتحاد السوفيتي وأكثر مما لو كان الاتحاد السوفيتي قد استولى على بلد جديد يدور في فلكه ، لان الدولة التابعة - في الوضع الطبيعي للامور - لا تزيد عن كونها دولة مرتبطة لا يمكن الاعتماد عليها على حين نجد الحليف أكثر من مجرد ضمان ، نجده حاضرا في المتاعب ، سواء أكانت هذه المتاعب من صنعه أم من صنع شخص آخر » (١) .

وقد كان لدى الدول الغربية قدر كبير من المتاعب في أماكن أخرى من آسيا ، في الملايو ، وفي الهند الصينية ، وفي أندونيسيا - وقد أدى الاتحاد السوفيتي دوره التقليدي في تشجيع الحركات الوطنية ، وقد اندفع الشيوعيون في عدة بلاد آسيوية الى المعارضة المسلحة لحكومات الدول الحديثة الاستقلال - وقد أوقع ذلك بورما في حرب أهلية ، وشتت بشكل سيء من قوة الحركة الوطنية الاندونيسية .

وفي الشرق الاوسط لم يكن لموسكو أي أثر كبير على عقول العرب ، فقد انضم الاتحاد السوفيتي الى الولايات المتحدة لخلق دولة اسرائيل اليهودية ، على أمل أن يمدد ذلك بقاعدة في الشرق الاوسط ، غير أن هذه السياسة قد طاش عيارها ، فبمجرد أن اندلعت الحرب في فلسطين ، وبدأ العرب يصفون الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بأنهما دولتان استعماريتان ، فترت هممة موسكو نحو الدولة اليهودية ، وسحبت تأييدها لها بالتدريج .

غير أن سياسة ستالين فشلت في أحد جوانبها ، ذلك أنه لم يستطع أن يدرك أن عدم الانحياز الآسيوي يمكن أن يكون قوة ايجابية في الشؤون العالمية الا في المراحل السياسية في الحرب الكورية ، وقد فشل ستالين خلال فترة زعامته كلها في أن يوجد تحالفا ثوريا بين الشيوعية السوفيتية والقومية الآسيوية .

وقد تصور لينين أن النصر النهائي للشيوعية سوف يأتي عن طريق تحالف ثوري بين الاتحاد السوفيتي وشعوب آسيا وأفريقية الخاضعة للاستغلال ، ويقول : « سنجد في آخر الامر أن ثمة حقيقة بارزة ستحدد المصير ، وهي أن روسيا والصين والهند تضم أغلبية ساحقة من شعوب العالم » .

(١) دراسة للشؤون الدولية ، ١٩٤١ - ١٩٥٠ ، لندن ص ٤٢ .

وقد بدأ النظام السوفيتي ، في سنواته الاولى ، في محاولة منظمة - على نطاق واسع - بخلق تحالف مع الحركة الوطنية في آسيا ، وقد أثر كثير من انجازاته على عدد من الزعماء الآسيويين الذين لم يكونوا يوافقون بالضرورة على الاساليب الشيوعية ، ولكن بمرور السنين ، وبينما كان مارشال ستالين يركز جهوده حول بناء الاشتراكية في داخل بلد واحد ، استبدت به نظرة اوروبية ، وقد انتهى دور الكومنتيرن القديم ، في الشئون الآسيوية ، بانسحقاق تام يمتد عبر الثلاثينات كلها وأوائل الأربعينات ، بين الحركات والاحزاب الوطنية وبين المنظمات الشيوعية الشابة التي لم يكن لها مفعول كبير .

وهكذا لم يكن لبعض الزعماء الآسيويين الثوريين ، أمثال : المهاتما غاندي ، وزغلول باشا ، وأحمد سوكارنو ، وآخرين أي مكان من التشريف في النشرات السوفيتية ، بل لقد تجاهلوا جواهر لال نهرو تماما ان لم يكونوا قد نددوا به ، ويعزى فشل الثورة الصينية في عشرينات القرن الحالى الى معالجة ستالين والكومنتيرن الضيقة الافق والمتزمتة للشئون الآسيوية ، بل وحتى في أوائل الاربعينات كان الشيوعيون الهنود معزولين كلية عن التيار الرئيسى للحركة الوطنية . والأكثر من هذا أن الشيوعيين - بايحاء واضح من الخارج - قاموا بحركات تمرد في بورما ، وسيلان ، والملايو ، والهند . وقد حاولت الدعاية السوفيتية في السنوات الأولى من استقلال الهند أن تبطل الانجازات الوطنية ، وأن تسلط الاضواء على الاضطرابات الصناعية والزراعية . وقد كان استقلال البلاد الآسيوية - في رأي موسكو - مجرد بضاعة صورية ، وخيانة للجماهير ، وكان نهرو « كلب صيد للاستعمار » ، وسوكارنو « خائن الشعب الاندونيسى » ، وأونو « عميل الاستعمار » .

واذا كان ستالين قد فضح فشله في تفهم ديناميكية القومية الآسيوية ، فإن ماوتسى تونج انضم اليه عام ١٩٤٩ ليستنكر فكرة قيام قوة ثالثة أو حياد في العلاقات الدولية . وقد كتب ماوتسى تونج في يولييه عام ١٩٤٨ بحثه الشهير « حول الدكتاتورية الديمقراطية للشعب » بمناسبة الذكرى الثامنة والعشرين لانشاء الحزب الشيوعى الصينى . ويعتبر هذا البحث مفتاحا بليغا للنظرة الدولية التي انتهجها زعماء الصين الشيوعيون وهم يرسمون مصير بلادهم .

وقال ماوتسى تونج : ان الحرب الثانية قد أسفرت عن سقوط ثلاث دول استعمارية من الدول العظمى واضعاف دولتين أخريين « وقد تركت دولة استعمارية عظيمة واحدة في العالم ، وهى الولايات المتحدة ، التي لم تعان من أية خسائر وعلى أية حال فان أزمة أمريكا الداخلية كانت جد هائلة ، وقد أرادت استيعاد العالم . كما أنها ساعدت على

ذبح عدة ملايين من الصينيين عن طريق امدادها شيانج كاي شيك بالأسلحة ، وقد استمر الشعب الصيني تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني بعد أن طرد الاستعمار الياباني ، في حرب التحرير ثلاث سنوات ، وأحرز نصرا هائلا .

ومضى ماوتسى تونج يقول : « انه يتعين علينا أن نتحد في كفاح مشترك مع شعوب الدول جميعها ، ومع الأمم المتحدة التي تعاملنا كأنداد لها ، وهذا يعنى تحالفنا مع الاتحاد السوفييتى ، ومع كل دولة ديمقراطية جديدة ، والبروليتاريا ، وجماهير الشعب في جميع البلاد الأخرى . ويعنى هذا تشكيل جبهة دولية متحدة » .

وقد ظهر بحث ماو في وقت لاحت فيه بارقة أمل تراود الولايات المتحدة في ألا يقف الزعماء الشيوعيون الصينيون بجانب موسكو تماما ، وإنما يسرون على نمط مشابه للاتجاه التيتوى المستقل .

وقد أعلن دين أتشيسون وزير الخارجية الأمريكية ، في كتابه أبيض صدر في ٥ من أغسطس عام ١٩٤٩ حول السياسة الأمريكية في الصين ، أن السياسة الأساسية التي يتعين على الولايات المتحدة أن تستمر في الاسترشاد بها هي « تشجيع الصين ، بكل الوسائل ، كدولة مستقلة ومستقرة ، قادرة على أن تؤدي دورا في الشؤون العالمية يتلاءم مع شعب حر عظيم ، وخلق ظروف اقتصادية وسياسية تحمي مثل هذا التطور ، ومعارضة خضوع الصين لأية دولة أجنبية أو أى نظام للحكم يخدم مصالح دولة أجنبية أو تقسيمها من جانب أية دولة أجنبية بوسائل واضحة أو سرية » (١).

كم كتبت حكومة الولايات المتحدة متخلفة عن ركب الحقائق بطريقة مؤلة ! .. ففي أقل من ثلاثة شهور من هذا البيان الرنان دخلت الصين في ظل الشيوعية !

وقد رفض ماوتسى تونج ، بطريقة قاطعة ، في مقالته « فكرة جعل الصين قوة ثالثة بين العالمين الشيوعي والرأسمالي ، وبهذا رفض كلية فكرة الحياد في الشؤون الدولية ، فقد أعلن أنه « يتعين على الشعب الصينى أما أن يميل الى جانب الاستعمار أو الى جانب الاشتراكية ، ولا يمكن أن يكون هنالك استثناء لهذه القاعدة : أن من المستحيل أن نقف موقف المتفرج ، ليس هناك طريق ثالث ، أننا نعارض عضابة شيانج كاي شيك الرجعية التي تميل الى جانب الاستعمار ، كما أننا نعارض الأوهام التي تشير الى طريق ثالث ، وليس فقط في الصين »

(١) دراسة للشؤون الدولية ، ١٩٤٩ - ١٩٥٥ ، لندن ، ص ٣٢٤ - ٣٥٥ .

وانما فى جميع انحاء العالم دون استثناء يميل المرء اما نحو الاستعمار
او نحو الاشتراكية . . اما الحياد فهو مجرد ستار ه وليس هناك
طريق ثالث « (١)

وقد جاء اول ذوبان للجلايد المتجمد حول الموقف الصينى -
السوفييتى تجاه الاستقلال الآسيوى - الافريقى ، وعدم الانحياز خلال
الحرب الكورية ، فى السنتين او الثلاث الأخيرة من حياة ستالين ، فقد
أدرك ستالين ان بلاد آسيا وافريقية الحديثة الاستقلال ليست مجرد
اتباع فى معسكر الغرب ، وانما كانت تواقه الى السلام ، فان قوميتها
القوية تخطت الحدود الوطنية واستطاعت ان تصبح قوة من مصلحة
موسكو ان تهذبها ، وخاصة لأن الولايات المتحدة كانت تصم اذنيها عن
فكرة عدم الانحياز الجديدة . ووجد ستالين فى هذا التطور بداية
انشقاق عظيم فى العالم غير الشيوعى .

وقد شاهدنا بداية اتجاه آسيوى جديد فى موسكو فى أوائل عام
١٩٥٢ : ففي يناير من ذلك العام ارسل ستالين رسالة بمناسبة ابتداء
السنة الجديدة انى الشعب اليابانى ممتدحا كفاحهم الجرىء لاجراج
المحتلين الأمريكين وفى الشهر نفسه كرس بوسبيلوف رئيس تحرير
جريدة « برافدا » جزءا كبيرا من خطبته فى ذكرى وفاة لينين للشئون
الآسيوية . وفى ابريل اتخذ مارشال ستالين خطوة غير عادية باستقباله
رادا كريشنان السفير الهندى ، وقد كانت هذه هى مقابلة الوداع
بالنسبة للسفير الهندى ، وهى المقابلة الوحيدة له مع ستالين ، وقد
قال فيها الزعيم السوفييتى : انه ليست هناك مشكلة بارزة لا يمكن
اخضاعها للتسوية عن طريق المناقشة .

وفى عام ١٩٥٢ انتهج الاتحاد السوفييتى علاقات طيبة مع الهند
« وأصبح مرور الناس والسلع بين البلدين أكثر سهولة » . وقوبلت
وفود الهند من جميع الأنواع بترحيب حار فى موسكو والمدن الأخرى .
وفى الهند ، رعى الاتحاد السوفييتى بسخاء سوقا صناعية دولية ،
ومهرجانا دوليا للافلام ، وظهرت الكتيبات والكتب الروسية بأعداد
ضخمة وبأسعار منخفضة للغاية ، وكان هناك ترحيب بالعروض
الروسية للتجارة فى نيودلهى .

وفى ١٧ من يناير حطم الاتحاد السوفييتى صمته حول مشكلة
كشمير ، وهو الصمت الذى استمر لسنوات ، وأيد المندوب السوفييتى
تماما الموقف الهندى فى خطبة له فى مجلس الأمن . وفى أكتوبر عام ١٩٥٤

(١) « الدكتاتورية الديمقراطية للشعب » بقلم ماوتسي تونج - بكين - ١٩٥١ .

دعت حركة السلام العالمى الى مؤتمر آسيوى فى بكين قيل ان أكثر من ٢٦٠ شخصا من بلاد مختلفة قد حضروه .

وفى يناير عام ١٩٥٢ أشارت جريدة الكومنفورم الى الهند ، وفيتنام ، والملايو ، وبورما ، والفلبين ، وأندونيسيا ، وأمريكا اللاتينية ، والمغرب ، وتونس ، والجزائر ، وجنوب افريقية ، وكينيا ، وإيران ، والعراق ، ومصر ، كمناطق للتقدم فى الصراع بين الحرية والاستعمار .

وكان ذلك بداية ، وان كانت بداية بطيئة ومتردة ، لاتجاه روسى جديد نحو الدول غير الملتزمة بيد أنه يتعين علينا أن نذكر هنا أن الكرملين لم يفكر فى عهد ستالين فى هذه الرغبة التى تجتاح الاتحاد السوفييتى اليوم للتعامل مع الاقطار غير المنحازة .

وفى المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعى السوفييتى ، لم يكن لدى مالىنكوف ، الذىلقى التقرير السياسى الأساسى ، أى شيء تقريبا ليقوله فى مدح دول آسيا وافريقية الحديثة التحرر . كما لم يكشف مقال ستالين الشهير حول « المشاكل الاقتصادية الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى » والذى نشر قبل انعقاد مؤتمر الحزب بوقت قصير ، والذى حدد جو المناقشات فى المؤتمر ، لم يكشف عن أى تقدير للدور الايجابى الذى تؤديه الدول غير الملتزمة فى الشؤون العالمية . وخلال عام ١٩٥٢ ، بل وأوائل عام ١٩٥٣ ، أخذ راديو موسكو يهاجم الحكومة الهندية لتقبلها المعونة الأمريكية و « عزى نجاح حزب المؤتمر ، ونشاط الحزب الشيوعى المخيب للآمال فى الانتخابات التى انتهت فى الحادى والعشرين من فبراير الى النظام الانتخابى غير الديمقراطى » (١) .

غير أن التغير الحقيقى الكبير فى السياسة السوفيتية نحو البلاد الآسيوية - الافريقية ، بدأ بعد وفاة ستالين وأخذ شكله النهائى فى عام ١٩٥٥ بعد مؤتمر باندونج .

وكانت السياسة الجديدة ذات جوانب أربعة ، وكانت تتبع أساسا من اتجاه نظرة الاتحاد السوفيتى الدولية بعد حكم ستالين ، وهجر الاتجاه المتزمت نحو الشيوعية نفسها .

وما أن أصبح من المعترف به أنه من الممكن أن يكون هناك أكثر من طريق واحد يؤدى الى الشيوعية ، وأن من حق كل دولة أن تنظم ثورتها تبعا لقدرتها التى تتمشى مع المبادئ الأساسية للماركسية واللينينية ، حتى صار من المحتم اضعاف شيء من المرونة على موقف روسيا من الحركات الوطنية فى آسيا وافريقية .

(١) دراسة للشؤون الدولية - ١٩٥٢ - لندن - ص ١٧٢ - ١٧١ .

وكان المظهر الأول للسياسة الجديدة انما هو اقامة علاقات شخصية بين زعماء روسيا ، وزعماء آسيا وافريقية . وكان ستالين قد عقد العزم على عدم مفادرة شواطئ الاتحاد السوفيتى ، وكانت رحلته الهامة الوحيدة التى قام بها فى اواخر حياته الى طهران . اما خلفاؤه فقد سافروا الى جميع أنحاء العالم ، وفى اواخر عام ١٩٥٥ قام بولجانين الذى كان رئيسا للوزراء فى ذلك الوقت ، وخروشوف الذى كان السكرتير الاول للحزب الشيوعى السوفيتى ، برحلة تاريخية الى آسيا زارا فيها أفغانستان ، والهند ، وبورما ، واندونيسيا . وكان ذلك بداية للسوفييت فى الدبلوماسية الشخصية .

وقبل ذلك ، فى شهر يونيه ، قام نهرو بزيارة الاتحاد السوفيتى بدعوة من الحكومة السوفيتية ، واستقبل استقبالا حافلا . وفى خطبة له فى استاد دينامو ، فى موسكو فى ٢٢ من يونيه عام ١٩٥٥ ، هنا نهرو « حكومة الاتحاد السوفيتى على الخطوات الكثيرة التى اتخذتها فى الشهور القليلة الماضية ، والتى أدت الى تخفيف حدة التوتر العالمى ، وساهمت فى قضية السلام » .

وفى حفلة عشاء فاخرة اقيمت تكريما لبولجانين وخروشوف فى نيودلهى ، فى ٢٠ من نوفمبر ، أعلن رئيس الوزراء الهندى « إن الحوادث قد أثبتت أن هناك صداقة عميقة وتفاهما بين شعبى بلدينا العظيمين ، وهى صداقة أبرز من الترحيب الرسمى ، وقد نما هذا التفاهم والترحيب باطراد ، برغم أن الطرق التى نقتفيها فى بلدينا تختلف بعضها عن بعض . ولكن بالرغم من هذا الاختلاف فى الاتجاه فى معالجة مشاكلنا ، التى حتمتها الظروف التى شكلت بلدينا وشعبينا ، فليس هناك أى عنصر من عناصر الصراع بيننا ، وكان هناك تقارب بيننا فى محاولات هامة كثيرة من مجالات النشاط الإنسانى ، اننا دولتان متجاورتان ، ومن المناسب أن يكون هناك شعور بالجيرة والصداقة بيننا . من أجل المصالح المتبادلة الخاصة ببلدينا وشعبينا »

وكان المظهر الثانى للسياسة السوفيتية الجديدة ، أنها اعتمدت بقوة على الاستغلال المثمر للصراع بين القومية الآسيوية - الافريقية والاستعمار الغربى . ووضح هذا - بصفة خاصة - فى الشرق الاوسط (وفى افريقية فيما بعد) ، فهناك ، وفى أعقاب أزمة السويس وما تلاها من أحداث ، وجد الاتحاد السوفيتى أن بإمكانه أن يظهر بمظهر الحامى والمدافع عن الحقوق القومية للبلاد العربية ، معترضا على اعتداءات الدول الغربية .

ويتمثل المظهر الثالث فى كون السياسة الجديدة قد وجدت الثمرة الغنية فى رفض آسيا وافريقية الانضمام الى الاحلاف العسكرية الغربية .

ولم تطلب الحكومة السوفيتية مساندة ايجابية لسياستها الخاصة ، وانما كانت تتوقع فقط أن تتمسك البلاد التي كانت ستدخل معها في تعاون اقتصادي ، بسياسة عدم الالتزام في الحرب الباردة . وكان ذلك يناسب البلاد الآسيوية الأفريقية للغاية لدرجة أنها وجدت في الاتحاد السوفيتي مدافعا مستحبا عن استقلالها وسيادتها .

أما المظهر الرابع فكان طابعه اقتصاديا ، فلأول مرة في تاريخه أصبح الاتحاد السوفيتي في مركز يسمح له بمساعدة الدول الآخذة في النمو في آسيا وأفريقية ، على تنمية اقتصادها . وكما ذكرنا آنفا ، كان الزعماء السوفيت قد بدءوا ، منذ عام ١٩٥٥ ، يعلقون أهمية متزايدة على المظهر الاقتصادي لسياستهم تجاه آسيا وأفريقية . وأصبحت المعونة السوفيتية لدول آسيا وأفريقية في مدى أربع سنوات ، ضخمة جدا ، وباتت تشكل تحديا للولايات المتحدة .

وهناك بعض الملامح الأخرى لسياسة الاتحاد السوفيتي الجديدة تجاه آسيا وأفريقية ، وهي ملامح تستحق الذكر .

ونخطيء حين نتصور أن السياسة الجديدة كانت ابتعادا مفاجئا في النظرة الماركسية - الراسخة - إلى التاريخ والحركة الجماعية ، فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية والاتحاد السوفيتي يعقد الأمل على قيام أزمة داخلية داخل العالم الرأسمالي .

وقد تكهن واضعوا النظريات السوفييت بأن البلاد الرأسمالية ستجد نفسها أسيرة صراع بشع من أجل الأسواق ، وأنها سوف تواجه مجتمعة أضخم أزمة اقتصادية . غير أن شيئا من هذا لم يحدث - بطريقة ما . فعلى العكس أظهرت الرأسمالية الأمريكية نشاطا مستمرا . أصاب الزعماء السوفييت بالدهشة . وقد كانت الخطط السياسية والاقتصادية التي رسمها خروشوف وغيره ترنو إلى الأهداف التي قصدها ستالين تماما . كل ما في الأمر أن الخطط الجديدة كانت أكثر ملاءمة للظروف المتغيرة ، وأنها كانت تجني ثمارا أضخم .

وكان الهدف السياسي للسوفييت . في آسيا وأفريقية ، هو أرغام الغرب على الانسحاب . وقد تحقق ذلك جزئيا ، في الجزء الأكبر من جنوب شرقي آسيا ، وفي غربي آسيا على نطاق أوسع .

أما السياسة الاقتصادية للسوفييت ، فكانت ترنو نحو الهدف نفسه . لذلك كانت المعونة السوفيتية تمنح أساسا لأقامة صرح الصناعات الأساسية مع هدف طويل الأجل يرنو إلى جعل البلاد المتلقية للمعونة مستقلة عن الاقتصاد الأمريكي الأوروبي ، بل ومنافسة له .

وبدا أن الزعماء الروس الجدد قد سلموا بالحقيقة التالية وهي أنه ليست هناك أية فرصة في المستقبل القريب ، كي يصبح أى بلد من البلدان الحديثة الاستقلال في آسيا شيوعية . كما لم تكن روسيا تواقّة إلى التعجيل بسرعة انتشار الشيوعية . وقد سببت التطورات التي وقعت في العراق عامي ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ قدرا كبيرا من القلق في الغرب .

وكانت السياسة السوفييتية الجديدة تقتضى التراجع المؤقت عن فكرة وحدة البروليتاريا في الحركة الوطنية في الشرق ، ومن ثم إعادة اكتشاف الدور التقدمي الذي تؤديه البرجوازية الوطنية .

وأعاد الاتحاد السوفيتي كتابة تاريخ الكفاح الوطني البورجوازي في آسيا . وأفسح المجال لرجال من أمثال غاندي ونهرو بين المصلحين التقدميين ، ان لم يكونوا الثوريين . ولم يبتهج الاتحاد السوفيتي كثيرا «للاشتراكية» التي حاولت اقامتها البرجوازية الوطنية في الهند ، والجمهورية العربية المتحدة ، وسيلان ، وبورما .

وبدأت النشرات السوفييتية تشير ، منذ عام ١٩٥٩ الى أن هذه الجهود لن تؤدي على أكثر تقدير ، إلا الى رأسمالية الدولة .

وظهر في عام ١٩٦٠ اختلاف بين تقدير موسكو ، وبكين لدور البرجوازية الوطنية في البلاد غير الشيوعية ، وبخاصة في الهند التي تتمتع بأقوى رأسمالية وطنية في آسيا وأفريقية .

ولكن السوفييت استمروا في وضع الهند في قائمة الدول التقدمية المصنفة على بناء اقتصادياتها والمحافظة على استقلالها وتقدموا بعروض سخية لمعاونة الهند اقتصاديا من أجل تمويل مشروع السنوات الخمس الثالث .

ومن الواضح ان رغبة الاتحاد السوفيتي في تقديم أكبر قدر من المساعدة الى حكومات آسيا وأفريقية البرجوازية الوطنية لا تعنى أنه يعتقد ان هذه الحكومات والقوى التي تمثلها قادرة على أن تؤدي دورا تقدميا لفترة طويلة في شئون البلاد .

ويبدو ان واضعي النظريات من السوفييت بعد عهد ستالين يؤمنون بأن الزعامة الوطنية، ستفقد ان عاجلا أو آجلا ، مضمونها التقدمي، وان الشيوعيين ، في مرحلة الصراع التالية ، سيتسلمون مقاليد الأمور .

وقد استخلص وولتر زلاكير في كتابه «السوفييت والشرق الاوسط» ان السوفييت قد أقدموا على مساعدة القومية العربية مساعدة ضخمة ، لانهم من الواضح مقتنعون بأن هذه الحركة لن تستطيع أن تقيم أساسا اقتصاديا واجتماعيا سليما يستطيع أن يقوم ، بطريقة ما ، بدور الجاجز أمام الشيوعية .

وقد ظهر تلهف الحكومة السوفيتية انى المحافظة على علاقاتها الودية مع بعض البلاد مثل الهند واتضح هذا بصفة خاصة ، فى أثناء الازمة الصينية - الهندية التى تبعت انتهاك القوات الصينية للحدود الهندية . ولم يتوقف الامر بروسيا عند حد سلوكها سلوكا محايدا ، وانما تقدم الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية بمزيد من العروض للمساهمة فى تمويل مشروع السنوات الخمس الثالث فى الهند .

وبذلك استطاع الاتحاد السوفيتى أن يوقف الشعور بالشك تجاه الشيوعية وهو الشعور الذى اجتاح الوطنيين فى آسيا .

ونعم الزعماء السوفييت بجائزة اضافية ، فى صورة ثناء عاطر فى الهند وغيرها من أقطار آسيا وافريقية .

وقد صدر الثناء الأكبر من نهرو الذى قال ، وهو يعقد مقارنة بين وجهتى نظر الاتحاد السوفيتى والصين المعاصرتين فى أثناء خطاب له فى مجلس النواب فى ٧ من نوفمبر عام ١٩٥٩ :

لقد مر الاتحاد السوفيتى بعملية إعادة الامور الى نصابها « وليس هناك اليوم دولة أكثر تلهفا الى السلام من روسيا » .

الفصل الثامن

الولايات المتحدة في افريقية

انتهت الحرب العالمية الثانية وما زالت قلة من الامريكيين فقط تدرك أهمية افريقية . وكانت افريقية التي سمعوا بها أو عرفوا عنها القليل هي افريقية التي وصفها شستر بولز بأنها « أراض بعيدة وغريبة تحتوى على ارساليات ، ووطنيين ، والباحثين عن الصيد الثمين ، ولحسن الحظ أن مصالحننا تبدو فيها محدودة للغاية » .

ولكن حدث خلال خمسة عشر عاما أن هبطت أفريقية على الولايات المتحدة مثل جرف أسود مخيف ، وقد ظهرت أفريقية ليس فقط بشعبها القلق ، النافذ الصبر الذى يبلغ مائتى مليون نسمة يطالب بالاستقلال وحياة أفضل ، وانما أيضا بمشاكلها المتلوية الفجة التى كانت نتيجة لبعثة أوروبا التى استمرت قرنا من الزمن ، من أجل صبغ أفريقية بالصبغة الحضارية .

ولم تبد الولايات المتحدة ، حتى منتصف القرن ، أى اهتمام سياسى مباشر فى أفريقية ، ولكنها أدخلت مصالح اقتصادية كبيرة الى القارة ، وأدركت أهميتها الاستراتيجية .

وقد كانت الولايات المتحدة راضية تقريبا . من الناحية السياسية عن ترك أفريقية لسادتها الاوروبيين ، واثقة بأنهم سيقودون شعوبها الى تقدم سياسى منظم تدريجيا .

وقد ظلت السياسة الخارجية الأمريكية تميل ، حتى عام ١٩١٤ ، الى مراعاة الفروق الجغرافية التى أكد ماهان أهميتها : السيادة فى منطقة الكاريبي ، و « التعاون » أى الاشتراك فى سياسات الشرق الاقصى ، والابتعاد عن المشاكل السياسية الاوربية . وكانت «المشاكل السياسية الاوربية» تغطى أفريقية ، ووافقت أمريكا على الادعاء بأن حدود أوروبا فى أفريقية .

وقد أظهر الشعب الأمريكى اهتماما عابرا ، وهو فى معظمه اهتمام

ذو طبيعة انسانية وعلمية ، بفتح أبواب القارة الافريقية أمام المدنية .

غير ان الولايات المتحدة لا تتحمل أية مسئولية سياسية فى التقسيم الاوروبى للمناطق الافريقية الشاسعة الاطراف ، كما أنها لم تشترك فى المنافسات الاستعمارية بين الدول للسيطرة على هذه القارة .

وقد بدأت المصالح الامريكية - كما هو معروف جيدا - فى افريقية بإنشاء الجمعية الاستعمارية الامريكية - فى عام ١٨٢١ - لمستعمرة الزوجين فى ليبيريا على ساحل غينيا .

وقد حظى المشروع بتأييد سلاح البحرية الامريكى ، أما الحكومة الامريكية نفسها فلم تؤيده ، غير أنها اهتمت - بطريقة واعية - بتطوير المستعمرة : فقد رفضت حكومة الولايات المتحدة أن تعلن الحماية الامريكية على المستعمرة ، ولكنها تقدمت لحماية وحدة ليبيريا حينما هددت ألمانيا بالتدخل .

وفى الحقبة الاخيرة من القرن الماضى ، حدث شيء هام للغاية فى قلب افريقية ، وكان أحد الصحفيين الامريكيين المكتشفين ، هو المسئول عن هذا الحدث العظيم . فالى الجنوب الشرقى من ليبيريا اقاليم افريقية الاستوائية الواسعة التى يكتسحها نهر الكونغو العظيم .

فقد كان معروفا أن ديفيد ليفنجستون قد شرد عن المدينة فى مكان ما فى هذه المنطقة .

وفى عام ١٨٧٠ أوفدت جريدة « نيو يورك هيرالد » هنرى مورتون ستانلى للبحث عن ليفنجستون . واكتسب ستانلى شهرة قائمة على أنه أول رجل يكتشف حوض الكونغو . وقد عبر القارة من الغرب الى الشرق واكتشف نهر الكونغو وشلالات ستانلى . وبعد أن عاد الى المدينة بعد ذلك بثمانية أعوام ، وضع كتابه الشهير « خلال القارة السوداء » .

وقد أثارت جهود ليفنجستون وستانلى اهتماما كبيرا فى أوروبا وبخاصة فى بلجيكا حيث كان ليوبولد الثانى ، الالمانى المولد ، تواقا الى تحقيق شيء مثير فى ميدان التوسع الاستعمارى ، وجند ستانلى لخدمته .

وقد وافق ستانلى على أن يكتشف حوض الكونغو تحت راية ليوبولد

وألّف ليوبولد جماعة أطلق عليها اسم « المنظمة الدولية » وعين ستانلى رئيسا لها ، وتلخصت مهمتها فى اكتشاف وادى الكونغو . وكانت الولايات المتحدة هى الدولة الاولى ، التى اعترفت بهذه المنظمة .

ونحزت دول أوروبية حذوها وبدأ فى الحال ما عرف فى التاريخ بالدفع بالمناكب على افريقية .

فأرسل الفرنسيون بعثة استولت على أفريقية الاستوائية الفرنسية ، واختطفت البرتغال أنجولا ، وتحركت بريطانيا نحو الداخل ، والغرب وفيما وراء البوير .

وأصبح من الضروري تسوية المصالح المتصارعة الخاصة بالدول المختلفة ، وكانت النتيجة هي عقد مؤتمر برلين عام ١٨٨٤ - ١٨٨٥

وقد أدت حكومة الولايات المتحدة دورا ايجابيا في اكتشاف حوض الكونغو لمصلحة الملك ليوبولد ملك بلجيكا .

وقد تعرضت المطالب الإقليمية لمنظمة ليوبولد الدولية للأفول حينما اعترفت أمريكا في ٢٢ من أبريل عام ١٨٨٤ ، بعلم المنظمة على أنه علم خاص بحكومة صديقة ، وأخذت تتفاوض لعقد معاهدة صداقة وتجارة معها .

وكانت المبادرة الأمريكية هي التي أقنعت فرنسا وألمانيا لأن يحدوا حدودها ، ودعا بسمارك ، مستندا الى اقتراح برتغالي ، الدول الأوروبية الى عقد مؤتمر برلين الموافقة على ثلاثة مبادئ هي :

١ - حرية التجارة في حوض الكونغو ومصببات نهر الكونغو .

٢ - حرية المرور في نهر الكونغو والنيجر .

٣ - تحديد الشكليات التي تراعى حتى يمكن اعتبار المستعمرات الجديدة على ساحل أفريقية ذات مفعول .

« وبهذا الاعلان ، وباحتلال الاقاليم الساحلية في توجولاند ، والكاميرون ، وفي شرقي أفريقية وجنوب غربيها أيضا ، أعلنت ألمانيا للعالم عن تصميمها على استشارتها في أي تقسيم للأجزاء المتبقية من القارة التي لا يمتلكها أحد » .

ووافقت الدول ، بما في ذلك من الولايات المتحدة ، على الدعوة الى انعقاد مؤتمر برلين .

وقد أرسل فريدريك فريلينجويسن توجيهاته الى جون كاسون ، ممثل الولايات المتحدة لدى ألمانيا ، بالموافقة على الدعوة على أساس حصر المناقشات تماما في نطاق الموضوعات الثلاثة المذكورة دون أن يقرر أي مطالب إقليمية ، وأن تعرض جميع التنظيمات التي يتوصل اليها على جهات الاختصاص ، على قدر ما يتعلق ذلك بالولايات المتحدة .

ويرجع هذا التحذير الى عدم الرغبة في ترك سياستها التقليدية الخاصة بعدم التدخل في المشاكل الأوروبية ، ومع ذلك فان وزير الخارجية

قد أبدى في التعليمات نفسها ، أنه يفضل قبل كل شيء "تحديد حوض الكونغو بأن توضع تحت الوصاية مصالح جميع الشعوب .

أليس هذا هو منبع الفكرة القائلة بوضع جميع المناطق المتخلفة تحت الانتداب الدولي ؟

ومن دواعي السخرية ان هذا الحوض العظيم الذي بأفريقية الاستوائية ، والذي أصبح بلجيكا بعد عام ١٩٠٨ ، قد أفلت من أي اقتراح لوضعه تحت الانتداب الدولي عام ١٩١٩ (١)

وهكذا تم جر الولايات المتحدة ، أرادت أم لم ترد ، الى فتح داخل أفريقية . وكان اهتمام أمريكا الرئيسي يكمن في حرية التجارة والملاحة .

وفي السنوات التالية حينما أصبحت دولة الكونغو الحرة ملكية شخصية لليوبولد ، وحينما تسربت وسائل القمع التي استخدمها ملك بلجيكا في معاملة السكان الوطنيين ، كانت هناك غضبة كبيرة في الولايات المتحدة ، كما كانت في بريطانيا وفرنسا .

وأرسل البريطانيون لورد كرومر من مصر الى هناك ليستقصى الحقائق .

وقد أثبت لورد كرومر صدق تقارير الأعمال الوحشية التي ارتكبت . وفي ابان هذه الجلبة الضخمة التي تبعت هذه الاحداث ، كتب الشاعر الأمريكي فاشيل لندساي قصيدته الجارحة « الكونغو » .

ويذكرنا هذا بالخيل الذي استشعره مارك توين عن وجه حق حينما اشترت أمريكا جزر الفلبين واحتلتها .

وفي عشرات السنين التالية انجذبت الولايات المتحدة الى ساحل أفريقية المواجه للأطلنطي في أعقاب الاحتلال الفرنسي لشمالي أفريقية .

ولكن الولايات المتحدة تركت مصير أفريقية باطمئنان بين أيدي الدول الأوروبية خلال الفترة التي توسطت الحربين برمتها .

وقد أتاح الغزو الإيطالي للحبشة عام ١٩٣٥ فرصة ضائعة للولايات المتحدة كي تؤكد نفوذها على مجرى التاريخ الأفريقي .

فقد فشلت عصبة الأمم في العمل وسلطت جميع العيون على الولايات المتحدة

ولم تتخذ الحكومة الأمريكية أية خطوة غير توجيه تحذير الى

(١) « الولايات المتحدة كدولة عالمية » بقلم بيميس - نيويورك عام ١٩٥٥ ص ٦٠٦ .

موسولينى على شكل نصيحة ، وبالطبع وجدت هذه النصيحة أذانا صماء
وفى صيف عام ١٩٣٥ ذهب الرئيس روزفلت الى حد التصريح بأن
الصراع لا يشكل أية أهمية مباشرة للولايات المتحدة ، وبعد الغزو الايطالى
للحبشة ، بوقت قصير ، فى أكتوبر من ذلك العام أعلن روزفلت رسميا
حياد أمريكا بأن اعترف رسميا بحالة الحرب .

وقد طلب من الامريكيين عدم شحن أية مواد حربية الى أى من
الجانبين المتحاربين ، وتكن من الناحية الواقعية ، كانت « المواد الخام ،
وتشمل البترول ، تشحن باستمرار ، وعن طيب خاطر : الى المنسوبيين
الايطاليين فقط » .

ووصلت السياسة الامريكية ، فى الواقع ، الى حد تشجيع المعتدى
« وأصبحت نتائج هذا الموقف واضحة تماما اذا ما نظرنا اليها من زاوية
ممتازة ، زاوية النظرة من بعيد .

وبالاختصار تم تشجيع المعتدين على الاعتقاد بأن الولايات المتحدة
مصممة على البقاء خارج نطاق الحرب وليحدث ما يحدث ، (١) .

غير ان الحرب العالمية الثانية أثارت اهتمام أمريكا بأفريقية من
جديد . وأدركت الحكومة الامريكية ، فجأة ، الاهمية الاستراتيجية التى
يتمتع بها الساحل الافريقى الواسع الذى يمتد من المحيط الاطلنطى الى
المحيط الاطلنطى الهندى فى أسفل القارة .

وقد انطوت حملة شمالى افريقية التى كان يقودها جنرال دوايت
ايزنهاور على بعض الاعتبارات السياسية والعسكرية الدقيقة .

فقد واجهت أمريكا ، لأول مرة ، على اثربة افريقية عاملا لم
يكن معروفا من قبل : وهو رغبة الشعب الوطنى فى الحرية ورفضه الحكم
الفرنسى .

وقد سافر روزفلت بنفسه الى الدار البيضاء كى يعقد مؤتمرا مع
تشرشل . ولكن المناقشات كانت تتعلق بأوروبا فقط ، ولم تتبادل أية
كلمة عن مصير أفريقية بعد الحرب .

وحينما تأسست الامم المتحدة فى دومبارتون أوكس عام ١٩٤٥ ،
كانت أربع دول أفريقية فقط ممثلة فيها وهى : مصر، وأثيوبيا وليبيريا .
واتحاد جنوب أفريقية .

واذا ما تجاوزنا جنوب أفريقية ، التى كانت حكومتها معادية

(١) « الولايات المتحدة فى التاريخ العالمى » بقلم راي ماهونى - نيويورك ص ٦٦١ .

للافريقيين جهارا ، نجد أنه لم تكن هناك دولة واحدة من الدول الثلاث الأخرى متمتعة تمتعا كاملا بحقوق السيادة الخاصة بها .

ولكن الأمم المتحدة ، بعكس عصبة الأمم ، تورطت في الشئون الأفريقية منذ اللحظة الأولى لمولدها ، وكان الرجل الذي يتحمل أكبر قدر من المسؤولية في ذلك الوقت أمريكى الجنسية ، فقد لعب مستر كوردويل هل دورا رئيسيا في خلق مجلس الوصاية وأصبحت الولايات المتحدة ، التى كانت هى نفسها وصية ، أحد الأعضاء الدائمين في هذا المجلس . وكان يتعين على المجلس أن يتعامل أساسا مع أفريقية حيث وضعت مناطق كثيرة تبلغ ثمانى مناطق تحت الوصاية . وواجهت السياسة العنصرية التى ينتهجها اتحاد جنوب أفريقية ، الأمم المتحدة منذ أول دورة للجمعية العامة ، وفي السنوات التالية ، طفت المشكلة الخاصة بالاستعمار على معظم تدابير المنظمة العالمية .

وقد ظلت الولايات المتحدة لعدة سنوات ، حتى في فترة التفرع السريع هذه ، بلا سياسة أفريقية . وكان هناك جانب ضخم من الرأى العام في أمريكا يؤيد هذا الفراغ السياسى . فقد كان يقال : أنه نظرا لأن أفريقية المستعمرة ترتبط بأوروبا الغربية ، التى تعتبر صداقتها وتعاونها من الأمور الحيوية للولايات المتحدة في جهودها العالمية لتطويق الشيوعية ، فإن أفضل سياسة لأمريكا إنما هى سياسة الارتجال ، وعلاج كل مشكلة على ضوء الظروف المتطورة .

وإذا اشتدت حدة الحرب الباردة ، بدأت السياسة الأمريكية في أفريقية تخضع لما أسماه تشستر بولز ب « الانجذاب الى نشاط الاتحاد السوفييتى » ، وأصبحت أفريقية مهمة لا لشيء إلا لأن الاتحاد السوفييتى قد يبسط نفوذه عليها .

وصرح دالاس في أول خطاب له كوزير للخارجية ، ان الاتحاد السوفيتى يخلق اضطرابات ثورية في أفريقية ، تجعل أجزاء كبيرة من القارة في حالة غليان . واستحالت السياسة الأمريكية الى استجابة أرتجالية للمناورات والمبادرات السوفيتية الحقيقية منها والوهمية . ويقول تشستر بولز : « ان الحرب الباردة بالاضافة الى المشاعر والتاريخ قد جعلت من أمم الاطلنطى ، حلفاءنا الضروريين من الناحية العسكرية والسياسية . ونظرا لأن هذه الدول تهيمن على معظم أفريقية ، فقد شعرنا بالاضطرار الى التخفيف من غرائزنا التقليدية المعادية للاستعمار ، وفى اتجاهنا ، هكذا ، نحو أفريقية عن طريق عواصم الدول الأوروبية الاستعمارية أصبحنا نمثل فى أعين كثير من الأفريقيين اللون الرجعى لهذه العواصم . وعندما كنا تؤيد حلفاءنا فى الاطلنطى

في المسائل الاستعمارية على كره منا وضماثرنا تعذبنا : لم يرضى حلفاؤنا
عن موقفنا تماما « (١)

وبينما كانت حكومة الولايات المتحدة تتردد . بسبب بعض
العوامل السياسية ، في القيام بدور الزعامة السياسية في افريقية
استطاع الامريكيون ان يتغلبوا بنجاح في السوق الافريقية كشريك
منافس للرأسمال الاوروبي

ويبلغ اجمالي الاستثمارات الامريكية في افريقية ، الآن ما يزيد
على ثلثمائة مليون دولار . وهناك مصالح امريكية في عدد من هذه
البلاد . وتملك المؤسسة الانجلو - امريكية ، التي تعتبر شركة المناجم
والبيت المالي الرئيسيين في جنوب افريقية أغنى مناجم للذهب في
الاتحاد ، ومناجم الفحم الفنية في روديسيا الجنوبية ، التي تنتج ما يزيد
على ثلاثة ملايين طن من الفحم سنويا ، كما تمتلك أكثر من نصف حقول
النحاس الفنية في روديسيا الشمالية ، وتمتلك تقريبا - أيضا - جميع
حقول الماس في افريقية ، كذلك تحتكر سوق الماس في العالم الغربي .
ويبلغ اجمالي رأس المال المستثمر في صناعة تعدين الذهب في جنوب
افريقية حوالي ٥٠٠ مليون جنيه استرليني ، منها ١٠٪ أموال
امريكية ، وتبلغ قيمة انتاج حقول النحاس في روديسيا الشمالية التي
يستثمر فيها قدر كبير من رأس المال ، حوالي ١٠٠ مليون جنيه
سنويا . وتعمل في جنوب افريقية وحدها مؤسسات امريكية ضخمة
تبلغ ١٢٨ مؤسسة .

وفي عام ١٩٥٠ كانت مجموعة من المؤسسات الامريكية تمتلك
٦٠٠٠٠٠ سهم في شركة امتيازات تنجانيقا البريطانية ذات المسؤولية
المحدودة ، ولهذه الشركة فروع على نطاق واسع في روديسيا الجنوبية
ونياسالاند وكينيا . وتعتبر هذه المؤسسة أيضا صاحبة أسهم بارزة
في اتحاد مناجم الماس في كاتانجا . وهناك أيضا شركات امريكية تستغل
مستودعات البترول في الكونغو ، وقد حصل أحد الامريكيين على حقوق
استخراج البوكسيت في غينيا . وتحتكر مؤسسة الصلب الامريكية حق
استغلال المنجنيز في نهر اوجوي على حين تستغل مؤسسة صاب
امريكية أخرى مستودعات خام الحديد في جابون الشمالية .

وقد أعلن مستر ج. واتس رئيس فروع بنك نثيس - مانهاتان
في افريقية والذي قام بجولة في عدة بلاد من القارة عام ١٩٦٠ في صحبة
مستر ديفيد روكفيلر عن عزمه على افتتاح عدد من الفروع الجديدة
للبنك في جنوب افريقية وروديسيا وغانا ونيجيريا وأثيوبيا والسودان .

(١) « تحدى افريقية لامريكا » بقلم تشستر بولز - عام ١٩٥٦ - ص ٥٧ .

وكان الهدف من جولة روكفيلر هو استكشاف امكانيات استثمار رأس مال أمريكي جديد في افريقية من أجل موارد القسارة الطبيعية الفنية .

وفي افريقية البرتغالية ، حصلت شركة زيت موزامبيق الامريكية على امتياز منطقة اكبر من البرتغال نفسها مرة ونصف مرة .

وتعطينا هذه الاحصائيات فكرة عن المصالح المالية الامريكية الواسعة في القارة الافريقية

ومن الأمور الدانة على أن هذا التغفل الاقتصادي لقي معارضة من جانب المصالح الاوروبية ما أشار اليه مراسل صحيفة « نيويورك تايمز » في واشنطن عام ١٩٥٩ من أن الخطط الامريكية الخاصة بعرض برنامج للمعونة على افريقية قد قوبلت بمعارضة « من جانب البلاد الاوروبية التي استنكرت التدخل في مملكتها » (١) .

(١) وقد اعطانا لورانس .ك. هوارد في كتابه « افريقية - كما يراها زنج امريكا » الذي نشرته دار (برايزانس افريكان) في نيويورك تفصيلات تثير الاهتمام عن النشاط الامريكي والاستثمارات التجارية في افريقية :

نسم هوارد افريقية اربع مناطق : افريقيا الاسلامية ، وتشمل مصر وشمال افريقية ، افريقية السودان وتتألف من منحى خط الاستواء ، افريقية المتعددة الاجناس ، وتمتد من اراضي اثيوبيا العالية وخليج عدن جنوبا حتى نهر ليمبوبو ، وتشغل معظم افريقية البريطانية والبرتغالية والبلجيكية . واخيرا افريقية التي يسيطر عليها البيض ، وتتكون من اتحاد جنوب افريقية وروديسيا الجنوبية وروديسيا الشمالية . .

ويقول هوارد : اننا اذا نظرنا الى الامور من وجهة النظر الاقتصادية وجدنا أن الحرب العالمية الثانية كانت فرصة تميد فيها امريكا اكتشاف افريقية ، فقد كان اجمالي التجارة الامريكية السنوية مع افريقية لا يزيد قبل الحرب على ٢٥٠ مليون دولار . وبحلول عام ١٩٤٥ ارتفع الى ألف مليون دولار . وارسلت امريكا بين عام ١٩٥٢ - ١٩٥٦ الى افريقية سلعا تقدر قيمتها سنويا بحوالى ٥٧٧ مليون دولار ، واستوردت من افريقية سلعا تقدر بحوالى ٦٠٤ ملايين دولار .

وقد قدر الاستثمار الامريكي الاجمالى في افريقية عام ١٩٥٥ بحوالى ٧٧٤ مليون دولار ، معظمها ، وهو نحو ٤٥٪ ، في جنوب افريقية . وقد كان الجزء الافريقى الذى يسيطر عليه البيض هو الذى حظى بمعظم الاستثمارات الامريكية ، وذهب القليل الى مصلحة الانسان الاسود في افريقية .

ويقول لورانس هوارد : « ان صورة العلاقات الاقتصادية بين الولايات المتحدة و افريقية ، التى تظهر من هذه الدراسة ، ذات جانبين : الجانب الامريكي والجانب الافريقى :

فمن ناحية الولايات المتحدة ، يشير هذا العرض الى نجاح رجال الاعمال الامريكيين في دخول حلبة الاقتصاد الافريقى من جديد ، ومما يؤكد هذا النجاح أن ثلاثة أرباع بليون دولار ذهبت في الاستثمارات الخاصة . كما ذهب بليون دولار - سنويا - في تجارة السلع . وبالإضافة الى ذلك نجد أن السلع التى تحصل عليها الولايات المتحدة ، من خلال هذه العلاقات الاقتصادية، لازمة لاستمرار مستوى المعيشة الامريكي على معدله الحالى . فما =

وقد أخذت الولايات المتحدة تدرك - بصورة متزايدة - أهمية المواد الخام الأفريقية من أجل الصناعات الحربية في أرانسيها . وتستورد الولايات المتحدة اليوم نصف مطالب صناعاتها من المواد الخام ، وبعض السلع ذات الأهمية الحيوية البالغة من أفريقية . وتشمل هذه المواد خام الحديد من ليبيريا ، واليورانيوم من الكونغو وجنوب أفريقية ، والكروم والمنجنيز والنحاس والغالاديوم والبوكسيت .

وخلال الحرب العالمية الثانية رسا العطاء على الولايات المتحدة وبريطانيا (عام ١٩٤٤) بالنسبة لكل اليورانيوم والثوريوم اللذين في الكونغو .

وقد تمت عمليات الشراء هذه عن طريق وكالة التنمية المشتركة التي وقعت عقودا مع مؤسسة المعادن الأفريقية بالنيابة عن اتحاد مناجم كاتنجا العليا .

وبعد ذلك بأحدى عشرة سنة ، أي في عام ١٩٥٥ ، وقعت الولايات المتحدة على اتفاقية مع بلجيكا ، اتفاقية تقضى بأن « توافق بلجيكا على ألا تنقل إلى أية دولة أخرى سوى الولايات المتحدة أو المملكة المتحدة أية مواد ذرية تنتج في بلجيكا ، أو الكونغو البلجيكي أو رواندا أو راندي اللهم إلا إذا تلقت الحكومة البلجيكية تأكيدات بأن هذه المواد لن تستخدم في الأغراض العسكرية .

وتوافق الحكومة البلجيكية على التشاور مع الولايات المتحدة حول الأهمية الدولية لأي اقتراح بتحويل خام اليورانيوم أو الثوريوم ، أو أية مواد ذرية خاصة . لأية دولة غير المملكة المتحدة »

وقد شرح الرئيس أيزنهاور بنفسه للكونجرس الأمريكي أهمية هذا الابتكار الأمريكي ، الفعالي ، لخام اليورانيوم والثوريوم في الكونغو .

= بالك باعتبارات الامن العسكري . ويبدو أن الاهتمام الرئيسي منصب على النقطة التالية: كيف تتخطى أمريكا حواجز التجارة كي تتوسع في هذه الاوضاع التي تعتبرها مواتية ؟ .

أما الصورة فتختلف تماما ، من وجهة النظر الأفريقية، ذلك أن أفريقية التي يسيطر عليها البيض تتمتع بأفضل وضع ويساعد نمط التجارة والاستثمار مع الولايات المتحدة على تقدم هذه المنطقة بدرجة أكبر . وتمثل أفريقية الإسلامية صورة مختلطة لهذا الموقف فبينما تحصل هذه المنطقة ، عامة ، على نسبة كبيرة نوعا من السلع الانتاجية من الولايات المتحدة ، فإن صورة الاستثمار ليست بهذه الدرجة من الاشرار أما أفريقية السوداء ، وأفريقية التعددة الاجناس فتمثل صورة مخالفة ، فقد وجدت كميات محدودة من السلع الانتاجية الأمريكية طريقها الى هذه المناطق . وإذا استثنينا الكونغو البلجيكي وجدنا أن المستثمر الأمريكي لم يجد ما يفريه في هذه المنطقة » .

وقال ، في معرض شرحه : ان أهم ما في الامر أن وكالة التنمية المشتركة سيكون لها حق شراء ٩٠ ٪ من خامات اليورانيوم والثوريوم عام ١٩٥٧ و ٧٥ ٪ عام ١٩٥٨ و ١٩٥٩ و ١٩٦٠ .

وذكر بعد ذلك أن بلجيكا وافقت على أن تقدر احتياجاتها من هذه الخامات بعد عام ١٩٦٠ ، وأن تتشاور مع الولايات المتحدة حول وضع اتفاقية لهذه المواد تكون الأولوية فيها للوكالة لشراء ما يلزمها بعد هذه السنة .

وفي مقابل هذا تباع وكالة الطاقة الذرية الأمريكية لبلجيكا اليورانيوم الممتاز لاستخدامه في المفاعلات البلجيكية في أغراض البحث السلمية .

وقد كانت الولايات المتحدة ، حتى وقت قريب ، تجد أنه من دواعي رضاها أن تضع الترتيبات الخاصة بالتعاون مع مصالح أوروبا الغربية في أفريقية بدلا من التعاون مع المنظمات الأفريقية والشعوب الأفريقية .

غير أن الامتيازات والاحتكارات التي حصلت عليها أمريكا في القارة الأفريقية لم تكن تتمتع بموافقة السكان المحليين .

والواقع أنه كانت هناك أمثلة كثيرة ، كما حدث في الكونغو حيث حدث صراع بين المصالح الاقتصادية الأمريكية ومدرسة القوميين الذين هم أكثر تطرفا .

وجدير بالذكر أن وجود تغلغل اقتصادي يفتقر إلى المسؤولية السياسية قد وضع أمريكا في موقف محير داخل أفريقية ولحلفائها الأوروبيين .

وإذا كانت إثروة أفريقية البكر قد اجتذبت المستثمر الأمريكي فإن أهميتها الاستراتيجية قد جرت حكومة الولايات المتحدة إلى تورط في شئونها لا مخرج منه ، ذلك أن الجزء الواقع في أقصى الغرب من أفريقية أقرب قاعدة ينطلق منها أي هجوم مسلح على نصف الكرة الغربي .

كما أن سلامة خطوط الملاحة حول ساحل أفريقية ذات أهمية كبيرة إذا حدث ، لأي سبب ، أن أقفل البحر الأبيض المتوسط أمام الملاحة .

وأفريقية تربط أوروبا بآسيا . وأنه لمن الصعب على الغرب ان لم يكن من المستحيل ، أن يمنع النفوذ السوفييتي - الصيني من الانتشار فوق المحيط الهندي دون السيطرة على الساحل الجنوبي ، والجنوبي الغربي لأفريقية .

إن ساحل أفريقية المواجه للمحيط الاطلنطي ذو أهمية كبيرة للدفاع عن أوروبا وحوض البحر الأبيض . وإذا تركنا ذلك جانبنا وجدنا أن

المواد الخام الهامة التى تستطيع ان تقدمها افريقية مطلوبة للمحافظة على الصناعات الحربية فى أوجه نشاطها . واذا حرمت الولايات المتحدة وأوروبا الغربية من المواد الخام الافريقية فانها ستكون فى وضع غير ملائم من الناحية الاستراتيجية .

وتحتفظ الولايات المتحدة ، حاليا ، بقواعد عسكرية فى مراكش ، وتمارس نفوذا ضخما على حكومة تونس . كما تربطها اتفاقيات عسكرية - اقتصادية - سياسية - مع ليبيا ، وليبيريا ، وأثيوبيا .

وتعتمد ، بالنسبة لباقي أجزاء القارة ، على بريطانيا وفرنسا والدول الأوروبية الصغرى ، من أجل حماية افريقية من الخطط السوفيتية .

وقد أوضحت الولايات المتحدة استعدادها للدفاع عن المصالح الأوروبية اذا حدث بينها وبين الاتحاد السوفيتى صدام

وتود الولايات المتحدة ، من الناحية السياسية ، ان تحصل افريقية على استقلالها بطريقة منظمة ومرتبة ويؤثر تعاطف الولايات المتحدة القديم مع الشعوب المستعمرة ، والمعارضة الامريكية التقليدية للاشكال القديمة للاستعمار ، كل هذا يؤثر الى حد ما ، على موقف أمريكا السياسى من المشاكل الافريقية .

أما من الناحية الايديولوجية ، فيميل الاتجاه الأمريكى نحو السلبية : فالولايات المتحدة لا تريد أن تصبح افريقية شيوعية أو موالية للشيوعية . كما أنها لا تريد من الدول الأوروبية أن تحتفظ بقبضتها على افريقية .

انها تود أن تسير افريقية على أسس ديمقراطية، ولكنها لا تعرف الطريق الى تحقيق ذلك. ان واقع الموقف الاجتماعى والسياسى الافريقى يحير الأمريكين الذين لا يجدون فى نصوص كتب العلوم السياسية ما يستطيعون وصفه للاعضاء الجدد فى المجتمع الدولى :

وقد تلقى عدد من الزعماء الوطنيين الافريقيين تعليمهم فى الولايات المتحدة ، نذكر اربعة منهم : دكتور نكروما ، ودكتور ازيكوى ، ودكتور هاستنجز باندا ، ومستر أودنجا .

ولذلك فهناك أساس معين للتبادل الفكرى بين الولايات المتحدة وزعماء افريقية الوطنيين .

غير أن فشل أمريكا فى تقدير حتمية الثورة الافريقية قد يدفع هؤلاء الزعماء الى البحث عن المساعدة من الكتلة السوفيتية .

وظهرت دلائل هوة سياسية بين الولايات المتحدة وهؤلاء الزعماء.

بدلا من التعاون السياسى المتزايد بين الطرفين وكانت هذه الهوة سحيقة حتى أن شخصية كبيرة هي مستر كريستيان هيرتر لم يتورع ، خلال الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، عن وصف دكتور كوامى نكروما بأنه مؤيد للشيوخين .

وحيثما أخذت المشاكل الإفريقية فى التزاحم على الدورات المتتابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، بدأت حكومة الولايات المتحدة تلمس الطريق بحثا عن سياسة إفريقية ، ولم تكن قد وجدت هذه السياسة بعد حتى الشهور الأخيرة من عام ١٩٦٠ .

وترغم حدة الثورة الإفريقية المتصاعدة ، وتراجع الدول الأوروبية والخوف من النفوذ السوفيتى ، ترغم الرئيس الحالى للولايات المتحدة على وضع سياسة إفريقية ذات مضمون ايجابى .

ولم تأخذ هذه السياسة شكلا الا منذ فترة وجيزة ، وهي تركز اهتمامها على مسألة التعاون مع القومية الإفريقية بدلا من المصالح الاستعمارية الأوروبية .

وتعتمد حكومة كنيدي ، كثيرا ، على الأمم المتحدة فى تنفيذ هذه السياسة الجديدة .

وقد ظلت الولايات المتحدة ، لسنوات عدة ، تدعن لمعارضة الدول الغربية الشديدة لمناقشة مشاكل الاستعمار فى إفريقية فى مجلس الأمن .

وصوتت الولايات المتحدة ضد مناقشة الأمم المتحدة لمشكلتى تونس والمغرب حتى عام ١٩٥٤ وبرغم انها كانت تمارس ضغطا من وراء الستار لحض فرنسا على الوصول الى تسوية مشرفة مع دولتى شمالى إفريقية .

غير أن الولايات المتحدة تعاونت بعد ذلك مع بريطانيا العظمى على مد تونس بالأسلحة ، مثيرة بذلك سخط فرنسا .

والسبب فى هذا الاجراء الغريب هو خوف الولايات المتحدة من أن يتجه الحبيب بورقيبة شطر الاتحاد السوفيتى طلبا للأسلحة ، كما فعل الرئيس ناصر فى مصر .

وحتى بالنسبة للمسائل الاخلاقية الكبرى ، كمشكلة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقية ، امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت فى الجمعية العامة فى أثناء دوراتها المتتابعة حتى أرغمها ظهور أعمال العنف المفجعة البشعة التى ارتكبها البيض عام ١٩٦٠ الى أن تتخذ موقفا ايجابيا معاديا للتفرقة .

وما زال أمام الولايات المتحدة أن تصوت في مصلحة مناقشة الامم المتحدة لمشكلة الجزائر(١) .

واذا أعرضت الولايات المتحدة عن استعداد حكومات أوروبا الغربية واثارة غضبها فقدت عطف العناصر الوطنية الافريقية المكافحة ، المثلة في رجال مثال نكروما ، وناصر وسيكوتورى وفرحات عباس ، الذين ليس بينهم من هو شيوعى أو يزيد لبلاده أن تصبح شيوعية .

ولم تبد الولايات المتحدة ميلا كبيرا لفهم حركة الوحدة الافريقية والعطف عليها ، وقد أثار استقلال غانا بعض الآمال الكبار فى أمريكا ، ولكن هذه الآمال خمدت حينما بدأ الدكتور نكروما فى العمل بنشاط من أجل خلق « شخصية افريقية » قوية .

وانتقلت الآمال التى كانت معقودة يوما على غانا الى نيجيريا ، حيث ظن المسئولون أن وجود اتحاد فيدرالى مزعزع ، وشيوع نفوذ رؤساء القبائل ، سيكون بمثابة قوة مضادة لشعار الوحدة الافريقية الذى ينادى به نكروما وتورى وتوم موبويا .

وبالمثل شاعت أمريكا فى الكونغرس ، أن تساند الحركات الانفصالية التى قام بها كازافوبو وتشومبى بدلا من تأييدها لحملة لومومبا المركزية وهى سياسة عرضت الولايات المتحدة لمعارضة الدول الافريقية المستقلة التى هى أكثر تطرفا .

وفيما يتعلق بميدان المعونة الاقتصادية ظهر أن الولايات المتحدة تتوقف ، وتتردد ، وتمتنع عن البذل بسخاء للمشروعات التى أعطتها الحكومات الافريقية الحرة الأولوية وكان اجمالى المعونة الامريكية المقدمة لافريقية حتى عام ١٩٦١ يقل بكثير عن المساعدات التى قدمت الى منطقة واحدة فى الشرق الأقصى وهى فرموزا .

وقد وجدت الولايات المتحدة نتائج سارة ، على مسرح الأحداث الافريقى السريع التغير ، حينما كانت تستطيع أن تقف على قدميها ، كما فعلت فى تونس عام ١٩٥٦ - ١٩٥٧ ، ولكن سياسة الولايات المتحدة ، فى معظم الاحيان ، كانت تعرقل من جسراء عدم رغبتها فى الاساءة الى الحلفاء الغربيين .

وهذه السياسة السلبية تتعارض ، بشدة ، مع الحملة الشاملة التى شنها الاتحاد السوفيتى والصين من أجل عقد أواصر الصداقة ، والتأثير على الشعوب فى افريقية . وسرعان ما أصبح واضحا أن

(١) حصلت الجزائر على استقلالها بعد ظهور هذا الكتاب مباشرة .

الولايات المتحدة لا تستطيع أن تؤدي دورا بارزا في الشؤون الأفريقية دون أن تعيد تشكيل سياستها تماما فيما يتعلق بمشاكل أفريقية الثلاث الملتزمة : الاستقلال ، والمعونة الفنية والتربوية ، والمساعدات الاقتصادية .

وكانت الأزمة التي اندلعت في الكونغو في يولية عام ١٩٦٠ هي التي أدت الى أكبر تحول في السياسة الأمريكية نحو أفريقية غير أن هذه السياسة لم تظهر من تلقاء نفسها ، وإنما كانت ردا على محاولة سوفيتية ناجحة تقريبا للهبوط على نطاق واسع على الكونغو الذي هو قلب أفريقية تماما .

وقد رأينا كيف أن مصالح الولايات المتحدة المالية والاستراتيجية في الكونغو كانت ترتبط بالحكم البلجيكي فيها ، وشاطرت حكومة الولايات المتحدة ، الحكومة البلجيكية الرأي في أن أفضل نظام يلائم الكونغو هو الاتحاد الفيدرالي البسيط ، الذي تمارس فيه الاقاليم ، بما في ذلك من إقليم كاتنجا الفنى باليورانيوم ، استقلالا ذاتيا كاملا في الداخل .

وقد اتخذت الولايات المتحدة ، منذ البداية ، سياسة عدم الموافقة على سياسة مستر باتريس لومومبا والقوى الوطنية الداعية للتكامل التي يمثلها .

ولم تواجه الولايات المتحدة مشكلة عدم وجود سياسة واقعية لها في أفريقية إلا بعد أن اندلعت أزمة الكونغو ، وطالما ظلت هناك دولة أوروبية استعمارية تضطلع بمسئولياتها ، بات في مقدور الولايات المتحدة أن تقنع نفسها بالركون الى هذه الدولة والوثوق بأنها ستسير بمستعمراتها الأفريقية نحو الحكم الذاتي . وكان البريطانيون ينتهجون سياسة مستنيرة في أفريقية برغم الصعوبات ولم تجد الحكومة الأمريكية أدنى عناء في الاعتماد على حكمة بريطانيا ومذهبها التحرري . وكانت حكومات الجمهورية الرابعة في فرنسا واقعة تحت ضغط خفي ، وكانت الترتيبات التي تم الوصول اليها أخيرا بين باريس والمغرب وتونس ، مرضية على وجه العموم . وإذا ما استمرت الحرب في الجزائر (١) ، على كره واشنطن التي كانت تدفع ، في الواقع الحسب نيابة عن فرنسا ، فإنه من الممكن الاعتماد على جنرال ديغول في إيجاد حل يتمشى مع الكبرياء الوطني لفرنسا ، والمطامح الدولية ، والتقاليد المتحررة .

(١) سبقت الإشارة الى أن هذا الكتاب ظهر قبل استقلال الجزائر .

غير أن المتاعب ظهرت بسبب الدول الاستعمارية التي هي أصغر وأكثر عنادا. مثل بلجيكا والبرتغال . فبعد عشرات السنين من الحكم الأبوي المجذب ، قرر البلجيكيون ، فجأة أن يعلنوا انسحابهم السياسي من الكونغو في يولية عام ١٩٦٠ ، ولم يتركوا وراءهم زعامة سياسية أفريقية مدربة أو نظما سياسية مجربة أو أحزابا سياسية ذات جذور عميقة تستطيع أن تتولى السلطة ، وتحدد فترة انتقال سلمية نحو الحرية

والواقع أن انسحاب البلجيكيين المفاجيء كان في ذاته خطة استعمارية ، الهدف منها اجبار الكونغو المستقل على طاب الرعاية البلجيكية ، على نطاق واسع ، وأن البلجيكيين سيخرجون من الباب الامامي . كى يدخلوا ، من جديد ، من الباب الخلفى .

غير أن هذه التقديرات قد طاش صوابها ، وهوى الكونغو في وهدة سياسية في صبيحة يوم الاستقلال . فقد استغلت حكومة بروكسل حركة العصيان التي حدثت بين أفراد القوات انعام ، والتي وضع تصميمها ، الى حد ما ، القائد العام البلجيكي ، وقامت بتدخل عسكري على نطاق واسع وذلك بشكل واضح من أجل معاونة السكان الاوروبيين وتشجيع حكم كاتنجا الذي يترأسه مويس توشومبي على الانفصال عن الحكومة المركزية . وطلبت الحكومة المركزية التي يترأسها كازافوبو كرئيس للجمهورية ، وباتريس لومومبا كرئيس للوزراء ، معونة عاجلة من الامم المتحدة من أجل ضمان انسحاب القوات ابلجيكية والمحافظة على استقلال الكونغو ووحدته .

واستدعت الامم المتحدة ، لأول مرة في تاريخها ، من أجل رعاية دولة افريقية حديثة الاستقلال حتى تستطيع أن تقف على قدميها .

وقد ايدت الولايات المتحدة نشاط هيئة الامم وذلك الى حد كبير ، بسبب خوفها من التدخل السوفيتي في الكونغو لمصلحة حكومة لومومبا . ولم تكن أمريكا ، في المراحل الاولى من أزمة الكونغو مستعدة للمطالبة بانسحاب البلجيكيين العاجل ، أو استنكار الحركة الانفصالية في كاتنجا . وكادت الدبلوماسية الامريكية تستغل كل امكانياتها داخل الامم المتحدة لمنع الاتحاد السوفيتي من اتخاذ خطوة منفردة في الكونغو، ولو اقتضى الامر اقدام أمريكا على تدخل مضاد .

وبينما كانت أزمة الكونغو تتعمق جذورها ، وغزت تقريبا الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة، خسرت الحكومة الامريكية بالفعل تأييد الدول الافريقية التي هي أكثر أهمية مثل : غانا والجمهورية العربية

المتحدة ، والمغرب ، وغينيا ، واعتمدت على الاعضاء الذين هم أكثر تحفظا من المجموعة الفرنسية ، وعلى حلفائها التقليديين مثل تونس .

وهكذا نجد أن الولايات المتحدة قد أدت دورا ليس بالصغير في وضع تقسيم سياسى في افريقية المستيظة من سبائها ، تقسيم بين الدول غير المنحازة وتلك التى كانت مستعدة للتعاون مع الغرب .

ومن الأمور المؤسفة لكل من افريقية والولايات المتحدة أن تجد الدول الافريقية في مجموعة الدار البيضاء نفسها مضطرة الى اندفاع عن مصالح القارة ضد الارتباط الأمريكى بالعناصر الافريقية التقليدية والقبلية وغير الثورية . وقد ظهر هذا الارتباط أكثر وضوحا حينما أرسل الرئيس كنيدي رسالة يعرب فيها عن أمانة الطيبة الى مؤتمر مونروfia لزعماء الدول الافريقية اليمينية في ربيع عام ١٩٦١ .

وفي اندورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة اقترح أيزنهاور تحييد الكونغو بعيدا عن صراع الدول الكبرى . ففي خطبة له أمام الجمعية العامة في ٢٢ من سبتمبر عام ١٩٦٠ قدم أيزنهاور مشروعا من خمس نقاط خاص بتحييد افريقية . وكانت النقاط الخمس هي : « عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد الافريقية ، والمساعدة على ضمان أمنها دون التنافس على تسليحها بطريقة خطيرة ، وتقديم معونات استثنائية الى الكونغو ، وإسهام الدول في تشكيل برامج تنمية الافريقية الطويلة الاجل ، وتقديم مساعدات من طرف الأمم المتحدة من أجل التعليم » .

وإذا ما أخضعنا مشروع أيزنهاور هذا للمعايير المطلقة ، نجد أنه مشروع جيد ولكنه ، كما حدث في الشرق الاوسط خلال أزمة عام ١٩٥٨ ، فشل في أن يأمر لب الافريقيين أو أن يثير عقولهم وذلك لأن الحكم على الولايات المتحدة يصدر عن أعمالها لا عن أقوالها .

وكانت النيات الامريكية موضع اختبار في الكونغو : فحينما راقب الوطنيون الافريقيون ، الحكومة الامريكية وهى تتسبب في اسقاط لومومبا ، ومساندتها الواضحة لاقتراح الاتحاد الكونغولالى ، وحينما فشلوا في رؤية بريطانيا تطلب انسحاب البلجيكيين وتصر عليه ، فقدوا ايمانهم في الكلمات الوقور والنيات الطيبة . وتشكك كثير من الافريقيين فيما سيكون عليه الوضع الأمريكى اذا ما فقدت زعامتها للأمم المتحدة ، هل ستأتمن حينئذ الأمم المتحدة على الوصاية الفعلية على افريقية ، تلك الوصاية التى كانت جوهر مشروع أيزنهاور ؟

وكانت أزمة الكونغو بعيدة تقريبا عن أى علاج حتى قبل أن يتمكن جون كنيدي من الاستقرار في البيت الابيض . فقد تم اغتيال لومومبا .

واتخذ مجلس الأمن في ٢١ من فبراير عام ١٩٦١ أول قرار حول الكونغو بصعوبة بالغة بفوز فيه قيادة الأمم المتحدة حق استخدام القوة كملاذ أخير ، لمنع قيام الحرب الأهلية . وحاول الرئيس كنيدي ومستشاروه ، بعزيمة محمودة ، وضع سياسة جديدة خاصة بأفريقية وكانوا يدركون أن الكلام لن يفيد ، فانه يتعين أن تظهر السياسة الجديدة في العمل (لا الكلام)

وفي الكونغو حاولت الحكومة الأمريكية تعيين كازافوبو وحكومته بوصفهما الحكومة المركزية لدولة اتحادية . وقد تمت ممارسة ضغط على كازافوبو من أجل أن يعمل باتفاق مع قيادة الأمم المتحدة . وكان راجيشوار دايال - الهندي - قد أوفد الى الكونغو ممثلاً للأمم المتحدة . غير أن كازافوبو طالب باستدعائه ، فأعيد الى نيويورك في هدوء ، وهناك تركوه لثلاثة أشهر ثم نحوه عن منصبه في نهاية شهر مايو عام ١٩٦١ في أثناء بذل الجهود ، في الكونغو ، من أجل الوصول الى تسوية بين كازافوبو وقيادة الأمم المتحدة . ووضع تشومبي رهن الاعتقال في كوكيلها تفييل وكان قد ذهب لحضور مؤتمر للزعماء الكونغويين وكان هذا الاعتقال صادراً عن أسلوب من أساليب الحزب السياسي ، الذي يمثل بحق نوع السلوك السياسي القائم في الكونغو .

وفي مايو عام ١٩٦١ ظهر أن سياسة الولايات المتحدة الجديدة في الكونغو على وشك النجاح . فقد كان أفضل شيء في الكونغو ، بعد غياب لومومبا عن المسرح إنما هو إقامة اتحاد فيدرالي في ظل حكومة مركزية محافظة وضعيفة ، وكان هذا هو الهدف المباشر للسياسة الأمريكية ، وبدأ أنه على مرمى البصر : ففي الأسبوع الثالث من مايو ، وافق مؤتمر الزعماء الكونغويين على إقامة اتحاد فيدرالي يتكون من عدد كبير من الولايات تبلغ تسع عشرة ولاية بدلا من الاقاليم الستة القائمة .

وبدا ، للحظة عابرة ، أن الاهداف الرئيسية لسياسة أمريكا ازاء الكونغو قد باتت على مرمى البصر . وتم الوصول الى اتفاق ، نتيجة لمساورات هادئة بين الولايات المتحدة وبعض البلاد الاسيوية-الافريقية البارزة ، بما في ذلك الهند ، ويقضى بأن تساعد الحكومة الأمريكية بطريقة فعالة على تمكين البرلمان الكونغوي من الاجتماع وانتخاب حكومة وحدة وطنية ، وعلى انهاء تحدى تشومبي .

وقد أدركت واشنطن أن أية سياسة متطرفة في الكونغو، لن تؤدي الا الى دعم القوى المتطرفة ، وأنه اذا أمكن استعادة سيادة الكونغو الوطنية ووحدته عن طريق مساعي أمريكا الطيبة ، تم احراز نصر حاسم ضد محاولة الشيوعية الدولية التغلغل الى قلب أفريقية ، وبهذه النظرة المتحررة ، قامت الولايات المتحدة بدور فعال في تمهيد الطريق

لاجتماع برلمان انكونغو الذى طال انتظاره ، والى الوصول ، فيما بعد ، الى اتفاق بين مستر ادولا رئيس الوزراء الجديد ، وهو معتدل ، وبين مستر جيزنجا الزعيم المناصر للومومبا ، والذى اعترفت بنظام حكمه فى ستانلى فيل نحو اثنتى عشرة دولة ، على انه يمثل حكومة الكونغو ، والذى كان يتلقى معونات عسكرية واقتصادية من بعض الحكومات الافريقية بالاضافة الى الاتحاد السوفيتى ، وكان يسيطر على اكثر من نصف البلاد تحت سيطرته .

وقد تم تشكيل حكومة ائتلافية أصبح فيها جيزنجا نائبا لرئيس الوزراء وذلك نتيجة لاتفاق ادولا - جيزنجا الذى صدقت عليه الامم المتحدة . وكان الاتفاق يحمل فى طياته اتجاهها لومومبيا قويا . واعترف الاتحاد السوفيتى بالائتلاف الوطنى الجديد بعد موافقة جيزنجا على الانضمام اليه .

وبعد ان تم تخطى اول عقبة كبيرة فى الكونغو ، حاولت الولايات المتحدة اقناع كاتنجا بنبد سياستها الانفصالية وانضمامها الى الجمهورية . وحينما رفض تشومبى ان يدعى ، قامت قيادة الامم المتحدة - بموافقة من أمريكا على ما يبدو - بمحاولة مفاجئة فى ١٣ من سبتمبر للاستيلاء على اليزاينث فيل وانهاء انفصال كاتنجا بالقوة . وقد وجدت « الحرب الصغيرة الكريهة » ، التى تبعت ذلك ، قسوات الامم المتحدة مهزومة من جيش كاتنجا الاكثر تفوقا ، والذى قامت بتدريبه وتزويده بالاسلحة ، وتمويله ، وقيادته ، عناصر أوربية . وقد قيل : ان مقاتلة نفائلة وحيدة تابعة لكاتنجا بقيادة طيار بلجيكى ، لا تلقى أية مقاومة ، قد قامت بقذف وتدمير مواقع الامم المتحدة ، وكانت عاملا رئيسيا فى نكسة الامم المتحدة ، وذلك ما قالته جريدة النيويورك تايمز .

واندفع مستر همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة الى ليوبولد فيل قادما من نيويورك ، ورتب بسرعة مقابلة مع تشومبى من اجل اجراء محادثات للسلام فى ندولا ، فى روديسيا الشمالية . وقد عارضت الحكومة البريطانية بشدة اعمال الامم المتحدة العسكرية فى كاتنجا ، وهدد حكام روديسيا الشمالية والجنوبية البيض بالتدخل المسلح لمصلحة تشومبى . وفى ١٨ من سبتمبر قام همرشولد برحلة ليلية بالطائرة الى ندولا . واشتعلت النيران فى طائرته وتحطمت على بعد ثمانية أميال من المطار واسلم السكرتير العام الروح من أجل السلام فى الكونغو . وكانت ظروف تحطيم الطائرة يحوطها الفموض بدرجة جعلت الدول الافرو - آسيوية تطلب اجراء تحقيق سريع فى الحادث . وقد أرجعت الولايات المتحدة وحلفاؤها الفضل الاكبر اليه فى أكثر من الامور ، ولكنهم لم يكتروا

على الاطلاق لاجراء تحقيق فى ظروف وفاته . ولم يكن لدى معظم الناس فى جميع انحاء العالم أدنى شك فى أن طائرته قد اسقطت .

وقد وضعت وفاة مستر همرشولد . سياسة الولايات المتحدة فى الكونغرس ، من جديد ، فى مأزق . وكانت اتفاقية وقف اطلاق النار التى وقعتها قيادة الامم المتحدة مع تشومبي فى ٢١ من سبتمبر انتصارا واضحا لزعيم كاتنجا . وقد قضت وفاة همرشولد على الوسيلة الوحيدة التى كانت تأمل الولايات المتحدة أن تنفذ عن طريقها ، سياسة متحررة نوعا فى الكونغرس . واصبحت الامم المتحدة ، فى ذلك الوقت ، بلا زعامة . ولم يكن أحد يعلم كيف ومتى يمكن الحصول على سكرتير عام جديد ؟ ومن يكون ؟ وكيف سيعالج مشكلة الكونغرس ؟ وفى الوقت نفسه بدأت المصالح الاستعمارية الكامنة فى كاتنجا ، فى الاستعداد لمواجهة عسكرية كبيرة . وفى ليسوبولد فىل أصبحت القوة المناصرة للومومبا أكثر قوة .

لقد أبدت الولايات المتحدة ، مستر همرشولد ، فى يولية عام ١٩٦٠ ، من أجل القيام بمهمة الامم المتحدة فى الكونغرس . ولم يكن لدى المنظمة الدولية المتطلبات المادية أو الفكرية للقيام بهذه المهمة . وقد كان الجهاز العسكرى غير المنسق الذى أقامته الامم المتحدة عاجزا حتى أمام قوات كاتنجا ، وقد حرمت الحرب الباردة الامم المتحدة من أى هدف حازم فى الكونغرس . ومع ذلك تحملت الولايات المتحدة ، عبثا ماليا ضخما من أجل مهمة الامم المتحدة . وقد خسرت قدرا كبيرا من حسن النية فى افريقية . وبدا كشف الحساب ، فى النهاية ، فى صورة عزاء تأفه اذا ما قيس بهذا الثمن الباهظ . ولم تكن الولايات المتحدة عاجزة فقط عن ابعاد السوفييت عن الكونغرس ، وانما دلت الظواهر على أن الاتحاد السوفييتى سوف يكون لديه الكثير ليفعله مع حكومة الكونغرس فى السنوات التالية ، وحضر وفد كونغرسى يتكون من أدولا وجيزنجا مؤتمر القمة فى بلجراد للدول غير المنحازة ، وكانت خطب الزعيمين حملة شعواء على دور الدول الغربية فى بلدهما .

وفى الشهور التى تبعت وفاة همرشولد ، اخذت الولايات المتحدة تراقب بقلق متزايد موقف جيزنجا واتباعه وهو يقوى ، والقوى المعتدلة وهى تتراجع الى الخلف ، واتسعت الأزمة بين الحكومة المركزية وكاتنجا الى حد بدا فيه أن صداما مسلحا ، على نطاق واسع تقريبا ، سوف يقع لا محالة . واذا كان هناك من يفيد من مثل هذه الكارثة فهو الاتحاد السوفييتى .

وخلال أزمة الكونغرس ، كرست حكومة كنيدي جهودها ، بعد أن واجهها التأثير العاطفى القوى الناتج عن الدعاية الشيوعية ، للقيام بالعمل

الأكثر أهمية الخاص بالتأثير العاطفى على الفكر الأفريقى . ونظرا لأن معاداة الاستعمار أكبر سلاح سوفيتى لتفلفل الى عقول الأفريقيين ، اتخذت حكومة الولايات المتحدة وقفة جديدة مفاجئة معادية للاستعمار .

وحيثما أثرت المشكلة الانجولية فى مجلس الأمن من جانب وقد ليبيريا فى مارس عام ١٩٦١ ، ألقى ادلاى ستيفنسون خطبة - ينبغى أن نعتبرها من الوثائق الهامة عن سياسة الولايات المتحدة فى افريقية - فى النصف الأخير من القرن الحائى .

لقد ولت الايام التى كان يمكن للبرتغال أن تعتمد فيها على المساندة التى لا شك فيها من جانب حليفها الكبرى أمريكا ، فقد تدفق طوفان كبير من قناطر العالم منذ أن وصف دالاس جوا جهارا بأنها أقلية برتغالى . وقد قضى ستيفنسون على الاسطورة القائلة بأن اقاليم البرتغال عبر البحار ليست الا جزءا لا يتجزأ من الدولة الموحدة ، وطلب من الحكومة البرتغالية أن تقود المستعمرات الى الحكم الذاتى او الاستقلال على مراحل . وصوت وفد الولايات المتحدة لمصلحة الاقتراح الليبيرى الذى يطالب البرتغال بادخال الاصلاحات فى انجولا ، واقترح ارسال بعثة لاستقصاء الحقائق فى المستعمرة . ولم يصوت أى واحد من أعضاء مجلس الأمن ضد القرار ، ومع ذلك فإن القرار لم ينجح من خلال فشله فى الحصول على سبعة أصوات مؤيدة . فقد حصل المشروع على ستة أصوات (الدول الآسيوية الثلاث ، والاتحاد السوفيتى ، وبولندا ، والولايات المتحدة) .

ومن الواضح أن المندوب الأمريكى آلى على نفسه ألا يمر القرار . (لابد انها - أى أمريكا - اقنعت المندوب « الصينى » بالامتناع عن التصويت !) . غير أن حقيقة التصويت الأمريكى المؤيد ذاته ، تعتبر حادثة بارزة . وقد وافقت الجمعية العامة فيما بعد ، فى شهر ابريل على الاقتراح وبتأييد من أمريكا مرة ثانية . وحيثما اجتمع المجلس الوزارى لمنظمة حلف شمال الاطنطى فى أوصلو فى شهر مايو لم تنضم الولايات المتحدة الى كورس النقد الموجه ضد الاستعمار البرتغالى ، ولكنها ضغطت سرا على لشبونة من أجل تعديل سياستها الاستعمارية ، وقدمت مساعدات اقتصادية لتعويض أية خسارة قد تحدث نتيجة لمنحها الاستقلال لانجولا . ولأول مرة أيضا صوتت الولايات المتحدة ضد التفرقة العنصرية فى جنوب افريقية فى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، وانضمت الى أغلبية الوفود فى المطالبة بادخال الاصلاحات السياسية فى مناطق جنوب غربى افريقية الخاضعة

للانتداب ، والتي ضمتها حكومة جنوب افريقية الى الاتحاد دون موافقة الأمم المتحدة .

وقبل أن توضع هذه الاعمال الجريئة والمستحبة موضع التنفيذ، تلقت حكومة الديمقراطيين من ثلاثة شيوخ (فرائك تشرشي نائب أداهو، وجيل ماسك جى نائب ديومنج ، وفرائك موسى نائب أوتاه ، وجميعهم ديمقراطيون) نقدا صريحا ومخاضا للسياسة الأمريكية في افريقية وقد دعا هؤلاء الشيوخ الذين قاموا بجولة في ست عشرة دولة افريقية في شهرى نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٦٠ ، دعوا في تقريرهم الى اعادة تقويم لسياسة أمريكا في افريقية .

وقد نشر تقريرهم في واشنطن في شهر فبراير ، وانتقد التقرير سياسة الولايات المتحدة ، لانها تحاول « أن تلتزم بحذر طريقا وسطا بين التعبير عن تعاطفها الفاتر نحو القومية الافريقية بطريقة لا تؤذى أحدا ، والتأييد الايجابي لحركة الاستقلال الذي تخشى أن يستعدي علينا - بلا مبرر - بعض حلفائنا في منظمة حلف شمال الاطلسي » ان السياسة الأمريكية تجاه افريقية ، كما ظهرت في الأمم المتحدة ، تتجه الى استنفاد « رصيدنا من النية الحسنة ، والتفاهم في افريقية »

ويقول التقرير : ان هذا ينطبق ، بصفة خاصة على « موقفنا السياسي من الجزائر » .

وأشار الشيوخ الى أن امتناع أمريكا عن التصويت على الاقتراح الذي قدمته ثلاث وأربعون دولة حول مشكلة الاستعمار في الأمم المتحدة في ١٤ من ديسمبر قد « ضاعف من حدة شكوك الافريقيين في أن أمريكا ترفض أن تلتزم بتصريحاتها الصادرة عن ايمان ، وانها تضع علاقاتها الطيبة مع حلفائها الاوروبيين فوق مصالحها في افريقية .

وقد لخص الشيوخ الثلاثة الذين يمثلون ثلاث لجان هامة من لجان الكونغرس ، والذين كان يصحبهم - خلال جزء من جولتهم في افريقية - ادوارد كنيدي الاخ الاصغر للرئيس كنيدي ، لخصوا انطباعاتهم بالطريقة التالية :

« ان الانطباع الشامل السائد الذي خرجنا به من افريقية هو ان الولايات المتحدة تواجه صراعا شاقا لاقتناع الافريقيين بأن أمريكا تعطف - بايجابية - على آمالهم في الاستقلال ، واننا لانحاول توريثهم في الحرب الباردة ، واننا نريد صداقتهم ، ولا أكثر من هذا »

وقد أشار تقرير الشيوخ الثلاثة الى نقطة ضعف أخرى في فكرة الافريقيين عن أمريكا . فقد ذكر أن التفرقة العنصرية داخل الولايات

نفسها » قد تكون أحد الحواجز الطبيعية الهامة التي تقف أمام خلق تفاهم أفضل بين افريقية وهذه البلاد ، وقال الشيوخ : « لقد ، بذلت جهود مستمرة من أجل توضيح الحقيقة ، تلك الحقيقة التي تقول : أن السياسة القومية الرسمية تعارض كلية أية تفرقة ، وأن حكومتنا تبذل جهودا ضخمة كي تعجل بالعمل في هذا المجال . وبقيت الحقيقة الأساسية ، وهي أنه حتى هؤلاء الافريقيين الذين يفهمون مشاكلنا ويحترمون جهودنا لا يملكون ، بطبيعة الحال ، إلا أن يتأثروا عاطفيا للامثلة التي تنشر على نطاق واسع عن التعصب وأعمال العنف العنصرية في هذه البلاد ، وتزداد حدة رد الفعل هذا بوجه خاص ، حينما تلحق أهانة بدبلوماسي افريقي أو شخصية كبيرة زائرة » .

الفصل التاسع

السوفييت في افريقية

نشر وولتر ليبمان ، عند عودته من الاتحاد السوفيتى فى نوفمبر عام ١٩٥٨ ، سلسلة من المقالات فى الصحافة الامريكية عن الشكل الجديد للصراع بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وقد بذل مجهودا كبيرا فى الاشارة الى الكيفية التى انتشر بها الصراع فوق قارتي آسيا وافريقية ، وأشار ليبمان ، الذى كان قد اجتمع بخروشوف وغيره من الشخصيات السوفيتية البارزة ، الى أن المسألة الاساسية القائمة بين الدولتين القويتين تنبع من الحقيقة الآتية : وهى أن الاتحاد السوفيتى - وبجانبه الآن الصين - قد قطعاً شوطا كبيرا فى الفوز بزعامة آسيا وافريقية .

والقوة الخفية المحركة لشكوك السوفيت فى الغرب هى « الاعتقاد بأن الولايات المتحدة وحكومات الدول غير الشيوعية لن تدع روسيا والصين تستمران حتى النهاية فى الثورة التى تقودانها فى آسيا وافريقية ، الا اذا ارغمت على ذلك ، وهم يؤمنون فى قرارة انفسهم بأنه ستكون لهم الاسبقية فى افريقية وآسيا ، ولن يكون ذلك عن طريق الحرب ، وانما عن طريق تجنب أية حرب قد تدمر انجازاتهم الاقتصادية » ويشرح ليبمان الشكوك الامريكية المقابلة فيقول : انها تنبع « من الاعتقاد بأنه طالما حقق الاتحاد السوفيتى والصين الحمر انتصارات فى مجال القوة العسكرية ، فانهما لا محالة سيستخدمون هذه الانتصارات كأداة لسياستهما التى ترمي الى تكملة سيطرتهما على آسيا وافريقية » وأنهى ليبمان كلامه بقوله : « لقد عدت الى الوطن وأنا مقتنع بأن المسألة الرئيسية الملحة هى التحدى الروسى والصينى من أجل زعامة آسيا وافريقية » (١)

وربما كان من أبرز مظاهر السياسة السوفيتية فيما يتعلق بافريقية انها ظاهرة جديدة تماما ، وانها هبطت على القارة الافريقية مثلما هبط انهيار جليدى من مكان لا يعرف كنهه .

(١) « العالم الشيوعى وعالمنا » وولتر ليبمان - لندن - ١٩٥٩ .

فمن الواضح أن البلاشفة الذين أقاموا أول دولة اشتراكية عام ١٩١٧ على أنقاض روسيا القيصرية ، لم يكن لديهم الوقت ليفكروا في أفريقية على الإطلاق . فحينما كانوا يتحدثون عن الاستعمار ، فإنهم كانوا يقصدون الشرق الأدنى والهند والصين .

والواقع أن كارل ماركس نفسه لم يفكر ، على الإطلاق ، في المشاكل الأفريقية ، ولم تشر كتابات لينين عن الاستعمار إلى أفريقية إلا لما كما لم تشر جميع الدراسات المناهضة للاستعمار ، والتي كان يوزعها الكومنتيرن إلا بطريقة عابرة إلى أفريقية . وقد أدت الحكومة الروسية الامبراطورية نفسها دورا صغيرا للغاية في اندفاع أوروبا بالمناكب نحو أفريقية بالرغم من أن « الحكومة القيصرية قد وافقت ، في فترة ما ، على خطط إيطاليا في شمالي أفريقية ، ووعدت إيطاليا - في مقابل ذلك - أن ترحب بسعى سانت بطرسبرج الجاهد نحو القسطنطينية » (١)

ولم يكن لدى ماكس بيلون في دراسته الأكاديمية عن سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية ، ما يقوله عن أي هجوم أيديولوجي أو سياسي من جانب الاتحاد السوفيتي لطرد الدول الأوروبية من أفريقية أو لخلق نظرية ثورية بين الأفريقيين حتى الثلاثينات .

غير أن الاتحاد السوفيتي عارض بقوة الغزو الإيطالي للحبشة في منتصف الثلاثينات . بيد أن الخطب التي ألقاها ليتفينوف في عصبة الأمم كادت تخلو من أية جاذبية أيديولوجية للقومية الأفريقية ، ومع ذلك كان النزاع الإيطالي - الحبشي هو الذي بذر بذور سياسة الاتحاد السوفيتي المقبلة نحو أفريقية لتترعرع بعد ذلك في النصف الأخير من القرن ، وكان الاتحاد السوفيتي مهتما بالسلام في أوروبا ، ذلك السلام الذي كان يعتمد عليه سلام العالم . كما أدرك أن تشجيع السياسة العدوانية في إيطاليا سوف يؤدي - فيما بعد - إلى تعويض سلام وأمن أوروبا نفسها للخطر . غير أنه برفعه راية مناهضة الاستعمار عالية في أفريقية ، كان يهدف بالفعل إلى كسب الولاء العاطفي لهذه الإنسانية السوداء المعذبة التي لم تتبلور بعد من الناحية السياسية .

ويقول مستر بيلوف وهو يعرض لموقف الاتحاد السوفيتي من النزاع الإيطالي - الحبشي : « الواقع » أن الاتحاد السوفيتي كان الدولة الوحيدة من بين دول العصبة الرئيسية - التي لم تهتم بالشئون الأفريقية بطريقة مباشرة ، وكان له اهتمام ثانوي بمنطقة الأزمة في البحر المتوسط ، ولكن كانت هناك عوامل أخرى ينبغي أن نضعها في الاعتبار، بالإضافة إلى رغبة

(١) « السوفييت في حقل الشئون العالمية » بقلم لويس فيشر - المجلد الثاني

السوفيت العامة في دعم العصبة ، فقد كان من الضروري أن يلتزم اتجاهها
يمكن تبريره على أساس مناهضته للاستعمار ، وهو اتجاه لا يستطيع أن
يتركه الاتحاد السوفيتي جهارا .

ومن ناحية أخرى كان الاتحاد السوفيتي يرتبط بإيطاليا بمعاهدة
عدم اعتداء وقعت في الثاني من سبتمبر عام ١٩٣٣ ولم يكن يرغب - شأنه
في ذلك شأن فرنسا - في أن يلمس تردد إيطاليا في السياسة الخارجية
يتحول في النهاية إلى انضمام إلى الكتلة الألمانية التي تدين بمذهب إعادة
النظر « (١) » .

وقد قال ليتفينوف نفسه، في إحدى خطبه «أن الاتحاد السوفيتي
لم يكن مهتما بطريقة مباشرة بالنزاع الأفريقي ، ولم يكن هدفه أن يؤثر
على الشعوب المستعمرة بوقف الاتحاد السوفيتي المناهضة للاستعمار،
قدر ما كان تذكيرا للدول الاستعمارية بأن هذا الاندفاع الجديد بالمناكب
نحو المستعمرات في أفريقية وفي الشرق الأقصى ، قد يضع العالم - إذا
لم تقم العصبة برده - بين برائن كارثة أخرى » . وقد فشلت جهود
ليتفينوف ، كما نعرف جميعا ، وراقب المجتمع الدولي - عاجزا -
اغتصاب إيطاليا للحبشة .

وقد أكد مولوتوف ، الذي كان وزيرا للخارجية في ذلك الحين ،
أن جهود السوفيت كانت ذات مضمون مناهض للاستعمار .

وقد أراد بذلك أن ينفي صفة العقم عن هذه الجهود ، وفصل ذلك
في تقرير رسمي عام ١٩٣٦ ، وبقيامه بهذا العمل وضع ، في خطوط
واضحة ، أسس السياسة الأفريقية المستقبلية التي صاغها الكرملين
بعد ذلك بحوالي عشرين عاما .

وفي خطبة ألقاها في ١١ من يناير عام ١٩٣٦ شرح الموقف السوفيتي
من المسألة الحبشية ، قال فيها : « كان الاتحاد السوفيتي في أثناء الحرب
الإيطالية الحبشية الدولة الوحيدة التي اتخذت موقفا مغايرا من حيث
المبدأ ، وهو مبدأ يناوئ أية فكرة للاستعمار » ويخلو من كل نية للغزو
الاستعماري ، لقد كان الاتحاد السوفيتي هو الوحيد الذي أعلن جهارا
أنه يأخذ كنقطة بداية بمبدأ المساواة واستقلال الحبشة التي تتمتع
بالعضوية في عصبة الأمم ، وأن الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يساند أي
عمل للعصبة أو لاية دولة رأسمالية يقصد به تحطيم هذا الاستقلال وهذه
المساواة » .

(١) « سياسة روسيا السوفيتية الخارجية » ماكس بيلوف - المجلد الأول

- لندن - ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

وهكذا نجد أن أزمة الحبشة كانت من المعالم الهامة في سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه افريقية ، فقد جعلت الكرملين يعالج لأول مرة مشكلة افريقية ، وبرغم أن اهتمامه كان ما يزال محضورا أساسا في أوروبا . فأننا نرى الحكومة السوفيتية تخطو خطوة أولية في افريقية . وكان السوفيت ينظرون ، بالفعل ، الى كفاح الحبشة على أنه « حرب ثورية لشعب متخلف شبه مستعمر من أجل الحصول على حريته الوطنية، وعلى هذا الاساس يثير اهتمام البروليتاريا الدولية (١) » .

غير ان الحرب العالمية الثانية قد جعلت الاتحاد السوفيتي ، مثلما جعلت الولايات المتحدة ، على اتصال أوثق بالوضع في افريقية ، وخاصة في شمالي افريقية . وقد أفسح انشاء الامم المتحدة ، بعد الحرب ، مجالا أمام الاتحاد السوفيتي كي يعود مرة ثانية كمدافع عن الشعوب المستعمرة ، وكانت الخطب التي القاها المندوبون السوفيت في دومبارتون أوكس، وسان فرانسيسكو، تحتوي على اشارات متكررة الى افريقية . وقد هاجم الاتحاد السوفيتي الدول الأوروبية ، في لجنة الوصاية ، بسبب اخفاق النظم الاستعمارية . وكان الاستنكار الشديد للنظم الاستعمارية الافريقية مصحوبا بدراسة أكاديمية جادة ودقيقة للمشاكل الافريقية .

وقام الحكام السوفيت بدقتهم المعهودة بفتح أقسام للدراسة الافريقية في الجامعات المختلفة وبتشجيع المرشحين للعمل في السلك الدبلوماسي بتعلم اللغات افريقية، والعادات والتقاليد وتاريخ القوميات الافريقية المختلفة ، وبانشاء معاهد بحث عدة خاصة بافريقية . وقد أثار المتحدثون السوفيت ، في مجلس الوصاية ولجنتها ، دهشة زملائهم الغربيين بتفهمهم الذي يثير الدهشة للأوضاع الافريقية ، وبالمهام التامة للاجصاصيات الخاصة بافريقية .

وفي منتصف القرن تركت أعمال السوفيت في لجنة الوصاية ، وموقف السوفيت من المسائل الافريقية المختلفة التي كانت تعرض على الجمعية العامة للأمم المتحدة - تركت أثرا عميقا على الرأي العام الافريقي، وقد أخبر (الامير) عبد الكريم الخطابي الزعيم المغربي الاسطوري الذي كان قد ثار على الفرنسيين في أوائل العشرينات أخبر مستر فينسنت شين عام ١٩٥١ أن «الشعوب المستعمرة والمظلومة تجد الآن أن الاتحاد السوفيتي هو الدولة الوحيدة التي تعلن عن اعتقادها في قدرتها على الوقوف على أقدامها» (٢) .

(١) الحرب والسلام في الدبلوماسية السوفيتية « بقلم تاراكوذيو ص ١٩٧ - ٢٠٤ ،

٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٢) فينسنت شين في « فريجينا كوارترلي ريفيو » عدد الشتاء عام ١٩٥١ .

وفي الوقت الذي بدأ فيه عرض المشاكل الافريقية ، واحدة بعد الاخرى ، على الامم المتحدة ظهرت سياسة جديدة للاتحاد السوفيتي نحو افريقية . ففي البداية بينما كان الاتحاد السوفيتي يؤيد الاستقلال الافريقي ، ويلج في المطالبة بانسحاب الحكم الاستعماري ، كان يمتنع عامة عن التنديد الكامل بالغرب ، وعن تشجيع الشعوب على التمرد ، كما أن الاتحاد السوفيتي لم يكن مستعدا للدخول الى مسرح الاحداث الافريقي نفسه ، فقد كان واضعو السياسة السوفيتية في عهد ستالين يرتابون في زعماء آسيا وافريقية « البورجوازيين » ، وكانوا يكونون قليلا من العطف نحو ناصر أو توبمان أو هيلاسلاسي أو ملك المغرب وكانوا يتجهون نحو ظاهرة مجهولة تدعى بالشعوب الافريقية ، وحاولوا أن يتجاهلوا الزعماء الجدد ، وكانت السياسة السوفيتية مازال تبحث بلا جدوى عن بروليتاريا افريقية ، ولم تخطب ود القومية الافريقية .

وقد جاء أول خروج عن هذه السياسة بعد مؤتمر باندونج الذي اشترك فيه عدد من الوفود الافريقية ، كي يبشروا بمولد افريقية الجديدة . وقد اكتشف الاتحاد السوفيتي ، والصين ، أتى كان يمثلها في باندونج رئيس وزرائها شواين لاي بنفسه ، في هؤلاء الشبان الفاضلين تربة خصبة لدعايتهما التي تدعو الى الشعب . وخضعت الاستراتيجية الشيوعية المتعلقة بافريقية لعملية اعادة تقويم سريع في كل من موسكو وبكين . ومع ذلك استطاع جون جنتر أن يكتشف ، في عام ١٩٥٦ ، قدرا ضئيلا من النفوذ السوفيتي الفعلي في داخل افريقية ، وان كان قد حذر أن هذا النفوذ قد يزداد في السنوات التالية ، وقال : « ان افريقية لا تحتل مركز الاولوية لدى السوفيت في هذه اللحظة » . ولكنه أسرع ليقول : « ولكنها قد تصبح في ذلك المركز فيما بعد » .

وفي الفصل الاخير من كتابه « في داخل افريقية » لخص جنتر المشكلة الشيوعية في افريقية ، فقال : « انه لا توجد للاتحاد السوفيتي سفارة رسمية او قنصلية في أي مكان في شمالي افريقية أو على الساحل الغربي . وكانت القاهرة ، واديس أبابا ، وبريتوريا ، هي البقاع الوحيدة من دون انحاء افريقية التي تحتفظ فيها روسيا بمراكز دبلوماسية ، كما لا يوجد أي حزب شيوعي صريح ذو وزن في أي مكان في افريقية باستثناء الجزائر (وتم حل الحزب بعد استقلال الجزائر) وتونس وافريقية الغربية الفرنسية » .

واعتقد جنتر أن الاتحاد السوفيتي يترقب حصول الدول الافريقية على استقلالها الوطني قبل أن يضع موضع التنفيذ برنامجا افريقيا تكون له الأولوية ، غير أنه لاحظ ان هناك ، في معظم أجزاء افريقية ، دلائل كثيرة تشير الى وجود نفوذ شيوعي ، فالحزب الشيوعي الفرنسي

القوى يمارس بعض السيطرة على سكان الاقاليم الافريقية الفرنسية ، وكان هناك على الاقل . زعيم افريقى بارز واحد هو جومو كينياتا في زيارة لموسكو ، وكانت الاذاعات السوفيتية تسمع في بعض اجزاء افريقية ، وكان رجال الدعاية السوفيتية يلقنون الطلبة الافريقيين في لندن وباريس وبعض المدن الاوروبية الاخرى تعاليمهم .

وأخيرا كانت هناك الامم المتحدة التي قدمت الى الاتحاد السوفيتي منصة جاهزة لكي تفصح من فوقها شرور الاستعمار ، ويمنح تأييده الكامل شكايات الافريقيين .

ولاحظ جنتر « شعورا ايجابيا بين كثير من الافريقيين ، وخاصة بين الشباب منهم » بأن روسيا والصين الشيوعية قد تفوزان في الصراع العالمى من اجل النفوذ وهما « يريدان أن يكونا في الجانب الفائز » .

ومن بين العوامل التي لاحظ جنتر أنها تعمل ضد التغفل الايديولوجى السوفيتى في افريقية صفر حجم البروليتاريا الافريقية التي تكمن فيها بعض فضائل « الشيوعية البدائية » ووجود الاسلام ، وأخيرا - وهو امر يثير السخرية - نظم الحكم القوية لبلجيكا ، والبرتغال ، وبيض جنوب افريقية حيث « لاتتاح للشيوعية فرصة كبيرة في أن تصبح قوة فعالة لان السلطات لديها السيطرة الكاملة لآخمادها » .

وفي الوقت الذى كان فيه واضعو السياسة الغربية ورجال الصحافة يزنون الاحتمالات الايجابية والسلبية لآى « وصول » شيوعى الى افريقية ، كان هناك - في الاتحاد السوفيتى نفسه - برنامج شامل من اجل افريقية ، من الناحية الايديولوجية والاستراتيجية ، يوضع في الفترة بين ١٩٥٤ - ١٩٦٠ . وكانت المقالات الايديولوجية عن افريقية المنشورة في المجلات السوفيتية المتخصصة ، تحمل تشابها وثيقا مع مقالات كتبت منذ سنوات مضت عن آسيا المستعمرة . وقد وجد الكتاب السوفيت ان الشكل التقليدى من الاستعمار مازال سائدا في افريقية ، تسانده الولايات المتحدة التي دأبت على استغلال افريقية بطريقة استعمارية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها . وفي الوقت نفسه ارجعوا الفضل في تحرير المستعمرات الافريقية وظهورها كدول مستقلة الى نجاح المعسكر الاشتراكى وقوته المتزايدة .

وفي عام ١٩٦٠ نشر بحث مطول عن افريقية بقلم ك . ايفانوف في المجلة السوفيتية الشهرية « الشؤون الدولية » . ويعتبر البحث مفتاحا مفيدا للرأى السوفيتى في المسائل الافريقية وقال ايفانوف :

« ان الاستعمار الحديث ذا الاشكال التقليدية مازال قائما في افريقية أساسا حيث مايزال ١٥٠ مليون نسمة . « تكبلهم أصفاد الاستعمار » .

وقد رسم صورة قاتمة للغزو الاوروبى للاقاليم الافريقية ، ولدعم الحكم الاوروبى لقائم ، واعتبر الاصلاحات التى حاولتها الدول الاستعمارية أعمالا سخيفة لا تهدف الا الى « خلق صمام أمان تتجنب به الانفجار » .

وحاول ايفانوف أن يظهر - معتمدا على قدر هائل من الاحصائيات - قبضة رأس المال الاوروبى والامريكى « الشبيهة بقبضة الأخطبوط » على اقتصاد المناطق الافريقية . وأظهر كيف أن اندول الاوروبية قد رعت بعناية النظم والقيم القبلية كسد يحول دون اندفاع القوى والاقطار الثورية . وقد أدت سيطرة رأس المال الاوروبى والامريكى الاحتكارية على الاسواق والاقتصاديات الافريقية أدت الى انهيار الشعوب الافريقية الى حالة من الفقر التام ، بل وانكرت على هذه الشعوب الحقوق الانسانية والسياسية الرئيسية .

وثمة تطور جديد اهتم ايفانوف بإبرازه وهو « الاستعمار انجماعى » الذى يحل : بسرعة كبيرة ، محل الحكم الاستعمارى الفردى فى اجزاء كبيرة من القارة .

« وينبغى علينا أن نلاحظ أنه بعد الحرب العالمية الثانية اضطرت الدول الاستعمارية القديمة ، تحت ضغط الولايات المتحدة ، ومن بعدها ألمانيا الغربية ، الى أن تزيل الى حد كبير - الحواجز التى منحتها مركزا احتكارييا فى المستعمرات ، وأن تسمح بدخول الاحتكارات الامريكية وغيرها من الاحتكارات وكذلك بضائع هذه الدول ، وقد منحت السوق المشتركة الخاصة بالدول الاوروبية الغربية ، على وجه الخصوص ، منحت الاحتكاريين من ألمانيا الغربية فرصا كبيرة فى هذا المجال . وتشير جميع الدلائل الى أن افريقية السوداء تأخذ بشكل متزايد صورة معقل الاستعمار الجماعى الذى تفرضه الدول الاستعمارية التى دأبت احتكاراتها الضخمة على استغلال السكان ، واستغلال ثروة افريقية الطبيعية ، تحرسها أسنة رماح الدولة الاستعمارية التى تحكم هذا البلد المستعمر » .

وتعكس قضية ايفانوف - التغير الهام الذى طرأ بالفعل على السياسة السوفيتية فى موقفها من الزعامة البورجوازية فى البلاد الآسيوية - الافريقية ، فبدلا من الفكرة السائدة قبل فترة مؤتمر باندونج ، أصبح هناك اعتراف بالدور التقدمى الذى تؤديه الزعامة البورجوازية الوطنية ، برغم الادعاء بأن جزءا من الفضل فى تحويل المستعمرات الى دول مستقلة ، وفى التقهقر العام للاستعمار كان يعزى الى التغير الاساسى فى العلاقات بين الدول الكبرى ، والى ظهور الكتلة الاشتراكية .

« ان حروب التحرير الوطنية المناهضة للاستعمار ، والتي تشنها الشعوب ، انما تتم في ظل التأثير العظيم للنظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ، والنظام الاشتراكي في الديمقراطيات الشعبية ، كما تتم أيضا بتأثير من النجاح الذي احرزته الاقطار المتحررة في آسيا والشرق العربي ، وهي تهز الآن الاسس التي يقوم عليها النظام الاستعماري العتيق في البلاد الافريقية جنوب الصحراء أيضا ، وماتزال الاحتكارات الضخمة تجرف أرباحا ضخمة هناك ، غير أنها تتعرض في هذا السبيل لمزيد من المتاعب ، ويجد المستعمرون أنفسهم ، بمرور الوقت ، يعيشون في عزلة داخل الامم المتحدة ، وذلك حين تتم مناقشة المشاكل الاستعمارية » .

وأراد ايفانوف أن يوضح لمصلحة الزعماء الافريقيين فيما يبدو ان الاستقلال السياسي لن ينهي مشكلتهم الحقيقية الخاصة ببناء افريقية الجديدة ، وانما سيبدؤها فقط ، فقد يبقى رد الفعل قويا حتى بعد الاستقلال ، وقد تأتي معارضة الاجراءات المتطرفة من جانب المصالح الافريقية الراسخة ، وهي في أغلب الاحيان مصالح قبلية ، بل قد يظهر اتحاد بين المصالح الاقطاعية المحلية والقوى الاستعمارية المتقهقرة « كثيرا ما ترتبط مصالح الغالبية العظمى من النبلاء الاقطاعيين والقبليين بمصالح الاستعماريين ، وبطريقة وثيقة » . ويجد الاتحاد السوفيتي دلائل التقدم المشجعة في أية منطقة تتخذ فيها خطوات فعالة لازالة هذه المصالح الاقطاعية والقبلية ، مثلما حدث في جمهورية غينيا .

وانتهى بحث ايفانوف بهجوم عنيف على جهود الحكومات الاوروبية والامريكية والمصالح التجارية الرامية الى انعاش الاقتصاد الافريقي عن طريق انشاء الصناعات واصلاح نظم الزراعة ، وذكر الوطنيين الافريقيين بالاحطار الكامنة في عروض الغرب الخاصة بالمساعدات الاقتصادية ، وقال محذرا ان الرأسمالية الغربية تحاول استمالة البورجوازية الافريقية عن طريق عرضها بالمشاركة في المشروعات الاقتصادية بالجزء الاكبر . ولكن ايفانوف أشار باصرار الى ان « الطبقة البورجوازية ، على وجه العموم ، في البلاد الافريقية ، وخاصة جنوب الصحراء ، اضعف بكثير منها في الاقطار الآسيوية المتقدمة أو الجمهورية العربية المتحدة ، على حين نجدها معدومة كلية تقريبا في غينيا » (١)

ومع ذلك ما تزال دلائل التغفل السوفيتي في افريقية بسيطة للغاية ، ولم تنظر الصحافة الامريكية ، بسبب انهماكها المفرط في الحرب

(١) « الاستعمار المعاصر » بقلم ك . ايفانوف - مجلة (الشؤون الدولية) - موسكو

- فبراير ويونيه عام ١٩٦٠ .

الباردة ، لم تنظر الى الاتحاد السوفيتى حتى عام ١٩٦٠ على انه اكثر من مجرد منافس قد يصبح قويا فى القارة الافريقية .

وفى عام ١٩٥٤ زود الاتحاد السوفيتى مصر بالاسلحة عن طريق تشيكوسلوفاكيا ، ولكن بالرغم من أن مصر تنتمى الى افريقية ، من الناحية الطبيعية ، فان هدف الكرملين المباشر كان يرمى الى التأثير على مجرى الاحداث فى غربى آسيا ، ومنحت أزمة السويس (عام ١٩٥٦) السوفيت فرصة ضخمة لكى يرتدوا مسوح المنافع عن حقوق البلاد العربية ، وقد تم دعم الثمار السياسية الضخمة التى جناها الاتحاد السوفيتى من حادثة السويس فى السنوات التالية ، عن طريق تقديم معونات اقتصادية ضخمة لمصر وسورية والعراق ، وغيرها من الدول العربية .

ولا شك أن المساعدات الاقتصادية التى قدمت لمصر ، قد اكسبت السوفيت تأثيرا كبيرا على العقليات الافريقية ، وخاصة أن هذه المساعدات قد قدمت دون أية ارتباطات سياسية واضحة ، وبشروط لا يمكن أن تفكر فيها أية حكومة غربية ، فما بالك بالاجهزة الخاصة ، كما قدمت المعونة من أجل مشروعات رفضها الغرب لانها طموح أكثر من اللازم .

وكان الانتقال من مصر الى شمالى افريقية بمثابة تقدم طبيعى ، وفى يونية عام ١٩٥٦ ، اعترف الاتحاد السوفيتى بسيادة تونس والمغرب ، وعرض تبادل العلاقات الدبلوماسية بينهما ولكن العلاقات الدبلوماسية مع المغرب تمت بعد ذلك بعامين ، وذلك فى اغسطس عام ١٩٥٨ ، وفى ابريل عام ١٩٥٦ قدم الاتحاد السوفيتى عرضا بالمعونة الاقتصادية الى ليبيا ، وهو العرض الذى رفضه مصطفى بن أحمد رئيس الوزراء (١) .

ولكن هذا الرفض لم يأت قبل أن يتمكن من الحصول لبلاده على مساعدات اقتصادية ، ومساعدات أخرى متزايدة من الحكومة الامريكية . وحدث قبل ذلك فى يناير عام ١٩٥٦ ، أن قام وفد سوفيتى كبير بزيادة مرئوفيا عاصمة ليبيا لحضور حفل تنصيب الرئيس توبمان رئيسا للجمهورية . وقد أجرى الوفد محادثات مع الرئيس توبمان . وفى موسكو فى الاول من فبراير صرح مستر فولجوف رئيس الوفد انه بالرغم من عدم اجراء أية مفاوضات بشأن المعونة التجارية أو الفنية ، فان الاتحاد السوفيتى يعتقد أن إنشاء العلاقات الدبلوماسية العادية سوف يتيح الفرص لامكان الوصول الى اتفاق حول

(١) التسمية الصحيحة هى : مصطفى بن حليم (المترجم) .

اشكال العلاقات الاخرى ، وتشمل المعونة الفنية ، والعلاقات التجارية والثقافية .

وفي يناير عام ١٩٥٨ تم الوصول الى اتفاقية مع غانا لانشاء علاقات دبلوماسية ، وفي أبريل تم توقيع اتفاق تجارى مع المغرب جعل الاتحاد السوفيتى يتمتع بمركز الدولة الاثيرة للغاية . وفي فبراير عام ١٩٥٩ قام وفد سوفيتى بزيارة غينيا ووقع اتفاقا تجاريا معها . وفي صيف العام نفسه قام الامبراطور هيلاسلاسى بزيارة رسمية استغرقت اسبوعين للاتحاد السوفيتى ، أجرى فيها محادثات طويلة مع الزعماء السوفيت ووقع على اتفاقية بالمعونة التجارية والفنية وبين عام ١٩٥٩ وعام ١٩٦٠ قدمت عروض المعونة الاقتصادية والفنية الى غانا ، وجدد العرض المقدم الى ليبيا .

ولم تكن المساعدات الاقتصادية الحقيقية التى قدمت أو تم الوعد بتقديمها بالمساعدات الضخمة ، وذلك حتى منتصف عام ١٩٥٨ ، بالرغم من أن مقارنتها بالمعونة الاقتصادية الامريكية ستكون فى مصلحتها فقد منح الاتحاد السوفيتى غينيا معونة قدرها ٤٢ مليون دولار يقابلها مليون دولار من أمريكا ، وتلقت أثيوبيا ١١٢ مليون دولار يقابلها ٥٧ مليون دولار من الولايات المتحدة .

وبينما كانت المساعدات العسكرية التى قدمت لمصر تصل الى ٣١٥ مليون دولار وصلت المعونة الاقتصادية لها الى مايزيد على ٧٠٠ مليون دولار ، وبوعد بتقديم المزيد ، وأرسل الى غانا من يجس النبض ويفطن عن استعداد الحكومة السوفيتية للتفكير الجدى فى مساعدة دكتور نكروما على اقامة مشروع الفولتا الضخم المتعدد الاغراض . وكانت السياسة السوفيتية تتركز فى افريقية مثلما تركزت فى آسيا ، حول عدد من الدول الرئيسية ، وبخاصة مصر وأثيوبيا وغينيا وغانا والكونغو ، اذا أمكن . وفى الوقت نفسه ازدادت الدعاية الموجهة الى افريقية ، وبحلول منتصف عام ١٩٦٠ كان راديو موسكو يذيع اثنتين وثلاثين ساعة من البرامج يوميا الى افريقية مقابل ٨٠ ساعة الى جنوب شرقى آسيا و ١١٩ ساعة الى شرقى آسيا و ١٩٨ ساعة الى الشرق الاوسط .

وأناحت الازمة فى الكونغو ، فى يولية عام ١٩٦١ ، للاتحاد السوفيتى فرصة كبيرة اخرى لكى يكسب أصدقاء . ويؤثر على الشعوب فى افريقية فقد وجد الاتحاد السوفيتى تشابها فى الظروف بين أزمة السويس عام ١٩٥٦ ، وأزمة الكونغو عام ١٩٦٠ ، ففى كلتا الحالتين كان الاستعمار يريد أن يجرب العودة ثانية عن طريق الباب الخلفى ، وعن طريق استخدام وسائل الحرب ضد شعب ضعيف ، غير مستعد ، شعب

يتوق الى المحافظة على استقلاله . ونظر الاتحاد السوفيتى الى الكونغو على أنه ضحية « الاستعمار الجماعى » الذى تنزعمه الولايات المتحدة ، أما اذا تبنت الولايات المتحدة ، من ناحية أخرى طريقا قد يمهّد السبيل بأية وسيلة - أمام عودة الاستعمار ، أو ينغاضى عن هذه العودة . أو يفتح الطريق أمام المصالح الأمريكية ، فإن الاتحاد السوفيتى لن يتردد فى اتخاذ أى إجراء بمفرده ، خارج الأمم المتحدة ، على شريطة أن يحظى هذا الإجراء بموافقة الحكومة الوطنية ، وبشريطة أن ترضى عنه .

وفى مصر أطلق الاتحاد السوفيتى تهديدا مستترا باستخدام الصواريخ للانتقام من البريطانيين والفرنسيين ، ان لم ينهوا عدوانهم فى الحال ، وقد اطلق هذا التهديد بمفرده ، خارج الأمم المتحدة ، وفى الكونغو بدأت الحكومة السوفيتية بتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية الى الحكومة المركزية برياسة لومومبا على أساس ان الأمم المتحدة كانت تنهج سياسة تهدئة الدول الاستعمارية ، وقد فشلت السياسة السوفيتية بسبب نجاح الانقلاب العسكرى الذى قام به كولونيل موبوتو قائد الجيش ، بمساعدة العناصر الموالية للغرب ، وبتشجيع سافر من الدول الغربية ، ومن بين الإجراءات الاولى التى أقدم عليها كولونيل موبوتو طرد البعثات السوفيتية والتشييكوسلوفاكية من ليوبولدفيل . وحينما أحبطت خططهم فى الكونغو ، نقل السوفيت الحرب الى الأمم المتحدة حيث هاجم خروشوف بنفسه همرشولد السكرتير العام ، بسبب اتباعه سياسة « مؤيدة للاستعمار » فى الكونغو . وكانت غالبية الدول الآسيوية - الأفريقية نفسها توجه انتقادا كبيرا للطريقة التى حاولت بها الأمم المتحدة معالجة شئون الكونغو ، وبرغم أنهم لم ينضموا الى خروشوف فى تشهيره بهمرشولد ، فإنهم أوضحوا أنهم يتوقعون من السكرتير العام أن يبدأ بداية جديدة .

وكان الموقف السوفيتى فى الكونغو ، من ناحية النقاط الأساسية ، متشابها فى خطوطه العريضة مع الموقف الأفرو-آسيوى .

والواقع أن الاتحاد السوفيتى وضع سياسته نحو الكونغو بفرض واضح يهدف الى التقرب من العقلية الأفرو-آسيوية .

لذا لم يكن من الصعب على الإطلاق أن يساند الاتحاد السوفيتى أى إجراء تقترحه الكتلة الأفرو-آسيوية لحل أزمة الكونغو . غير أن هذه الإجراءات كانت تقصر بكثير عن الطريقة التى كان من الممكن أن يطبقها الاتحاد السوفيتى فى الكونغو لو ترك وشأنه ، أما هذه الإجراءات فكانت بالنسبة له حلا وسطا . وقد ساند السوفيت الاقتراح الأفرو-آسيوى بإعادة احياء برلمان الكونغو ويجعل الوفد الممثل لومومبا يحتل مقعد الكونغو فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، لضمان الانسحاب الكامل

للموظفين البلجيكيين ، بما في ذلك من العدد الضخم من البلجيكيين الذين يعملون في كاتنجا ، وفي الاقاليم الاخرى ، مختلفين تحت ستار المستشارين والاداريين والفنيين .

وحينما رفضت قيادة الامم المتحدة في الكونغو الاعتراف بالنظام العسكري الذي يرأسه كولونيل موبوتو ، ورفضت وزارة الخارجية الامريكية تقرير نوفمبر الذي وضعه مستر دايل ممثل الامم المتحدة في الكونغو ، بسبب تقده للدور الذي يؤديه البلجيكيون ، كان من الواضح أن الاتحاد السوفيتي سعيد من جراء ذلك وان كان قد لزم الصمت .

وهكذا نجح السوفيت دون انفاق دولار واحد ، ودون اراقة قطرة دم واحدة في جنى محصول سياسي وافر من أزمة الكونغو .

وفي الوقت الذي جاهد فيه ساسة الغرب وصحافيوه في اظهار كيف أن الخطط السوفيتية قد « فشلت » في مجالات عدة ، كشفوا بذلك من احساسهم بالارتياح لان الكرملين لم يحرز المزيد .

ومن بين الاهداف الرئيسية لقرار خروشوف حضوره الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة التأثير على الدول الافريقية الحديثة الاستقلال التي ظهرت كأكبر كتلة في الامم المتحدة وبخلاف مما كان يحدث في الفترة السابقة عام ١٩٥٥ ، أصبح الاتحاد السوفيتي يعرض الاعتراف السياسي على كل دولة افريقية حديثة الاستقلال في عام ١٩٦٠ في صبيحة يوم الاستقلال تقريبا ، وفي نيويورك لم يكتف خروشوف برفع راية افريقية الحرة عالية ، وانما كانت حماسه وغيته تحير احيانا الوفود الافريقية ، بل وتخيفهم . ولم يكتف بهذا ، وانما بذل ما في وسعه لاقامة علاقات شخصية مع زعماء الدول الافريقية الحديثة . واذ طلب رسميا من على منصة الجمعية العامة منح الاستقلال السريع لجميع الاقاليم المستعمرة ، ابرز دور الاتحاد السوفيتي كأكبر مدافع — لا تلين له قناة — عن حرية وسيادة جميع الشعوب ، وأرغم الجمعية العامة تقريبا على تبني قرار افرو-آسيوي حول هذا الموضوع . وقد حسبت هذه الجهود الدبلوماسية ، التي ظهرت أمام أعين الدول الغربية ، على أنها مجرد أعمال تفاخرية تؤثر — كثيرا — على العقليّة الافريقية .

وفي ١٢ من اكتوبر عام ١٩٦٠ ، أقام خروشوف مأدبة عشاء في نيويورك تكريما لوفود عدد من الدول الافريقية الحديثة وقبرص التي كانت تصوت دائما تقريبا الى جانب الدول الغربية في الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة . وقد حضر المأدبة رؤساء وفود نيجيريا ، والكاميرون ، وداهومى ، وقولتا العليا ، وقبرص ، ورؤساء وفود توجو ، وساحل العاج ، وجمهورية مالاغاسى ، والصومال ، كما حضرت وفود تشاد ،

ومالى والسينغال . وكان الخطاب الذى القاه مستر س . أو كالا وزير خارجية الكاميرون صورة للآثر الذى تركه الاتحاد السوفيتى فى اذهان الافريقيين :

« حينما نعود الى اوطاننا سوف نتذكر ، لفترة طويلة ، كيف جلسنا هنا الى جانبكم ، ونتذكر سلوككم البسيط ، وشعوركم الودى . ان ذلك يبدو كحكاية خيالية . فالآخرون يعتبروننا اطفالا ، غير ان الذى يتمتع بموهبة الخطابة لم يعد طفلا ، كما ان البالغين ليسوا بالبالغين على الدوام ، والاطفال لا يظلون اطفالا دائما » .

« اننا نشكركم على جهودكم فى سبيل تأييد حريتنا ، واننا نعلم فى اواسط افريقية انه لولا الاتحاد السوفيتى لفقدنا ايماننا حتى فى الله . واذا كنا قد منحنا الاستقلال فى اثناء وجودنا على ظهر الارض ، فانه لم يكن بنية خالصة . لقد كان يتعين علينا ان نستبدل بعبوديتنا السابقة الاستعمار الاقتصادى الحديث . اننى لست شيوعيا ، ولكنى لا اهتم ان كان العمل يتم بالشيوعيين او لا ، انما الذى يهمنى هو نوع العمل نفسه ، وان جوهر جهودكم لمن الامور القيمة للغاية » .

« واود ان اذكر مثلا من امثلتنا ان العرفان بالجميل لا يأتى من القلب ، انما من المعدة . فاذا حدث فى هذه اللحظة انه حينما يمنح بلد ما الاستقلال ، وتدبر الخطط من أجل بث الفوضى فيه ، فان هذا العمل لا يمكن ان يشير العرفان بالجميل . ان علاقتنا معكم هى علاقة الند للند ، دون اى اعتبارات انانية او دوافع أخرى . وقد اثبت ان القوى يستطيع ان يساعد الضعيف باخلاص » .

« لقد شعرنا بحزن مفض ، ولو كان حكمنا على البيض على ضوء المعاملة التى مارسها طغاتهم ، لكننا فقدنا الايمان فى البيض . ان لدينا قولا ماثورا يقول : ان الرجل الذى تصيبه عضة ثعبان مرة واحدة ، يأخذ حتى قطعة الدوبار الملقاة فى الطريق على انها ثعبان . ولكننا احتفظنا بتجاوبنا مع الذين يدافعون عن افريقية وانتم تدافعون عن افريقية ، ولذلك سيكون النجاح حليفكم ، وسيكون ملايين من الناس فى صفكم . اما ذلك الذى يعتمد على القوة ، فسيخسر فى النهاية ، ولا تنسوا ان افريقية تقف بين الكتلتين » .

واذا ما انقبتنا نظرة طويلة على المسرح الافريقى ، وجدنا ان بعض العوامل قد ظهرت ، ويبدو انها اكثر ملائمة للاتحاد السوفيتى منها للكتلة الغربية .

فان جميع الشعوب الافريقية ، بسبب ماضيها فى الاستعمار . تكن شكوكا عميقة نحو أوروبا ، والولايات المتحدة مرتبطة ارتباطا

اقتصاديا وعسكريا بأوروبا . وعاجزة عن أن تتبع سياسة افريقية مستقلة عن الدول الأوروبية الاستعمارية . وهذا يجعل الافريقيين يشكون في السياسة الامريكية أيضا . وأصبح الاتحاد السوفيتى ، الذى لم يؤد دورا استعماريًا فى افريقية طوال تاريخه حتى فى العهد القيصري ، أصبح فى مركز يبدو فيه فى دور المدافع المنزه عن الغرض ، الذى يؤيد خروج افريقية من الحكم الاستعماري .

وبينما نجد أن الولايات المتحدة اعتادت النظر الى افريقية من الزاوية العسكرية أكثر من أية زاوية أخرى ، نرى الاتحاد السوفيتى فى مركز يسمح له بتكريس أكبر اهتمام نحو احتياجات افريقية الاقتصادية . وسوف تكون المعونة السوفيتية من أجل إقامة صرح الصناعة فى افريقية أكثر جاذبية للحكومات الأفريقية من المعونة الغربية التى مازالت توجه حتى الآن ، فى البلاد المتخلفة ، نحو الخدمات الاجتماعية والزراعة أكثر مما توجه نحو الصناعة .

والفرب - بما فى ذلك الولايات المتحدة - يعتمد على المواد الخام الافريقية أكثر من اعتماد الاتحاد السوفيتى عليها . وقد اهتم خروشوف فى الخطاب الذى القاه فى اثناء المأدبة التى ذكرناها آنفا ، اهتم بصفة خاصة بتأكيد ما يلى :

ان الاتحاد السوفيتى بموارده الضخمة من خام الحديد ، والفحم ، والزيوت ، وبمناطقه الشاسعة الاطراف ليس بحاجة الى « استغلال » ثروة افريقية الطبيعية .

ومن أكبر المؤثرات التى تجذب الافريقى الى الاتحاد السوفيتى عدم وجود تفرقة عنصرية فى روسيا السوفيتية ، فليس هناك ما يثير حفيظة الافريقى أكثر من موقف التفوق العنصرى الذى يقفه الرجل الأبيض ، ومن المحتمل أن يحرز الاتحاد السوفيتى انتصارات كبيرة فى هذا المضمار .

والشعوب الافريقية أبعد ما تكون عن الشيوعية ، ولا يعتقد الاتحاد السوفيتى أن هناك دولة افريقية ستصطبغ بالصبغة الشيوعية فى القريب العاجل ، وفى الوقت نفسه نجد أن الافريقى لا يهاب الشيوعية ، وأقل ما يمكن أن يقال فى هذا الصدد أنه لا يعرف ما الشيوعية ؟ . ومن ناحية أخرى نجده يكن لفكرة الاستعمار شكًا ورهبة شديدين . لذلك فإن الدعاية الغربية التى تؤكد شرور الشيوعية لا تؤثر مطلقًا على العقلية الافريقية ، وعلى عكس ذلك نجد أن المجتمعات القبلية فى افريقية تحمل بعض ملامح الشيوعية البدائية ، مما يجعل عندنا من النظريات الشيوعية يجذب إلى حد ما - الافريقى المثقف . فالملكية الجماعية للأرض ، على سبيل المثال ، قائمة فى كثير من المجتمعات القبلية .

ومن المشكوك فيه جدا أن تزدهر النظم الديمقراطية في المجتمعات الأفريقية ، ذلك أن غالبية الاقطار الأفريقية التي نحصل اليوم على استقلالها لم تتعود الحكم النيابي ، وحتى اذا جربت النظام البرلماني فانها قد تجد لزاما عليها أن تلجئ الى الوسائل الاستبدادية كي تستطيع أن توقف العناصر المخربة عند حدها . وحتى في غانا ، اضطر الدكتور نكروما إلى اقرار حكم فردي الى حد كبير ، كي يقوم بقمع العناصر الداعية الى تبديد الشمل . ولا شك أن المحاولات الهزلية التي تبذل لادخال النظم البرلمانية قد تبوء بالفشل في البلاد التي لا تتمتع بأية خبرة في هذا المجال .

وقد يكون البديل لذلك اقامة نظم عسكرية او ممارسة درجات مختلفة من السلطة الدكتاتورية على يد الزعماء والاحزاب الوطنية التي تتمتع بثقة الشعب ، غير أن الحكم العسكري ربما لا يكون مستحبا لأن الجيش ضعيف في معظم البلاد الأفريقية .

ويبدو أن النظام الشمولي هو النظام السياسي الذي يحتمل أن يظهر في معظم الدول الأفريقية ، حتى لو قام هذا النظام على أساس الحكم الحزبي ، واذا اعتاد الشعب الأفريقي النظم الشمولية فإن استجابته للقيم السامية الكامنة في الديمقراطية البرلمانية قد تكون ضئيلة . وحينما تنقد الصحف الغربية دكتور نكروما لممارسته سلطات « دكتاتورية » يفوتها أن تدرك حقيقة الواقع الأفريقي ، وحينما يصف وزير خارجية أمريكا ، كما حدث في سبتمبر عام ١٩٦٠ ، دكتور نكروما بأنه يقتفى أثر الخط السوفيتي لمجرد أن آراءه حول الكونغو تشابه الى حد كبير مع آراء الاتحاد السوفيتي ، فإن الغرب بذلك يجعل الشيوعية أكثر جاذبية للشباب الأفريقيين والطبقة الأفريقية المثقفة (١) .

(١) بعد مصرع لومومبا ، والنجاح الظاهري لأمريكا في الكونغو بدأ المعلقون السياسيون الأمريكيون في الحديث عن « هزيمة » السوفييت في أزمة الكونغو . ورغم أن الاتحاد السوفيتي فشل في كسب الحرب الباردة في الكونغو ، فإنه خرج منها بحصاد أفريقي طيب فليس هناك من دولة أفريقية اليوم لا تدرك تماما السلطان السوفيتي ، ولا تدرك استعداد السوفيت لمساندتها ضد الغرب ، ومساندتها في مجال التنمية الصناعية مقابل ثمن زهيد هو عدم الانحياز المعال .

ويقوم عدد من الشباب الأفريقي بالدراسة في جامعات روسيا ، وقد أعيد تسمية أبرز هذه الجامعات باسم جامعة باتريس لومومبا ، وحينما يعود هؤلاء الشباب الى وطنهم قد يصبحون عاملا قويا في مصلحة الاتحاد السوفيتي . وعلى المستوى الدبلوماسي والسياسي ، يعتبر الاتحاد السوفيتي صديقا للدول الأفريقية التي هي أكثر أهمية ، ومدافعا عن الحياد الأفريقي ، والزعماء من أمثال ناصر . ونكروما ، وتوري ، والملك الحسن ملك المغرب ، وكيثا رئيس مالي ، وعبود رئيس السودان ، بعيدون عن الشيوعية بعد سوكارنو ، ونو ، ومسر بندرانايكة ، ونهرو في آسيا ، ومع ذلك فهم أكثر زعماء أفريقية شعبية ، وهم صناع أفريقية اليوم وغدا . فإذا أمكن اعتبار الاتحاد السوفيتي صديقا =

ويمكننا أن نضيف اليوم الى اندفاع الاتحاد السوفيتى نحو افريقية
الامال الافريقية الضخمة التى تعلقها شعوب هذه القارة على جمهورية
الصين الشعبية . والواقع أن الحكومة الصينية تبدو الآن وكأنها تركت
وراءها الاتحاد السوفيتى نفسه فى سباقها من أجل الاستحواذ على
ولاء شعوب افريقية المذهب ، فقد كانت الصين بحكم عدم ارتباطها بأى
تعهدات نحو الأمم المتحدة ، ولمجرد حرصها على تأكيد قدرتها الهائلة
على ايقاع الاذى وتحقيق الخير فى المجتمع الدولى ، تشجع العناصر
الوطنية ذات النزعة المحاربة فى افريقية وتساعدتها بشكل فعال . وكان
الزوار الافريقيون للصين يستقبلون بحماس جماهيرى هائل ، وكانت
الجهود تبذل فى اثناء الاحتفالات الرسمية الكثيرة التى يحضرها كبار
رجال الحكومة وزعماء الحزب ، لاقتناعهم بأن الصين تقف صامدة وراء
كفاحهم من أجل التحرر السياسى والانعاش الاقتصادى .

ومن اللفتات ذات المغزى أن حكومة الصين الشعبية كانت اول حكومة
غير عربية تعترف بحكومة الجزائر المؤقتة التى شكلت فى القاهرة ،
واستقبلت بكين مبعوثا من قبل هذه الحكومة بضجة كبيرة عام ١٩٦٠ ،
ووعده بجميع أنواع المساعدات ، بما فى ذلك من الاسلحة والمتطوعين
من أجل الحرب فى الجزائر . ولم يقدم خروشوف اعترافه بالامر الواقع
للحكومة المؤقتة الا بعد ستة او ثمانية اشهر من اعتراف بكين ، حينما
قابله بعض زعماء هذه الحكومة فى الأمم المتحدة فى شهر سبتمبر .

وفى مجال السعى الشيوعى وراء افريقية ، نجد الصين اليوم شريكا
مساويا للاتحاد السوفيتى . ففى جميع دعاياتهم الموجهة الى افريقية ،
يؤكد الصينيون فى الحاح نظرية « الاستعمار الجماعى » ، ويحاولون
اقناع الشعوب الافريقية بأن السبب الرئيسى للبؤس والعذاب اللذين
يعيشون فيهما لا يتمثل فى « اوروبا المحتضرة » وانما فى زعيمة
« المعسكر الاستعمارى » الولايات المتحدة ، ومن أجل هذا تحاول الصين
الشيوعية أن تخلق ارتباطا بين صراعها مع الولايات المتحدة ، وصراع
شعوب افريقية من أجل التخلص من القيود السياسية والاقتصادية .

= لهؤلاء الزعماء أصبح من السهل التأثير على العقول الافريقية الشابة بشدة .
أما حلفاء الولايات المتحدة فى افريقية ، فهم رجال يمكن أن يجرفهم تيار الاستقلال
غدا أو بعد غد . . وعلى أية حال فإن هذا النوع من الناس : من أمثال كازافوبو ،
وبورقيبة ، وزعماء المجموعة الفرنسية ، لا يلهم الشباب الافريقيين أو يثير حميته ولا يعتبر
رمزا للبعث الافريقى .

وكانت هناك اشاعات عن زيارة محتملة يقوم بها رئيس الوزراء السوفيتى الى
افريقية فى اثناء وضع هذا الكتاب ، واختار الرئيس أيزنهاور مدينة الرباط كمحطة له
فى افريقية خلال جولته حول العالم قرب نهاية عام ١٩٥٩ ، وكان من المتوقع أن يشوف
خروشوف عام ١٩٦١ أو ١٩٦٢ الى أغوار القارة الافريقية ، وكان من المحتمل أن يكون
لزيارته تأثير هائل .

الفصل العاشر

الصين في الأسرة الأفرو-آسيوية

يشير وضع الصين في الأسرة الآسيوية - الأفريقية مشاكل معقدة ومتشابكة ، مبعثها ان الصين من الدول الكبرى من حيث امكانياتها ، ونظرا لأنها تحقق المقومات الاقتصادية والسياسية للدولة الكبرى ، فان تأثيرها على آسيا سيكون عميقا لامحالة .

وقد خلق ظهور النظام الشيوعي في الصين بعض المشاكل لآسيا يمكن مقارنتها بتلك المشاكل التي ظهرت في طريق أوروبا عام ١٩١٧ ، حينما قام الاتحاد السوفيتي على انقاض روسيا القيصرية وفي غضون أربعين عاما ظهر الاتحاد السوفيتي كأحد دولتين كبريين في العالم ، وأدى هذا الى قلب ميزان القوى في أوروبا تماما وسوف يكون تأثير الصين على آسيا أعظم في المستقبل ، اذ لا يحتمل أن تظهر في هذه القارة دولة أخرى تستطيع أن تنافس الصين من ناحية القوة الاقتصادية او العسكرية .

والصين تشغل الآن ما يسميه واضعو الاستراتيجية الغربية بفراغ القوى في آسيا ، والهند هي الدولة الوحيدة الأخرى التي يمكن أن تشابه الصين كدولة من الدول الكبرى في آسيا ، وقد بدأ بالفعل احساس بالمنافسة الحامية بين الدولتين من أجل الزعامة في آسيا وأفريقية . وتتمتع الصين ، في هذا الصراع المستتر ببعض المميزات الواضحة ، فان الاقتصاد الصيني ينمو ، في ظل النظام الشمولي ، بمعدل أسرع من معدل الهند ، كما أن موارد الصين التي هي أكبر نسبيا يتم استغلالها من أجل بناء قوة اقتصادية وعسكرية ، وبالإضافة الى ذلك تنتمي الصين الى الكتلة الشيوعية ، وقد أصبحت بالفعل شريكة للاتحاد السوفيتي تقف معه على قدم المساواة . أما الهند فلا تزال غير منحازة ، وبينهما وبين الغرب خلافات كثيرة .

وتمثل قوة الاتحاد السوفيتي والصين مجتمعة - سواء في الميدان

العسكري أو الاقتصادي - صورة مهيبة أمام الدول غير الشيوعية في آسيا وأفريقية ، ولا تتفوق عليها تماما قوة الغرب مجتمعة ، ولذا نجد أنه من الطبيعي أن تحرص الدول الصغيرة ، وخاصة تلك التي على حدود الصين على العيش في سلام وود مع الحكومة التي تسيطر على أكبر بلاد العالم اكتظاظا بالسكان وقد برز النظام الشيوعي في الصين، في غضون عشر سنوات من عمره ، بعيدا وراء حدوده ، كمدافع عن القضايا الثورية ، وكقوة قادرة وراغبة في مد المساعدات الاقتصادية الى الدول التي هي أقل تقدما .

والدعاية الصينية توجه اليوم ضد الاستعمار والسيطرة الغربية في افريقية، وضد الحكومات البورجوازية في البلاد الآسيوية غير الشيوعية الى حد ما ، وقد أصبحت بالفعل تخاطب معظم شعوب القارتين ومن النذر الخطيرة أن الصين الشيوعية بتقديمها المعونة الأجنبية الى الدول الآسيوية المجاورة ، وإلى بعض الدول الإفريقية في السنوات العشر الأولى أعطت أكثر مما تلقت من الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية وأصبح وضعها الأيديولوجي اليوم ، في الأسرة الشيوعية ، معادلا لوضع الاتحاد السوفيتي . ويعتقد البعض أن مركز القيادة النظرية في هذه الأسرة قد انتقل بالفعل من موسكو الى بكين .

ويقوم الصينيون الآن بإنشاء جهاز حكومي قوى وشامل في بلادهم يكون قادرا على تجنيد موارد البلاد البشرية والطبيعية من أجل تنمية قوة الاقتصاد في أسرع وقت ممكن، ولأول مرة في تاريخ الصين، خضعت البلاد برمتها لحكومة مركزية قوية ، وتمت تصفية الجذور السياسية والعسكرية لتجار الحروب والنزعات الإقليمية المحلية ، وأصبحت السلطة المركزية تتغلغل الآن في القوى النائية في الأطراف المثرامية للدولة الصينية الهائلة وأضحت السلطات السياسية جميعها في يد الحزب الشيوعي الذي يوجه ويسيطر على الحكومة والجيش وجميع المنظمات السياسية الهامة . ويربو عدد أعضاء الحزب الشيوعي الصيني على ثلاثة عشر مليونا ، ويعتبر أضخم منظمة سياسية في العالم ، أما عصبة الشباب الشيوعيين - وهم نسخة صينية من الكومسومول الروسي - فيضم ثلاثة وعشرين مليونا من الأعضاء ، وكذا نجد أن ٥٪ من إجمالي سكان الصين يشتركون في صفوف الحزب الشيوعي ، وهو عمل لم يسبق له مثيل في ميدان التنظيم السياسي .

وقد التزم الحزب الشيوعي الصيني ، مسلحا بهذا التركيز غير العادي في السلطة السياسية ، هدفا لا يحيد عنه دون اعتبار للتكاليف البشرية ، ويتمثل الهدف في بناء اقتصاد حديث ونظام اجتماعي في جميع أنحاء البلاد . وقد أخضع البلاد كلها لشبكة من الكوميونات من أجل

« الوثبة الكبرى الى الامام » . وقد ادخلت الكوميونات لأول مرة في أبريل عام ١٩٥٨ كنموذج : وبانتهاء العام تقريبا كانت جميع المزارع الجماعية في الصين ، والتي يزيد عددها على ٧٠٠٠٠٠ ، قد تحولت الى حوالي ٢٦٠٠٠ كوميون ضخمة . وكانت العيوب التي تلاحظ على نظام تشغيلها يتم اصلاحها على الفور ، وتم مد الكوميونات الى المناطق الحضرية عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، ويغطي كل كوميون الآن جميع السكان داخل المدينة الواحدة ، ويبلغ متوسط العضوية فيه حوالي ٥٠٠٠ عائلة . . . ويدير الكوميون ويشرف على شئون الزراعة ، والتجارة ، والمالية ، والتعليم ، بل والشئون العسكرية . وهناك مراعاة شديدة لنظام ذي طابع عسكري ، اذ يتم تنظيم الاعضاء في « فرق الانتاج » للعمل في الزراعة والصناعة .

وقد قامت الكوميونات بالاستيلاء على جميع الممتلكات الخاصة في القرى ، وتم استغلال الكوميونات من اجل تحقيق التنمية في مجال الزراعة والصناعات الريفية بأسرع وقت ممكن ، وايضا من اجل احداث تغيير ثوري في المجتمع الصيني الذي تكبله التقاليد . وتم تحرير قوة انشاء من دورها التقليدي في الاسرة حتى يمكن تشغيلها في الزراعة والصناعة . ومن الواضح ان الصين هي الدولة الوحيدة في آسيا التي لا تنظر الى كثافة سكانها على انها عبء مقيد برغم الاهتمام ، الى حد ما ، بالتحكم في عدد السكان عن طريق تحديد النسل . وقد حفزت الصين الى حد كبير جميع سكانها من اجل الأغراض الانتاجية ، وفي الوقت الذي ربما لا يفكر فيه الزعماء الصينيون مليا في احتمال ان عليهم ان يضحوا بعدة ملايين من رجالهم من اجل قضية الشيوعية في الداخل والخارج ، فانهم لا يبدو عليهم الخوف من مسئولية اطعام ستمائة مليون فم .

ومنذ أن أعلن عن قيام الجمهورية الشعبية في اكتوبر عام ١٩٤٩ . حظيت عملية صياغة البنيان الاقتصادي بالاولوية المطلقة ، وغالبا ما كانت الوسائل التي تم تطبيقها في الصين تختلف عن تلك التي تمت تجربتها في الاتحاد السوفيتي في اثناء سنوات البناء خلال الثورة السوفيتية ، وكانت بعض الوسائل الاخرى ، وخاصة الكوميونات لا تلقى اي تأييد من جانب الزعماء السوفيت . غير ان الصينيين لم يوجهوا اذنى اهتمام للاعتراضات التي اثيرت داخل الاسرة « الشيوعية » فانهم كانوا يسرون قدما في طريقهم الخاص نحو الاشتراكية . وقد مروا في السنوات الثلاث الاولى بفترة « اعادة البناء » ، وتبع ذلك فترة « البناء » في بداية عام ١٩٥٧ .

وقد كانت الاولوية المطلقة في الخطة الخمسية الاولى لتكوين رأس

المال ، وبلغت الاستثمارات الرأسمالية الاجمالية اكثر من ١٨ بليون دولار (امريكى) ، هذا عدا ما يزيد على ٣٢ بليون دولار خصصت لنفقات « البناء الاقتصادى » وتشمل نفقات التخطيط الثقافى والتربوى بل لقد أصبحت الخدمات الاجتماعية والثقافية جزءا من البناء الاشتراكى . وقد تضمنت الخطة الخمسية الاولى ما يقرب من ٨٠٠٠ مشروع بناء . وقد تم الوصول الى كثير من اهداف الخطة . وبعضها فاق الحد المقرر فى نهاية فترة الخطة ، وادعت الحكومة الصينية أن الدخل القومى قد ارتفع من ٢٥٨ من بليون الدولار (الامريكى) عام ١٩٥٢ الى ٤١٥ بليون دولار عام ١٩٥٧ على أساس الاسعار الحالية ومن ٢٥٨ من مليون الدولار عام ١٩٥٢ الى ٣٩٥ بليون دولار عام ١٩٥٧ بالنسبة للاسعار الدائمة ، وكان عام ١٩٥٢ أساسا لهذه التقديرات .

وفى اواخر عام ١٩٥٧ ذهبت الحكومة الصينية الى حد تعبئة جميع السكان من أجل « الوثبة الكبرى » وخلال عام ١٩٥٨ ترددت ادعاءات خيالية عن زيادة فى الانتاج ، غير أنها خضعت بعد ذلك لاعادة نظر كبيرة . وكان الغرض من وراء « الوثبة الكبرى الى الامام » هو تعبئة جميع موارد الصين البشرية على قدر الامكان من أجل تنمية الزراعة الى جانب تنمية الصناعة .

وقد تم تنظيم ما يزيد عن مائة مليون فلاح بين اكتوبر عام ١٩٥٧ ويونيو عام ١٩٥٨ من أجل انشاء مشروعات الري ، وتم امداد ٨٠ مليون اكر من الاراضى بامدادات جديدة من المياه ، وتم حل مشكلة الغذاء تقريبا .

وفى مجال الصناعة ، كانت الاولوية المطلقة لمصانع بناء الآلات والحديد والصلب . وقد قيل ان الصين أصبحت تضاهى بريطانيا العظمى فى حجم الانتاج الصناعى .

ويخلق نمو القوة الاقتصادية الصينية ، المشاكل للدول الغربية وبلاد آسيا وافريقية أيضا . وقد أصبحت الصين منافسا قويا لتلك البلاد التى فى آسيا ، والتى تتمتع بتجارة خارجية ضخمة ، وخاصة اليابان والهند ، فعلى سبيل المثال تنافس المنسوجات الصينية المنسوجات الهندية واليابانية فى عدد من البلاد الآسيوية - الأفريقية ، ويتهم الصينيون بتهمة اللجوء الى بعض الاساليب التجارية غير الشريفة ، ويساعد النمو السريع فى الاقتصاد الصينى على تقديم المساعدات الاقتصادية الى البلاد الآسيوية والافريقية ، ومن ثم ارساء زعامتها فى الاسرة الأفريقية الآسيوية .

واذا نجحت الصين في ايجاد الحلول لمشكلة الفقر الجماعى ، وهى المشكلة الشائعة فى آسيا ، وفى اقامة صرح مدنية صناعية ، وهو حلم جميع الدول الآسيوية - الأفريقية ، فانها سوف تمارس تأثيرا أعظم على الملايين الفقيرة فى كلتا القارتين .

غير أن النمو الاقتصادى للصين يثير المشاكل أمام الولايات المتحدة الأمريكية ، وهى مشاكل تتصل بالحرب الباردة فالسلطان الاقتصادى سيساعد الصين على دعم قوتها العسكرية وبذلك تفرض زعامتها العسكرية على شرق وجنوب شرقى آسيا الهامين من الناحية الاستراتيجية ، ويضع على خريطة العالم دولة باسيفيكية ثانية . ولا يمكن أن تنظر الولايات المتحدة الى هذا المستقبل دون أن يخامرها شك خطير . وقد قال كاتب أمريكى : « ان التنمية الاقتصادية فى الصين سوف تدعم بانتظام من قاعدة بكين من أجل القوة العسكرية ، وبذلك يتحسن مركزها القوى الذى تحتله فى حقل الشئون العالمية - وقد تتسع الهوة ، الكبيرة بالفعل - بين قوة الصين الشيوعية ، وقوة الدول الآسيوية الاخرى ، هذا اذا ما استمرت الاتجاهات الحالية على ما هى عليه وفاقت قوة الصين اليابان فى مجال الصناعات الثقيلة فى غضون فترة قصيرة نسبيا ، وقد يكون لهذا نتائج خطيرة على ميزان القوى فى آسيا ، وقد يكون لمعدل النمو الاقتصادى المذهل فى الصين الشيوعية تأثير سيكولوجى عميق فى بقية آسيا ، وفى أماكن أخرى بين شعوب البلاد المتخلفة ، واذا ما استمر الشيوعيون الصينيون فى اقامة صرح اقتصادهم بمعدل يفوق معدل البلاد المتخلفة الاخرى فى آسيا فان هذا التفاوت قد يضاعف من جاذبية الاسلوب الشيوعى فى التنمية الاقتصادية ، وقد يولد أيضا كثيرا من الخوف من الصين ذات الحيوية الجديدة يتبعه انسياق مستسلم نحو قوة بكين المتزايدة (١) » .

وتعتبر قوة الصين العسكرية سببا آخر يدعو لقلق الولايات المتحدة الكبير - وفى الوقت الحالى لا تعتبر الصين دولة ذرية برغم ما قيل من انها على وشك أن تكون كذلك ، وتفكير الصين فى هذا المجال غير معروف تماما للعالم الخارجى ، ولكن قد يقال انه اذا تبنت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى سياسة توسيع « النادى النووى » فانه لن يمضى وقت طويل الا تظهر فيه الصين أيضا كدولة نووية (٢) وتعتبر الصين فى

(١) «آسيا والصين الشيوعية - التحدى الذى يواجه السياسة الأمريكية » بقلم

١ . روك بارنيت - صدر من مجلس العلاقات الخارجية - الناشر هاربر بروس - نيويورك ١٩٦٠ ص ٦٣ .

(٢) هناك دولتان أخريان بآسيا تستطيعان اذا شاءتا أن تصبحا من الدول النووية

دون معونة خارجية وهما اليابان والهند ، غير أن الهند قد عكفت على استخدام الطاقة النووية فى الأغراض السلمية فقط .

هذه اللحظة قوة عسكرية بالمعنى التقليدي للاصطلاح ، ويبلغ عدد أفراد جيش التحرير الشعبى مايزيد عن مليونين ونصف مليون الرجل يعملون بالفعل فى القوات البرية والبحرية والجوية - وتضم القوات البرية مايزيد على ١٥٠ فرقة تتكون كل منها من ١٠ الى ١٢ ألف جندى ، وهناك ، بالإضافة الى ذلك ، أكثر من نصف مليون من القوات فى وحدات الامن العام ، ويعهد اليها بدوريات الحدود والامن الداخلى - كما أن هناك منظمة ميلشيا هائلة . ويقدر مجموع السكان الصينيين ، الذين تتردد أعمارهم بين ١٥ الى ٤٩ عاما بحوالى ١٦٠ مليوناً ، منهم حوالى ٨٠ مليوناً يسرى عليهم قانون الخدمة العسكرية .

وتقدر قوة القوات الجوية بحوالى ٢٥٠٠ طائرة منها ١٨٠٠ طائرة نفائة .

أما عن الاسطول فمن الممكن اهماله على ضوء الاعتبارات الحديثة، غير انه تم اقامة عدد من القواعد البحرية على طول الساحل ، وما زالت الصين تملك أكبر قوة بحرية وطنية فى الشرق الاقصى . وفى السنوات العشر الماضية تم تحسين المواصلات البرية بطريقة كبيرة .

وبالإضافة الى قوة الصين العسكرية ، نجد أن لدى كوريا الشمالية ٣٥٠.٠٠٠ رجل تحت السلاح ، وسلاحاً جويًا قوامه أكثر من ٧٠٠ طائرة نفائة . ولدى جمهورية فيتنام الديمقراطية قوة مقاتلة قوامها ٣٠٠.٠٠٠ رجل .

وإذا ما عقدنا مقارنة بين القوة العسكرية الشيوعية ، والقوات المقاتلة التابعة للبلاد غير الشيوعية فى شرق وجنوب شرقى آسيا ، نجد أن الأخيرة أقل بكثير . ففي منتصف عام ١٩٦١ أصبح لدى اليابان ٢٠٠.٠٠٠ رجل تحت السلاح ، وسلاح جوى قوامه ١٣٠٠ طائرة وأسطول بحرى تبلغ حمولته ١٢٤.٠٠٠ طن - وفى الهند نجد نصف مليون رجل تحت السلاح ، وفى أندونيسيا ١٩٠.٠٠٠ ، وفى كوريا الجنوبية ٦٠٠.٠٠٠ ، وفى فيتنام الجنوبية ١٥٠.٠٠٠ ، وفى تايلاند ٨٠.٠٠٠ ، وفى بورما ٦٥.٠٠٠ ، وفى الفلبين ٣٥.٠٠٠ ، وفى فورموزا ٦٠.٠٠٠ - وبذلك يظهر من مجرد التقديرات العسكرية أن جمهورية الصين الشعبية تتفوق تفوقاً كبيراً على الدول غير الشيوعية فى شرق وجنوب شرقى آسيا - فإذا كانت هناك حرب دون تدخل من الدول الخارجية ، فإنه لن يكون من الصعب على الصين أن تستولى على مناطق شاسعة الاطراف .

وقد أتاح امتداد السيطرة الصينية الى التبت فرصة لسيطرتها على منطقة ذات أهمية استراتيجية عظيمة ، ذلك لأن « سنقف العالم » يمثل حصناً طبيعياً هائلاً يربض فى قلب آسيا ، ولا يتسنى الوصول اليه عن طريق البر . فلتبت تشرف من جميع الجهات على أكثر ثلاث مناطق

ازدحاما بالسكان فى العالم وهى : الصين ، والهند ، والاتحاد السوفيتى .
لذا فان اية دولة قوية ترابط فى التبت تستطيع أن تسيطر على « قلب
آسيا » (١) .

وقد تدخلت الولايات المتحدة بشكل كبير فى المنطقة الواسعة الممتدة
من اليابان حتى الباكستان كي تتحكم فى قوة الصين العسكرية
والاقتصادية ، وقد أخذ هذا التدخل شكل سلسلة من المعاهدات
الثنائية ، والجماعية مع عدة بلاد فى المنطقة ، وقبول عدة التزامات بعيدة
المدى مثل الدفاع عن فورموزا ، وجزر البسكادور ، والدفاع ايضا عن
الفلبين واليابان ، وادخال عدد ضخم من القوات الامريكية الى المراكز
الاستراتيجية « وتعتمد الاستراتيجية الامريكية على قوة ضاربة متحركة
تعمل من القواعد القائمة فى سلسلة الجزر الممتدة من جزر اليوتيان الى
الفلبين ، وفى حالة استعداد لمواجهة مجموعة الاحداث الطارئة وقتما
وأينما تظهر » .

وتتكون هذه القوة المتحركة أساسا من القوات الجوية والبحرية
المجهزة بالاسلحة التقليدية والذرية . ويمثل الاسطول السابع نواة القوة
البحرية فى المنطقة ، وقد تم دعم هذا الاسطول عام ١٩٥٨ ليضم ٧٠٠٠٠
رجل ، وحوالى ٥٠ بارجة كبيرة ، منها ٦ حاملات للطائرات ، و ٤ مدمرة .
وتستطيع القوات الجوية الاستراتيجية الامريكية - من عدد من القواعد
الاستراتيجية مثل جوام - أن توجه ضرباتها الى أية قاعدة فى الشرق
الاقصى (٢) .

والى جانب هذا التطويق العسكرى للصين ، تواصل الولايات المتحدة
عزل جمهورية الصين الشعبية عن الاسرة العالمية ، فقد ظلت الصين
خارج الامم المتحدة من أحد عشر عاما بسبب معارضة أمريكا لذلك .

وقد وصمت ب (العدوان) بعد تدخلها فى الحرب الكورية من جانب
مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة ، وقد أخضعت نتيجة
اقتراح من الولايات المتحدة للعقوبات الاقتصادية والتجارية .

وتستمر الولايات المتحدة فى الاعتراف بنظام شيانج كاي شيك فى
فرموزا على أنه الحكومة الشرعية للصين ، وبرغم أن معظم حلفاء أمريكا
لا يوافقونها على هذه السياسة غير الواقعية ، فانهم وقفوا بجانب زعيمة

(١) يناقش كتاب « العالم المفقود - التبت مفتاح الى آسيا » بقلم أمورى دى
رينفورت ، أهمية التبت الاستراتيجية .
(٢) « الصين الشيوعية وآسيا - التحدى الذى يواجه السياسة الامريكية »
بقلم آ . دوك بارنيت .

كتلتهم ، وان تضاعل ايمانهم بجدوى هذه السياسة . وكانت حكومة الصين الشعبية ، من ناحية أخرى ، تحاول أن تنفذ من خلال الحاجز الذى وضعت الولايات المتحدة عن طريق كسبها لاصدقاء جدد فى آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية .

وقد تقدمت بلاد كثيرة ، فى فترة السنوات الخمس الاخيرة ، لمساندة قبولها عضوا فى الامم المتحدة فى دورات الجمعية العامة للامم المتحدة المتعاقبة - وكما ذكرنا من قبل ، تمت الموافقة فى الدورة الخامسة عشرة على اقتراح أمريكى يقضى بعدم ادراج مشكلة تمثيل الصين فى جدول الاعمال ، بأغلبية ضئيلة للغاية ، فقد كانت الموافقة بأغلبية ٤٢ صوتا ضد ٣٤ وامتناع ٢٢ دولة عن التصويت - وفى عام ١٩٦١ كانت الدول الافريقية الجديدة عامة تؤيد تمثيل بكين فى الامم المتحدة .

وقد أعرب سير أبو بكر توافا باليوا رئيس وزراء نيجيريا الاتحادى عن الشعور الافريقى العام حينما تحدث فى البرلمان الاتحادى فى لاجوس فى ٢٥ من نوفمبر عام ١٩٦٠ ليقول : ان نيجيريا سوف « تبذل كل ما فى وسعها » كى ترى الصين الشعبية تحتل مقعدها فى الامم المتحدة ، ومما أكد التكهّن الذى تردد فى الدورة الخامسة عشرة فى الجمعية العامة للامم المتحدة أن موضوع تمثيل الصين نوقش فى دورة ١٩٦١ للجمعية العامة للامم المتحدة . وحتى اذا صوتت الغالبية لمصلحة الولايات المتحدة ، فان الصين ستسجل نجاحا كبيرا فى طلبها لمقعد فى الامم المتحدة .

ولا ينافس العداء الأمريكى للحكومة الشيوعية فى الصين غير عداء الصين نحو الولايات المتحدة . ويدرك زعماء الصين تماما انه لولا تدخل أمريكا العسكرى لكانوا قد طردوا شيانج كاي شيك من فورموزا منذ وقت طويل ، وأقاموا نظاما جديدا للعلاقات الدولية فى جميع أنحاء شرق وجنوب شرقى آسيا ، ولكانت الصين قد احتلت مقعدا دائما فى مجلس الامن ، وفازت بوضع الدولة العالمية الكبيرة . ونظرا لأن الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى تمنع تحقيق هذه الاهداف المرغوبة ، فان السياسة الصينية الخارجية والداخلية قد تلوثت بتحيز ضئيل ضد الأمريكين على طول الخط .

وجدير بالذكر أن موقف كل من الصين والاتحاد السوفيتى من الولايات المتحدة كان سببا فى أى خلافات كبيرة أو صغيرة قد تنشأ بينهما (تلك الخلافات التى دأبت الصحافة الغربية على المبالغة فى تصويرها على الدوام تقريبا) .

وكانت هناك مناسبات عارض فيها الزعماء الشيوعيون الصينيون جهود خروشوف للوصول الى تفاهم مع أمريكا لايضع الصين موضع الاعتبار الكامل ، وقد توافق الحكومة الصينية لأسباب مفهومة على مثل

هذه التسوية اذا ما أمكنها ذلك من احتلال مركزها الشرعى فى حقل
الشئون الدولية .

وفى داخل الاسرة الشيوعية نفسها ، لم تكن الصين على الاطلاق
دولة تابعة للاتحاد السوفيتى ، وكانت دائما شريكا يقف موقف النـد
للند . وبعد ستالين نجد أن ماوتسى تونج يحتل مركزا لاينافسه فيه
أحد فى الاسرة الشيوعية ، ويعتبر اليوم الرأس المفكر فى حقل الدراسات
النظرية . وكان اصطلاح « ديمقراطية الشعب » نفسه من صنع ماو ،
وكان لمبحثه « حول دكتاتورية الشعب الديمقراطية » تأثير عميق على
اعادة البناء فى أوروبا الشرقية بعد الحرب . ومنذ وفاة ستالين والزعامة
الشيوعية الصينية تمارس من النفوذ ، فى الاسرة الشيوعية ، ماتمارسه
الزعامة الشيوعية السوفيتية ، برغم أن الصين كانت تسلم دائما بأن
الاتحاد السوفيتى هو « الاخ الأكبر » وهو زعيم البعث الشيوعى . وكما
سبق أن أشرنا فان من أكبر الخدمات الفريدة التى قدمها الحزب
الشيوعى الصينى فى حقل الدبلوماسية الدولية اعتراف الصين ، خلال
الحرب الكورية ، بأهمية الدول غير المنحازة كوسيلة لاضعاف الوضع
الدولى للكتلة الغربية .

وفى عام ١٩٥٢ بدأت حكومة الصين الشعبية فى الدعاية بحذر لنظرية
التعايش والتعاون الدوليين ، وكان الهدف واضحا : الفوز بمكان فى
الاسرة العالمية . وأدت الوفود الصينية دورا فعالا فى المؤتمر الاقتصادى
الدولى الذى عقد فى موسكو فى ذلك العام . وفى شهر يونية من عام ١٩٥٢
وقعت الصين على اتفاقية تجارية غير رسمية مع اليابان ، وأعقبتها صفقة
تجارية هامة مع سيلان . وفى اكتوبر من عام ١٩٥٢ انتهج الزعماء
الصينيون أسلوب التعايش السلمى فى مؤتمر السلام الخاص بالدول
الآسيوية التى على المحيط الباسيفيكي الذى عقد فى بكين .

ثم جاءت الهدنة فى كوريا فى يونية من عام ١٩٥٣ ، وأعقبها ثورة
عارمة فى الهند الصينية . وقد أتاح مؤتمر جنيف فى أبريل من عام ١٩٥٤
لحكومة الصين الشعبية أول فرصة عظيمة للقيام بدور فى حقل
الدبلوماسية الدولية ، وقام شواين لاي بدور هام فيه ، وأثر على
الجميع بمهارته الدبلوماسية الفائقة . وأكسبت محادثات جنيف الزعماء
الصينيين قدرا كبيرا من الثقة فى مجال العلاقات الدولية ، وأدركوا
أهمية الدول غير الملتزمة فى المجتمع الدولى . ومن جنيف سافر شواين
لاى الى نيودلهى لينشئ أول اتصال بين الصين الشيوعية والعالم غير
الملتزم .

ووجد شواين لاي فى الهند رصيда عظيما من النية الطيبة والصداقة
نحو بلاده ، واستطاع من جانبه أن يوحى بأنه بالرغم من أن الصين قد

سارت على الدرب الشيوعي ، وانها لم تنس ميراث آسيا العظيم والتعاون الحضارى القديم بين الجارتين الآسيويتين الكبيرتين . وقد كرر البيان المشترك الذى وقعه مع نهرو المبادئ الخمسة الخاصة بالتعايش السلمى المعروفة بـ « باننشيل » التى سبق ورودها فى ديباجة الاتفاقية الصينية - الهندية حول التبت . وأعلن رئيس الوزراء الصينى فى خطبة له فى نيودلهى ، أن « فى مقدور جميع دول العالم أن تعيش فى سلام بعضها مع بعض ، بصرف النظر عن كبرها وصغرها وقوتها وضعفها ، وبصرف النظر عن نوع النظام الاجتماعى فى كل واحدة منها ، ومن حق الشعب فى كل دولة أن يختار نظامه الخاص ، دون تدخل من الدول الاخرى ، وأن الثورة لا يمكن استيرادها » .

وسافر شواين لاي من نيودلهى الى رانجون . ومن الآن فصاعدا أصبحت المبادئ الخمسة نفمة متكررة فى الدبلوماسية الصينية . ومنذ أواخر عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٣ تبادلت بكين التمثيل الدبلوماسى مع دولتين فقط هما باكستان وفنلندا . ولكن حدث بعد عام ١٩٥٤ أن توسعت بكين فى العلاقات الدبلوماسية على وجه السرعة . وفى عام ١٩٥٤ أنشأت علاقات مع المملكة المتحدة والنرويج وهولندا ، وفى عام ١٩٥٥ أنشأت علاقاتها مع يوغوسلافيا وأفغانستان ونيبال ، وفى عام ١٩٥٦ مع مصر وسورية واليمن ، وفى عام ١٩٥٧ مع سيلان ، وفى عام ١٩٥٨ مع كمبوديا والعراق والمغرب والسودان ، وفى عام ١٩٥٩ مع غانا وغينيا ، وفى عام ١٩٦٠ اعترفت الصين بجميع الدول الافريقية الجديدة تقريبا ، ممن حصلت على الاستقلال ، وأقامت علاقات دبلوماسية مع كوبا ، وأعلنت اعترافها بحكومة الجزائر المؤقتة .

وفى الوقت نفسه حضر شواين لاي ، عام ١٩٥٥ ، مؤتمر باندونج للدول الآسيوية الافريقية . . وهناك نجح الى حد كبير فى رسم صورة للصين المسالمة الحسنة النية ، المستعدة لاحترام استقلال وسيادة جميع بلاد آسيا وافريقية والدفاع عن قضية حريتها ورخائها . وقد بذل جهدا كبيرا كى يؤكد انه بالرغم من أن الصين قد اعتنقت الشيوعية ، فانها متضامنة مع بقية دول آسيا وافريقية فى مناهضة الاستعمار ، ومستعدة للتعاون مع جميع أقطار القارتين على أساس المبادئ الخمسة . وكانت مستعدة لانهاء الدعاية المعادية ، وتوجيه النصح الى الصينيين عبر البحار بالنزول عن جنسيتهم المزدوجة ولتسوية حدود الصين غير المحدودة مع البلاد المجاورة بطريقة سلمية ، وعلى أساس الحقائق القائمة .

واذ مضت الايام بالمؤتمر ، وقع شواين لاي على اتفاقية مع أندونيسيا يحدد فيها المبادئ التى يجب تسوية مشاكل الجنسية المزدوجة للصينيين

عبر البحار على أساسها . وكان مؤتمر باندونج انتصارا لمهارة شواين لاي
الدبلوماسية ، واكسب حكومة الصين الشعبية وضع الدولة الكبرى في
المجموعة الافرو - آسيوية .

وفي السنوات التالية ، بذلت الصين قصارى جهدها كي تحتفظ
بوضعها كدولة من الدول الكبرى . وفي عزلتها الاجبارية بعيدا عن الامم
المتحدة ، وقفت وقفة المحنق العدواني ، وانتهجت سياسة العداء
المستحكم تجاه الولايات المتحدة ، وفي الداخل شدت كل عصب فيها
من أجل زيادة سرعة البناء الاقتصادي ، وأقامت قوة عسكرية ، وسارت
قدما الى الامام في توسيع مجال مساندتها السياسية والاقتصادية لبلاد
آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

ومن الناحية السياسية دافعت عن قضية مناهضة الاستعمار بحمية
ثورية غالبا ما أخافت الشعوب المستعمرة نفسها . وعلى وجه العموم ،
كانت معارضة الصين للاستعمار والمصالح الغربية عامة اكثر عدوانا من
معارضة الاتحاد السوفيتي .

ولم تقنع الصين بمد الدول التي تكافح السيطرة الغربية بالمساندة
السياسية فقط . ذلك أنها شرعت في تقديم العون الاقتصادي لبلاد
آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية ، حتى لو كان هذا على حساب تنميتها
الخاصة .

وقد كانت تبذل جهودا حازمة للتوسع في تجارتها مع الأقطار
الافرو - آسيوية ، ومع أمريكا اللاتينية أيضا .

وطبقا للأحصائيات الامريكية الرسمية بلغت تجارة الصين مع جميع
الدول غير الشيوعية في آسيا وأفريقية ٧١٦ مليون دولار عام ١٩٥٦ .

ونستطيع أن نقول بصفة عامة : ان ثلثي اجمالي التجارة الخارجية
مع الدول غير الشيوعية كان مع الدول الافرو - آسيوية . ويمكننا
التعرف على سرعة نمو هذه التجارة اذا عرفنا أن تجارة الصين مع
المنطقة الواسعة الممتدة من اليابان الى باكستان وصلت الى ٤٢٥ مليون
دولار عام ١٩٥٤ ، وارتفعت الى مايزيد على ٦١٠ ملايين دولار عام
١٩٥٧ .

أما فيما يتعلق بكل دولة على حدة فانا نجد أن التجارة مع بورما
ارتفعت من ٢٠ مليون دولار عام ١٩٥٥ الى ما يزيد على ٣٠ مليون دولار
عام ١٩٥٧ .

وكانت الزيادة في التجارة مع اندونيسيا اكثر بكثير من ذلك ، ففي

عام ١٩٥٣ كانت تجارة الصين مع هذه البلاد تقدر بمليونى دولار فقط ، ولكنها ارتفعت فى عام ١٩٥٧ الى ٥٣ مليون دولار .

وبلغت التجارة مع سيلان ٧٠ مليون دولار عام ١٩٥٧ ، حينما وقعت اتفاقية تجارية تحدد اقل حد للتجارة بينهما بـ ٢٠ مليون دولار .

نكنا نستطيع أن نقول اجمالاً : ان البلاد الآسيوية توجه نسبة مئوية صغيرة من تجارتها الاجمالية الى الصين فى الوقت الحالى تبلغ فى بورما ٤٪ ، ولا تزيد فى اندونيسيا عن ٥٪ ، وفى سيلان ٧٪ . غير أن هذه النسبة قد تكون اكبر نسبة مئوية للتجارة الخارجية لهذه البلاد مع أية دولة آسيوية أخرى .

وفى الوقت الذى زادت فيه تجارة الصين الخارجية ، شرعت حكومة الصين فى تقديم المساعدات الاقتصادية الى الدول الضعيفة فى آسيا وافريقية . فقد قال مستر دوك بارنيت فى كتابه الذى اشرنا اليه من قبل فى عبارة بارزة للغاية .

« من الملاحظ ان بكين تقدم اليوم معونة خارجية أكثر بكثير من تلك التى تتلقاها بالرغم من الوضع الاقتصادى المجهد داخل الصين : »

فمنذ عام ١٩٥٣ حين بدأت برامج المعونة الخارجية حتى عام ١٩٥٦ كانت معونة بكين الخارجية تقدم كلها للدول الشيوعية المجاورة ، غير انها منذ عام ١٩٥٦ توسعت فى معونتها لتشمل عدداً من بلاد « العالم الحر » ومارست دوراً بارزاً باطراد فى ذلك المصدر من مظاهر التنافس الاقتصادى فى المناطق المتخلفة من العالم ، كما مارست دورها فى المنافسة التجارية بين الدول الشيوعية وغير الشيوعية .

وكفلت الخطة الخمسية الاولى فى الصين برنامجاً للمعونة الخارجية تبلغ نفقاته حوالى ٦٥٠ مليون دولار .

ومع ذلك أعلن رسمياً أن الصين قد منحت معونة اقتصادية بين عام ١٩٥٣ ، وعام ١٩٥٧ تبلغ حوالى ٧٧٩ مليون دولار ذهبت جميعها الى البلاد الشيوعية باستثناء ٥٠ مليون دولار .

والدول الشيوعية التى تلقت المعونة هى : كوريا الشمالية ، وجمهورية فيتنام الديمقراطية ، ومنغوليا ، والمجر .

أما الدول الافرو - آسيوية التى تلقت المعونة فهى : كمبوديا ونيبال وسيلان ومصر ، ولكن ينبغى علينا أن نلاحظ أن جميع المساعدات الخارجية التى منحت خلال الخطة الخمسية الاولى كانت عبارة عن منح بلا مقابل

أكثر منها ديونا وقروضا ، برغم أن الصين نفسها كانت تتلقى المعونة السوفيتية على شكل ديون وقروض فى معظمها .

وفى السنوات التالية امتدت المعونة الى بيبال واندونيسيا واليمن والعراق ولاوس والبنيا وغينيا . ووعدت الصين بإرسال المعدات والفنيين اللازمين لإقامة أربعة مصانع فى كمبوديا ، وفى عام ١٩٥٩ قدمت عرضا بإنشاء مصنع للنسيج وآخر للصلب فى أندونيسيا . وفى أوائل عام ١٩٥٨ منحت الصين بورما قرضا للتوسع فى صناعة المنسوجات فيها .

... وفى الوقت نفسه تقريبا وقعت اتفاقية مع اليمن لتعبيد طريق للسيارات وإنشاء مصنع للنسيج ومصنع للسجاير وبعض المصانع الأخرى . وتلقت كوبا مساعدات صينية ضخمة بعد معركتها مع أمريكا .

وقد منحت الهند طبقا لمشروع كولومبو قدرا كبيرا من المساعدات للدول الآسيوية الشقيقة ، وكانت معظم هذه المعونات تقدم - ما عدا نيبال - على شكل خدمات تدريبية للموظفين .

وتعهدت الهند بأعداد برنامج لتعبيد الطرق فى نيبال بالإضافة الى مساعدة الحكومة بعدد من الخبراء .

ووافقت الهند أيضا على مساعدة سيلان فى إنشاء أول مصنع للصلب فيها بالمعونة السوفيتية .

وخلق التمرد الضخم الذى نشب فى التبت عام ١٩٥٩ موقفا مفاجئا للصين ، ووجدت نفسها توصف من جانب زعماء آسيا بأنها « دولة استعمارية » عاكفة على سياسة توسعية ، وكان هؤلاء الزعماء مستعدين منذ سنوات قلائل مضت للاعتراف بها كقوة تقدمية .

وقد صدمت الطريقة القاسية التى تم بها قمع الثورة الرأى العام الحر فى جميع أنحاء العالم ، وعلى الأخص فى البلاد المجاورة للصين ، وخلقت موقفا ليكن يشابه تقريبا الموقف الذى كان على الاتحاد السوفيتى أن يواجهه بعد أزمة المجر عام ١٩٥٦ .

وقد أصر الصينيون على أن التبت كانت دائما جزءا لا يتجزأ من الدولة الصينية وانهم غير مستعدين لتقبل أى شكل من أشكال التدخل من جانب الدول الخارجية فى معالجتهم لتمرد التبت .

وقد وجدت حكومة الهند ، التى اعترفت بسيادة الصين المطلقة على التبت طبقا لمعاهدة عام ١٩٥٤ نفسها فى موقف حرج .

فمن ناحية كانت الجماهير الهندية تكن عطفًا كبيرًا نحو آمال شعب التبت . وكانت مدركة للروابط القديمة العميقة الجذور بين التبت والهند .

ومن ناحية أخرى كانت حكومة نهر و عاجزة عن تخطي القيود التي حددتها لها اتفاقية عام ١٩٥٤ .

وقد دمرت القضية الكبرى التي ثارت بين الهند والصين خلال عام ١٩٥٩ ، الى حد كبير ، شعور الود والصداقة القديمة بين الجارتين الآسيويتين الكبيرتين ، وأدت الى حدوث اضطراب عام في علاقتهما . وبدأ الشعب الهندي يتشكك في نوايا الصين ، وقد زادت هذه الشكوك حينما علم أن الصين قد توغلت كثيرا الى داخل الاراضي الهندية على طول الحدود التي تبلغ ٢٥٠٠ ميل ، وادعاء الصين أن المناطق المحتلة جزء من الدولة الصينية .

وقد أدت اعتداءات الحدود هذه الى مشادة طويلة وشرسة بين الدولتين ، وتحولت في نهاية عام ١٩٦٠ الى أزمة متجددة ، وأخذت كلتا الدولتين موقفين لا تحيدان عنهما وتلخصت وجهة النظر الصينية باختصار في أن الحدود الصينية الهندية لم يجر تخطيطها من قبل ، وأنه يتعين على الدولتين أن تتوصلا الى اتفاقية عريضة حول تخطيط الحدود ، وتعيين لجان مشتركة للقيام بهذه المهمة . وتعتقد الهند من ناحية أخرى أن الحدود قد تم تحديدها عن طريق المعاهدات والاتفاقيات والعرف والتقاليد ، وأنه يمكن أن يكون هناك ، على أكثر تقدير ، تعديلات طفيفة في قطاعات معينة .

وبعد تبادل عدد كبير من المذكرات الدبلوماسية مع نيودلهي ، وصل شواين لاي الى العاصمة الهندية في أبريل عام ١٩٦٠ من أجل إجراء محادثات مع نهر و ، وعرض ضمنا الموافقة على خط ماكماهون على أنه خط الحدود في القطاع الشمالي الشرقي على شريطة أن تعترف الهند بالاحتلال الصيني لحوالي ١٢٠٠٠ ميل مربع في الاراضي التي تقع في القطاع الشمالي الغربي .

وقد رفض نهر و هذا العرض ، وأقصى ما استبطاعه رئيسا الوزراء اللذان كانا في يوم من الايام عمادا للتضامن الآسيوي هو تعيين وفدين رسميين لاستخلاص المعلومات المتعلقة بالحدود ، ولتحديد المناطق المتفق عليها ، والتي تختلف الآراء حولها ، ثم وضع تقرير لحكومتيهما (١)

(١) لدراسة القضية الصينية الهندية حول التبت ، والتمرد الكبير والوضع الدولي للتبت ، انظر كتاب « التبت تختفى » بقلم تشاتا كياسن ، الصادر عن دار آسيا للنشر ، بمباي ١٩٦٠ . وهو يعالج أيضا النزاع الصيني الهندي حول الحدود .

وقدم الوفدان تقريريهما المنفصلين قرب نهاية العام ، ولم يؤد التقريران الا الى تأكيد الازمة المتجددة .

وقد انفجرت مشكلة حدود الصين مع الدول المجاورة وتحولت الى مشكلة رئيسية بعد حركة قمع التمرد في التبت ، وامتداد السيطرة الصينية الى التبت .

ويزعم الصينيون أن حدودهم الحالية مع الهند وبورما ونيبال قد استمدت شرعيتها من ماضى هذه الدول الاستعماري ، وأنه يتعين تسويتها من جديد عن طريق المشادات والاتفاق المشترك .

وقد أعطى شواين لاي في باندونج تأكيدا بأن الصين سوف تحاول تخطيط حدودها مع البلاد المجاورة عن طريق الوسائل السلمية فقط ، وإنها لن تتخذ خطوة من جانبها وحدها لتغيير الحدود القائمة .

وقد قال في حديثه الى اللجنة السياسية للمؤتمر الآسيوي الإفريقي في ٢٣ من إبريل عام ١٩٥٥ « إن بيننا وبين أربعة أقطار حدودا مشتركة ، غير أننا لم نخطط حدودنا مع بعض هذه الاقطار بصفة نهائية ، وإننا مستعدون لأن نفعل ذلك مع الدول المجاورة لنا ، ولكننا حتى قبل اتخاذ هذه الخطوة على استعداد للمحافظة على الوضع الراهن باعترافنا بأن هذه الأجزاء من حدودنا إنما هي أجزاء لم يتم البت فيها بعد . وإننا مستعدون لأن نمنع حكومتنا وشعبنا من أن يتعدوا حدودنا ولو خطوة واحدة . وإذا ما حدث مثل هذه الأشياء فإننا على استعداد للاعتراف بخطئنا . أما عن تقرير الحدود المشتركة الذي سوف نضعه مع البلاد المجاورة لنا ، فإننا سوف نستخدم الوسائل السلمية فقط ، ولن نسمح بأي نوع آخر من الوسائل . وعلى أية حال فإننا لن نغير هذه (الحدود القائمة) » .

غير أن هذا التأكيد لم يحترم . فبين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٥٩ عبر الصينيون الحدود القائمة مع الهند ، واحتلوا أجزاء كبيرة من الأراضي .

كما خلقوا منازعات حول الحدود مع نيبال وبورما ، وتم تسويتها في عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦١ بالوصول الى اتفاقيات . وقد عاملوا نيبال بكرم ، على حين نجد في حالة بورما أن النزاع قد تم تسويته على أسس الحدود التقليدية . أما النزاع مع الهند فإنه ظل دون حل خلال أعوام ١٩٥٩ - ١٩٦١ ، واتهم كل جانب الجانب الآخر باختراق أراضيهم ومجالاته الجوية عدة مرات .

وقد كان للنزاع الصيني - الهندي أصداً كبيرة في آسيا وأفريقية ، كما أضر بمركز البلدين الدولي . وقد راقب جانب كبير من الرأي العام

فى الهند قوة الصين المتزايدة بقلق بالغ ، وأدت اللهجة العدوانية المتزايدة فى الدعاية الصينية ، بالإضافة الى ما قيل عن وجود خلاف بين الصين والسوفييت حول مسألة الحرب ، أدت الى تحول أصدقاء الصين فى وقت ما الى الشك فى نياتها وخططها النهائية .

وقد أدى رفض حكومة الهند الدفاع عن قضية استقلال التبت الى تعرضها لنقد عنيف من جانب عدد من الأحزاب السياسية الهندية ، بل لقد اقترح بعض الزعماء السياسيين ضرورة انحياز الهند الى الغرب . كى تستطيع أن تحرس حدودها ضد أى عدوان صينى فى المستقبل .

غير أن حكومة نهر ورفضت فى الحال مثل هذه الافكار ، وقوى من موقفها الى حد ما الحياد السليم العاقبة الذى طبقته الحكومة السوفيتية . بالنسبة للنزاع الصينى الهندى (١) .

(١) بدأت الصحافة الصينية وراديو بكين فى عام ١٩٦٠ فى انتقاد السياسات الاقتصادية والصناعية والاجتماعية الداخلية فى الهند . وكان من بين التقارير التى نشرت عن التنمية الهندية فى الصحافة الصينية ، التى أذاعها راديو بكين : أن حكومة الهند كانت تتبع اتجاها مؤيدا للرأسمالية ومؤيدا للولايات المتحدة ، ومناوئا للشعب ، بشكل متزايد ، وانها أصبحت حكومة رجعية بمرور الوقت . وخلال الاضراب غير الناجح الذى قام به موظفو الحكومة المركزية فى الهند فى يولية عام ١٩٦٠ ، نشرت الصحافة وأذاع الراديو الصينى تقارير تنتقد انتقادا كبيرا قمع الحكومة للاضراب ، واتخذت الحكومة الهندية اجراء حاسما ازاء هذه التقارير وألغت تأشيرة مراسل وكالة انباء الصين الجديدة فى نيودلهى .

غير أن الاتباء المعادية للهند استمرت فى الصدور فى الصحافة الصينية والاذاعة من راديو الصين .

وعند نهاية عام ١٩٦٠ سحب الصينيون قواتهم من لونج جو وهى مركز حدود ، على خط ماكماهون بعد آسام ، ولم تتحرك القوات الهندية الى هذه النقطة ، طبقا لاتفاق نهر و - شو اين لاي الخاص بجعل الموقف على ما هو عليه فى ابريل من ذلك العام ، ووجدت بعض الانباء غير المؤكدة من انسحاب الصينيين من بعض مناطق الحدود المحتلة فى لاداخ ، طريقها الى الصحافة الهندية . وقد قال شين يى وزير الخارجية فى جاكارتا فى ابريل عام ١٩٦١ للمراسلين : ان الصين سوف تجد ، فى القريب العاجل ، حلا لنزاع الحدود مع الهند . ولكنه لم يدخل فى تفاصيل .

وفى مؤتمر جنيف حول لاوس ، حدثت اتصالات بين شين يى وكريشنا مينون ، ولكن حتى وقت وضع هذا الكتاب لم يعرف هل كانا قد ناقشا وسائل حل نزاع الحدود ؟

وتوقف مستر ر . ك . نهر و السكرتير العام لوزارة الخارجية الهندية ، فيما بعد ، فى بكين ، فى طريق عودته الى نيودلهى من منغوليا ، وأجرى محادثات مع الزعماء الصينيين .

وقد كانوا كرماء معه ، ولكن المحادثات لم تكن مثمرة . أما فى حالة نينال ، فان الصينيين وافقوا على معظم الحدود التقليدية . ولكنهم لم يخضعوا لوجهة النظر الهندية .

وكانت الحكومة الصينية في جميع مراسلاتها الدبلوماسية مع نيودلهي تؤكد باستمرار أهمية الصداقة الصينية الهندية ، ولكنها كانت تطالب بدعم هذه الصداقة على أساس قبول الهند للقاعدة الصينية ، القاعدة التي تنص على إعادة تخطيط الحدود عن طريق اتفاقية .

وبذل الصينيون جهودا جبارة لاقتناع الحكومة الهندية بأن الذين يدعون الى أى طريق آخر ويتحدثون عن عداء بين الصين والهند إنما هم فى الحقيقة « أعوان للاستعمار » ويعملون بإيعاز من النفوذ الأمريكى . ولا شك إن الحكومة الهندية لم تقتنع بذلك . مهما يكن الأمر فإن مسر نهر ، رئيس الوزراء بذل جهوده المستمرة من أجل النظر الى الأمور بطريقة موضوعية ، وكى لا يجعل أهمية مبالغ فيها لحوادث الحدود الصغيرة ، وفى الوقت نفسه يدعم من دفاع الحدود .

وقد تلقت الهند مساعدات من روسيا للقيام بهذا العمل عن طريق ارسال معدات تعبئة الطرق ، والطائرات الهليكبتر . وقد انتهت الحكومة الى أنها كى تكسب احترام الصين ، يتعين عليها أن تدعم من وضع الهند الاقتصادى والعسكرى وفى الوقت نفسه بات من الواضح أنه يتعين عدم السماح بتدهور العلاقات الصينية الهندية الى حد اليأس وأنه ينبغى المحافظة على الصداقة بينهما على أساس المساواة فى القوة . وقد شرح مسر نهر سياسة حكومته فى مجلس النواب فى ٢٣ من نوفمبر عام ١٩٦٠ ، فى الكلمات الآتية :

إذا حدث بسبب الحظ العاثر ، وقامت حرب بين الهند والصين فسوف تكون أمرا فظيما . ان الصين لن تتغلب على الهند ، كما ان الهند لن تتغلب على الصين . وقد تكون احدهما أقوى او اضعف من الأخرى ، لكن الدولتين كبيرتان ، وسيكون أى صراع بينهما أمرا جسيما ، والمشكلة الرئيسية هى موقف الصين ، وما قد يدور فى ذهن الحكومة الصينية ، وما قد تفكر فيه ، فى الحاضر وفى المستقبل

= وفى غضون عام ١٩٦٠ مرت الصين بأزمة غذاء عنيفة ، ونبتت هذه الازمة من فترة جفاف طويلة فى بعض المناطق ، ومن فيضانات مدمرة فى مناطق أخرى . وبينما نجد أن سرعة الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية قد أبطأت بعض الشيء، نجد أن الصناعات الثقيلة قد استمرت فى التمتع بالأولوية المطلقة .

واشتت الصين كميات ضخمة من الحبوب من كندا ، وأستراليا ، والبلاد الآسيوية المجاورة لها ، ولكنها رفضت . باحتقار ، عرضا أمريكيا سخيا ، بأن ترسل الولايات المتحدة الطعام بدافع إنسانى .

وخلال وضع هذه السطور ، هناك أنباء غير مؤكدة عن أن سرعة تحويل التبت الى الشيوعية قد تباطأت ، وان هناك تحركات واسعة للجيش من التبت الى أراضي الصين مما يوحى بانسحاب القوات .

واعتقد أن من الأهمية القصوى بالنسبة لنا ، أن تكون على علاقات ودية مع الصين . لكن هذا لا يعنى « ولست أرى هذا البرأى » أن العلاقات الودية يمكن أن تقوم عن طريق انتهاج موقف ضعيف نحو بلد قوى . . ان احترامنا لأنفسنا يقتضى منا ألا نعتنق وجهة نظر ضعيفة فى هذا الأمر . ومع ذلك يتعين علينا أن نذكر الحقيقة التالية : ان من الأمور ذات الأهمية القصوى فى الوقت الحاضر – وهى أكثر أهمية اذا نظرنا إليها من الناحية التاريخية – ألا يكون هناك صراع دائم بين هاتين الدولتين الكبيرتين : الهند والصين ، لأن هذا النزاع يسبب خلافات واسعة فى آسيا والعالم ، وسوف يؤدى الى حرب عالمية .

الفصل الحادى عشر

ضرورة عدم الانحياز

ما يزال عدم الانحياز برغم ما يواجهه من طعن كثير فى الغرب هو الموقف الآسيوى الأفريقى السائد تجاه تقسيم العالم الى معسكرين متحاربين فى الميادين السياسية والاقتصادية والأيدولوجية . لقد نبتت فلسفة عدم الانحياز من جذور آسيوية ، وانتشرت الى القارة الأفريقية مع انتقال ركب الحرية من بلد الى آخر . وهناك اشكال مختلفة لعدم الانحياز ، ففى بعض البلاد تجد الدوائر الحاكمة أن هذه الفلسفة تفتقر الى القوة ، والى مقومات الحياة ، ولذا تنضم الى الكتلة الغربية إما جهاراً عن طريق الاحلاف العسكرية أو سرا من خلال التفاهم حول عديد من الموضوعات . غير أن الرد التلقائى الذى وجهته الاغلبية العظمى من الشعوب الآسيوية الأفريقية نحو الحرب الباردة هو الابتعاد عنها . والسبب فى ذلك بسيط : فان الحرب الباردة تبدو للعقلى الآسيوية الأفريقية ، على أنها شأن يخص النظامين القائمين فى الدولتين الكبيرتين . لقد ظهرت هذه الحرب لأن الغرب والسوفييت قد شغلا نفسيهما فى مناقشة حامية من أجل القوة والوضع العالميين . ولا تظهر آسيا وأفريقية فى الصورة الا كلعبتين فى ايدى الدول الكبرى .

واذا ما أردنا أن نفهم منبع فلسفة عدم الانحياز الآسيوية وتطورها : نغتن أن نتفهم العقلىة الآسيوية غداة الاستقلال . فليست آسيا ذات اتجاه واحد ، إنما لها عدة اتجاهات . . فهناك كثير من الاختلافات الجغرافية ، والاقتصادية ، والعنصرية ، والحضارية فى القارة الآسيوية . وتستهن آسيا بهذه الاختلافات ، على حين يبالغ الغرب فى تصويرها . كما أن التعاون الآسيوى فى الاثنى عشرة سنة الأخيرة لم يتحقق آمال آسيا الجديدة ، فقد كانت كل دولة آسيوية مشغولة تماماً فى مشاكلها الخاصة : وقد قام صراع ومنازعات بين الدول الآسيوية ، وكانت هناك منافسة اقتصادية ومصادمات مسلحة محلية .

وعلى الرغم من هذه الاختلافات ، فان هناك قيودا حقيقية تربط بلاد آسيا بعضها ببعض . فلم تكن الحضارات الآسيوية الثلاث العظيمة .. الصينية ، والهندية ، والعربية .. متباعدة بعضها عن بعض على الاطلاق . وقد جلب ركب الحرية معه قدرا معينا من احياء الماضى . وهناك جهود واعية لاعادة احياء العلاقات القديمة ودعمها .

وقد نبع الدفع الأعظم الى الوحدة الآسيوية من ماضى القسارة الاستعماري ، فدول أوروبا الاستعمارية جمعت شمل آسيا ، وبينما كانت حركة التحرر تنمو ، ظهرت روابط راسخة من الأخوة بين الشعوب الآسيوية ردا على الوحدة الأوروبية . فبالرغم من الاختلافات الكثيرة بين الدول فى أوروبا ، والتي غالبا ما كانت تؤدى الى الحرب فان الدول الاستعمارية أظهرت وحدة عجيبة فى المصالح حينما واجهتها القلاقل فى آسيا . وبالمثل سرى وثما فى الشعوب الآسيوية .. بمرور الوقت ، شعور بأنه مهما كانت الخلافات بينها ، فان عليها ان تقف وقفة رجل واحد فى مواجهة بلاد أوروبا المسيطرة والمستقلة .

فاذا كانت هذه المشاعر الآسيوية لم تقدر حق التقدير فى أوروبا المعاصرة ، فان ذلك يعود فى معظمه الى ان سكان أوروبا لم يعرفوا قصة الاستعمار الأوروبى كاملة ، فقد اطلعوا على صورة صناعية تماما للمظاهر الطيبة للحكم الاستعماري لثلثى الجنس البشرى . كما ان الأحرار الأوروبيين والاشتراكيين الأوروبيين الذين لم يكونوا يعرفون تماما كيف تسير الأمور فى المستعمرات ، يشعرون غريزيا ، بالفخر « ببعثة أوروبا لنشر الحضارة » فى آسيا وافريقية . لذلك فان بعض « التقدميين » الأوروبيين أنفسهم يعبرون عن ضيقهم من غلبة الطابع الآسيوى على صناع آسيا الجديدة .

وكان هذا هو شعور « تريجفى لى » أول سكرتير عام للأمم المتحدة ، حينما قابل نهرو فى باريس فى ١٨ من يناير عام ١٩٥١ ، ووجد ان الزعيم الهندى يختلف اختلافا كبيرا مع اتجاهه نحو الشؤون العالمية وقد سجل « لى » انطباعه عن المحادثات معه بقوله : « كانت نقطة البداية عند نهرو تختلف تماما ، فهى آسيا أولا ، انه يتعين على شعوب آسيا نفسها ان تقرر مستقبل آسيا ، وكرر « نهرو » هذا الكلام . »

وكان غرض « لى » هو اقناع نهرو بأنه يتعين على بلاد آسيا ان تختار ، فى الصراع العالمى ، بين الشيوعية الدولية والقرب . ولكن نهرو لم يتأثر بالإشارة الى الاهداف العالمية للشيوعية أو الى اعتماد جميع القارات بعضها على بعض واهتمام « الامم المتحدة » بها جميعا . وبدا ان ذهنه كان مشدودا الى فكرة آسيا ككيان خاص قائم بذاته

وحيثما تتبعت هذا الاتجاه الضيق للتفكير ، واشتدت الى التفوق
العسكري الغالب للصين والاتحاد السوفيتي في القارة الآسيوية ، ظل
يقول : انه لا يهتم بأمن بلاده ، انما كان يهتم بإقرار السلام في كوريا
وتسوية الخلافات بين الولايات المتحدة والدول الشيوعية ، وأن هدفه
المباشر هو اقناع بكين بالانسحاب من كوريا . وعندئذ تحصل بكين
على فورموزا » .

وقد حاول «لى» أن يشير مسألة احتمال سيطرة قوات روسيا والصين
مجتمعة على آسيا . وقد وجد « أنه لا يوجد أى التقاء فى العقول .
واستمرت آراؤنا فى الاختلاف » .

غير أنه بمجرد أن اتجه الحديث نحو المسائل الاقتصادية ، ظهر
بسهولة « أساس مشترك » فقد كان اهتمام نهرو المباشر ينصب على
فقر الهند الهائل « وما اعتبره قصورا فى الفهم من جانب « الدول
الفنية » . وكان انطباع « لى » الاجمالى عن زعيم عدم الانحياز
الآسيوى هو أن اشتغاله برخاء شعبه قد منعه من إعادة النظر أو تقويم
الموقف العالمى فى اعرض اطار له (١) .

وكان السكرتير العام يشير بكلمة « اعرض » الى الاطار الأوروبى .

ان الاختلاف فى الراى بين نهرو ، ولى يعتبر مفتاحا لتقدير
الدوافع التى تدعو الى انتهاج سياسة عدم الانحياز وضرورة هذه
السياسة ، وعجز الغرب عن قلبها كقوة ايجابية فى مصلحة السلام
الدولى .

ان الغرب يعتبر الحرب الباردة صراعا بين ايدولوجيتين ، بين
العالم الشيوعى والعالم « الحر » بين (عقيدة ملحدة) ، وقيم التحرر
والحرية الاثيرة .

وترفض العقلية الآسيوية هذا التعريف ، ومن الأمور التى هى
أكثر واقعية انها ترى . فى الحرب الباردة صراعا من أجل القوة بين
الكتلتين . وتجد آسيا بلاد الغرب تتكاتف لا لأنها تؤمن بميثاق
البرامج الايجابية من أجل رخاء البشرية وانما بسبب خوفها من
الاتحاد السوفيتي . وكما قال بروفيسور مايو ، المؤرخ القدير ، وأحد
الأوروبيين القلائل الذين يحاولون تفهم العقلية الآسيوية : « انه ليس
من الصحيح على الاطلاق القول بأن الحرب الباردة صراع بين
ايدولوجيتين محدودتين تحديدا كاملا ، أحدهما تتضمن الغرب
جميعه » .

(١) « من أجل السلام » بقلم تريجنفى لى ص ٣٥١ - ٦٢ .

ان العالم يبدو مختلفا تماما حينما ينظر اليه من العواصم المختلفة، وحتى من الناحية الجغرافية نجد ان للعالم صورا شتى فى نظر مختلف الشعوب . ان «الشرق الأوسط» بالنسبة للبريطانى هو «غربى آسيا» بالنسبة للهندى ، وما يعتبر « الشرق الأقصى » بالنسبة للرجل الانجليزى هو «الغرب الأقصى» بالنسبة للمواطن فى كاليفورنيا «وشرقى آسيا» بالنسبة للهندى .

وبالمثل نجد أن للحرب الباردة صورا شتى باختلاف الشعوب . فعلى الأمريكيون والبريطانيون لا ينظرون اليها بالأعين نفسها تماما . ويعتبرها الاتحاد السوفيتى محاولة لتطويق البلاد الشيوعية والحد من زحف القوى الشيوعية ، كما يعتبر الحرب الباردة مظهرا من مظاهر ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وصورة من سياسة التدخل التى كانت قائمة بعد الحرب العالمية الاولى . وتنظر الولايات المتحدة الى الحرب الباردة على أنها تهديد ضخم لتفوق أمريكا بحكم مركزها كدولة « رقم واحد » فى العالم . وتعنى بالنسبة لبلاد أوروبا الغربية طوفان الشيوعية الآخذ فى الاقتراب .

أما بالنسبة لشعوب آسيا فهي لا تعنى شيئا من ذلك كله . انها معركة متجددة من أجل السيطرة على العالم من جانب الدولتين كل منهما بمجموعتها من الدول التى هى أقل والتي تعتمد عليها من أجل سلامتها ، وحصولها على مقومات الحياة .

واذا كان هناك عامل واحد يدفع البلاد الآسيوية الى الابتعاد عن المعسكر الغربى ، بل ويدفعها الى انتقاده انتقادا شديدا ، فان هذا العامل هو مسألة الاستعمار . وقد عبر رابندراناث طاغور عن الشعور الآسيوى « والافريقى » العام حين قال : « نظرا لاننا آسيويون ، يبدو أن معارضتنا لأوروبا تسرى فى دمائنا » وأن المعسكر الغربى الذى يفترض أنه مشغول فى قتال ضد « قوى الشيوعية الشريرة » والذى يعلن عن مناصرته للحرية ، عبارة عن تكتل غريب لعدة دول ذات ملامح سياسية مختلفة ، ومعظمها بعيد تماما عن معبد الحرية : فالولايات المتحدة ، الزعيمة ، تحالف مع بريطانيا وفرنسا وهولندا ، وبلجيكا وهى من الدول الاستعمارية ، والبرتغال واسبانيا وهما من الدول الفاشية ، كما أنها ترتبط بدول اسكندنافيا الاشتراكية . وأدخلت كلمة « حر » لتكتسب معنى غريبا وغير عادى ، فان كوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية ، وتايلاند ، وتركيا من الدول «الحرّة» ، أما الصين وفيتنام الشمالية وكوريا الشمالية فهى ليست كذلك . وقد قال بروفيسور بترفيلد بحق : «ابعدوا التهديد الروسى ، واستبعدوا الحاجة الى المساعدة الأمريكية ، وسرعان ما تتداعى مظاهر الاحماء الحملة

فى بقية أوروبا وتخلف وراءها مرارة وفوضى « وسوف يحدث المثل
لجموعة البلاد الملتزمة فى آسيا .

لقد نبعت فلسفة عدم الانحياز، الآسيوى من تيارات سلبية ،
وتيارات ايجابية ظلت تسرى طويلا فى أعماق العقلية الآسيوية .

لقد نبعت من كراهية الاستعمار الأوروبى ، ذلك أن وجود الدول
الاستعمارية فى معسكر « العالم الحر » كانت كفيلا باقنناع البلاد
الآسيوية بأن هذا المعسكر ليس معسكرها . كذلك نبعت من ادراك
عميق لمدينة آسيا العظيمة ، ومن الايمان بأن آسيا التى ظلت مهملة
ومهانة زمنا طويلا ، لديها جديد تريد أن تقدمه للبشرية « مثلما قدمت
للعالم دياناته الهامة » ونبتت أيضا من رفضها تقسيم العالم الى
معسكرين واعتبار هذا التقسيم شيئا نهائيا . وكانت أهم آسيا
تدرك جيدا أن الحرب العالمية الثانية قد أحدثت تغيرا عظيما فى ميزان
القوى ، وأن انتهاء النظام الاستعماري القديم ، فى آسيا نفسها ،
يؤدى الى « فراغ فى القوى » وعرفت أن الدولتين المتحاربتين سوف
تتنافسان من أجل ملء هذا الفراغ . ولكنها لا تريد لهذا الفراغ أن
يملاّه أحد منهما . أرادت آسيا الجديدة أن تملأ هذا الفراغ بنفسها .

وفى السنوات الأولى تم الطعن فى عدم الانحياز من جانب
معسكرى الحرب الباردة . وقد تصادف أن وجدت دول عدم الانحياز
نفسها متفقة فى الاتجاه - داخل الأمم المتحدة - مع الاتحاد السوفيتى
حول عديد من المسائل العالمية ، مثل مناهضة الاستعمار ، ونزع
السلاح ، والتكتلات العسكرية . ومن أجل ذلك نددت بها الولايات
المتحدة والدول الغربية الأخرى على أنها تخفى اتجاهات شيوعية ،
وتقف مكتوفة الأيدي ، ومن ناحية أخرى تعرضت البلدان الآسيوية
غير المنحازة ، فى العواصم الشيوعية ، للطعن برغم تبعيتها للغرب
وذلك بسبب فشلها فى اتخاذ موقف أكثر صلابة ضد بعض التطورات،
مثل الحرب الأهلية فى الملايو .

وهكذا نجد أن عدم الانحياز كان موضع شك فى كلا المعسكرين
لأنه لم يكن على استعداد للتمادى من أجل ارضاء أى من الطرفين .

وصاغ نهرو هذا الأسلوب فى شكل دبلوماسية ، فى شكل أداة
جاهزة من أدوات الدبلوماسية : « لقد كانت الدوافع والضرورات
موجودة ، ولكن تطبيقها على المواقف العالمية الفعلية كان موضع تردد
وحذر فى أول الأمر ، وكانت الهند ، لأسباب عدة ، لا ترغب حتى
اندلاع الحرب الكورية فى الاساءة كثيرا الى بريطانيا العظمى ، وكان
شعور الحكومات الاستعمارية بالضيق من جراء رفض نهرو الاقتراب

من الخط انغربي سببا فى اشعار نهرو بالقلق . وقد أخذت فلسفة عدم الانحياز شكلا أكثر اكتمالا نتيجة للتطورات العالمية ، وفى الوقت نفسه أصبح موقف الدول الآسيوية نفسها أقوى عن ذى قبل .

لقد صاغ نهرو هذا الأسلوب فى شكل دبلوماسية ، ولكنه لم يكن خالق هذا الأسلوب . وفيما يتعلق بالهند ، تعتبر فلسفة عدم الانحياز تطورا منطقيا للسياسة الخارجية التى وضعها « المؤتمر الوطنى » : فبالنسبة للمجموعة الآسيوية كان عدم الانحياز هو النظرة الدولية المنطقية الوحيدة حتى فى مؤتمر العلاقات الآسيوية الذى انعقد فى نيودلهى فى مارس عام ١٩٤٧ قبل انسحاب الدولة البريطانية من شبه القارة الهندية بستة أشهر . واجتمعت الآراء فى المؤتمر على أنه يتعين ألا تقبل آسيا الناهضة وصاية الرجل الأبيض فى أى شكل وقد رسم نهرو الاتجاه وسط استحسان المندوبين قال : « لقد ظللنا فترة طويلة ، نحن شعوب آسيا . نقدم التماسات الى محاكم الغرب وحكوماته . واليوم ينبغي أن نسدل على هذه القصة أستار النسيان . اننا نتوى الوقوف على أقدامنا نحن ، والتعاون مع كل من يعلن استعدادة للتعاون معنا . غير أنه ليس فى نيتنا أن نصبح العوبة فى يد الآخرين »

وقد شاركت معظم الوفود فى هذا الشعور ، وحث مستر باندرانيكة الراحل ، الذى كان يتزعم وفد سيلان ، حث دول آسيا الناهضة على أن تنمى قوتها ووحدتها قال : « ان العلاج الوحيد أمامنا هو أن نبذل جهدا هائلا لتحقيق الوحدة والانسجام فى آسيا بالوحدة داخل كل بلد على حدة والوحدة مع البلدان الأخرى » .

وهنا من جديد كان الاتجاه هو رؤية آسيا قوية ومتحدة ككيان قائم بذاته . وقد ردد أبو حنيفة رئيس الوفد الأندونيسى ، أصداء هذا الشعور بقوله : « اننا نحب بالفعل العيش فى سلام مع الدول الأخرى التى تحترم حقنا فى أن نكون أحرارا مستقلين » .

وفى عام ١٩٤٧ لم تكن هولندا وهى عضو هام فى المعسكر الغربى مستعدة بعد تماما للموافقة على استقلال اندونيسيا الكامل . بل ان المندوب الصينى « ولم تكن الصين قد أصبحت شيوعية بعد » . قد رأى أن مؤتمر العلاقات الآسيوية عبارة عن « جسر بين آسيا وبقية العالم » .

وقد بدا عدم الانحياز كوجهة نظر دولية فى آسيا الجديدة حينما أصبحت أندونيسيا أول بلد آسيوى ينفذ عن نفسه الوضع الاستعمارى بمجرد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها .

وفى الاول من يونيه عام ١٩٤٥ أعلن الرئيس سوكارنو مبادئه

الخمسة الشهيرة ، تلك المبادئ الخمسة الرئيسية التى وضعت كى تسترشد بها جمهورية أندونيسيا المستقلة الوليدة. ومن هذه المبادئ النزعة الدولية التى يقصد بها الأندونيسيون التعاون مع جميع الدول على أساس المساواة .

ومنذ عام ١٩٤٥ حدثت تغييرات كثيرة فى أندونيسيا ومرت البلاد بكثير من المحن والانتكاسات ، ولكن كما قال سوكارنو لمواطنيه فى السابع عشر من أغسطس عام ١٩٥٢ : « تعاقبت وزارة بعد أخرى وجرت أحداث مختلفة الأشكال فى الداخل والخارج ، ولكن سياستنا الخارجية التى تعتمد على عدم اختيار جانب ما ، وعلى دعم التعاون مع آسيا ، لم يجر عليها أى تغيير . وتعرف هذه السياسة بأسلوب واضح هو سياسة مستقلة فعالة موجهة نحو السلام . وطبقا لهذه السياسة يتم فحص كل مسألة فى الشؤون الخارجية ذات صلة بالمصالح الأندونيسية على ضوء طبيعتها ومضمونها ، فما هذا المقياس الذى يتم به الحكم على هذه المسائل ؟ المقياس هو هل أى تصرف من تصرفاتنا فى مجال الشؤون الخارجية يمكن أن يتوافق مع مصالحنا القومية ، ومع روح المبادئ الخمسة ؟ » .

وإذا كانت الهند قد فوضت لتطوير فلسفة عدم الانحياز لتأخذ شكلها الكامل ، وإن تشحذها لتصبح وسيلة من وسائل الدبلوماسية الدولية ، فذلك بسبب الوضع الجغرافى المميز للهند والموقع الممتاز الذى كانت الهند تحتله فى خطة بريطانيا الاستعمارية على الرغم من من ارادة شعبها .

فقد كانت امبراطورية بريطانيا فى آسيا تعتمد على الهند . فقد امتدت الامبراطورية ، بسبب الهند ، من غربى آسيا الى شرقى آسيا . وقد اعلن ذلك بوضوح لورد كوروزوف ، وهو من كبار بناء الامبراطورية حينما سجل ان « السر فى المركز (البريطانى) بأكمله ، فى الجزيرة العربية ، وايران وافغانستان والتبت ، وشرقا حتى سيام « هو اننا » لا نرغب فى احتلالها ، ولكننا لا نستطيع أيضا أن نرى خصومنا وهم يحتلوننا » وعلى حد قول مستر ك . م . بانيسكار ، المؤرخ الهندى الكبير « لقد بدأ حجم الهند وأهميتها ومواردها ومركزها الجغرافى تؤكد نفسها شيئا فشيئا ، وسرعان ما أصبحت مصالح الامبراطورية البريطانية فى الهند ، العامل الرئيسى فى تشكيل سياستها الاستعمارية » . وقد تحدد كثير من مظاهر السياسة البريطانية فى الصين وايران ، وافغانستان على ضوء ، « اعتبارات سلامة الهند أو ما اعتبرته بريطانيا « مصالح هندية » .

ولم يكن هناك مفر من أن ينظر الى الجندي الهندي فى مصر وافغانستان ، وبورما ، والملايو ، وسنغافورة ، أيام الاستعمار الانجليزى على انه رمز لهذا الاستعمار . فقد كان البريطانيون يستخدمون القوات الهندية فى قمع الحركات الوطنية فى البلاد الآسيوية المجاورة ، بل وحدث فى مؤتمر العلاقات الآسيوية أن بلغ من صراحة وقد بورمائه ذكر (فى أحد اجتماعات المائدة المستديرة) أن الهند قد استخدمت « اداة فى ايدي الاستعمار البريطانى لاختضاع البلاد التى تحوطها » . وعبر عن أمله فى ألا تسمح الهند ، بعد نيل حريتها ، فى استخدام جيشها فى قمع حركة الحرية فى أى بلد .

وكانما أراد حزب المؤتمر الوطنى أن يعتذر عن هذه الزلة وأن يعرض ، بسخاء ، ما فعله السادة المعادون حينما استغلوا موارد الهند بطريقة شريرة ، فرسم سياسة خارجية فى نحو ثلاثين عاما تقريبا . ولم تكن هذه السياسة تتخيل آسيا حرة ومرتبطة بعضها ببعض بروابط قوية ، من التعاون ، والدوافع التى تدعو الى التقارب ومن المثل العليا والمساءى الحميدة فحسب ، وانما تخيلت أيضا قارة آسيوية تؤدى دورها الفعال فى الشؤون الخاصة بالبشرية .

وتمر النعمة المناهضة للاستعمار خلال تاريخ المؤتمر الوطنى الهندي بأكمله - فحتى فى أثناء دورته الاولى عام ١٨٨٥ « استهجن المؤتمر ، وكان وقتها هيئة تقدم العرائض والالتماسات ، تحت رعاية رجل انجليزى ، ضم بورما » وفى عام ١٨٩٢ تبنى المؤتمر قرارا ينتقد سياسة الضم البريطانية التى يتم تنفيذها بأموال وموارد هندية . وتمت الموافقة على قرارات مشابهة فى عام ١٨٩٥ و ١٨٩٧ و ١٨٩٨ و ١٨٩٩ و ١٩٠٢ .

وفى عام ١٩٠٤ ندد المؤتمر ببعثة لورد كورتزوف الى التبت التى وصفها بانىكار بانها ذروة الاستعمار البريطانى فى الهند . وقد عبر هذا القرار عن الخوف من الا تكون حملة التبت سوى جزء من سياسة تقدم عامة ، تضافرت مع بعثتى افغانستان وايران ، فى توريث الهند فى التزامات خارجية ستثقل لا محالة كاهل الرجل الهندي بطريقة لا تطاق وتسفر فى النهاية عن تنافىها الكامل مع مصالح البلاد .

وفى العشرينات أصبحت نظرة الهند المناهضة للاستعمار أكثر قوة ، وأوسع مدى ، وأعمق أثرا . وفى عام ١٩٢٢ أرسل المؤتمر رسالة تأييد الى الشعب التركى ، وفى عام ١٩٢٣ أرسل رسالة الى الشعب المصرى يندد فيها ب « موجة الارهاب التى فى بلاده » . وفى عام ١٩٢٧ طالب المؤتمر بانسحاب القوات الهندية التى تخدم الأغراض الاستعمارية فى الصين ، وبلاد ما بين النهرين ، وايران . وبالمناسبة :

يُوصف هذا القرار الشعب الصينى بأنه « رفيق للشعب الهندى فى كفاحه المشترك ضد الاستعمار » . وفى السنة التالية عبر المؤتمر عن وقوفه مع أربع دول عربية هى مصر وسورية وفلسطين والعراق « فى كفاحها من أجل التحرر من قبضة الاستعمار الغربى » . وفى عام ١٩٢٨ ربط المؤتمر الهندى كفاح الهند من أجل الحرية بكفاح الشعوب الآسيوية الأخرى :

« ان كفاح الشعب الهندى من أجل الحرية جزء من الكفاح العالمى ضد الاستعمار ومظاهره ويتعين على الهند أن تقيم علاقات مع الدول والشعوب الأخرى التى تعاني أيضا من وطأة الاستعمار، وترغب فى مقاومته » .

وقبل ذلك أى منذ عام ١٩٢١ ، أخبر المؤتمر الوطنى الهندى البلاد المجاورة أن الهند لا تشارك فى سياسات التقدم التى تنفذها القوى البريطانية بمساعدة الجنود والموارد الهندية ، فان «الهند كدولة تتمتع بالحكم الذاتى ليس لديها ما تخشى عليه من الدول المجاورة أو من أية دولة حيث ان شعبها لا ينوى تدبير أى مؤامرات ضدها » .

وقد أصبح المؤتمر الوطنى الهندى أحد أوائل المنظمات السياسية الشعبية فى العالم التى أدركت خطر الفاشية . فقد نظر المؤتمر ، بريبة ، الى ظهور هتلر وموسولنى على القارة الأوروبية ، وظهور قوة اليابان العسكرية فى شرقى آسيا . وفى الوقت الذى كانت فيه الدول الديمقراطية فى العالم تسير الدول الفاشية ، وتبذل المحاولات من أجل إيقاع ألمانيا النازية فى صراع مع الاتحاد السوفيتى ، انتهج المؤتمر الوطنى الهندى سياسة محدودة تتمثل فى التأييد المعنوى لضحايا النزعة التوسعية العسكرية فى أوروبا ، وإفريقية وشرقى آسيا . فندد المؤتمر بالعدوان الإيطالى على أثيوبيا فى قرار أصدره فى دورة لوكنو عام ١٩٣٦ ، كما أعلن عن تعاطفه العميق مع شعب اسبانيا ، وعبر عن شعوره بالدهشة من اتباع بريطانيا سياسة عدم التدخل التى « أدت فى انواقع الى مساعدة هؤلاء المتمردين الذين تؤيدهم جهارا الدول الفاشية » .

وفى عام ١٩٣٧ ندد المؤتمر بشدة بالهجوم اليابانى على الصين . وطلب من شعب الهند « الامتناع عن استخدام البضائع اليابانية كدليل على تأييده لشعب الصين » . وصدر قرار آخر عام ١٩٣٨ بإدانة « العدوان الاستعمارى الوحشى على الصين » . وفى العام نفسه قرر المؤتمر ارسال بعثة طبية الى الصين كتعبير عن عطف الهند . كما أبدى قلقه نحو مؤامرات ألمانيا ضد استقلال تشيكوسلوفاكيا .

وقد عقد المؤتمر دورة حاسمة فى هاريورا عام ١٩٣٨ حينما وقف العالم بكل ثقله على حافة الاشتعال . وكان القرار الذى صدر حول الموقف الدولى فى هذه الدورة يحمل لهجة السياسة الخارجية التى اعتنقتها الهند المستقلة بعد ذلك بعشر سنوات . وكان نص القرار :

« يرغب شعب الهند فى العيش بسلام وود مع جيرانه ، ومع جميع الدول الاخرى ، ومن أجل هذا الغرض ، يرغب فى ازالة كل اسباب الصراع بينهم . ووسط نضاله من أجل الحرية والاستقلال كأمة . يؤيد احترام حرية الآخرين ، وبناء قوته على أساس حسن النية . والتعاون الدولى . ويتعين اقامة مثل هذا التعاون على أساس نظام عالمى ، وسوف تربط الهند الحرة نفسها ، راضية ، بأى نظام كهذا ، وتدعو الى نزع السلاح والى الامن الجماعى . ولكن التعاون الدولى بعيد عن التحقيق طالما بقيت جذور الصراع الدولى كما هى ، وطالما ظلت دولة تسيطر على دولة أخرى ، على حين يتمسك الاستعمار بنفوذه . ولذا يتعين القضاء على الاستعمار ، واستغلال شعب لشعب آخر حتى يمكن اقامة صرح السلام العالمى على أساس راسخ » .

وهكذا نجد ان القومية الهندية ، منذ بدايتها ، كانت تتجه الى العالم ببعض المبادئ الاساسية . وأول هذه المبادئ هى انه يتعين القضاء على الاستعمار اينما وجد ، وفى جميع أشكاله .

ثانيا - تريد الهند العيش فى سلام وود مع البلاد المجاورة لها ومع جميع الدول الاخرى ، وليس لديها ما تخشاه من أحد ، حيث أنها لا تكن أى خطط عدوانية لأية دولة أخرى .

ثالثا - ستحاول الهند أن تتجنب أى تورط خارجى وخاصة حينما لا يكون هذا التورط فى مصلحتها الوطنية .

رابعا - تؤمن الهند ، وتعلن عن تأييدها التام لنظام دولى ، وتؤمن ايضا بالامن الجماعى .

خامسا - ستحاول الهند الحرية التخفيف من حدة التوتر ، وتهدئة الصراع العالمى ، والعمل بقوة من أجل السلام الدولى .

وهكذا نجد حلقة متصلة فى تطور سياسة الهند الخارجية . ويتعين أن يكون ذلك واضحا امام أى دارس جاد لتقدم القومية الهندية وتطورها وعلى حد قول كاتب أمريكى : « ان أى بحث فى بيانات السياسة الخارجية الكثيرة الصادرة عن المؤتمر الوطنى الهندى فى الماضى ، يكشف عن عنصر قوى من عناصر الاستمرار فى سياسة الهند الخارجية الحالية (١) .

(١) « الحياد فى آسيا » مقال بقلم د. ا. سكالين « أمريكا بوليتيكان ساينس ريفيو » عدد مارس عام ١٩٥٤ .

وقد اعترف جورج كاهن وهو مؤلف أمريكي شهير ، بهذا الاستمرار
فى كتاب حديث بعنوان : « حكومات آسيا الرئيسية » ، قال :

« على الرغم من المشاكل الداخلية العاجلة ، وسياسة عدم الانحياز
ادت الهند ، منذ عام ١٩٤٧ ، دورا فعالا ومستمر على وجه العموم
فى الشؤون الخارجية ، ويعتمد هذا الدور على تأييد أغلبية كبيرة فى
الداخل . ومهما كانت الانتقادات الخارجية الموجهة الى سياسة الهند
الخارجية ، فانها كانت ذات قيمة بالنسبة لمعظم الهنود الذين يفهمون فى
مثل هذه الامور . فقد منحت هذه السياسة فى الهند نفوذا فى العالم
أكبر بكثير مما توحى به قوة الهند الحقيقية ، وهى السياسة الوحيدة
التي يمكنها الفوز بمثل هذا التأييد الكبير فى داخل البلاد تقريبا .

« فالهند ، بالاسلوب السياسى للقوة ، بلد ضعيف ، لا تتحلى الا
بالقليل من المميزات التى يجب أن تتمتع بها دولة ما لتكون ذات نفوذ
فى الشؤون العالمية ، ومن المؤكد أنها أكثر البلاد الديمقراطية ازدهاما
بالسكان ، ولكن نظرا لمستوى المعيشة المنخفض للغاية ، وانتشار الامية ،
والشقاق الاجتماعى فان السكان قد يكونون عاملا من عوامل الضعف
لا القوة فى الوقت الحالى . فالهند تحتل منطقة شاسعة الاطراف فى
بقعة من العالم ذات أهمية استراتيجية ، ولكن مواردها محدودة ،
وهناك عقبات مؤلمة فى طريق وحدتها الداخلية . ومع ذلك فان الهند
أكبر دولة غير شيوعية فى آسيا ، وأكبر دولة فى العالم « غير الملتمزم » ،
وهى المتحدث الرئيسى باسم الدول الناهضة حديثا وخاصة دول المجموعة
الاسيوية الإفريقية فى الأمم المتحدة . وتعتبر الهند نفسها جسرا رئيسيا
بين الشرق والغرب وبالرغم من أن موقف الهند من عدم الانحياز قد يبدو
للصين المتحيزة مدعاة للانزعاج أو دليلا على ضيق النظرة فانه حقق من
النفوذ فى المحافل الدولية ما لا يحقق ارتباط الهند بالغرب » .

غير أن جذور النظرة العالمية التى ترفض ان تتحكم فيها القواعد
الجامدة ، والتى ترفض ان ترى الجنس البشرى مقسما الى شيع
ايدولوجية متزمتة ، هذه الجذور اعماق بكثير حتى من مراحل تكوين
القومية الهندية . والواقع أن مبادئ الفلسفة الهندية تحتم بعض
إتسامح مع التصرفات والسلوك الانسانى المتنوع ، وغالبا ما يتجاهل
الساسة والدارسون الغربيون للشؤون الاسيوية هذا المظهر من المظاهر
غير المباشرة على عمليات الفكر الهندى لأجيال عدة ، والتى أثرت بطريقة
غير مباشرة على عمليات التفكير فى عديد من بلاد آسيا المجاورة وتحت
على روح البحث ، والمغامرة الفكرية ، وتدفع الى اكتشاف حقيقة الامور
برغم أن البحث عن الحقيقة هنا ليس عن طريق الوسائل الموضوعية
التي ابتدعها العلم الحديث . ولكن لم تترك الفرصة أمام أى مبدأ متزمت

ليقف فى الطريق . وتجمع هذه الفلسفة بين النزعة الفردية القوية ، والتسامح الكبير مع العقائد والمذاهب والمسالك المختلفة . وهى أساسا فلسفة توازن وتوحيد : ذلك أن شتى سبل البحث عن الحقيقة تتجه نحو الوحدة ، والروح الانسانية فى بحث ذائب عن وثام يسود الكون ، ولا يكاد يوجد زعيم هندي ، حتى نهرو لم تتأثر اتجاهاته الفكرية بعمق بهذه الفلسفة القديمة .

وقد كان من الطبيعى مع هذا الأساس الفلسفى ، وبالنسبة لسياسة المؤتمر الوطنى الهندى الخارجية ، أن تحاول الهند المستقلة ، منذ البداية اتباع طريق فى معاملاتها الاولى مع بلدان العالم ، يضمن لها الحد الأمثل من النية الطيبة والتعاون من جانب الجميع ، ويجنبها التورط فى منازعات ليست لها فيها أية مصالح مباشرة وأصبحت هذه المهمة ملحة وصعبة فى الوقت نفسه نظرا لان الهند لم تر النور فى عالم موحد وانما فى عالمين ، فقد جلبت الحرية فى أعقابها مشاكل داخلية ضخمة ، واستخدمت معظم طاقات الزعامة الوطنية فى الهجوم الشديد عليها . فقد أدى تقسيم شبه القارة الى دولتى الهند وباكستان ، ومابع ذلك من مذابح جماعية ، الى أكبر انتفاضات سكانية شهدتها التاريخ . لقد عبر نحو أربعة ملايين نسمة الحدود الى الهند من الجناح الغربى لباكستان وحدها ، ورحل نحو مليونى مسلم ، وتركوا الهند الى البلاد المجاورة . وقد كان انعاش هذه الانسانية التى استئصلت من جذورها ، مهمة صعبة .

ومن المهام الصعبة أيضا مهمة التكامل الجغرافى للهند ، الذى قضى بالاندماج السلمى فى البيان السياسى لما يزيد على خمسمائة من الامارات التى تركها البريطانيون ، بعد أن جعلوا كل واحدة منها تتمتع بسلطات كبيرة . وكان يتعين تحويل خريطة الهند الممزقة فى ظل الحكم البريطانى الى خريطة بلد متحد ومتماسك . وقد تمت هذه المهمة الهائلة بطريقة سلمية تقريبا ، برغم انها تطلبت عملا بوليسيا قصيرا فى حيدرآباد وادت الى ظهور مشكلة كشمير التى لم تحل بعد .

واذا كانت الهند القاعدة التى كانت تعتمد عليها بريطانيا الاستعمارية فى الشرق فان انهيار هذه القاعدة كان يعنى انتهاء الطراز القديم من الاستعمار الاوروبى فى آسيا . وقد تبع استقلال الهند ، مباشرة ، استقلال سيلان . وكان هناك شعور متزايد بالفليان فى الغرب العربى « غربى آسيا » وفى ايران . وفى الملايو كان الشيوعيون يخوضون حرب الاحراج . وبدأ الصراع فى الهند الصينية يزعم الفرنسيين .

وبرغم أن الامر قد اقتضى مرور عدة سنوات قبل أن تقتنع الدول الاستعمارية بأن أيام الاستعمار قد ولت ، كانت المرحلة الجديدة من

مراحل التاريخ الاسيوى واضحة للزعماء الاسيويين الجدد ، كانوا يعرفون أن اسيا الجديدة سوف تؤدي دورا جديدا فى الشئون العالمية . وكما أعلن نهرو فى مؤتمر العلاقات الاسيوية «سوف تؤدي آسيا بالضرورة دورا حيويا فى الازمة التى أملت بتاريخ العالم ، فلا يمكن أن تستغل بلاد آسيا ، بعد الآن ، كمخالب قط للأخرين ، فمن المحتم أن ترسم سياستها الخاصة بها تجاه الشئون العالمية » .

واذ أصبح عدم الانحياز الاسيوى وسيلة للسياسة الخارجية بات . يرمى الى أربع غايات رئيسية :

أولا : سعى لكى يضمن لآسيا وضعاً يتسم بالعزة والحرية فى علاقتها بأوروبا .

ثانيا : سعى لان يجعل اسيا بمنجاة ، على قدر الامكان عن الصراع النابع من صراع المصالح بين الدول غير الاسيوية وذلك حتى تتمكن الدول الحديثة العهد بالحرية من تكريس نفسها لمهمة اعادة البناء الملحة .

ثالثا : يهدف الى بذل المساعى الاسيوية الحميدة لتحقيق مزيد من التفاهم بين الطرفين المتنازعين ، وعن طريق تخفيف حدة التوتر سوف تفيد بلاد اسيا من جزء كبير من موارد الدول المتقدمة من أجل الجهود الرامية الى البناء فيها .

رابعا : يسعى الى تحقيق التعاون بين دول اسيا ، وبينها وبين افريقية ، ويسعى ايضا الى خلق فلسفة دولية للتعايش السلمى الذى تتضافر فيه جهود الدول .

وفى الدول الغربية نجد ان هناك اتجاها الى معادلة عدم الانحياز بسياسة الحياد . وبالرغم من انه لا فارق بين الكلمتين ، فى الحديث العادى ، فان هناك اختلافا جوهريا بينهما فى الدوائر الدبلوماسية .

وفى الجمهورية العربية المتحدة يوصف عدم الانحياز بأنه حياد ايجابى ، ومعنى هذا أن ماتعتبره الدوائر الدبلوماسية الغربية عادة حيادا ، تعتبره الدول الاسيوية الافريقية سلبيا ، الى حد كبير .

وقد سأل مراسل امريكى ناصر ذات مرة : كيف يستطيع أن يبرر من الوجهة الادبية ، وقوفه موقف الحياد بين الغرب الديمقراطى والعالم الشيوعى المستبد ؟ وكان رد ناصر :

((اعتقد اننا نرتكب خطأ باستعمال كلمة ((حيادى)) ، ان اللفظ الافضل هو : غير منحاز . ذلك أن الحياد كلمة وضعت لاستخدامها

زمن الحرب ، فلسنا حياديين من الناحية الادبية . لكننا نلتزم مبدأ عدم الانحياز ، وبذلك نستطيع أن نحكم على كل مشكلة دولية على ضوء ظروفها ، لا على أساس الأحلاف . ولو كانت أمريكا غير منحازة، لاستطعتم أن تفقوا موقفا أكثر جرأة من المشكلة الجزائرية غير أنه لكونكم مرتبطين بفرنسا ، لا تستطيعون أن تؤيدوا القومية في الجزائر (١) .

ان الدراسة الموجزة للحياد كما مارسته الدول الاوربية والولايات المتحدة في الماضي قد يساعدنا على تفهم عدم الانحياز ، من ناحية الشكل والمضمون . لقد ظل الحياد سياسة امريكا الخارجية لما يربو على مائة عام . وقد طبقت هذه السياسة ، في معظمها ، تجاه أوروبا ، وسارت جنبا الى جنب مع سياسة حسن الجوار في القارة الامريكية .

لقد ظهرت في الولايات المتحدة مسئولية رسم الحياد الامريكي والمحافظة عليه في حالة قيام أى صراع أوروبى ، لأول مرة ، عام ١٧٩٣ ، حينما افتتح هاملتون وماديسون مناقشة كبيرة تتعلق بالحرب الانجلو - فرنسية . وكان الرئيس جورج واشنطن قد أذاع بالفعل ، اعلانه المشهور الذى ينص على الحياد . وفى التاريخ الامريكى اصدر الكونجرس تشريعا يقضى بالحفاظ على الحياد الامريكى خلال الحروب الاوربية ، نظرا لان الدستور لم ينص على سياسة حيادية .

ويحسن بنا أن نتذكر ان الولايات المتحدة كانت الفائزة بكل شيء ولم تخسر شيئا من اتباعها لسياسة الحياد بالنسبة للصراع الاوروبى . ذلك ان التدهور المتزايد لحيوية العالم القديم ، كانت تقابله زيادة في قوة امريكا الاقتصادية . وأصبح بمقدور الولايات المتحدة أن تجنى ثمارا اقتصادية ضخمة من وراء الحروب الاوربية دون ان تدفع الثمن الذى تقتضيه أية حرب . وظلت الولايات المتحدة محايدة في الحرب بين ايطاليا واثيوبيا وفي أثناء الحرب الاهلية الاسبانية وخلال المراحل الاولى للحربين العالميتين .

غير أن سياسة الحياد هذه لم تطبق في الباسفيكى ، فان كانت أوروبا بعيدة جدا ، فالباسفيكى ليس كذلك ، ومن هنا كانت الولايات المتحدة ، منذ بداية علاقاتها الخارجية أشد اهتماما بالتطورات في الباسفيكى منها بالتطورات في أوروبا : ففي فترة معينة وقفت الولايات المتحدة مع اليابان ضد روسيا من أجل المحافظة على ميزان القوى في الباسفيكى . غير أن ظهور اليابان خلق عدم توازن ، وقد خلقت الحرب الصينية اليابانية ردود فعل في الولايات المتحدة أقوى من أى صراع مشابه يتعلق بالدول الاوربية .

وان أية دراسة للعلاقات الخارجية الامريكية في منطقة الباسفيكى

(١) « ناصر مصر - السعى وراء الكرامة » بقلم ولتون وين ص ٥٦ .

تدل على أن اشتغال الولايات المتحدة بشئون الشرق الأقصى أكبر بكثير من اشتغالها في شئون أية منطقة أخرى باستثناء أمريكا اللاتينية . وقد ظهرت تفسيرات عذرة لهذا الاشتغال : فقد أكد البعض أن الجسور الأمريكية الرئيسية في الشرق الأقصى جذور تجارية ، غير أن تجارة أمريكا مع أوروبا كانت أكبر بكثير من تجارتها مع اليابان أو الصين وقد قال ولتر ليبمان : أن سياسة الباب المفتوح كانت أكثر من سياسة تجارية ، لقد كانت تعبيرا عن « العقيدة السياسية الأمريكية » ، ورد فعل تلقائي ضد التوسع الاستعماري وقد أشار كينيث سكوت لاتوريب الى « اتجاه الحدود الأمريكية المنطقى ناحية الغرب » .

وقد زجت ثلاثة عوامل رئيسية بالولايات المتحدة في مجال شئون منطقة الباسفيكي ، وحدث ذلك في القرن التاسع عشر نفسه .
والعامل الاول هو التجمع التدريجي للمشاعر التاريخية .

ثانيا : كان هناك خوف من اليابان .

أما العامل الثالث فهو الاحداث التاريخية الطارئة . وقد بدأت المشاعر التاريخية بالعلاقات التجارية ، ودعمتها الارشاليات العاملة في الصين : « ومن هذا النفوذ المزدوج نبع الاهتمام باستقلال الصين واستقرارها السياسي » . وقد كان قدر كبير من الالتزامات الإقليمية التي تعهدت بها أمريكا نتيجة لظروف طارئة أو كانت عارضة بالنسبة للحركات السياسية في أماكن أخرى .

ومن الواضح أن من بين العوامل الرئيسية التي جعلتنا نقبل تحدى اليابان الخوف من خضوع موارد آسيا لسيطرة دولة صناعية عسكرية واحدة . وفي هذه الحالة سوف تكون الولايات المتحدة عرضة للهجوم حفا ، فمن الممكن حينئذ قطع الامدادات الاستراتيجية عنا ، وقطع نقاط دفاعنا في الجزر ، ولذا فقد تؤدي التعبئة الفعالة للسكان والثروة المعدنية في الشرق الى جعل الهجوم على الولايات المتحدة غير ذي موضوع .. فما على الولايات المتحدة الا ان تقف جانبا وترى مصالحها وهي تخضع للتغلغل الياباني ، .

« وقد كانت المعارضة المحلية للتدخل الأمريكي في اسيا شيئا مستمرا ومثيرا للضجة من حين لآخر ، غير أن هذه المعارضة لم تكبح جماح السياسة المتبعة ، فلم يحدث ان أشار رئيس أمريكا على الشرق الأقصى بأن يقبع في فناءه الخلفى على أن تحذو الولايات المتحدة حذوه ، ولم يكن هناك اطار تاريخي يربط أمريكا الشابا بالضرورة بأوهام الحروب الشرقية ، ولم يحدث ايضا أن تجاهل الأمريكيون الاقطار الام في اسيا

ومن ثم لم يكن هناك أساس حقيقى يستطيع أن يرتكز عليه أى حزب ينادى بعدم التدخل فى شئون الشرق الأقصى الخارجية «(١)» .

ولذلك فإن الحياد كان مظهرا أساسيا فى سياسة الولايات المتحدة تجاه أوروبا . لكن هذا الحياد لم يطبق على أمريكا اللاتينية أو الشرق الأقصى ، وبمعنى آخر لم يتأثر واضعوا السياسة الأمريكية بالرأى القائل بأن على الولايات المتحدة ألا تتدخل فى سياستها فى شئون الشعوب الأخرى . فقد وجدت الولايات المتحدة ، على أحسن الفروض ، أن من المناسب والمفيد لها أن تنأى بنفسها عن التطورات التى تعتقد أنها لا تؤثر عليها بصورة حيوية . ويطبق هذا أيضا على أفريقية فالولايات المتحدة لم تنضم إلى الاندفاع الأوروبى بالمناكب نحو أفريقية ، ولكنها لم تغمض عينيها عن الشئون الأفريقية ، فقد أدت دورا فى المؤتمرات الدولية الكبيرة حول أفريقية فى القرن التاسع عشر ، والقرن الحالى ، وحصلت لنفسها على امتيازات اقتصادية كبيرة .

فاذا درسنا الأمر من هذه الناحية ، سهل علينا أن نفهم نفاذ صبر أمريكا وضيقها تجاه عدم الانحياز الآسيوى . . فقد تركت الحرب العالمية الثانية الولايات المتحدة كأكبر قوة عسكرية واقتصادية ، وألقت على كاهلها عبء زعامة عالمية تشمل أوروبا وآسيا وأفريقية . ولكن قبل الحرب لم يكن لأمريكا إلا علاقة بسيطة بجنوب شرقى آسيا وغربى آسيا ، ولم تكن لها أية علاقة حقيقية بأفريقية . وقد قامت الحرب الباردة بسبب احتمال اندفاع السوفييت عبر البحر المتوسط إلى تركيا والشرق الأوسط . . ولكن لم تبدأ السياسة الأمريكية بالفعل فى الكشف عن دلائل التوتر العصبى إلا حينما أدركت الولايات المتحدة أنها بددت الجهود الطويلة التى قامت بها الدبلوماسية من أجل المحافظة على ميزان مرضى للقوى فى منطقة الباسفيكى والقضاء الكامل على قوة اليابان جعل من الاتحاد السوفيتى منافسا للولايات المتحدة فى الباسفيك . وكان أملها الوحيد إقامة نظام ديمقراطى قوى متحد فى الصين ، يكون على علاقة ودية بالولايات المتحدة . ولكن هذا الأمل تحطم تماما بانتصار الشيوعيين فى الصين . وواجهت الولايات المتحدة فى منطقة الباسفيكى ، تجمعا قويا للقوى الشيوعية . . وكانت الولايات المتحدة تعرف أن الاقطار الآسيوية غير الشيوعية تواجه ، أيضا ، الموقف نفسه فقد وجدت أن الدول الاستعمارية القديمة قد رحلت أو فى طريقها إلى الرحيل ، وأن الولايات المتحدة بعيدة عنها بعيدا

(١) « السياسة الخارجية الأمريكية » بقلم لورانس ه . تشمبرلين وريتشارد س . سيندر ص ٦٥٧ - ٦٦٢ .

شاسعا ، أما الاتحاد السوفيتى والصين فكانا قريين منها ، لذاتوقت الولايات المتحدة أن تقاوم الدول الآسيوية غير الشيوعية وجود تجمع الدول الشيوعية الكبير بالطريقة التى قاومتها بها هى نفسها . وحينما لم يبد أن هذا وشيك الوقوع ، شعرت الولايات المتحدة بالضيق والسخط .

وقد دعت الاسباب التى دفعت الى حياد الولايات المتحدة تجاه أوروبا ، وتدخلها فى منطقة الباسفيكى ، دعت الاتحاد السوفيتى الى الدعوة لسياسة التعايش فقد وجدت الدولة الاشتراكية التى أقامها لينين ، نفسها وسط عالم رأسمالى ، لا تتحمس فيه الدول الكبرى لقيامها أو نموها ، لذا فإن ضرورة التعايش أصبحت واضحة تماما أمام لينين : ففي مؤتمر الحزب الشيوعى عام ١٩١٩ ، دعا لينين الى فكرة التعايش . وقد تكهن بوقوع سلسلة من المنازعات المنتظرة بين الدول الاشتراكية الوليدة ، والعالم الشيوعى ، ولكنه لم يرغب فى أن يرى الدولة الاشتراكية الوحيدة وهى تخلق فى مهدها .

وبعد وفاة لينين ترك الأمر لستالين لبناء الاشتراكية فى بلد واحد . وقد كرس ستالين نفسه ، اذ أخذ التدخل الاجنبى يضمحل شيئا فشيئا ، لتحقيق التكامل والتطور القومى . وقد سعت سياسته الخارجية الى الفوز باعتراف اكبر عدد ممكن من الدول بالاتحاد السوفيتى . وبرغم أن ستالين لم يستطع أن يقضى على مخاوف لينين من أن الدول الرأسمالية سوف تنقض على الدولة الاشتراكية فى أقرب فرصة ممكنة ، فإنه أدرك أيضا التناقضات القائمة داخل المعسكر الرأسمالى ، ونمو الحركات الثورية فى البلاد المستعمرة .

وأصبح التعايش ، فى ظل ستالين ، النعمة الرئيسية لسياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية فى أوائل الثلاثينيات حينما تطلعت الفاشية الى أوروبا . وقبل ذلك ، فى المدة بين عامى ١٩٢٢ - ١٩٣٠ كان الاتحاد السوفيتى قد أعاد علاقاته مع ألمانيا الى حالتها الطبيعية ، وحقق له انتهاء التدخل استقرارا نسبيا .

غير أن ظهور موسولينى فى ايطاليا ، وهتلر فى ألمانيا هدد بقلب هذا الاستقرار - فقد أعلن هتلر جهارا ، أنه يتعين على ألمانيا السعى للاستيلاء على بعض المناطق على حساب الاتحاد السوفيتى . (قد آن وان انهيار الامبراطورية الضخمة فى الشرق) . وشكلت اليابان المعتدية تهديدا جديدا لحدود الاتحاد السوفيتى الشرقية . وكان رد ستالين على هذا الوضع الجديد ، هو الحصول على عضوية السوفييت لعصبة الامم عام ١٩٣٤ وإلى دعوته ، بشدة ، من طريق ماكسيم

يتفنون وزير الخارجية الى مبدأ التعايش والامن الجماعى . بل وحتى حينما وقع ستالين معاهدة عدم الاعتداء مع المانيا فى الاول من سبتمبر عام ١٩٣٩ ، كان هدفه الرئيسى هو منح الاتحاد السوفيتى فترة للراحة .

وقد جلبت الحرب العالمية الثانية معها تغيرا فى ميزان القوى لم يسبق له مثيل . فحينما وضعت هذه الحرب اوزارها ، لم يكن الاتحاد السوفيتى من الدول العظمى فحسب ، وانما كان ايضا زعيم مجموعة من الدول الشيوعية . ولم يعد الدولة الشيوعية الوحيدة التى يحوطها بحر معاد من الراسمالية . وأصبح العالم نفسه الآن مقسما الى كتلتين متنافستين ، يقف على رأس احدهما الاتحاد السوفيتى . وحينما بدأت الحرب الباردة ، لم يدرك ستالين المفزى الكبير لهذا التغير فى ميزان القوى - فقد اعتاد النظر الى العالم من وجهة نظر دولة يحوطها الأعداء من كل جانب ، لكنه أدرك بالفعل أن الوضع قد تغير كثيرا حتى أن القاعدة اللينينية التى تقضى بحدوث دورة من الحروب داخل معسكر الراسمالية قد أصبحت عقيما .

وبعد وفاة ستالين ، كان خلفاؤه اكثر منه ادراكا للقوة الكامنة فى العالم الشيوعى . وكان هؤلاء ، ايضا ، يرغبون فى التعايش السلمى والتعاون مع جميع الدول ، ولكنهم كانوا مدركين أنهم فى وضع يكاد يسمح لهم بفرض التعايش على منافسيهم . وقد اعلن مالينكوف، الذى أصبح رئيسا للوزراء بعد وفاة ستالين ، فى خطبة وجهها الى مجلس السوفيت الأعلى فى أغسطس عام ١٩٥٣ : « اننا نعتقد بشدة أنه لا توجد فى اللحظة الحاضرة اية مسألة كبيرة لا يمكن تسويتها بالطرق السلمية على أساس من الاتفاق المتبادل بين البلاد المعنية .. وينطبق هذا ايضا على المسائل التى يدور حولها النزاع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . لقد ناضلنا ، ونناضل من أجل التعايش السلمى بين النظامين . واننا نعتقد أنه ليس هناك من أساس موضوعى لأى صدام بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . فان من الممكن ضمان مصالح الامن فى البلدين ، بالإضافة الى الامن الدولى ، ومصالح تنمية التجارة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، على أساس العلاقات العادية بين البلدين » .

وكان التعايش الذى عرضه مالينكوف ، تعايشا بين نظامين متساويين ، فقد أضاف قائلا : « حري بنا أن ندرك أنه على ضوء التعادل الجالى بين القوى، وعلى ضوء عزم الاتحاد السوفيتى وبلاد المعسكر الديمقراطى الاكيد (بشعوبه التى يزيد عددها عن ثمانمائة مليون نسمة) للدفاع عن مصالحهم الحيوية فى الحلبة الدولية ، يبدو

تنفيذ سياسة التعايش السلمى بين النظامين لزاما ليس فقط على دول
المعسكر الديمقراطى ، وإنما على جميع الدول ايضا ، وسوف يكون
إي طريق آخر ، طريق مغامرة يائسة وفشل حتمى .

وبمرور الوقت تورطت الكتلتان الشيوعية والرأسمالية فى سباق
رهيب فى ميدان الأسلحة النووية . فكل منهما تنافس الأخرى فى
الوصول الى وضع أكثر تفوقا من ناحية القوة النووية .

واستمر الاتحاد السوفيتى فى عرض التعايش على حين كانت
الولايات المتحدة عاكفة على تنفيذ سياستها الخاصة بالتطويق . وكان
الاتحاد السوفيتى والدول الشيوعية الأخرى يعتبران ان فترة طويلة
من السلم ضرورية لبناء نظام اقتصادى قوى وإنشاء ترسانة ضخمة
من الأسلحة النووية . واعتقد الزعماء الشيوعيون أن الوقت قد حان
لكى تتطلع الكتلة الاشتراكية الى فترة طويلة نوعا من إعادة البناء
الاقتصادى والسياسى ، فترة قد تؤدي فيها المتناقضات الكامنة فى
الاقتصاد الرأسمالى الى اضعاف التحالف الغربى .

وفى فبراير عام ١٩٥٥ أعلن مولوتوف وزير الخارجية السوفيتى،
فى مجلس السوفيت الأعلى ان سياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية
تعتمد على مبادئ لينين التى تقضى بالتعايش بين النظم الاجتماعية
المختلفة . أننا نعتنق هذه المبادئ لأننا نريد أن تعيش الشعوب فى سلام
وهدوء ، أننا نعتنق هذه المبادئ لان التعايش يستطيع حقا أن يضمن
لحقة تاريخية كاملة ، السلام والحرية للشعب ، وعلاقات سليمة بين
الدول واستمرارا للتقدم الانسانى ، أننا نناضل من أجل مبادئ لينين
التي تقضى بالتعايش ، ونحن نناضل من أجلها لأننا واثقون من قوى
الاشتراكية ، نحن على ثقة بأننا اخترنا الطريق السوى نحو الشيوعية»

وبمعنى آخر كان الاتحاد السوفيتى يطالب بالتعايش السلمى لانه
كان مقتنعا بأن هذه السياسة تستطيع من ثم ان تساند قوة العالم
الشيوعى فى الداخل والخارج . فقد كان مايزال يخشى قيام قوة معادية
معادلة له فى القوة ، ان لم تكن أكثر تفوقا تهدد بتطويقه من كل جانب .
ولكن الاتحاد السوفيتى وجد فى قارتى آسيا وأفريقية سلسلة من
البلاد الجديدة تتولى زمام أمورها وأن الدول الاستعمارية تفقد
مستعمراتها بسرعة — وكان ذلك قوة ايجابية ضد الكتلة الرأسمالية
المنافسة ، ومنح هذا الوضع السوفيتى راحة كبيرة وشجعهم على
الدعوة الى مبدأ التعايش بصوت أكثر علوا .

وقد ربط الاتحاد السوفيتى التعايش بتسوية المنازعات الدولية

عن طريق المفاوضات ، وهو يعلم تمام العلم أن إعادة بعض « المآزق » إلى حالتها الطبيعية سوف يزيد من نفوذه ويؤدي إلى فقدان الكتلة القربية كثيرا من ماء وجهها ، أن لم يسبب لها كثيرا من النكسات في الصراع من أجل القوة .

فعلى سبيل المثال قديعنى التعايش اعتراف الولايات المتحدة بحكومة الصين الشعبية ، وتسليم فورموزا إلى حكومة بكين وسوف يكون ذلك انتصارا كبيرا للكتلة الشيوعية .

وفي عام ١٩٥٧ نشر كتيب صغير في موسكو بعنوان « التعايش السلمى للدول والأمم والقانون الدولى » . وقد أعدده أستاذان في معهد العلاقات الدولية هما : س.ب. كري洛夫 ، و.ف.ب.ن. دوردينيفسكى . وهدف الكتاب في مقالاته الخمس إلى تقديم دراسة للمظهر القانونى للتعايش السلمى للدول والأمم .

وقد افتتحت المقالة الاولى بالمبادئ الخمسة للتعايش السلمى التى صممها الصين والهند فى ديباجة الاتفاقية المعقودة بين البلدين والتى سلمت الهند بمقتضاها بسيادة الصينيين على التبت ، ووافقت الصين على الاعتراف بالتبت اقليما يتمتع بالحكم الذاتى . وأشارت هذه المقالة الى أن هذه المبادئ الخمسة (قد دخلت فى تشكيل نظرة الإنسان إلى القانون وأصبحت جزءا من علم الفقه المتعارف عليه) . وتكمن أهمية المعاهدة الصينية الهندية فى تحويلها العرف والمبدأ إلى خمسة فروض عامة للعلاقات الدولية .

وأكدت المقالة الثانية فى الكتاب أن تقرير مصير الأمم هو المطلب الأساسى للتعايش السلمى ، وسعت مؤلفة هذا المقال -وهى أستاذة فى وضع نظرية تقول : « أن مبدأ تقرير المصير الوطنى ، فى تاريخ الفكر الاجتماعى كان من وضع وتطوير ماركس وانجلز » وتجاهلت كلية دور حركات التحرر الوطنية . وتلاها مقال آخر يعالج مبدأ الحياد ودوره فى توسيع « منطقة السلام » . وقد وجد ل . أ . موجارايان كاتب المقال فى سياسة الحياد ، فى جميع الاحوال ، شكلا من أشكال التعايش السلمى . وقد عنفه على هذا الرأى عضو من أعضاء أكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفيتى الذى قال فى معرض عرضه لهذا الكتاب :

« لكن المؤلف يهون من شأن الحقيقة التى تقول بأن مبدأ التعايش السلمى أداة لدعم العلاقات السلمية بين الدول ذات النظم الاجتماعية والاقتصادية المختلفة، ولكنها لا تشمل تماما النمط الجديد من العلاقات بين الدول داخل النظم الاشتراكية ... »

وهكذا نجد أن دعوة حكومة امرى ناجى الى سياسة الحياد لم تجعل الامن يستتب مطلقا ، وانما كانت بمثابة تأمر مباشر مع دعاة الحرب من الرأسماليين .

وقد رفض الناقد ، بالمثل ، الفقرة التالية التى ذكرها الكاتب « حينما يتخذ أى بلد طريق الحياد طريقا له ، فمعنى هذا أن منطقة السلام قد اتسعت رقعتها على حين يحدث تقلص فى المنطقة التى تسيطر عليها القوة المعتدية :

كذلك لم يقتنع بما اكده الكاتب من أن سياسة الحياد هى إحدى مراحل اقامة نظام أمن جماعى واحد ، قادر على تأكيد استمرار السلم العالمى ، وفى رأى الناقد أن « نظام الأمن الجماعى لا يفترض اتباع الدول الاعضاء سياسة الحياد الجماعى ، وانما يعنى عزمها واستعدادها للقضاء على العدوان عن طريق جهدها المشترك » .

وتكمن أهمية هذه النشرة السوفييتية فى أنها تظهر ، أكثر مما تظهر البيانات الرسمية ، قصور التعايش السلمى كأداة من أدوات الدبلوماسية ، ويعتبر تحرير المناطق المستعمرة أو الشبيهة بالمستعمرة كشرط أساسى للتعايش السلمى .

ومن الطبيعى أن تختلف الدول الاستعمارية وإن كانت وجهة النظر السوفييتية هذه ستلقى تأييدا سريعا فى آسيا وإفريقيا .

واهم من هذا المبدأ الذى عرضه الناقد فى الكتاب ، والذى يقول أن « الحياد أو عدم الانحياز قد يسمح بقيامه بين نظامين مختلفين فقط وليس داخل المعسكر الشيوعى » .

وبمعنى آخر أنه بينما نجد أن الاتحاد السوفييتى يرحب بأن تعتنق أية دولة غير شيوعية لسياسة الحياد ، فإن اعتناق هذه السياسة من جانب أى بلد شيوعى قد يعتبر « تواطؤا مباشرا مع المستعمرين تجار الحروب » .

ويفسر هذا رفض الاتحاد السوفييتى الموافقة على سياسة عسدم الانحياز التى تعتنقها يوغوسلافيا كما يفسر انزعاج السوفييت حين رأوا أن آسيا تغتبر التدخل المسلح فى المجر على أنه انتهاك من جانب الاتحاد السوفييتى لمبادئ التعايش السلمى .

وإذا طبقنا منطق الحجج السوفييتية من أن نظام الأمن الجماعى لا يقضى باعتناق الدول الاعضاء كلها سياسة الحياد الايجابى وانما

عزمها واستعدادها للقضاء على أى عدوان عن طريق جهودها المشتركة إذا طبقنا هذا المنطق على التحالف العسكرية الغربية فإن ذلك يبرر الأهمية التى تضعها الولايات المتحدة على الحفاظ المستمر على نظام الأمن الجماعى الغربى، فإن ذلك سوف يعنى المواجهة المزدوجة للراسمالية الجماعية والشيوعية الجماعية من أجل التعايش المشترك أو الفناء المشترك .

وقد يبدو أن الاتحاد السوفييتى مستعد للتعايش مع النظام الرأسمالى بشرط أن يتم حل المشاكل الدولية عن طريق المباحثات والمفاوضات ، وأن يفسح المجال أمام البلاد المستعمرة كي تقرر مصيرها بنفسها دون أى عائق ، والا يكون هناك أى تدخل من أى جانب فى المحافظة على وحدة الكتلة الشيوعية المتماسكة .

والإتحاد السوفييتى مستعد للتعايش والتنافس مع العالم الرأسمالى بشروط اقتصادية متعادلة ، وهو مقتنع بالنصر النهائى للشيوعية فى جميع أنحاء العالم عن طريق المنافسة السلمية .

ولم تعد النظرية اللينينية التى تقول بأن الحرب بين الشيوعية والرأسمالية حتمية ، مقبولة كقاعدة .

ومن ناحية أخرى وضع خروشوف نظرية جديدة نوعا تقول بأن الشيوعية سوف تنتصر حتى بدون حرب .

والواقع أن الحرب كأداة من أدوات السياسة الدولية قد عفى عليها الزمن تقريبا فى عصر الذرة . ويظهر اتجاه تفكير خروشوف على نحو أفضل ، فى الفقرة التالية من خطاب الزعيم السوفييتى أمام الدورة الحادية والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى التى انعقدت فى موسكو فى يناير عام ١٩٥٩ :

« حينما يصبح الاتحاد السوفييتى الدولة الصناعية الرئيسية فى العالم وحينما تصبح جمهورية الصين الشعبية دولة صناعية قوية ، وتنتج جميع الدول الاشتراكية مجتمعة ما يربو على نصف الانتاج الصناعى فى العالم ، فإن الموقف العالمى سوف يتغير بطريقة جوهرية .

وسوف يكون ميزان القوى الجديد هذا واضحا بقوة حتى أن أصعب الاستعماريين مراسا ، سيلمس بوضوح عبث أية محاولة لشن حرب ضد المعسكر الاشتراكى .

وحيث أن سوف تستطيع الدول المحبة للسلام ، بمساندة قوة المعسكر الاشتراكى ، أن ترغم الجماعات الاستعمارية المعتدية على ترك

خططها الخاصة بشن حرب عالمية جديدة ، وبهذا يصبح فى الامكان حماية المجتمع من الحرب العالمية حتى قبيل الانتصار العالمى للاشتراكية ومع وجود الرأسمالية فى جزء من العالم .

ولذا ، فان مواجهة الرأسمالية الجماعية للشيوعية الجماعية على نطاق عالمى هو العامل المرغم الاول الذى يفرض على دول آسيا وافريقية التى فى المنطقة الوسطى ، الدفاع عن فلسفة عدم الانحياز .

ان العسكريين قادران على محو كل للآخر ومعهما حضارة الانسان بأكملها .

والطريقة الفعالة الوحيدة لابعادهما بعضهما عن بعض انها هي انشاء منطقة واسعة بينهما .

وهذا هو هدف عدم الانحياز ، انه ليس حيادا ، الواقع ان عدم الانحياز مبدأ ايجابى فى اتجاهه ومضمونه .

والسبب الوحيد الذى حدا بالدول الجديدة فى آسيا وافريقية الى اعتناق فلسفة عدم الالتزام هو انه يستحيل قيام حياد فى عالم قرب بين اجزائه العلم ، والتكنولوجيا ، والذى تحاول أن تبثله هذه الكتلة او تلك من الكتل المتنافسة .

ويعنى عدم الالتزام الحرية فى الحكم على المسائل حكما موضوعيا والعمل فى المصلحة القومية والعالمية .

ان عدم الانحياز لا يعنى عدم التورط ، انما هو تابع من حتمية التورط .

وعندها تكون القضايا الكبرى والحاسمة فى خطر كل يوم تقريبا فمن ذا الذى يستطيع أن يكون محايدا ومن ذا الذى يستطيع ان يكون غير متورط .

الفصل الثاني عشر

تيودالتعايش

لم تأت مبادئ التعايش السلمى الخمسة، المعروفة باسم اليانشتيلا بجديد ، فقد دخل أحد هذه المبادئ ، وأكثر ، الى المفاوضات والمعاهدات الدولية طوال الخمسين عاما الماضية .

فاذا كانت الامم قد راعت هذه المبادئ باخلاص ظاهرى فقط فلان الصراع والحرب كانا ، فى الماضى ، اقل تكلفة واجهادا للنشاط البشرى منها فى العصر النووى .

واذا ما جمعنا المبادئ الخمسة فى صعيد واحد ، كوسيلة تتحكم فى العلاقات الدولية ، وجدنا انها تتميز بالفضيلة التالية :

انها تتمشى مع الوقائع الاساسية لعصرنا . هذه الوقائع هى :

١ - ان الحرب الحديثة قادرة على التدمير الشامل مما قد يتسبب فى القضاء على الجنس البشرى بأكمله .

٢ - انتشار السيادة القومية فى انحاء العالم .

٣ - حاجة الامم الملحة للتعايش والتعاون مع بعضها .

٤ - تقسيم العالم الى «الذين يملكون» و «الذين لا يملكون» وحينما أصبح العالم ذا كيان اكبر مع قيام البحار العالية بدور الحواجز بين الدول

وحينما أصبح هناك تفاوت كبير فى القوة العسكرية بين البلاد المختلفة ، لم يعد من المحتم على الدول التى هى أكثر قوة ان تسعى الى التعاون مع الدول الضعيفة ، وتحترم وحدتها وسيادتها .

فمن ناحية كانت السيادة وقفا على العالم الغربى ، وعلى عدد ضئيل من دول آسيا وأفريقية فأكثر من ثلثى العالم يعيش فى الأسر والعبودية الآن .

ومن ناحية أخرى كانت فكرة المساواة ، والنفع المشترك . كقوة فعالة فى العلاقات الدولية مجرد نزعة مثالية عابرة .

وتستطيع الدول أن تتعايش وقت الحرب كالحال وقت السلم .
فتاريخ أوروبا كله عبارة عن تاريخ بلاد تتعايش فى حالة صراع تكاد تكون دائمة .

وقد تعرض بنیان العلاقات الدولية الكامل لتغيير جوهري فى العصر النووى ، الذى ظهر فى العالم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

وقد اكتسح مد القومية العالى قارتى آسيا وإفريقية ، وبدأت أمة اثر أخرى تنهض فى ظل الحرية والسيادة ، متطلعة الى مركز الند فى المجتمع الدولى .

وقد محا العلم والتكنولوجيا المسافات ، وتقلص العالم وتحول الى مجتمع انسانى كبير يسكن كوكبا صغيرا ، وألقيت على كاهل الامم اتصالات تجارية ، وسياسية وثقافية ، ودبلوماسية .
ولم يعد بمقدور أحد أن يعيش فى عزلة ، وأصبحت أفكار الحياد والابعاد عن مراكز الصراع ، شيئا عفى عليه الزمن .

ولم يحدث شيء فى أى جزء من أجزاء العالم دون أن تتعرض أجزاء كثيرة لردود فعل .

وقد بات واضحا أن موارد العالم ، الذى ابتلى بحربين عالميتين فى جيل واحد ، موزعة بطريقة غير عادلة تماما بين دول الغرب المتقدمة ، ودول آسيا وإفريقية الحديثة الاستقلال .

فاذا كانت المساواة هى أمنية البلاد التى حصلت على حريتها بعد كفاح طويل ، وتضحيات باهظة ، فإن تبادل المنفعة هى الحاجة الملحة فى وقتنا هذا . ولا يمكن أن يكون هناك أى أساس للعلاقات السليمة بين الدول سوى الاحترام المتبادل لسيادة ووحدة كل منها ، والاتفاق التلقائى على عدم التدخل فى الشؤون الداخلية فى كل منها . والبديل الوحيد للتعايش السلمى هو التدمير العنيف كل للأخرى .

من أجل هذا عبرت المبادئ الخمسة عن المطالب الملحة للعصر النووى . لقد لمت شمل معيار السلوك الدولى ، وكان واضعو النظريات السياسية يدعون اليه منذ وقت طويل ، لكن الساسة لم يعيروه أدنا مصفية . ومن الأمور البارزة أن المبادئ الخمسة صيغت وتمت الموافقة عليها بفضل الجهود المشتركة للهند والصين ، وذلك فى ديباجة الاتفاقية التى وقعت بين البلدين حول التبت فى ٢٨ أبريل عام ١٩٥٤ .

فقد نزلت الهند عن بعض حقوقها فى التبت ، وكانت قد ورثت هذه الحقوق عن البريطانيين ، نزلت عن هذه الحقوق عن طواعية ، ولكنه كان نزولا لحكام شيوعيين فى الصين كانوا سيستولون على هذه الحقوق باى شكل .

وكانت الهند تسعى الى تنسيق علاقاتها مع الصين فى ظل النظام الشيوعى ، واقامة هذه العلاقات على اسس مستقرة .

فقد كان التأثير الهائل للصين الناهضة قد بدأ يفرض وجوده ، وكان نهرو يسعى ، بادراكه التاريخى ، الى اكتشاف الاساس الذى يمكن اقامة بينان التعاون الصينى الهندى عليه .

وكان نهرو يعلم ان الصين ، كدولة شيوعية ، تقف فى احد جانبي الحرب الباردة ، وانها تنتسب الى حلف سياسى وعسكرى وتؤمن بفلسفة هدفها النهائى هو ادخال العالم كله حظيرة الشيوعية .

لكن الصين كانت ايضا اكبر دولة فى اسيا ، وقد عانت من الاستعمار بردها طويلا ، ولديها مشكلات كثيرة تشترك فيها مع الهند والدول الاسيوية الاخرى .

وقد كانت روابط العلاقات الودية التقليدية القديمة بين الصين والهند ذات اثر عميق على تفكير رئيس وزراء الهند الذى اعتقد ان من المستحيل على دولة عريقة من الصين (او الهند) ، ان تنتزع نفسها تماما من الماضى حتى لو كان ذلك عن طريق هزات عنيفة تسببها الشيوعية .

يضاف الى هذا انه اذا استطاعت الصين الشيوعية والهند الديمقراطية غير المنحازة ، وهما اكبر دولتين متجاورتين فى العالم من الناحية الجغرافية ، ان تتوصلا الى اساس مستقر للتعاون والتعايش ، استطاعتا ، كما يعتقد نهرو ، ان تكونا نموذجا لبقية اجزاء العالم .

ولم يتصور نهرو الذى اعترف بسيادة الصين على التبت ، ونزل عن الامتيازات التى احتفظ بها البريطانيون فى هذا « البلد المجرم » ، لم يتصور حدوث صراع سريع بين الصين والهند ، بل انه تطلع الى فترة من التعاون العاطفى والاقتصادى ، والثقافى ، والبناء التدريجى لشخصية اسيوية تستطيع ان تؤكد نفسها فى الحقل الدولى الواسع .

واذا ما وضعنا هذه الاعتبارات المثالية جانبا ، وجدنا ان رئيس الوزراء الهندى يسترشد ايضا بمقتضيات المصالح الوطنية الهندية المباشرة كما يراها .

واعتقد نهرو بشدة أن من مصالح بلاده الحيوية الابتعاد عن الحرب الباردة والأحلاف العسكرية .

وشعر بالخوف من أن تؤدي مسألة التبت إلى توريط الهند في الحرب الباردة

فقد زحف الصينيون على التبت عام ١٩٥٠ ، في غضون أشهر قلائل من اندلاع الحرب الكورية ، وفي وقت كانت فيه العلاقات بين الهند والولايات المتحدة أبعد ما تكون عن الاشرار .

وتفاقمت مشكلة كشمير أمام مجلس الأمن ، وكان لدى الهند من الأسباب ما يجعلها ماضية على الموقف الذي اتخذته أمريكا وبريطانيا لمصلحة باكستان .

وكان الاعتبار الأول في نظر نهرو هو ابتعاد الحرب الباردة عن حدود الهند ، فقد وجد أن من الأفضل أن يرى سيادة الصين قائمة على التبت ، من أن يشاهد بلاد الدالاي لاما تصبح مذبذب قط في سياسة القوى التي تلعب بالحرب الباردة .

وقد القى في روع نهرو أن اختفاء التبت كدولة حاضرة منوف يستغرق وقتا طويلا نظرا لأن الصينيين سوف يتباطئون في اصلاحاتهم السياسية .

وقد استولت ثورة محدودة على نيبال . غير أن نهرو استنطاق أن يحولها إلى مسالك بناءة ، بأن توصل إلى تسوية ايجابية بين الملك والعناصر الثورية ، وكانت القلاقل السياسية تغل في امارتى بهوتان وسيكيم اللتين على سفوح الهملايا ، على حين كان رجال قبائل ناجا المثيرون للقلاقل على الحدود الشرقية للهند يشنون حربا من أجل اقامة وطن منفصل لهم .

وكانت الباكستان في وضع هجومي بسبب كشمير ، وكانت كما قيل من قبل ، تتمتع بشمار العطف والتأييد الانجلو - أمريكى .

ووسط هذه الظروف ، والتمشى مع سياسة نهرو الأساسية في عدم الانحياز في مواجهة الكتل العسكرية لم يكن منطقيا فحسب بل طبيعيا أن يسعى رئيس الوزراء الهندي إلى اقامة علاقات حسن الجوار مع الصين عن طريق الوصول إلى ترتيبات بشأن التبت ، ترتيبات تتمشى مع الواقع القائم بالفعل .

وكان الصينيون قد زحفوا بالفعل على التبت عام ١٩٥٠ ، ولم تكن الهند في وضع يسمح لها بطردهم منها ، وحتى لو قامت بمثل هذه

المغامرة المتهورة ، فانه كان من المشكوك فيه ، الى حد كبير ، أن تهرع الولايات المتحدة أو بريطانيا العظمى لمساندتها .

فاذا كانت كوريا قد زجت بالصين فى صراع مع أمريكا ، فان تدخل الولايات المتحدة فى التبت قد يدفع بالاتحاد السوفييتى الى تصرف قد يتطور فيما بعد ليصبح حربا عالمية .

ومهما يكن من طبيعة شعور الهند نحو التبت ، فان السبيل الذى اتخذته نهرو عام ١٩٥٠ وفى السنوات التالية كان السبيل الواقعى الوحيد الذى يستطيع اتخاذه . وكان أى سبيل آخر قمينا بأن يؤدى الى كارثة وقد يجعل من الهند أداة لحرب عالمية ثالثة .

وقد قضت الهند والصين أربع سنوات فى التفاوض من أجل الوصول الى معاهدة حول التبت ، ووضع المبادئ الخمسة للتعايش السلمى ، وحينما حان وقت توقيعها ، وضعت المبادئ الخمسة فى العبارات التالية :

« ان المبادئ والاعتبارات التى تتحكم فى علاقاتنا المتبادلة واتجاه بلدينا كل للأخر كالاتى :

١ - الاحترام المتبادل لوحدة وسيادة مناطق كل منهما .

٢ - عدم الاعتداء المتبادل .

٣ - عدم التدخل فى الشؤون الداخلية لكل منهما .

٤ - المساواة والنفع المتبادل .

٥ - التعايش السلمى .

وقد وجه نهرو نظر البرلمان الهندى الى هذه المبادئ الخمسة فى خطبته التى ألقاها فى ٦٥ من مايو عام ١٩٥٤ والتى قال فيها :

« ان هذه المبادئ توضح السياسة التى تتبعها فيما يتعلق بهذه الامور مع أية دولة مجاورة أو أية دولة فى العالم ، وليس مع الصين وحدها .

وأكثر من هذا انها بيان بمبادئ شاملة ، ويخيل لى أنه اذا تم تطبيق هذه المبادئ فى علاقات الدول المختلفة بعضها مع بعض ، فان قدرا كبيرا من متاعب عالم اليوم ستختفى » .

وكان المغزى الحقيقى لأول بيان برلمانى لنهرو حول المبادئ الخمسة هو تقويمه الجديد لوضع الصين فى مجتمع الأمم ، وخاصة بالنسبة للهند .

وقد اشار الى انه يتعين على الدولتين اللتين يبلغ طول حدودهما حوالي ١٨٠٠ ميل (تختلف البيانات الهندية حول طول الحدود ، بشكل بارز ، من وقت الى آخر) أن تعيشا في ظل السلام والصداقة ، وعليهما أن تحترم كل منهما سيادة ووحدة الاخرى ، وتوافق على عدم التدخل في شئون الاخرى بأية وسيلة ، ألا تشن احدهما عدوانا على الاخرى ، وقد ضمنا بهذه الاتفاقية السلام الى حد كبير في منطقة معينة من آسيا ، واننى أرجو مخلصا أن تمتد منطقة السلام هذه حتى تغطي بقية اجزاء آسيا ، بل وبقية اجزاء العالم .

وقد ترك ظهور الصين كدولة قوية ومنتجة ، لأول مرة في هذا القرن ، اثرا عميقا في تفكير نهرو ، وسعى الى التطلع الى مستقبل يتبدى فيه صورة ميزان جديد تماما للقوى في هذا العالم ، فقد خلا العالم لقوتين كبيرتين هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى . وقال نهرو لأعضاء البرلمان : « ان الصين الشيوعية قد دخلت الى الصورة بقوة الكامنة الضخمة ، وان كانت لا تتمتع بقوة حقيقية كبيرة » . واضاف قائلا : « انه لاشك في أن الصين سوف تخطو قدما بسرعة ، وان اراضى الصين الهائلة التى تشكل قوة كبرى ، والتى تعتبر قوة اليوم ، ما تزال تحمل في طريقها قوة أكثر . واثركوا هذه الدول الثلاث الكبرى - الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفييتى ، والصين - جانبا الآن ، وانظروا الى العالم .

هناك بلاد متقدمة للغاية وذات حضارة راقية . غير انكم اذا اختلستم النظر الى المستقبل ، اتضح لكم أن الهند هى الدولة الرابعة ، هذا اذا لم يحدث شيء مكرر ، كالحروب وما شاكلها » .

وفي يونيو عام ١٩٥٤ وصل شواين لاي رئيس الوزراء الصينى فيودلوى في زيارة تستغرق ثلاثة أيام .

وفي بيان مشترك صدر فى ٢٨ من يونيو أشار رئيس وزراء الصين والهند الى المبادئ الخمسة للتعايش السلمى التى تضمنتها ديباجة الاتفاقية الخاصة بالتب ، وأعلنا :

« انه اذا طبقت المبادئ لا بين مختلف الميادين فحسب وانما في العلاقات الدولية أيضا ، فانها قد تشكل دعامة للسلام والامن ، وتجعل محل المخاوف والهواجس الحالية شعورا بالثقة ، كما سيساعد تطبيق هذه المبادئ على خلق منظمة للسلام يمكن توسيعها كلما سنحت الظروف ، ومن ثم التقليل من فرص الحرب ودعم قضية السلام فى جميع انحاء العالم » .

وقد كرس نهرو فى العامين التاليين جانبا كبيرا من جهوده

الدبلوماسية لادخال مبادئ التعايش السلمى الى مجرى العلاقات الدولية . ففي ٢ من مايو عام ١٩٥٤ أشار نهرو الى المبادئ الخمسة في اذاعة له من كولومبو بعد اول مقابلة له مع رؤساء وزارات خمس دول في جنوب شرقى آسيا وقال :

« انه اذا تم الاعتراف بهذه المبادئ في العلاقات المتبادلة بين جميع الدول ، فحينئذ لن يكون هناك أى صراع تقريبا ، ولن يكون هناك أى حرب بالتأكيد . ان هذه الاتفاقية الخاصة بالتبث لم تسر فقط بعض النقاط البارزة بين دولتى الهند والصين الكبيرتين وتقيم علاقتهما الراسخة على أساس سلمى ، وانما اعتقد أنها ستساعد أيضا على المحافظة على السلام فى آسيا ، وعلى ضوء هذه النظرة العريضة بالذات رحبت بهذه الاتفاقية ، واطلب منكم أيضا أن تفكروا فيها فى نطاق هذا الإطار العريض » .

وفى أكتوبر عام ١٩٥٤ زار نهرو الصين ردا على زيارة شواين لاي ، وفى احدى خطبه فى بكين أطرى من جديد مبدأ التعايش السلمى .

وفى شهر نوفمبر رد رئيس الوزراء الهندى على سلسلة من الأسئلة وجهها اليه مراسل هيئة الاذاعة البريطانية فى نيودلهى . وقد سألته المراسل : هل الصينيون قد وافقوا على امكانية قيام تعايش سلمى مع جيرانهم الحميمين وحدهم أم مع هؤلاء الذين لم تكن علاقتهم معهم فى هذه اللحظة ودية ؟ . فرد نهرو قائلا : « لا شك فى قيام تعايش سلمى بين الأصدقاء ، فذلك أمر حتمى ، وحينما تشير الى التعايش ، فأنت تعنى تعايشا سلميا مع هؤلاء الذين لا يتفقون معك ، وليس هناك شك حول ما يعنيه الزعماء الصينيون لانهم أخبروننى بطريقة محدودة وحاسمة أنهم يؤدون قيام تعايش سلمى مع هؤلاء الذين لديهم الاستعداد لاقامة علاقات ودية معهم واقامة علاقات دبلوماسية مع جميع الدول بما فى ذلك من الدول التى تعارضهم » .

وكانت بورما اول دولة تعتنق مبادئ التعايش خارج نطاق الهند والصين . فقد قام شواين لاي بزيارة قصيرة لبورما فى اثناء عودته من الهند ، وعند انتهاء هذه الزيارة أصدر هو وأونو بيانا مشتركا فى رانجون يؤيدان فيه المبادئ الخمسة ، وفى سبتمبر جاء دور اندونيسيا فى اعتناق هذه المبادئ ، وفى أكتوبر دعا نهرو لمبادئ التعايش السلمى فى سايجون ، وفى ديسمبر حصل على تأييد الرئيس تيتو لهذه المبادئ . وفى بيان مشترك أذيع فى نيودلهى فى ٢٣ من ديسمبر أعلن نهرو والرئيس تيتو أن العلاقات بين الهند ويوغوسلافيا قائمة ، ويجب أن تستمر فى القيام على مبادئ اعتراف كل منهما بسيادة

واستقلال ، ووحدة أخرى ، وعلى مبدأ عدم الاعتداء ومبدأ المساواة والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل منهما أو الخاصة بالبلاد الأخرى ، وعلى دعم اتجاه وشروط التعايش السلمي ، من أجل نفسيهما ومن أجل العالم . ويشعين أن يتحكم هذا المفهوم الأساسي في العلاقات الدولية ، وأن يكون عنصرا بارزا في سياسة الأمم المتحدة ونشاطها .

وخلال المناقشة التي دارت حول خطاب الرئيس تيتو في فبراير ١٩٥٥ في مجلس النواب استطاع نهرو أن يشير إلى وجود استجابات مشجعة لمبادئ التعايش :

« ان المجلس يعرف بعض البلاد التي تعتبر من أصدقائنا المخلصين في آسيا ، مثل بورما وأندونيسيا ، اللتين كانتا تتبعان سياسة متشابهة في الشؤون الدولية . ومنذ عهد قريب حينما جاء رئيس جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية إلى هنا أصدرنا أنا وهو بيانا أشرنا فيه إلى مبادئ التعايش السلمي ، ويوضح هذا الطريقة التي انتشرت بها هذه الفكرة . واستطيع أنؤكد للمجلس أنه بالرغم من أن حكومات كثيرة لا توافق ، جهارا ، على البنششيل ، فإن شعوب بلاد كثيرة تجذبهم (هذه الفكرة) أكثر باطراد . »

وفي أبريل عقد مؤتمر باندونج وبذل نهرو كل ما في وسعه - وإن لم يصادف ذلك نجاحا كاملا - لاقتناع الدول الآسيوية - الأفريقية - التسع والعشرين الممثلة في باندونج بتأييد المبادئ الخمسة ، وقد كانت هناك معارضة من جانب بعض الدول ، وخاصة تلك الدول الموالية للغرب ، مثل باكستان وسيلان والفلبين وتايلاند . وفي النهاية تضمن إعلان باندونج عشرة مبادئ من بينها المبادئ الخمسة الخاصة بالتعايش السلمي التي وضعتها الهند والصين . وحينما تحدث نهرو إلى البرلمان الهندي عن مؤتمر باندونج قال :

« لقد وضعت الدول المجتمعة بالمبادئ التي ينبغي أن تتحكم في العلاقات بينها ، بل ومع دول العالم كله ، ويمكن تطبيق هذه المبادئ على المستوى العالمي ، وهي تاريخية في مغزاها . وقد سسسينا ، نحن في الهند ، في الشهور الماضية إلى تشكيل المبادئ التي ينبغي أن تتحكم علاقاتنا مع الدول الأخرى ، وكثيرا ما تحدثت عنها أنها المبادئ الخمسة . وفي إعلان باندونج وجدنا التجسيد الكامل لهذه المبادئ الخمسة ووجدنا إضافات أو تعديلات لها ، من شأنها دعم هذه المبادئ .

إن لدينا من الأسباب ما يجعلنا سعداء لأن هذا المؤتمر الذي يمثلنا ما يريد على نصف سكان العالم ، قد أعلن عن التزامه بالمبادئ التي

يجب أن ترشد سلوكهم وتتحكم فى العلاقات بين دول العالم اذا كانت هناك رغبة فى تحقيق السلم والتعاون العالميين . وحكومة الهند توافق تماما على هذه المبادئ التى وضعت فى اعلان باندونج ، وسوف تعجد هذه المبادئ لأنها لا تحتوى على شىء ضد مصالح بلادنا أو المبادئ القائمة التى تسير على هديها سياستنا الخارجية .

وفى يونيو عام ١٩٥٥ قام نهرز بزيارة الاتحاد السوفييتى وأشار ببيان مشترك وقعته هو ومارشال بولجانين ، الذى كان رئيسا للوزارة السوفييتية فى ذلك الوقت الى أن العلاقات بين البلدين « تعتمد ، لحسن الحظ ، على أساس متين من الصداقة والتفاهم المشترك » ، وأنه يتعين على هذه العلاقات أن تستمر فى التشبع والاسترشاد بمبادئ التعايش السلمى . وأضاف البيان أن اعتناق هذه المبادئ بطريقة اوسع سوف يوسع من رقعة السلام ، ويدعم الثقة المتبادلة بين الدول ويهدد الطريق للتعاون الدولى على نطاق اكبر .

واذ رحب البيان بمؤتمر باندونج قال : ان اعلان باندونج « تجسيد وثقصيل لمفهوم التعايش السلمى » . واعلن رئيسا الوزراء حينئذ : « الواقع ان جوهر التعايش الحقيقى هو أن تستطيع الدول ذات الانظمة المختلفة العيش جنبا الى جنب فى سلام وتوافق وتعمل من أجل المصلحة المشتركة » .

وقد أحيا تأييد الاتحاد السوفييتى لمبادئ التعايش الامال فى الهند والدول الآسيوية - الأفريقية الاخرى . غير أن عواصم الغرب - المتحدقة فى تفكيرها - نبذت هذا البيان باعتباره خطوة لا معنى لها من جانب بلد أخضع - فى نظر الغرب - ملايين من شعوب أوربا الشرقية ، وغير مستعد لأن يمنحها الحرية فى تقرير مستقبلها ، وقد قال متحدث رسمى فى واشنطن : ان الخطوة السوفييتية ليست الا لعبة دعائية .

بيد أن الاتحاد السوفييتى نقل مبدأ التعايش السلمى الى مؤتمر القمة فى جنيف الذى انعقد فى يوليو عام ١٩٥٥ ، كما نقله الى الجمعية العامة للأمم المتحدة التى اتخذت قرارا اجماعيا عام ١٩٥٩ بتأييد فلسفة التعايش السلمى .

وبعد مضى شهرين من عقد مؤتمر جنيف فى يوليو عام ١٩٥٥ خاطب فهدو البرلمان الهندى بلهجة اكثر تفاؤلا فقال :

« منذ ان ذكرت مبادئ التعايش السلمى لأول مرة وذاع صيتها ، لم تنتشر هذه المبادئ فى العالم وتؤثر على عدد متزايد من البلدان فمعسب وانما اكتسبت أيضا ، بمرضى الوقت ، عمقا أعظم ومعنى اكبر . أى انها

انطلقت من مجرد كلمة غامضة ، الى ان اكتسبت معنى ومغزى دقيقين في الشؤون العالمية . ان هذا التأكيد على عدم التدخل من أى نوع - سواء كان سياسيا أو اقتصاديا أو إيديولوجيا - عامل هام في الموقف العالمى اليوم ، والواقع أنه لايهمنا اذا كان هذا المبدأ لن يعمل به بدقة هنا وهناك .

وفي نهاية عام ١٩٥٥ قام مارشال بولجانيين ومستر خروشفوف بزيارة الهند وبعض الدول الآسيوية الأخرى وكررا تأييدهما ، في خطبتهما وبياناتهما ، لمبادئ التعايش السلمى .

وتعتبر لاوس وكمبوديا وجمهورية فيتنام الديمقراطية وسيلان ومصر وسورية وأثيوبيا من البلاد التى اتخذت مبادئ التعايش السلمى أساسا تهتدى به في علاقاتها الخارجية . وبنهاية عام ١٩٥٦ كان نحو خمس وعشرين دولة تؤمن بهذه المبادئ .

وفي عام ١٩٥٦ جرت حادثتان جسيمتان تضمنت تدخلات جماعيا من جانب دول كبيرة في الشؤون الداخلية لدولتين ضعيفتين . وكان أول هاتين الحادثتين هو العدوان الثلاثى على مصر والأخرى التدخل السوفييتى في المجر .

فقد كانت حكومة الثورة في مصر قد تولت الاشراف على قناة السويس وادارتها ، واذا استشاطت بريطانيا وفرنسا غضبا تواطأتا مع اسرائيل وقامت ثلاثتهما بغزو السويس وانتهكت بذلك الرأى العام العالمى ، بل وتجاهلت المعارضة الأمريكية .

واذا ما تحدثنا من الناحية القانونية نجد ان مصر كانت تمارس حقوقها في الاشراف على القناة . وكانت المصالح الوحيدة التى انتهكتها هي المصالح الاستعمارية . وقد حرك غزو السويس مشاعر عميقة في جميع انحاء آسيا وأفريقية وفي بعض دول أمريكا اللاتينية أيضا . وكانت هناك مظاهرة رائعة من جانب الدول الصغرى في العالم تؤيد مصر في الأمم المتحدة وفي كل مكان آخر . وانتصرت هذه المظاهرة الجماهيرية للكرامة الإنسانية في النهاية . فقد أوقف الغزو واجبرت القوات المعتدية على الانسحاب من الأراضي المصرية .

ولا شك أن معارضة أمريكا ، والدور الذى أداه حزب العمال في بريطانيا والتهديد السوفييتى بالتدخل المضاد ، كانت كلها عوامل أثرت بشدة على لندن وباريس ، وأقنعت حكومتى بريطانيا وفرنسا بالتقهقر ، غير ان الرأى العام العالمى لم يؤد دورا ضئيلا في قرض هذا التطور الهام .

يبدو ان المشكلة في المجر كانت تختلف عن ذلك . وكانت استجابة

الرأي العام العالى لها محدودة . والاحداث معروفة ولا دأى لسردها من جديد .

ففى بداية «التمرد» كانت الحكومة السوفييتية على استعداد للنزول من اشياء كثيرة على شريطة الا يكون هناك تقضى للطريقة الشيوعية فى الحياة . وبدأت بالفعل عملية التآلف بين القومية والشيوعية ، وان كانت بخطى بطيئة فى الاتحاد السوفييتى نفسه بالإضافة الى عدد من دول أوروبا الشرقية . وكان خروشوف على استعداد للوصول الى تسوية مع زعماء المجر الجدد الذين قد يتمكنون من حمل البلاد قدما الى الامام نحو الشيوعية دون تكرار التجارب المؤلمة والفشل الباهظ التكاليف الذى مرت به الشيوعية منذ الحرب العالمية الثانية . غير أن سرعة التطور قد أدت الى تمرد قوى يعتبره الاتحاد السوفييتى مناهضا للثورة ، واختلط الامر كله بالحرب الباردة . وكانت النتيجة تدخلا عسكريا من جانب الاتحاد السوفييتى وقمعا لا رحمة فيه لهذا التمرد . وقد أدانت الأمم المتحدة الاتحاد السوفييتى . ولم تؤد هذه الادانة الا الى تقوية عزم الروس فى تصفية بقايا التمرد .

وقد كان هناك تباين واضح بين وجهة نظر الهند ووجهة نظر الدول الأخرى غير المنحازة تجاه غزو السويس ، والتدخل فى المجر : ففى الدول الغربية اتهمت الهند باتباع سياسة ذات وجهين ، وفى الداخل حملت عدة احزاب معارضة على الحكومة لاتخاذها موقفا غامضا بالنسبة للمجر . وقد صوتت الهند فى الأمم المتحدة ، فى مصلحة أحد القرارات الاربعة فقط التى اتخذت خيال المجر . وكان هذا القرار يدعو الى سحب القوات الأجنبية . ولم تتمكن الهند من التصويت فى مصلحة القرارات الأخرى التى كانت تدعو الى اجراء انتخابات تحت اشراف الأمم المتحدة . وقد شرح كريشنا مينون ممثل الهند سياسة حكومته فى هذه الكلمات :

« ان حكومتى لاتود ، على ضوء الظروف القائمة فى العالم وبرغم انها لاتتمشى مع سياستها أن تتدخل فى مسألة انسحاب القوات الأجنبية . بمعنى القوات المرتبطة بالاحلاف الدفاعية داخل هذا الاطار . اننا نعتقد أن وجود القوات الأجنبية فى أى بلد يتنافى مع حرية هذا البلد ، ويمثل خطرا على سلام العالم وتعاونه . ولكن فى ظل الظروف الحالية ، هناك أحلاف مختلفة تقف بعضها فى مواجهة بعض على سياسة ميزان القوى التى تدفع بالعالم ، بسرعة نحو حافة الحرب ، لذا فإننا نرى للموقف فى ظل هذا الاطار الضيق الذى يلجأ فيه الاتحاد السوفييتى الى القوة تجاه الشئون الداخلية للمجر . واذا كان هناك ثمة تبرير ، فان التبرير الوحيد هو انه تم استدعاء القوات السوفييتية لمساعدة السلطة المدنية اذا كان هناك محاولة لانقلاب عسكري .

وحكومتى مقتنعة بأن انتردد الاصلى الذى قام ضد الحكم المجرى
الذى كان قائما ، كان حركة من حركات التحرر القومى ، والمقصود هنا
بالتحرر القومى لا كدولة مستعمرة ، وانما حركة للاطاحة ، او بالأحرى
لتحقيق نوع التغيرات الجارية الآن فى أوروبا الشرقية .

وقد نظرت الحكومة الهندية الى التطورات فى المجر من خلال اطار
الحرب الباردة . فقد كانت أوروبا مقسمة بين كتلتين عسكريتين مجهزتين
تجهيزا كاملا . فاذا دعت الحكومة الهندية الاتحاد السوفىيتى الى سحب
قواته من المجر ، والسماح باجراء انتخابات حرة فى تلك البلاد تحت
اشراف الامم المتحدة ، دون طلب انسحاب مماثل للقوات الاجنبية من
غربى أوروبا ، فمعنى هذا انها تتخلى عن مبدأ عدم الانحياز . كما رفضت
حكومة الهند الاعتراف بالمجر كدولة مستعمرة برغم اعترافها بوجود
تمنيات قومية لم تتحقق فى هذه البلاد . وقال نهرو فى بيانات عدة عام
١٩٥٦ وما بعده : ان ربح التغير تهب الآن بالفعل على الاتحاد السوفىيتى
وأوروبا الشرقية ، وان أى تصرف نابع من الحرب الباردة لن يؤدى الا
الى تأخير هذه العملية .

ومع ذلك كانت السويس والمجر ضربتين شديتين موجّهتين الى
عقيدة التعايش السلمى الذى يعتمد على المساواة بين الدول وعدم
التدخل فى الشؤون الداخلية لكل . وتعتبر الحكومة السوفىيتية ، كما
شرحنا من قبل ، التعايش فلسفة بين العالم الشيوعى وغير الشيوعى ،
فانه لا يمكن قيام تعايش داخل الكتلة السوفىيتية مثل التعايش الذى
يقوم بين دولتين أو أكثر تتمتع كل بالسيادة وتتبع نظاما اجتماعية
مختلفة . ولم يكن الاتحاد السوفىيتى على استعداد للسماح لأية من دول
الكتلة بالانحراف عن طريق الشيوعية ، فلم يكن الاتحاد السوفىيتى فى
حالة تسمح له بمشاهدة مولد نظام يتولى آخر كالقائم فى يوغوسلافيا .

وقد تركت مصر والمجر أثارا عميقة على مجرى التطورات الدولية
فى السنوات التالية . فقد خلقت المشاكل التى خلفناها سلسلة من ردود
الفعل لم تبق دولة واحدة فى القارات الخمس لم تتعرض لها .

واذا أوجزنا القول، نقول ان العمل العسكرى الانجلو-فرنسى ضد
مصر قد أدى الى التغيرات البعيدة الاثر التالية فى الموقف العالمى :

أولا : هبطت بريطانيا وفرنسا الى هوة العجز المؤقت بسبب الاذلال
الذى لحق بهما على المنبر الدولى ، وارتمت بريطانيا فى احضان أزمة
سياسية واقتصادية لم يسبق لهما مثيل . وفى فرنسا تم تمهيد الطريق
لأمم ظهور الجمهورية الخامسة بزعامة جنرال ديغول .

ثانيا : وضع هذا العمل العسكرى ضد مصر الدبلوماسية الغربية ،

نتيجة للتفكك الذي طرأ على الوحدة الغربية ، في موقف حرج ، ومنحت الفرصة للاتحاد السوفييتي لكي ينشر نفوذه في الشرق الاوسط جميعه .
ثالثا : خلق العدوان في الشرق الاوسط نفسه سلسلة من الافعال وردود الفعل التي أدت ، من ناحية ، الى انتصار القومية العربية وتدهور النفوذ الغربى ، وأدت من ناحية اخرى الى زيادة المعونة الاقتصادية السوفييتية ، وتغلغل الاتحاد السوفييتي السياسى فى منطقة حيوية من الناحية الاستراتيجية .

رابعا : أرغم الولايات المتحدة على وضع تقويم سريع ومرتبجل الى حد ما ، لسياستها تجاه الشرق الاوسط ، وكان نتيجة ذلك اعلان مبدأ ايزنهاور الذى أدى الى التدخل العسكرى الفاشل فى لبنان ، وأدى فى النهاية الى حدوث تدهور ضخم فى التأثير الأمريكى الفعال فى شئون الشرق الاوسط . فقد أدى التدخل الأمريكى فى لبنان الى الاطاحة بالملكية فى العراق واقامة جمهورية تحت الزعامة العسكرية .

خامسا : أدركت دول العالم الصغيرة ، بعد العدوان ، أنها تستطيع بالعمل المشترك أن تؤدي دورا هاما داخل الامم المتحدة ، غير أن السلام والاستقرار فى العلاقات الدولية ، وهما هدف مبدأ التعايش ، يعتمدان أساسا على قدرة الدول الكبرى على التفاهم فيما بينها .

فقد خلقت المجر سلسلة من المشاكل للاتحاد السوفييتي ، اذ تم قمع التمرد بسهولة ، ولكن لم يكن من السهل تجاهل الفضب الذى عم العالم نتيجة للتدخل الروسى ، وطلب من الحكومة السوفييتية المبادرة الى تعديل علاقاتها مع دول أوروبا الشرقية .

وفى داخل الاتحاد السوفييتي نفسه حدث انشقاق فى صفوف زعامة الحزب الشيوعى حول مسألة المذهب الستالينى ، والقضاء على هذا المذهب . فقد ضغطت الجماعة التى اطلق عليها لقب الجماعة المعادية للحزب ، والتى كان يتزعمها شيوعيون بارزون من أمثال مولوتوف ، وكاجانوفتش وشبيلوف ، على خروشوف من أجل إعادة النظر فى سياسته التحررية . وقد انتهت الأزمة حينما نقل خروشوف الامر الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، بعد أن فاز بالاغلبية تقريبا فى مجلس الرئاسة ووافقت الغالبية على سياساته وبرامجه .

وقد أدرك خروشوف ، حتى فى غمرة انتصاره على اتباع ستالين ، أن زعامته قد أصبحت الآن محل اختبار عسير فى الداخل والخارج :

ففى الداخل كان عليه أن يتيح للشعب السوفييتي حرية أخذة فى الانساع المنتظم ، واقتصادا يشبع طلبهم المتزايد لثمار جهودهم ، ونظاما سياسيا يحررهم ، الى الأبد ، من تطرف عهد ستالين .

وفى الخارج ، كان عليه أن ينظم البيت الشيوعى عن طريق الاعتراف

بوجود أكثر من طريق يؤدي إلى الاشتراكية ، كما كان عليه أن يمسك بزمام المبادرة لتخفيف حدة التوتر العالمي .

وكرس خروشوف وقته لتحقيق هذه المهام متسلحا بروح رائعة للمغامرة ، فأدخل سلسلة من الإصلاحات البعيدة المدى على نظام الاقتصاد السوفييتي وكان هدفه الأساسي هو إحلال اللامركزية في البنيان الاقتصادي الذي كانت تسيطر عليه القمة والذي تشكل في أيام ستالين ، وبث روح المبادرة والزعامة بين جمهوريات الاتحاد السوفييتي . وقد أقنعه التقدم الهائل في العلم السوفييتي بأن الاتحاد السوفييتي قادر على تحقيق اقتصادية لم تسمح تحقيقها أساليب الفترة الستالينية . وفي أوروبا الشرقية توصل ، بجرأة ، إلى اتفاق مع قيادة الحزب الشيوعي البولندي الجديدة ، واستطاع أيضا أن يعيد العلاقات مع يوغوسلافيا ، لفترة مؤقتة ، وأدرك خروشوف أن الاتحاد السوفييتي قد جنى ثمارا طيبة في الشرق الأوسط ، وعكف على دعم هذه المكاسب ، كما أدرك أيضا أن الصين ، في ظل الزعامة الشيوعية ، تتجه بسرعة إلى مصاف الدولة الصناعية . واستطاع أن يقنع نفسه ، ويقنع الغالبية الساحقة من الزعماء الشيوعيين في بلاده ، وفي الخارج ، بأن الشيوعية قادرة بالتأكيد ، إذا ما أتيحت لها فترة طويلة نوحا من السلام ، على اللحاق بالديمقراطية الرأسمالية في مجال اقتصاديات القوى . وأدرك خروشوف أن الدول التي هي أقل تطورا في العالم ، والتي يعتنق معظمها أشكالا مختلفة من عدم الانحياز ، سوف تتطلع كثيرا في سعيها من أجل التنمية الاقتصادية إلى الدول الشيوعية طلبا للمعونة . ورأى أن من بين العوامل الأساسية في دبلوماسيته الجديدة ، أن من مصلحة العالم الشيوعي أن يمد يد المساعدة الاقتصادية والفنية إلى الدول النامية دون أي قيود سياسية أو عسكرية ظاهرة إلا أن تستمر الدول التي تتلقى المعونة في عدم انحيازها في الحرب الباردة (١) .

(١) حدثت في المؤتمر الثاني والمشرين للحزب الشيوعي السوفييتي ، المنعقد في نوفمبر ١٩٦١ ، أن حقق خروشوف مزيدا من النجاح في حملته المعادية لستالين . وكان مولوتوف قد تزعم الجماعة المسماة بالجماعة المعادية للحزب . وقعت أيضا في وجه برنامج خروشوف ، ووقع مولوتوف على بيان يتحدى الاتجاه الجديد ، ووزع هذا البيان على أعضاء اللجنة المركزية . ووضح أن هذا المؤتمر قد سبقته مناقشة مريحة طويلة حول الوضع الجديد وموقفه من الوضع القديم . وحينما انعقد المؤتمر الثاني والعشرون كانت الجماعة المعادية للحزب قد لقيت هزيمة كاملة وفقدت جميعها . وقام الأعضاء البارزون في اللجنة المركزية باماطة اللثام من الأساليب الاستبدادية التي اتبعتها ستالين . وقرر التفضل على الأسطورة الستالينية ، بنقل جثة ستالين من ضريح لينين وكل هذا الاجراء ذروة الحملة الموجهة ضد ستالين . وخلال المؤتمر فشب خلاف مريح بين الاتحاد السوفييتي والصين بسبب هذه =

وقد استطاعت دول آسيا وأفريقية ، خلال أزمة السويس ، أن تؤدي دورا حاسما في الأمم المتحدة وذلك بالضغط على الدول الغازية لوقف الهجوم وسحب قواتها من الأراضي المصرية . ويرجع ذلك جزئيا إلى تأييد الجماهير من الشعوب والحكومات في آسيا وأفريقية بطريقة أجبرت الاستعمار الأوربي أن يتراجع متعثرا ، من الشرق الأوسط . وقد شعرت دول آسيا وأفريقية بالرضا وهي ترى جهودها في الأمم المتحدة تجنى ثمارها غير أن جهودها لم تكمل بمثل هذا النجاح فيما يتعلق بالمجر .

فمن ناحية حرصت الدول المحايدة على عدم انتهاج سياسة قد تشجع على تدخل الأمم المتحدة في الشؤون الداخلية للمجر .

== الحملة فكان واضحا أن الصين ليست مستعدة للتصادم مع خروشوف في سياسته الجديدة في الداخل والخارج . وكانت البانيا الصغيرة ، الضئيلة الشأن ، موضع النزاع الأساسي بين الصين وروسيا ، لكن الاختلافات كانت أكبر من ذلك ، ولم تقتصر على المشكلة الحساسة التي تفصل بالحرية الإنسانية المسموح بها خلال فترة البناء الاشتراكي في ظل دكتاتورية البروليتاريا ، وإنما امتدت أيضا إلى المشكلة الحساسة الأخرى المتصلة بحتمية الحرب من أجل تحقيق الهدف النهائي (العالم الشيوعي) ، ومواجهة التحدي الذي تمثله الرأسمالية .

فلماذا أضاف خروشوف اللثام عن الخلافات التي رأى الصينيون ، وكثيرون غيرهم أن من الواجب بحثها في تكلم ؟

رأى لم يكن الزعيم السوفييتي على استعداد للسماح للمشكلة بأن تترك لفترة أطول ، وربما شعر بأن الأزمة الاشتراكية أصبحت قوية بدرجة تؤهلها لمناقشة خلافاتها بصراحة ، أو قد تكون المناقشة الحرة هي السمة الحتمية في طريقة خروشوف الجديدة في التفكير والتصرف . مهما يكن الأمر ، فإنه لم يكن بمقدور الصين أن تنقسم من الاتحاد السوفييتي .

ونحن بحاجة إلى تلخيص التغيرات الكبرى التي طرأت على التفكير والتخطيط الشيوعي منذ وفاة ستالين :

ففي الداخل نجد أن المواطن حصل على عدد من الحريات الأساسية التي تعتبر الأولى من نوعها في بلد شيوعي . بل لقد سمح بوجود معارضة داخل أجهزة الحزب المختلفة . ولم يقف الأمر عند حد إنهاء التعريف البشع العنيف الذي اتسم به عهد ستالين ، وإنما قوبل هذا التطرف بالازدراء .

أما في الخارج فإن الحرب الأهلية لم تعد السبيل الوحيد إلى الثورة الشيوعية ، وفي بعض الحالات يسمح للحزب الشيوعي بالامساك بزمام السلطة عن طريق انتخابات نيابية ، وليست الحرب بين الشيوعية والرأسمالية أمرا محتوما تماما . وإنما يتركز الاهتمام الآن في المنافسة الاقتصادية والهجوم المستمر ، العنيف ، المتعدد الجوانب ، على الرأسمالية في جبهات متعددة ، مع استقلال حركات التحرر الوطني والسياسي والاقتصادي في آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية ، والاعتماد على عامل الردع الهائل الذي تمثله الأسلحة النووية .

كذلك رأى الاتحاد السوفييتي أن وجود حكومات محلية بورجوازية تحقق التنمية الاقتصادية في الداخل وتسبب على سياسة عدم الانحياز في الخارج ، باعتبارها قوة تقدمية تستحق التأييد الشيوعي .

ومن ناحية أخرى أدركت غالبية هذه الدول ، برغم كل عطفها على شعب المجر ، أن الدول الغربية كانت تهدف في الحقيقة ، وهي تتقرب للمجر ، الى احراز نصر في الحرب الباردة .

ونظراً لان السياسة الخارجية لبلدما تنبع مباشرة من قوتها أو ضعفها في الداخل ، فان الفترة بين خريف عام ١٩٥٦ وعام ١٩٥٩ ، شهدت . تدهوراً عاماً في تأثير السياسات الدولية لدول آسيا الكبرى غير الشيوعية نتيجة لكثير من القيود السياسية والاقتصادية التي تعرضت لها . وقد خلق الغزو الانجلو - فرنسي على مصر عام ١٩٥٦ والذي تبعه مبدأ أيزنهاور عام ١٩٥٧ وكل مايعنيه من ضغط اقتصادي وسياسي على مصر وسورية ، خلق مشاكل اقتصادية لم يسبق لها مثيل لجميع دول آسيا وأفريقية . وفي الهند وضحت حاجة البلاد الخطيرة للنقد الاجنبي المطلوب لتنفيذ مشروع السنوات الخمس الثاني وأصبح أحد المهام الرئيسية للحكومة أن تضمن المعونة الخارجية من الدول الغربية أساساً . وادى إعادة تنظيم حدود الولايات نحو نهاية عام ١٩٥٦ إلى سلسلة من المشاكل الداخلية تتطلب جهوداً جبارة للمحافظة على الوحدة الوطنية . وقد كلفت الانتخابات العامة التي أجريت في بداية عام ١٩٥٧ ، حزب المؤتمر ولاية كيرالا التي على الساحل الغربي ، التي اختارت حكومة شيوعية ، وبرغم أن حزب المؤتمر قد أعيد في الوسط وفي الولايات الأخرى (ماعدا أورسا) بأغلبية تدعو الى الارتياح ، فان أحزاب المعارضة حققت مكاسب زاسخة ، ويات واضحاً أن المعارضة الفعالة الوحيدة لحزب المؤتمر تأتي من جانب الشيوعيين .

وكان هذا الاستقطاب في الجو السياسي للهند ، في ذاته ، تطوراً جديداً . وقد زاد من حدته ندرة الغذاء ، على نطاق واسع ، والتدهور الذي طرأ على كفاية الإدارة . وكان الشعب يدرك أن ثمة منافسة قائمة بين الهند والصين حول زعامة آسيا . وأدركت الحكومة أن الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تواجه بها الموقف ، تأتي عن طريق الإسراع في النمو الاقتصادي والاصلاح الزراعي .

وبالاختصار واجهت الهند من جديد فترة طويلة من التضامن الداخلي ، فترة اتجهت فيها السياسة الخارجية على وجه العموم الى الحذر والتموض . وأصبحت الحاجة الملحة الى التدفق الثابت للمعونة الغربية جزءاً من التقديرات الدبلوماسية وبينما لم تكن هناك أية نية الى التفاهم حول مبادئ عدم الانحياز كان تيار العلاقات الخارجية ينطوي على شيء من الحيطة .

وفي عدد آخر من الدول الاستيوية ، كانت القيود السياسية والاقتصادية أبعد أثراً منها في الهند . وتحت ضغط هذه القيود تدهور

نظام الحكم النيابي في باكستان وبورما . وفي سيلان وآجه هذا النظام تهديداً مباشراً . وفي أندونيسيا ضاعفت حركة التمرد التي قام بها الجيش في سومطرة من حرج الموقف السياسي والاقتصادي . وتمكنت الحكومة من قمع التمرد . ولكن كان عليها أن تدفع ثمنها باهظاً لذلك . وتقدم الجيش الى واجهة الحياة العامة ، وظهر كقوة منظمة رئيسية . والفى الرئيس سوكارنو — معتمداً اعتماداً أساسياً على تأييد الجيش — دستور عام ١٩٥٧ وأعلن العودة الى دستور عام ١٩٤٥ ، وخضعت البلاد لمفهومه الذي يؤمن بـ « ديمقراطية موجهة » .

وفي الشرق الاوسط ، خلق مولد الجمهورية العربية المتحدة في فبراير عام ١٩٥٨ آملاً كبيرة في الوحدة العربية ، ولم يقتصر الامر على قيام دولة عربية ضخمة في مساحتها وسكانها ومواردها بحيث تستطيع ان تؤدي دوراً ايجابياً في شؤون الشرق الاوسط ، وانما امتد ايضا الى ظهور سلسلة من التفجرات في البلاد المجاورة مثل اليمن والعربية السعودية . غير ان الحرب الاهلية في لبنان ، في ربيع عام ١٩٥٨ قد أوقعت الشرق الاوسط من جديد ، في أزمة عميقة الاغوار . فقد تدخلت الولايات المتحدة بالقوة في لبنان ، وتدخلت بريطانيا في الاردن ، وفي ١٤ من يوليو قامت ثورة العراق ، وخلفت معها وضعاً جديداً تماماً في العالم العربي . وفي آخر الامر أنهت الازمة بانتخاب رئيس جديد للجمهورية اللبنانية ، وانسحاب القوات الانجلو - أمريكية من لبنان والاردن . واندشت ثورة العراق الآمال في فترة من الاستقرار في العالم العربي ، ولكن سرعان ما تداعت هذه الآمال . فقد وجدت الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية العراق الفتية نفسيهما منمكتين في صراع جديد .

ويمكننا ان نلخص الموقف في آسيا في عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩ كالآتي : مهد تدهور نفوذ الغرب الطريق لظهور النفوذ السوفييتي في غرب آسيا ، وكانت القومية العربية تواجه فترة جديدة من التعديل الداخلي وبدأ أن الدعوة الى الوحدة العربية تتعرض لامتحان .

وفي جنوب شرقي آسيا اختفت الديمقراطية النيابية في ثلاث بلاد ، وكانت الهند تواجه مشاكل التدعيم الاقتصادي والسياسي .

وفي شرقي آسيا كرس الصين جهدها في برنامج داخلي ضخم لبناء الشيوعية واتجهت سياستها الخارجية اتجاها عدوانياً بمرور الوقت . وعكفت اليابان على سياسة اقتصادية جديدة هدفها الرئيسي أن تستعيد مكانتها كدولة صناعية واقتصادية بارزة . وقد اقتضى هذا ظهور عنصر منافسة مع اقتصاد الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى .

وبدت السياسة الخارجية الآسيوية ، وسط هذه الصورة العامة ، في حالة من العجز النسبي .

وكانت النتيجة المباشرة للثورة في العراق هي خروجها من حلف بغداد . فقد نبذت الحكومة الجمهورية هذا الحلف بعد قيامها مباشرة ، غير أن الأمر اقتضى ستة شهور حتى انسحبت من الحلف بصفة رسمية . وقد فقد حلف بغداد معناه دون وجود العراق . فقد انسحبت الدولة العربية الوحيدة التي انضمت اليه ضد رغبة شعبها . بيد أن الحلف ظل قائما تحت اسم منظمة الحلف المركزي ويشمل إيران ، وباكستان وتركيا وبريطانيا والولايات المتحدة ، التي كانت الزعيمة الحقيقية للحلف . وان لم تصبح عضوا رسميا فيه .

وقد جاء أكبر تحد لمبادئ التعايش السلمي عام ١٩٥٩ حينما نشب التمرد الكبير في التبت في العاشر من مارس . وكانت المتاعب تختمر منذ فترة طويلة من الزمن . فقد كان الصينيون يواجهون المتاعب في سعيهم من أجل ادخال الاصلاحات السياسية والاقتصادية . وجاءت المغارضة من جانب طبقة اللاما الارستقراطية ، ومن جانب رجال قبيلة خامبا المشاغبة الذين اخذوا في الترصّد للجنود الصينيين وللقوافل العسكرية . وحدثت هناك مغارك طاحنة . وفي آخر الأمر انضمت حكومة الدالاي لاما الى عمليات مقاومة الاجراءات الصينية . وفي ٢٨ من مارس عام ١٩٥٩ أعلنت الحكومة الصينية طرد حكومة الدالاي لاما بالإضافة الى الكاشاج ، وتأليف لجنة تحضيرية جديدة تحت رئاسة بانس لاما . كما أعلن البيان أن الدالاي لاما قد ترك « لهاسا » مرغما .

وقد هدد تمرد التبت وأزمة الحدود الصينية الهندية بنسف الاساس الكامل لمبادئ التعايش السلمي . ومن المعروف أن أزمة الحدود الصينية الهندية لم تثر الا وقد استقرت بالصينيين الحال في التبت . وقد اتهم الصينيون الحكومة الهندية بانتهاك مبادئ التعايش السلمي بالتدخل في شئون التبت التي هي جزء لا يتجزأ من الصين . وفي معرض انكار هذه التهمة ، اتهمت الهند الصين بانتهاك الاتفاقية عن طريق القيام بغارات واسعة النطاق على منطقتين حيويتين من مناطق الحدود في الشمال الغربي والشمال الشرقي .

وهكذا تشاجر واضعا مبدأ التعايش السلمي ، وتعرض مبدأ على الأقل من المبادئ الخمسة - وهما عدم التدخل في الشئون الداخلية لأي منهما ، واحترام وحدة أراضي كل منهما - لخطر كبير .

وظهرت على مسرح الاحداث الآسيوية روح جديدة من المنافسة وكان هناك طوفان من التوتر والعداء يتردد صدهاء في جميع أنحاء آسيا ، وفي العالم كله ، بدرجة أقل . وكان السؤال الذي ظهر أمام السياسيين الآسيويين هو : هل الجارتان الآسيويتان الكبيرتان ، الهند والصين ، سيتمكنان من التعايش في سلام ، وكل منهما تسير في طريقها الخاص

دون شهر السيفوف في وجه الاخرى ؟ وحتى وسط هذا الشغب والانفعال الذي سببه الصراع بين الصين والهند ، أدرك بعض سياسيين آسيا العقلاء والذين يحملون شعورا بالمسؤولية ان اى استسلام للحماس والانفعال لن يؤدي الى السماح بدخول الحرب الباردة الى قلب آسيا فقط ، وانما سيعرض ايضا التنمية الاقتصادية في القارة للخطر . ولذا استمر البحث عن اساس للوصول الى تسوية بينهما ، وبرغم ان النجاح لم يحالف جهود شواين لاي ونهرو في ابريل عام ١٩٦٠ ، فان محادثاتها في نيودلهي نزلت بالصراع حول الحدود الى مجرد مشكلة ينبغي تسويتها عن طريق المحادثات لا بالسلاح .

وقد قال نهرو لمراسلي الصحف ، وهو في طريقه الى لندن في مايو لحضور مؤتمر رؤساء وزارات الكومنولث : انه حتى بالرغم من ان الصينيين لم يسيروا على هدى المبادئ الخمسة ، فان ايمان الهند لم يهتز ، في قيمة هذه المبادئ وفعاليتها ، واستمرت في تأييدها .

ووصل النزاع الهندي - الصيني ، بين مايو ١٩٦٠ وفبراير ١٩٦١ ، الى حال من الركود التام . وقدم الوفدان الرسميان اللذان عينهما نهرو وشواين لاي ، تقريرهما المشترك الذي نشر في فبراير عام ١٩٦١ ، لكي يكشف فقط عن الاختلاف الكامل في وجهتي نظر الحكومتين تجاه مسألة الحدود . وخلال المفاوضات المصنية بين الجانبين ، تمكنت الهند من جمع قدر كبير من الوثائق التاريخية والادارية يؤكد رأيها في ان الحدود مع الصين كانت قائمة دائما بطريقة مرضية طبقا للمعاهدة واستنادا على العرف والتقاليد .

وكان الزد الصيني على هذه الحجة مهتزا ومع ذلك صممت الصين على ان الحدود لم يتم تحديدها بطريقة سليمة على الاطلاق وطالبت بالعمل المشترك على وضع تنظيم وتحديد جديدين للحدود .

وبالرغم من ان الصينيين قد انسحبوا من قاعدتهم في لونججو التي فوق خط ماكماهون تماما ، على الحدود الشمالية الشرقية ، فانهم استمروا في احتلال ١٢٠٠٠ ميل مربع من الاراضي الهندية معظمها في القطاع الشمالي الغربي ، وأصروا على مطالبهم بما يربو على ٣٥٠٠٠ ميل مربع من الاراضي على طول الحدود جميعها . وقد عقدت الحكومة الصينية قضية الحدود - الى حد ما - برفضها مناقشة مسألة الحدود بين التبت والجزاء التي تحتلها باكستان من ولاية جامو وكشمير مع الوفد الرسمي الهندي .

وفي الهند فسرت الصحافة الوطنية هذا المسلك على انه رفض من جانب الصينيين بالاعتراف بسيادة الهند على ولاية جامو وكشمير

بأكملها ، وهو الامر الذى اعترفت به الحكومة السوفيتية منذ مدة ترجع الى عام ١٩٥١ حين أثرت مسألة كشمير أمام مجلس الامن .
كما عادت الحكومة الصينية الى التأكيد الذى كان قد قدمه شواين لاي بنفسه ، فى أبريل عام ١٩٦٠ ، الذى ينص على احترام الصين لعلاقات الهند مع مملكتى سيكيم وبهوتان اللتين على جبال الهملايا ، وهى العلاقات القائمة بينهما بموجب معاهدة . أما عن سيكيم فقد كانت امارة تحت الحماية الهندية تقريبا ، على حين نجد بهوتان ، برغم استقلالها الاسمى ، ملتزمة بتلقى ((النصح)) من حكومة الهند فى علاقاتها الدولية .

وقد أوضح نهرو ، فى البرلمان ، خلال المناقشة التى دارت حول تقرير المسئولين ، أنه بالرغم من أن الفرصة ليست مواتية لاجراء مفاوضات جديدة فى القريب العاجل مع بكين ، ولا رده على الزيارة التى أقام بها شواين لاي ، إلا فإنه لا يستطيع أن يقفل الباب تماما أمام أية مفاوضات مستقبلية ، حيث أنه قد يتعين تسوية النزاع بالوسائل السلمية لا عن طريق شهر السلاح .

وكان الامر متروكا للصين كي تخلق جوا يسمح باستئناف المحادثات ، وذلك بانسحابها من المناطق التى استولت عليها بالقوة ، وبتقبلها للقضية الهندية الاساسية التى تقول باستناد الحدود ، تقريبا ، على اتفاقيات وتقاليد راسخة .

وقد كان التأييد الكامل تقريبا من جانب الحزب الشيوعى الهندى للموقف الذى اتخذته نهرو ، تطورا بارزا جديدا بالنسبة للنزاع الصينى الهندى . فقد توصل الشيوعيون الهنود ، بعد عملية مضنية من اعادة التقويم استمرت طوال فترة المنازعات الصينية الهندية ، توصلوا فى اوائل عام ١٩٦١ الى أن الصينيين مخطئون ، بشكل اساسى ، فى وجهة نظرهم نحو مشكلة الحدود وانهم قد عقدوا المسألة ، بطريقة غير سليمة ، يرضهم فى عوامل تم تسويتها بالفعل ، مثل سيادة الهند على ولاية كشمير برمتها ، ومعاهدة الهند الخاصة التى تنظم علاقاتها مع سيكيم وبهوتان .

ومع ذلك نجد أنه بينما كانت أحزاب المعارضة اليمينية ، بالإضافة الى الاشتراكيين الهنود ، تستمر فى حث نهرو على اتخاذ اجراءات عنيفة ضد الصين بما فى ذلك من احتمال اعادة النظر فى سياسة الهند الخارجية ، اقترح الشيوعيون تحقيق تسوية سياسية بين رئيسى الوزراء . . وبدا فى اوائل عام ١٩٦١ ، أن الحكومة الصينية أيضا ، تتطلع حقيقة الى قيام تسوية سياسية قد تعترف بالنفوذ الصينى ، بجانب النفوذ الهندى ، على جميع مناطق الهملايا المتشابهة .

وقد كان الصينيون يجاهدون على الارجح ، من أجل التوصل

الى اتفاقية شاملة مع الهند ، اتفاقية تغطي المناطق المعقدة الاستراتيجية
التي على جبال الهمالايا ، وتعترف ، الآن والى الابد ، بسيادة الصين
الكاملة على التبت ، وتكفل ضمانا مشتركا بمنح الاستقلال لنيبال ،
وبهوتان وسيكيم ، وضمان حيادها .

وقد نستطيع أن نقول أن الصينيين الذين نجحوا في تسوية منازعات
الحدود مع بورما ونيبال ، وتوصالوا الى حد كبير ، الى اعادة علاقتهم
الطبيعية مع اندونيسيا ، استمروا يقسمون بمبادئ التعايش السلمي
الخمسة ، التي أعلنوا انها مازالت تكفل الاساس الوحيد السليم لاقامة
علاقات سليمة بين الدول التي تتبع نظاما سياسية واجتماعية مختلفة .
ولذلك نبعت الازمة الصينية الهندية من التفسيرات المتعارضة تماما ،
والتي قدمتها كل من الصين والهند للمبادئ الخمسة التي رعتها
الدولتان في عام ١٩٥٤ واتهمت كل منهما الاخرى بانتهاك هذه المبادئ
نصا وروحا .

وعلى الرغم من أن السياسة التي تتبعها الصين حول الحدود الهندية
تمثل تهديدا للمبادئ الخمسة ، فإن التعويض قد أتى من أجزاء أخرى
من العالم ، فان مايربو على نصف القارة الافريقية حصل على الاستقلال
في عام ١٩٦١ ، وشكلت الدول الافريقية ، في الدورة الخامسة عشرة
للجمعية العامة للأمم المتحدة أكبر كتلة واحدة من الأمم . واعتنقت معظم
هذه الدول الافريقية الجديدة ، بما في ذلك نيجيريا ، سياسة عدم الانحياز
بين الكتلتين الكبرى .

أما الدول المنتمية للمجموعة الفرنسية في افريقية فقد ظلت تميل
بشكل كبير نحو الغرب ، ولكنها كانت مترددة أيضا في الوقوف الى جانب
الكتلة الغربية ، فقد كانت تمتنع عن التصويت في معظم مسائل الحرب
الباردة .

وفي الكونغو ، قامت ازمة كبيرة بعد حصوله على الاستقلال مباشرة .
وبذلت الدول الآسيوية - الافريقية جهدها كي تقوم بدور هام في انقاذ
الكونغو من الحرب الباردة . وكان ابعاد الحرب الباردة عن القارة
الافريقية من أولى المسائل التي شغلت بالها في عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ ،
وتفاقمت ازمة الكونغو من جراء اتباع الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة
سياسات متعارضة على خط مستقيم ، بيد أن كلا منهما طلب ابعاد
الكونغو عن الحرب الباردة ، واقترح ايزنهاور في خطابه الذي وجهه الى
الدورة الخامسة عشرة للأمم المتحدة عرضا باعلان حياد افريقية في
الصراع القائم بين الدول الكبرى .

وبالمثل قامت ازمة في لاوس بعد نجاح انقلاب عسكري هناك في
اغسطس عام ١٩٦٠ قام به كابتن كونج لي القائد اليساري للجيش .

وتبع ذلك قيام حرب أهلية تلقى فيه الجانبان مساعدات عسكرية وغير عسكرية من الكتلتين ، ولكن أصبح من الواضح ، في أقل من سبعة أو ثمانية أشهر ، أن الحل الوحيد للآوس وغيرها من مناطق المشاكل في العالم هو تقبل دول العالم للحياد كـفلسفة فعالة للحياة تناسب الأمم الصغيرة ، ووافقت الولايات المتحدة على الوضع المحايد للآوس ، برغم أن الدول استمرت في الاختلاف حول الطريقة التي يمكن بها ضمان هذا الوضع .

وقد أعطت الحكومة الأمريكية الجديدة التي يرأسها الرئيس جون كنيدي من الدلائل ما يشير إلى حدوث تغيير كبير في وجهة النظر الأمريكية التي استمرت ثمانى سنوات نحو عدم الانحياز : فقد استبعدت السياسة القديمة التي كانت ترفض الاعتراف بعدم الانحياز كـفلسفة دولية إيجابية وأعلن أدلاى ستيفنسون السفير الأمريكي الجديد لدى الأمم المتحدة ، في أول مؤتمر صحفي عقده في نيويورك في يناير عام ١٩٦٠ - أعلن أن الحكومة الأمريكية لن تمارس أى تمييز بين الدول المنحازة وغير المنحازة ، وأنها ستسعى لإقامة أطيـب العلاقات بينهما .

واستطرد ستيفنسون قائلا : « إن الولايات المتحدة ستحترم ، من الآن فصاعدا ، عدم الانحياز والحياد ، وإن أمريكا سوف تنظر إلى الأمم المتحدة كمـنبر ، لا للخوض في غمار الحرب الباردة ، وإنما لانهائها » وكان هذا في الواقع ، انتصارا لسياسة عدم الانحياز التي كانت تتبعها آسيا وأفريقية باستمرار لأكثر من عشر سنوات .

وقد شجعت سمة أخرى من سمات الرئيس كنيدي الخارجية التي تتشكل الآن ، شجعت واضعى فلسفة عدم الانحياز : ففي رسالته عن حالة الاتحاد التي وجهها إلى الكونجرس في يناير ، أكد كنيدي الحاجة إلى إعادة تقويم سياسة الدفاع الأمريكية - ويعزى إليه الفضل في الاعتقاد بأن هناك حاجة إلى إزالة بعض القواعد العسكرية القديمة التي أقامتها الحكومة السابقة في بعض أجزاء نائية من العالم إذا كان هناك بعض التقدم نحو توقيع اتفاقية مع روسيا حول نزع السلاح .

والواقع أن الولايات المتحدة وافقت على إخلاء قاعدتها الوحيدة في العالم العربى ، وهى قاعدة الظهران في العربية السعودية بناء على طلب الحكومة الملكية ، وكانت القيود المتزايدة على الاقتصاد الأمريكى عاملا آخر في مصلحة تخفيض النفقات العسكرية .

وقد اعتبر الساسة الأفرو - آسيويون احتمال إزالة أمريكا لبعض قواعدها عبر البحار ، اتجاهها يدعو إلى التفاؤل ، فلم تخلق هذه القواعد قدرا كبيرا من التوتر في أجزاء من أفريقية وآسيا فحسب ، وإنما ابتلعت

ايضا جانباً ضخماً من الموارد الأمريكية كان يمكن أن يستخدم في بناء اقتصاديات الدول الآخذة في النمو . وقد وقفت بالفعل في مواجهة السير الطبيعي للتطور السياسى والاجتماعى في عديد من البلاد ، كما افسدت العلاقات بين الدول المضيفة (للقواعد العسكرية) والاتحاد السوفيتى .

وقد أدى دعم صفوف الدول غير الملتزمة الى خلق مشاكل وفرص امام كل من الكتلتين . فقد أدركت كلتاها أن الزمن الذى كانتا تستطيعان فيه التحكم في تيار الشؤون البشرية قد انقضى وولى ، وقد بدا واضحاً للولايات المتحدة أبان أزمة الكونغو أن هناك تغيراً يدعو الى القلق في ميزان القوى الدولى : فمنذ عشر سنوات مضت ، كانت الولايات المتحدة في وضع يتيح لها أن تجر الامم المتحدة معها ، بصفة كاملة تقريباً ، وذلك في موقفها من الحرب الكورية .

ولكن حدث في الكونغو أن واجهت الحكومة الأمريكية تحالفاً للقوى جديدة تماماً : فقد كانت مجموعة الدول الأفرو - آسيوية ضد أسس السياسة الأمريكية ، التى كانت تود أن ترى - أبان الشهور الأخيرة من حكم أيزنهاور - ظهور حكومة في الكونغو منحازة الى الغرب ، وتعمل على حماية المصالح الدولية في كاتنجا وكاساي ، وتتعاون مع بلجيكا تعاوناً وثيقاً . وقد تحملت الولايات المتحدة جانباً رئيسياً من مسئولية الاحداث المؤسفة التى اجتاحت الكونغو منذ تدخل الامم المتحدة ، وذلك في محاولة فاشلة منها لتحقيق هذه الاهداف . وبدأ الاتحاد السوفيتى في العمل ، على نطاق واسع ، للتأثير على عقول الدول الآسيوية الأفريقية ، وذلك بعد تفهمه السريع للتغير الذى طرأ على ميزان القوى .

بيد أن العهد الديمقراطي في الولايات المتحدة ، شرع - بطريقة جريئة - في استعادة نفوذ أمريكا الآخذ في الانحسار عن المجموعة الأفرو - آسيوية ، فوقفت موقفاً مناهضاً للاستعمار في عديد من المسائل الرئيسية مثل انجولا ، وجنوب غربى افريقية ، وذلك عند استئناف دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في مارس ١٩٦١ (١) .

(١) أدى غزو كوبا في ابريل عام ١٩٦٠ ، والتهديد بالتدخل المسمى الأمريكى في لاوس بعد ذلك مباشرة الى فقدان حكومة كيندى لجزء كبير من هيبتها في العالم الأفرو - آسيوى . وبينما كان الرأى العام - الأفرو - آسيوى يرفض سياسة التدخل الأمريكى المسلح في أمريكا اللاتينية كان هناك عطف كبير على الولايات المتحدة لما تلاقيه من صعوبات في شؤونها الداخلية ، وكان الزعماء الأفرو - آسيويون يتوقعون على وجه العموم ، من كيندى أن يشرع في سياسة أكثر فاعلية من التدخل المسمى الأمريكى الذى لم يكن ليحل أية مشكلة ، بأية حال . واستعادت الولايات المتحدة - بموافقتها على حضور مؤتمر الأربع عشرة دولة حول لاوس في جنيف الذى عقد في شهر مايو - بعض الاحترام الذى كانت قد فقدته تقريباً في آسيا من جراء حديثها الذى لا طائل من وراءه عن التدخل المسلح .

واصبح العالم فى أوائل الستينات مقسما الى ثلاث كتل : الكتلة الغربية ، والكتلة الشيوعية ، وكتلة عدم الانحياز ، وكل منها ليس لديها القوة الكافية لى تعمل وحدها ، والكتل الثلاث عاجزة عن العمل فى وحدة مشتركة .

وقد كان لكل كتلة مشاكلها الداخلية . فقد وافقت الكتلة الغربية على زعامة الولايات المتحدة لها ، ولكنها كانت تعاني من متناقضات كثيرة تنبع أساسا من طبيعة وضعها نفسه : فهي كمجموعة من الدول ذات الاقتصاد الحر ذهبت ضحية منافسة اقتصادية بين أعضائها ، كما أنها ضحية صدام متعدد الجوانب بين المصالح الاقتصادية والسياسية ، وكان تقسيم أوروبا من الوجهة الاقتصادية بين السوق المشتركة (بدولها الست) ومنطقة التجارة الحرة (بدولها السبع) محددا لصراع المصالح الاقتصادية .

وبالإضافة الى ذلك هناك منافسة سياسية بين الدول الأوروبية الثلاث الرئيسية : بريطانيا العظمى ، وفرنسا ، وألمانيا الغربية ، ووضعت الدول الصغرى التى مازالت غارقة فى التقاليد الاستعمارية مثل بلجيكا ، وهولندا ، والبرتغال ، التحالف (الغربى) فى سلسلة من الازمات . وكان الرخاء الاقتصادى والصناعى فى غربى أوروبا الغربية ، وبخاصة فى فرنسا وألمانيا الغربية ، يتعارض على طول الخط مع الكساد الذى يعم الولايات المتحدة . وكانت مشكلة الاستعمار ، والمنافسة الاقتصادية ، والنمو الصناعى ، والاستثمار هى الازمات الداخلية الرئيسية التى كان لزاما على التحالف الغربى أن يخوض غمارها فى الوقت الذى يواجه فيه التحدى العالمى للشيوعية الدولية .

وفى الكتلة الشيوعية أيضا عرضت الخلافات الأيديولوجية بين الاتحاد السوفيتى والصين ، التحالف المتماسك بينهما لازمة كبيرة ، وكانت هذه الخلافات قد بدأت بعد وفاة ستالين مباشرة . ويتركز الصراع الرئيسى بينهما حول رأى خروشوف فى التعايش السلمى ، وهو يتضمن المسألة الرئيسية التى تدور حول الحرب والسلام . وقد اعتبر الشيوعيون الصينيون سياسة الاتحاد السوفيتى فى ظل زعامة خروشوف سياسة متراجية ومستسلمة أكثر من اللازم ، على حين كان الاتحاد السوفيتى يعتبر السياسات الصينية ، سياسات مغامرة وعدوانية للغاية ، وأثر هذا الجدل على العالم الشيوعى بأكمله ، وبخاصة الدول المتخلفة وذلك لأن الصينيين كانوا يصرون فى مرحلة ما ، على وجوب قيام الكتلة الشيوعية بالعمل جهارا ، على تدبير سلسلة من الثورات فى البلاد النامية حتى لو أدى هذا الى المجازفة بالحرب مع الدول الغربية . وقد اعتبر الزعماء الشيوعيون الصينيون رغبة خروشوف فى التوصل

إلى تهدئة مع الولايات المتحدة حول بعض المسائل الرئيسية الخاصة بالحرب الباردة اجراء شائنا ، كما اعتبروا عروض رئيس الوزراء السوفيتي أمرا يكاد يكون خيانة للشيوعية الثورية . واعتقدت معظم عواصم الغرب ، أن خروشوف اضطر تحت الضغط الصيني ، الى حد كبير الى نسف مؤتمر القمة في باريس في مايو عام ١٩٦٠ ، وأن يبدو على المسرح الدولي ، في وضع عدائي خلال بقية شهور العام .

ولكن حدث في نوفمبر أن اجتمع زعماء الاحزاب الشيوعية ، في موسكو وذلك لفض خلافاتهم ، وبعد مناقشات حامية استمرت عدة أسابيع ، وحدثت فيها مشادات عنيفة بين الزعماء الصينيين والسوفيتي: صدر بيان شيوعي جديد في أوائل شهر ديسمبر . وكان هذا البيان على حسب جميع المعايير ، أهم وثيقة سياسية في عصرنا ، وهو يستحق دراسة دقيقة نوعا ، لأنه يلقي أضواء على موضوع كتابنا .

وفي عام ١٩٥٦ حينما عقد الحزب الشيوعي السوفيتي مؤتمره العشرين، وأعلن خروشوف هجومه الشهير على سياسات ستالين ظهر الى الوجود كثير من الأسئلة الجديدة ، من بين هذه الاسئلة سؤال : هل الحرب بين الاشتراكية والرأسمالية مازالت حتمية في الفكر الشيوعي أو أن الاشتراكية تستطيع ان تتغلب على الرأسمالية بوسائل أخرى ؟ وقدم خروشوف نظريته بأن الحرب بين النظامين في ظل ظروف علاقات دول العالم الراهنة ، لم تعد « قدرا محتوما » ، وأن ميزان القوى قد أصبح ، بالفعل في الجانب الشيوعي ، وأنه قد يصبح في امكان الدول الاشتراكية اللحاق بالدول الرأسمالية في انتاج الثروة وذلك في القريب العاجل ويؤدي هذا من ثم ، الى ارغام الرأسمالية على أن تنحصر دوما الى أن تصبح أثرا بعد عين . لذا كانت الدعاية لفلسفة التعايش السلمي عقيدة ثورية فعالة .

غير أن هذا التفسير لم يرتضه بسهولة عديد من الزعماء الشيوعيين وبمجرد أن انتهى خروشوف من القاء خطبته في المؤتمر العشرين ، حمى وطمس الجدل داخل الاسرة الشيوعية حول « حتمية الحرب » ومدى القدرة على انتهاج أسلوب التعايش السلمي .

وقد دعى الزعماء الشيوعيون في جميع أنحاء العالم الى موسكو في نوفمبر عام ١٩٥٧ بمناسبة الذكرى الاربعين لتأسيس الدولة السوفيتية . وبعد انتهاء الاحتفالات الرسمية عكف بعض الزعماء الشيوعيين لاربع وخمسين دولة على تصفية الجدل الذي اثاره خروشوف . وأصدر المندوبون الشيوعيون للاربع والخمسين دولة ما أطلق عليه اسم (بيان السلام) . ودعا هذا البيان الى وقف جميع التجارب على الاسلحة الذرية والهيدروجينية في الحال ، والحظر السريع وغير المشروط للأسلحة

الذرية والنووية ، وانهاء سباق التسلح والكتل العسكرية ، وتأيد سياسة الامن الجماعى والتعايش السلمى بين الشعوب كافة هذا وقد وقع الحزب الشيوعى اليوغوسلافى على هذه الوثيقة .

ثم اجتمع زعماء اثنى عشر حزبا شيوعيا لانهاء الجوانب التى تثير جدلا أكبر ، والخاصة بسياسة الشيوعية الدولية ولم تدع يوغوسلافية الى الاشتراك فى هذه المحادثات . وكان الحزبان الشيوعيان فى ايطاليا وفرنسا هما الحزبان الشيوعيين الوحيدين اللذين دعيا لحضور المؤتمر من الكتلة الغربية . وفى نهاية هذه المباحثات صدر تصريح موسكو المشهور لعام ١٩٥٧ .

ومما يسترعى النظر أن هذا التصريح تجنب الإشارة الى مسألة (حتمية الحرب) ، ولكنه أعلن أن ظروف العالم قد تغيرت بشكل كبير ، وأن هناك احتمالا للتحويل السلمى الى الاشتراكية فى كثير من بلدان العالم ، وبدلا من أن يعلن أن الحرب ليست امرا لامناص منه أكد التصريح أن الحرب الاهلية أو الطبقيّة ليست حتمية ، (ان الطبقة العاملة وطيعتها - الحزب الماركسى اللينينى - تسعى الى تحقيق الثورة الاشتراكية بالوسائل السلمية ، والفرصة سانحة اليوم أمام الطبقة العاملة فى عدد من البلدان الرأسمالية للفوز بالسلطة دون قيام حرب أهلية ، ولضمان انتقال وسائل الانتاج الرئيسية الى أيدي الشعب فان الطبقة العاملة تستطيع أن تضمن أغلبية قوية فى البرلمان ، وأن تحول البرلمان من أداة تخدم مصالح طبقة البورجوازية الى أداة تخدم الشعب العامل .

وفى الوقت نفسه ، أوضح التصريح أنه حينما تلوح الطبقات الحاكمة بالعنف ، فانه يتعين مقابلتها بالعنف ، وأنه يتعين أن يشن النضال الجماهيرى غير البرلمانى مع بذل الجهود ، فى الوقت نفسه للاستيلاء على السلطة عن طريق الانتخابات والبرلمان .

وقد كان الاعتراف بأن هناك أكثر من طريق لتحقيق الاشتراكية سمة أخرى هامة فى تصريح موسكو . وتضمن التصريح اتهامات عنيفة للاستعمار . وعرض انتهاج سياسة التعايش السلمى تجاه العالم الرأسمالى كما أنه ايد مبادئ التعايش السلمى الخمسة بجانب برنامج النقاط العشر التى تبناها مؤتمر باندونج للشعوب الافرو - آسيوية . غير أنه لم يستطرد ويعترف بالحركة المناهضة للاستعمار فى العالم كقوة ثورية قوية فى ذاتها .

وقد منح المؤتمر الحادى والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى خروشوف فرصة كى يعرض نظريته التى تقضى بأن الحرب لم تعد حتمية تماما بين النظامين الرأسمالى والاشتراكى . وقد أقام حكما على أساس مايعتقده من اطراد القوة الاقتصادية للنظام الاشتراكى ،

وأشار خروشوف في تقريره الى ان « النتيجة التي توصل اليها مؤتمر الحزب العشرون من أن الحرب ليست « قدرا محتوما » قد أمكن تبريرها . فهناك اليوم قوى هائلة قادرة على صد المعتدين الاستعماريين وهزيمتهم اذا ما أشعلوا حربا عالمية » .

واستطرد مستر خروشوف قائلا : انه حتى لو استمر النظام الرأسمالي قائما كشريك أصفر ، فسيكون في إمكان النظام الاشتراكي أن يسيطر على العالم دون اللجوء الى الحرب ، وينقلب تاريخ عام ١٩١٧ رأسا على عقب ، ولن يعيش النظام الرأسمالي الا معذبا اذ تعيش دولة او دول رأسمالية قليلة يحيط بها بحر مائج من الاشتراكية .

وتمشيا مع معتقداته الخاصة التي أيدها المؤتمر الحادي والعشرون افتتح خروشوف سلسلة من الخطوات الودية نحو الولايات المتحدة في عام ١٩٥٩ والشهور الاولى من عام ١٩٦٠ . واتفق مع الرئيس أيزنهاور على تبادل الزيارات ، وذهب الى الولايات المتحدة في زيارة رسمية في سبتمبر عام ١٩٥٩ . ودار كلام كثير حول احتمال انتهاء الحرب الباردة ، وان الدولتين الكبيرتين على وشك التفاهم .

ويبدو أن الصينيين كانوا يعارضون هذه السياسة بعنف لأنهم لم يكونوا على استعداد لرؤية تفاهم بين الروس والأمريكيين دون إيجاد حل لمشاكلهم . وبدأ الحزب الشيوعي الصيني يعيب على النظرية العامة التي وضعها الحزب الشيوعي السوفيتي والتي تقول بأن التعاون ممكن بين الرأسمالية والاشتراكية في ظل الوضع الراهن في العالم ، واستمرت النشرات والتصريحات الصينية في تصوير الولايات المتحدة كزعيمة للاستعمار الجماعي ، والدولة التي هي « أس المتاعب جميعا » لأنها تمتلك القوة العسكرية والاقتصادية الكفيلة بمقاومة الشيوعية في أي جزء من العالم ، واستمر الجدل بين موسكو وبكين خلال عام ١٩٥٩ ووجه واضعو النظريات السوفيتية اللوم الى الصينيين بسبب تزمتمهم ، وكان الرد الصيني هو ان الاتحاد السوفيتي يتبع سياسة إعادة النظر .

وحتى اذا كانت التقارير التي تظهر في الصحف الغربية حول الخلافات الصينية السوفيتية مبالغيا فيها ، فانه لا شك ، تقريبا في أن هناك خلافات خطيرة في الرأي والاتجاه نحو المشاكل العالمية بين زعيمى المعسكر الشيوعي . ولذلك تمت الدعوة الى عقد المؤتمر الشيوعي العالمى في موسكو في نوفمبر عام ١٩٦٠ من أجل إنهاء الخلافات والخروج ببيان شيوعي متفق عليه على نطاق عالمي ، من أجل الفترة المعاصرة ، ولوضع نهاية شاقية للخلاف . وليس من الامور الهينة أن التصريح الذى صدر في موسكو يوم ٦ من ديسمبر كان موقعا عليه من قبل الوفود الشيوعية . - ٨١ - التي حضرت المؤتمر . ولذلك يعتبر هذا التصريح وثيقة

شيوعية حازت قبولا على نطاق واسع لم يشهد له التاريخ مثيلا من قبل . ولم تدع يوغوسلافيا الى المؤتمر مما يؤكد مقاطعة الاسرة الشيوعية لها .

كما يعتبر بيان عام ١٩٦٠ - الذى نشرت جريدة البرافدا ملخصا له يوم ٦ من ديسمبر - أكثر البيانات ديمقراطية في تاريخ الشيوعية الدولية . فقد كان تصريح موسكو عام ١٩٥٧ موقعا عليه من جانب زعماء اثني عشر حزبا شيوعيا فقط ، وكان « بيان السلام » الذى سبقه بيومين موقعا عليه من ٥٤ حزبا ، بما فى ذلك يوغوسلافيا . أما بيان ديسمبر فقد أعلن تصريحه المثير القائل بأن « هناك الآن احزابا شيوعية فعالة يربو عدد أعضائها على ٣٦ مليون نسمة » . ان هذا البيان وحده يوضح الى أى حد نمت الشيوعية الدولية برغم الاحداث الكريهة التى جرت ، مثل قمع الاتحاد السوفيتى لثورة المجر ، و قمع الصينيين لثورة التبت .

فاذا كانت الاحزاب الشيوعية الواحد والثمانون المتجمعة فى موسكو قد وافقت على وجهة نظر خروشوف بأن الحرب لم تعد قدرا محتوما ، فانهم قد فعلوا ذلك عن طريق موافقتهم على نظرية الزعيم السوفيتى التى تقول بانتصار الشيوعية دون حرب . وكان البيان يحتوى على قدر كبير من ثقة الشيوعيين بالنفس . فطبقا للفكر الشيوعى المعاصر أدى الانتقال الاساسى فى القوة - الذى سببته الحرب العالمية الثانية - الى تغيير مجرى التاريخ تغيرا كاملا . وأصبح العالم مقسما الآن الى ثلاث كتل : الشيوعية ، والراسمالية ، وغير المتزمنة . ولأول مرة اعترفت الشيوعية الدولية بالحركات الديمقراطية المناهضة للاستعمار فى آسيا وأفريقية كقوة تقدمية تحررية فى ذاتها . وكان هذا تقدما جديدا بارزا فى الفكر الشيوعى الدولى .

وأشار بيان ديسمبر الى أنه فى الموقف التاريخى الراهن ظهرت ظروف داخلية ودولية فى كثير من البلاد فى مصلحة اقامة ديمقراطية دولية مستقلة : أية دولة تؤمن باستمرار استقلالها السياسى والاقتصادى ، وتحارب الاستعمار وروابطه العسكرية ، وتعارض اقامة القواعد العسكرية على أراضيها ، وأية دولة تقاوم الاشكال الجديدة للاستعمار وتسلك رأس المال الاستعمارى ، وترفض وسائل الحكم الاستبدادية الظالمة ، وأية دولة يتمتع فيها الشعب بالحقوق والحريات الديمقراطية العريضة . ويساعد على تشكيل الديمقراطيات الوطنية وتدعيمها - تلك هى الدول العاملة على احراز تقدم اجتماعى سريع ، وعلى أن تقوم بدور فعال فى نضال الشعب من أجل السلام ضد السياسات العدائية التى يقوم بها المعسكر الاستعمارى ، وذلك من أجل القضاء الكامل على نير الاستعمار .

ويبين هذا أن المعسكر الشيوعى ، من الآن فصاعدا ، قد ينتهج بمزيد من الاصرار ، سياسته التى تهدف الى خطب ود الدول غير

المنحازة في آسيا وإفريقية عن طريق منحها مساعدات اقتصادية متزايدة ، وعن طريق مساندتها في شتى ألوان نضالها ضد دول العالم الغربى الاستعمارية ، والتي كانت استعمارية . وما لم تتمكن (الدول الديمقراطية) من اجراء تعديل سريع في سياستها تجاه الحقائق الجديدة في إفريقيا ، وأمريكا اللاتينية ، وآسيا ، فانها تساعد بذلك الاتحاد السوفيتى والكتلة الشيوعية في اقامة قواعد لها في هذه القارات، وقواعد أكثر قوة واستمرارا من القواعد العسكرية .

وعندما ننظر للمشكلة الكبرى التى تتعلق بحتمية الحرب ، نجد واضحا أن الصينيين يوافقون على وجهة النظر السوفيتية . ولا شك فى أن ذلك سيدعم من قضية خروشوف فى مفاوضاته القادمة مع الرئيس الأمريكى كيندى (١) .

ومن العبث التفكير فى أن الصينيين سيقبلون أى تفاهم مع الولايات المتحدة ما لم يتح لهم مقعد فى الأمم المتحدة ، وتعترف أمريكا بها دبلوماسيا ، وتعود فرموزا الى الوطن الأم .

ومما هو جدير بالذكر أن المقالات الافتتاحية لصحيفة الشعب الصينية استمرت فى الوقت الذى كانت تؤيد فيه تصريح موسكو فى تصوير الولايات المتحدة على انها « زعيمة الاستعمار الجماعى » و « الوغد » الذى سبب كل ما هو باطل فى عالمنا المعاصر .

وبرغم أن بيان موسكو قد اعترف بأن الاشتراكية قد تفوز فى الصراع الكبير المعاصر بين الكتلتين الاشتراكية والراسمالية دون اللجوء الى الحرب ، وعن طريق المنافسة الاقتصادية السلمية ، فان البيان حذر أيضا أن الحرب قد تصبح ضرورية ، وحث على الوقوف فى حالة من اليقظة والاستعداد العسكرى . وكان الكفاح من أجل السلام الذى دعا البيان اليه ، يتسم بقدر كبير من الروح العسكرية ، ولم يكن بالتأكيد حركة مسالمة .

ولم يستمر الشيوعيون فى الاعتماد على القوى الاخلاقية من أجل النصر ، بل استمروا فى الاعتماد على الاساس المادى لما يعتقدون أنه التفكك الآخذ فى التزايد داخل المعسكر الراسمالي والرخاء والقوة المطردة فى معسكرهم (٢) .

(١) ظهر الكتاب فى اوائل عام ١٩٦٢ « المترجم » .

(٢) نشرت جريدة « أوبزرفر » فى فبراير عام ١٩٦١ با ادعت انه « تقرير مدعم بالوثائق من الاتهامات ، والاتهامات المضادة بين بكين وموسكو » فى مؤتمر موسكو للحزب الشيوعية العالمية . وقد جاءت الوثيقة من « مصدر من الكتلة الشرقية » .

وبدا أول تأثير للاتجاه الشيوعي الجديد واضحا للعيان فى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة حيث وجه الوفد السوفيتى برياسة خروشوف شخصيا ، هجوما شاملا على البناء الغربى لعلاقات الدول ، وعلى المصالح العالمية . وقد كاثت وقفة خروشوف حول بعض المشاكل العالمية وقفة صلبة حتى أن الكثيرين قد ارتابوا فى أن الزعيم الروسى يمثل دورا من أجل تهدئة الصين .

وفى بعض المشاكل المعقدة مثل نزع السلاح وبيان الأمم المتحدة ، قدم خروشوف اقتراحات ثورية جامحة ، رفضها الغرب على طول الخط ، بل واعتبرتها الدول غير الملتزمة بعيدة تماما عن حدود الواقع . وقد خرج رئيس الوزراء السوفيتى بنظرية جديدة تماما لعلاقات الدول بعضها ببعض ، وطالب الأمم المتحدة بأن تعكس التغيرات التى

= وهناك (احتمال قوى) بأن الروس تعمدا تهرب هذه الوثيقة . وطبقا لما تقوله هذه الوثيقة فإن النزاع بين السوفييت والشيوعيين الصينيين يرجع إلى العشرينات ، وغطى ، فى السنوات القليلة الماضية ، جميع الأحداث الرئيسية التى تجرى فى عالمنا المعاصر تقريبا بما فى ذلك من التدخل السوفيتى فى المجر وخطبة خروشوف المعادية لستالين فى مؤتمر الحزب العشرين ، والسياسة السوفييتية تجاه بولندا عام ١٩٥٦ وما بعدها ، ونظرية خروشوف عن التعايش بين النظامين القائمين ، واحتمال قيام ثورة اشتراكية عالمية دون حرب . . غير أن النزاع اندلع جهارا فى صيف عام ١٩٦٠ .

وقد لخصت جريدة (الاوبزرفر) نقاط الخلاف الخمس فى عددها الصادر فى ١٢ من فبراير على النحو التالى :

« يعتقد الروس أن مبدأ لينين عن حتمية الحرب لم يعد صالحا . أما الصينيون فيقولون انه طالما وجد الاستعمار ، فإن الحرب لا يمكن تجنبها . والروس يرفضون في تجنب الحروب المحلية حتى لا تتطور الى حرب عالمية . ويصر الصينيون من ناحية أخرى على انه يمكن ، بلا ويتمين ، اتباع طريق الحروب المحلية .

ويعتقد الروس انه يمكن تحقيق الاشتراكية العالمية دون اللجوء الى الحرب ، بيد أن الصينيين يعتقدون استحالة ذلك الا فى الاحوال النادرة .

ويعمل الروس الى قبول التعايش السلمى كسياسة طويلة الاجل سوف تفيىد فى النهاية ، قضية الاشتراكية ، أما بالنسبة للصينيين فانهم يعتبرون التعايش السلمى مجرد حركة تكتيكية وليست سياسة طويلة الاجل .

ويؤيد الشيوعيون السوفييت تقديم كل مساندة ممكنة للحكومات البورجوازية الوطنية فى آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية طالما أن هذه الحكومات تتبع سياسة عدم الانحياز . ويقول الصينيون : ان هذه السياسة خاطئة توهن من عزم الثوريين الاصليين ، وتوسع من المنطقة الفعالة المناهضة للشيوعية ، وبذلك تساعد الاستعماريين ، وهى ليست الا مضیعة للمال والموارد .

ويختلف الحزبان الشيوعيان حول تعريف ماركس للمرحلة الحالية للتاريخ الانسانى . فالروس يعتبرونها « مرحلة تفكك الاستعمار ، والتحول نحو الاشتراكية ، ومرحلة تشكيل نظام عالمى للاشتراكية ودعم هذا النظام ، أما الصينيون فيعتبرونها مرحلة حروب وثورات » .

طرات على النظام القوى في العالم في العقد الاخير ، وهذا التغير هو تقسيم المجتمع العالمى الى ثلاث مجموعات متميزة : المجموعة الرأسمالية الغربية ، والمجموعة الشيوعية ، والمجموعة غير المنحازة . وأراد أن يستعاض عن منصب السكرتير العام للأمم المتحدة بهيئة ثلاثية تمثل الكتل الثلاث . كما طالب بإعادة تشكيل مجلس الأمن وأجهزة الأمم المتحدة الحيوية الأخرى على النهج نفسه .

وأما بالنسبة لنزع السلاح فقد دعت المقترحات الشيوعية الجديدة إلى فرض حظر مباشر على تجارب الأسلحة النووية وصنعها ، ونزع السلاح الكامل في غضون مدة تتردد بين أربع وست سنوات ، على أن يدعمه نظام للإشراف والرقابة الدولية ، وهو النظام الذي اعتبرته الدول غير ملائم .

أما الموضوع الذى كان فيه خروشوف أكثر عدوانا فهو موضوع الاستعمار بالطبع ، فقد شن حربا لا هوادة فيها على المصالح الاستعمارية عبر البحار الخاصة بالدول الغربية ، وبخاصة الولايات المتحدة ، وطالب بسرعة إعلان استقلال البلاد التى ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار . وصمم الزعيم السوفيتى على أن يكسب في صفه الدول الجديدة في أفريقية ، وكما رأينا في فصل سابق لم تذهب جهوده كلها هباء .

يبدو أن خروشوف قام فيما بعد ، بعرض السياسة السوفيتية الخارجية بطريقة أكثر تعقلا في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فى موسكو . وقد اعتبر التقرير الذى تلاه خروشوف عن نتائج مؤتمر نوفمبر للزعماء الشيوعيين فى العالم ، أوثق بيان عن السياسة السوفيتية الخارجية بعد انتخابات الرئاسة الأمريكية . وكانت نقاط التقرير الرئيسية هى أن أكثر المشاكل التهابا فى العالم ، من وجهة النظر السوفيتية إنما تلخص فى منع الحرب ، سواء أكانت حربا عالمية أم حربا محلية قد تؤدي بسهولة إلى اندلاع النيران فى العالم . فقد وصل النظام الاشتراكى العالمى إلى ظروف أصبح قادرا فيها على أن يحدد - بدرجة أعظم - سمات ووسائل واتجاهات العلاقات الدولية .

وفى الوقت الذى ولجت فيه أمريكا عهدا من المتاعب والأزمات المتزايدة فى حقل العلاقات الدولية ، كان شغل السوفييت الشاغل هو انتهاز الفرصة لكسب الوقت فى المنافسة الاقتصادية القائمة مع الرأسمالية .

وبينما كانت هذه الأمور تتمشى مع تفكير خروشوف القديم ، فإن تقريره إلى الحزب الشيوعى السوفيتى كان متمشيا بروح الجهاد من أجل نشر الشيوعية وهى الروح التى تميز البيان الشيوعى الجديد .

وقد هاجم الاستعماريين بسبب اعدادهم للحرب ضد الكتلة الاشتراكية وكرر القول بان الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية ستقدم مساعدات ملموسة الى أية دولة على استعداد للثورة ضد السيطرة الغربية . وقد عرف سياسة التعايش السلمى بأنها شكل من اشكال النضال الاقتصادى والسياسى والايدىولوجى العنيف ليس فقط داخل الكتلتين المتنازعتين وانما أيضا بين البروليتاريا الدولية وقوى الاستعمار العدوانية داخل المعسكر غير الشيوعى نفسه .

ومن المؤكد أنه لم يغب عن ذهن خروشوف أن يؤكد لمستمعيه أن هذه الحرب الطبقيّة الداخلية فى المعسكر غير الشيوعى ستكون ذات فائدة كبيرة للشيوعية الدولية .

ولذلك ظل موقف التعايش السلمى الذى اتخذته الكتلة الشيوعية خليطاً من التهديدات والتحذيرات بجانب الملاحظة .

ولا شك أن الجدل المذهبى بين موسكو وبكين قد نبع أساساً من المصالح الوطنية لكلتا الدولتين ، فكان من الطبيعى أن الاتحاد السوفيتى باقتصاده المتقدم ، وانجازاته العظيمة فى ميادين الصناعة والعلم ، أكثر خوفاً من الحرب النووية عن الصين التى ليس لديها ما تخسره . وكان من أمن الصين العسكرى بالاضافة الى بقاء نظامها الشيوعى يتطلبان ازالة بعض الاخطار مثل نظام شيانج كاي شيك فى فرموزا والقواعد العسكرية الأمريكية فى جنوب شرقى آسيا . وطالما ظلت هذه الاخطار فإن الزعماء الصينيين لن يضمنوا أية قلاقل تحدث فى البلاد لن يستغلها اعداؤهم لطردهم من السلطة . وحيث أن الصين نفسها لم تكن فى موضع يسمح لها بازالة هذه الاخطار التى تهدد أمنها ، فإنها تريد من الاتحاد السوفيتى ، زعيم العالم الشيوعى ، أن يبذل نفوذه لتحقيق أهدافها . ولذا فإننا اذا استبعدنا الطابع الجدلى من المعركة الايدىولوجية القائمة استحالنا الى مسألة الامن القومى لكلتا الدولتين الكبيرتين فى الكتلة الشيوعية .

واخذ المعسكر الغربى يدرك بمرور الوقت أنه يتعين أن تقوم المعركة الرئيسية بين المتنافسين على المستويات الاقتصادية والعلمية أكثر منها فى ميادين القتال المضيعة للوقت والمؤدية الى انشغور بخيبة الامل مثل الكونغو ولاوس . فلم تستنفد أية حرب استعمارية أو شبيهة استعمارية موارد الغرب فحسب ، بل انها وضعت أيضاً قيوداً اضافية على علاقات الغرب بالدول الحديثة فى افريقية وآسيا ، وكان الأمر الذى يدعو الى انزعاج أكثر هو أن هذه الحرب قد تضيف فى الوقت نفسه كسباً جديداً الى جانب السوفييت . وقد اظهر الرئيس كيندى

في رسالته الاولى عن حالة الاتحاد ، التي وجهها الى الكونجرس ادراكه
معنى الصراع الجديد من أجل القوة :

« ان التحدي الأعظم الذي يواجهنا ما زال يكمن في عالم ما وراء
الحرب الباردة ولكن العقبة الاولى الكبرى لا تزال في مجال علاقاتنا
بالاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية ، ولا ينبغي أن يسكن من روعنا
على الاطلاق الاعتقاد بأن كلا من الكتلتين نزلت عن أطماعها من أجل
السيطرة على العالم ، تلك الاطماع التي أعادت تأكيدها منذ فترة وجيزة ،
بل على العكس ان مهمتنا تدور حول اقناعهما بأن العدوان والدمار لن
يتيح الوصول الى هذه الغايات . ان المنافسة السليمة المفتوحة من
أجل المركز والأسواق والانجازات العامة ، بل حتى من أجل عقول
الناس شيء يختلف بالمرّة ، فلو أن الحرية والشيوعية تنافستا من أجل
ولاء الناس في عالم يسوده السلم ، فأننى أستطيع أن أتطلع الى
المستقبل بثقة متزايدة على الدوام » .

وقد كانت الوقفة الشيوعية الجديدة ، بالنسبة لدول افريقية
وآسيا ، عاملا جديدا مختلطا ، ففي مقدور هذه البلدان الآن أن تطلع
الى التأييد المتزايد من جانب الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية
الأخرى في مهمة التنمية الاقتصادية على شريطة أن يأخذ في اعتبارها
شرطا واحدا ، وهو أن تسير دفتها بعيدا عن الكتلتين . فاذا كانت
السياسات الشيوعية الجديدة ورد الفعل الغربي بها تؤدي في آخر
الامر ، الى تخفيف حدة التوتر العالمى ، فان هذه البلاد هي التي ستفيد
من هذا الامر ، كما أن التحدي الذي يمثله السوفييت كان قمينا بأن
يتيح لدول افريقية وآسيا ، مساعدات غربية أكبر في مجال التنمية
الاقتصادية ، غير أن هناك جانبا آخر للصورة ، فقد أوضح البيان
الشيوعى أن العالم الشيوعى يتوقع أن يرى الدول الافرو - آسيوية
الحديثة تتبع سياسة خارجية مناهضة للاستعمار . ولا تكتفى بهذا
وانما تنهج ما يعتبره الشيوعيون سياسة اقتصادية وسياسية تقدمية
داخل هذه البلدان . ولم يكن هناك من يضمن أن حركة الشيوعية
الدولية لن تتدخل في شئونهم الداخلية ، اذا كان هناك ، مثلا ، حركة
قمع للأحزاب الشيوعية واليسارية ، أو هناك قلقا صناعية واسعة
النطاق ، وقد أدت سياسة الجمهورية العربية المتحدة المناهضة
للشيوعية الى تعريضها لانتقادات لازعة من جانب موسكو وبكين (١)

(١) ويبدو هذا المظهر من مظاهر السياسة الشيوعية تجاه الدول غير المنحازة في
أوضح صورته ، في الاتجاه الشيوعى نحو الجمهورية العربية المتحدة والعراق ، ففي عام
١٩٥٨ كانت الجمهورية العربية المتحدة في نظر الشيوعية الدولية رمزا للقوى التقدمية
والمتحررة في العالم العربى . غير أن سياسة ناصر المناهضة للشيوعية في الداخل قد =

وكانت أبواب الدعاية الصينية تجعل الأولوية للادعاء بأن الحكومة الهندية تقوم بقمع حركات العمال والفلاحين والطبقة المتوسطة التي تطالب بأجور أفضل واصلاحات اجتماعية واقتصادية أكثر تطرفا .

وباختصار ستستمر الشيوعية الدولية في الكفاح من أجل إقامة عالم شيوعي ، ولن تتردد في مساندة الحركات الثورية في آسيا وأفريقية بطريقة غير مباشرة على الأقل ، وذلك لمجرد أن دولة ما قد تتبع سياسة عدم الانحياز . ولذلك ظل التحدي يتمثل في زيادة سرعة النمو الاقتصادي والسياسي والاجتماعي باعتباره الوسيلة الوحيدة لكسب احترام الدول الكبرى ، ومنع الثورات .

بيد أن بلاد عدم الانحياز نفسها في آسيا وأفريقية تعاني من بعض نقاط الضعف الأساسية الناتجة عن عوامل تاريخية وجغرافية وعاطفية ، وسياسية أيضا ، وذلك في مواجهتها للكتلتين الكبيرتين ، وقد شرحنا في فصل سابق كيف أن كتلة عدم الانحياز لم تعمل على

= سببت رد فعل غاضبا من جانب خروشوف نفسه قرب بداية عام ١٩٥٩ حينما هانت العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق تدفورا جديدا . وقد كان الشيوعيون في سورية يتوقعون أن تتيح لهم الجمهورية العربية المتحدة حرية التصرف داخل اطار حزب سياسي .

وحينما فرض ناصر الحظر على الحزب الشيوعي بجانب الاحزاب الأخرى في سورية ، وإقام بدلها الاتحاد القومي ، بدأ الشيوعيون السوريون حملة ضد الوحدة بين مصر وسورية . واستمر الاتحاد السوفييتي في تقديم المعونة الاقتصادية الكبيرة الى الجمهورية العربية المتحدة .

غير أن موسكو وبكين قد أوضحتا أنهما لا تميلان الى اتجاه ناصر المناهض للشيوعية والواقع أن دبلوماسيا عربيا تعرض للاستاءة في احتفال رسمي في بكين في أوائل عام ١٩٦٠ بسبب سياسة بلاده الداخلية المناهضة للشيوعية .

ومن ناحية أخرى جعلت حرية العمل التي جعلها قاسم في العراق للاحزاب السياسية ، والتفلفل الشيوعي الواسع المدى في حكومته في الستين الأوليين من حكمه ، جعلت من الزعيم العراقي محمدا عربيا « تقدما » في نظر الشيوعية الدولية . غير أن الحزب الشيوعي الهندي كان استثناء بارزا للاتجاه الشيوعي العام : ذلك أن موسكو لم تدن بالرأى الصيني القائل بأن حزب المؤتمر تمادى في مناهضته للقوى الثورية ، وأنه يؤمن بفضيلة الإبقاء على الوضع الراهن . ولم تنتقد الصحف السوفييتية الحكومة الهندية باستثناء تحذير عابر رفيع ضد تكوين رأسمالية للدولة ذات سلطان ، وضد الاتجاه نحو الكتلة الغربية .

وعندما انعقد مؤتمر الحزب الشيوعي الهندي في فيجايا وادا في ربيع عام ١٩٦١ انتهج سياسة « الجبهة القومية من أجل التقدم الوطني » واعترف بأن حزب المؤتمر لا يزال حزبا تقدما الى حد كبير ، وقرر تأييد القوى اليسارية في حزب المؤتمر ومناهضة القوى اليمينية . وكان هذا الاجراء في جوهره بمثابة عودة الى الخط الشيوعي الذي كان سائدا قبل الحرب .

الاطلاق كأسرة متماسكة ، فقد كانت هناك دائما تقاطع متعارضة . وكانت بينها بعض الروابط المشتركة ، معظمها روابط خارجية ، والرابطة الرئيسية بينهما هي مرارة ارتباطها التاريخي بالدول الاستعمارية في أوروبا . ولذلك استطاعت العمل في وحدة متماسكة تماما . فقد اختلفت حول بعض المسائل التي تتعلق بالاستعمار ، فبعضها كان يدعو إلى التوفيق والتفاهم ، وكان الآخر مستعدا لوسائل أكثر تطرفا .

مثال هذا أن الهند مارست في معظم الأحيان - سياسة الاعتدال ، وقد أدى هذا أحيانا إلى انزعاج بعض أعضاء المجموعة غير الملتزمة .

وفي افريقية ظهرت ثلاث مجموعات من الدول تتميز بعضها عن بعض إلى حد ما وذلك في نهاية عام ١٩٦٠ والذي يميز أحداها عن الأخرى هو علاقتها بالدول الاستعمارية القديمة .

فمجموعة دول الدار البيضاء التي تضم غانا وغينيا والجمهورية العربية المتحدة ، ومالي ، والمغرب ودولة أو دولتين أخريين ، تؤمن بـ **افريقية التي تتخلص من جميع رواسب المصالح الاستعمارية ، وتناضل بنشاط من أجل تأكيد الشخصية الافريقية القوية ، وتطبق بقوة سياسة عدم الانحياز في المجال الخارجي .**

أما دول المجموعة الفرنسية التي تتضمن أو ربما تقودها تونس فتؤمن بالتعاون المثمر مع فرنسا ومن ثم مع الدول الغربية الأخرى . وتفضل هذه الدول أن تتبع سياسة التعاون المعقول مع الغرب .

والمجموعة الثالثة التي تتألف من بلاد مثل ليبيريا وأثيوبيا والسودان، نريد أن تتبع طريقا وسطا ، وكان ظهور أسرة افريقية تتبع سياسة داخلية وخارجية مشتركة تقريبا ، وتتعاون بعضها مع بعض في أمور الاقتصاد والدفاع والتقدم السياسي ، ما يزال حلما بعيدا عن التحقيق حتى نهاية عام ١٩٦١ .

الفصل الثالث عشر

آسيا - أفريقية والأمم المتحدة

وجه الاتحاد السوفيتى ، بقيادة خروشوف شخصيا ، فى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة هجوما غاضبا على داج همرشولد السكرتير العام وطالب بتنحيته عن منصبه . وفى معرض رده على احدى هجمات خروشوف قال همرشولد : « ليس الاتحاد السوفيتى ، او أية دولة أخرى كبيرة ، بحاجة الى حماية الأمم المتحدة وانما تحتاج الى هذه الحماية الدول الأخرى . وبهذا المعنى فان المنظمة قبل كل شئ ، منظمتهم هم ، وسيكونون هم الأناس الذين يستخدمونها ويرشدونها ، اننى سأظل فى منصبى خلال فترة وظيفتى ، كخادم للمنظمة لمصلحة تلك الدول الأخرى طالما انها ترغب أن أقوم بذلك » .

والواقع أن همرشولد قدم بذلك تفسيرا ثوريا للدور الجديد الذى تقوم به الأمم المتحدة منذ أن ظهرت الى الوجود منذ خمسة عشر عاما مضت . لقد كانت صيحة بعيدة آتية من مؤتمر سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ حيث اقيم أساس الأمم المتحدة . وكان اجماع الدول الكبرى هو حجر الزاوية فى هذا الأساس ، فقد كان المقصود بالمنظمة أن تستند الى التعاون الاجبارى بين حلفاء زمن الحرب ، وكانت وظيفتها الاساسية منع أى صدام بين الدول الكبرى قد يؤدى الى اندلاع نيران الحرب على نطاق عالمى . وكانت الأمم المتحدة وليدة التحالف الذى كان قائما زمن الحرب بين الدول الغربية والاتحاد السوفيتى ضد دول المحور ، وسعى الآباء المؤسسون ، مستمدين العظة من تجربة عصبة الأمم ، الى اقامة نظام للاتفاق بين الدول الكبرى بدونه لن تستطيع المنظمة التحرك بنجاح فى أى اتجاه حيوى .

لقد كانت المجموعة الدولية عام ١٩٤٥ تكاد تكون مجتمعا أبيض تماما فقد جاءت الدول الخمس عشرة التى وقعت ميثاق الأمم المتحدة فى سان فرانسيسكو ، أساسا من أوروبا والأمريكتين . فلم تكن آسيا وأفريقية

يعتد بهما على الاطلاق فى ذلك الحين وجاءت من افريقية ثلاث دول فقط
هى مصر وأثيوبيا ، وليبيريا . ومن اسيا كانت هناك الصين ، بالطبع ،
كما كانت الهند هناك التى وقفت آن ذاك على اعتاب الاستقلال بالفعل ،
كما تم استبعاد . دول المحور فى زمن الحرب . وبذا كانت الامم
المتحدة تمثل المجتمع الدولى بعد الحرب ، بيد انها كانت بعيدة عن كونها
مرآة للعالم .

وقد ولدت المنظمة تحت زعامة امريكا . منذ ابتكر فكرتها الرئيس
فرانكلين د . روزفلت ، بالضبط مثلما جاءت فكرة عصبة الامم من الرئيس
وودرو ولسون . غير أن الولايات المتحدة ، فى الفترة التى تبتعت الحرب
العالمية الثانية ، كانت راغبة كل الرغبة فى تحمل اعباء المسئوليات
العالمية ، عكس ما كانت عليه فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الاولى .
واتاحت لها الامم المتحدة منبرا تستطيع منه زعامة امريكا الدولية ، التى
وجدتها حديثا ، ان تبرز فى جميع الاتجاهات . وكان بمقدور الولايات
المتحدة ان تعتمد ، تماما على مساندة وولاء الاغلبية الساحقة من الدول
الاعضاء الآتية من امريكا اللاتينية او من أوروبا الغربية او من المناطق
البيضاء فى الكومنولث البريطانى . أما عن الامتيازات التى قدمت للاتحاد
السوفيتى ، والتى تتمثل فى منح العضوية لثلاث دول أخرى من اتحاد
الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، بجانب منح حق الفيتو ، فقد
ساد الاعتقاد بأنها فى نطاق محدود يمكن السيطرة عليه ، واراد الغرب
بذلك أن يكسب تعاون ستالين من أجل تحقيق التضافر الدولى .

وحينما نشبت الحرب الباردة ، كان ميزان القوى ، بكل تأكيد فى
مصلحة الكتلة الغربية بزعامة امريكا ولم يكن وضع الامم المتحدة يسبب
قلقا كبيرا . فقد كان بمقدور امريكا ان تنفذ قراراتها متمتعة بتأييد كبير
من المجتمع الدولى ، واضطر الاتحاد السوفيتى ، حينما وجد نفسه فى
صفوف الاقلية العاجزة الى أن يستخدم بسخاء سلاحه الوحيد وهو
الفيتو ، فقد كان يستطيع بهذا أن يشل أكبر هيئة للامم المتحدة وهى
مجلس الامن ، عن الحركة بشكل يضر بمصالحه الدولية ، وظلت السيادة
الغربية فى الامم المتحدة لا تنازع لمدة عشر سنوات .

وفى هذه السنوات العشر استمر المجتمع الدولى فى التفسير
والتوسع . وتراجع الاستعمار الغربى ، بشكل عام ، من اسيا كلها ،
ودخلت مجموعة من الدول الاسيوية الامم المتحدة على أمل ان تؤدى
دورا بارزا فى شئونها . وكانت وجهة نظر الدول الاسيوية نحو المنظمة
العالمية تختلف ، بشكل أساسى ، عن وجهة نظر الدول الكبرى ، فقد
نظرت اليها :

أولا وقبل كل شيء ، على أنها أداة للحكم فى الحرب الباردة ان لم تكن أداة لالغائها تماما .

ثانيا : أنها أداة لعرض وجهة النظر الاسيوية الناشئة حديثا على مسرح الاحداث الدولى المضطرب . ومنذ البداية نادى القادمون الجدد الى المنظمة العالمية ، بصوت عال ، بوضع نهاية للحرب الباردة ، والوصول الى اتفاق حول نزع السلاح ثم وضع نهاية للاستعمار ، وتقديم مساعدات دولية لجهود الدول الحديثة من أجل إقامة بنيانها الاقتصادى والسياسى .

وقد أدى ظهور مجموعة الدول الحديثة فى آسيا ، وفى افريقية فيما بعد ، الى توسيع رقعة المجتمع الدولى ، والى تحويل الامم المتحدة ، تدريجيا . الى هيئة تمثيلية . كذلك أدخل عناصر جديدة من عناصر التوتر . فقد بدأت جميع جزئيات القانون الدولى ، التى وضعتها وعرفتها بلاد غربى أوروبا ، بموافقة الولايات المتحدة ، تواجه تحديا منتظما . فقد تعرضت كثير من اخلاقيات القانون الدولى واختلافاته الطفيفة لشك الدول الحديثة . وقد جاء التحدى الاكبر فى شكل هجوم عام على الاستعمار ، وطلبات الدول الحديثة . الاخذة فى الوضوح - المنادية بتأكيد حقوق الانسان . ويكفى أن نورد قليلا من الامثلة : فالمصالح الدولية المادية لم تكن بمأمن من الابتعاد ، واختفى الاختلاف بين « الاستيلاء » على الممتلكات الاجنبية و « أخذها » باسم السيادة الوطنية ، وطالبت الدول الحديثة الاستقلال بالسيادة على مساحات أكبر من المياه الاقليمية ، وأصبحت الانتفاضات ضد الحكم الاجنبى تعتبر أعمالا جريئة وشريفة ، وأصبحت الامبراطورية ، مصدرا للمشاعب والمضايقات وليست مصدر مجد ومكانة .

والواقع ان السماح بدخول الاعضاء الجدد الى الهيئة العالمية هو أحد الوظائف الرئيسية لمجلس الامن . ولا يمكن ان يتم ذلك دون موافقة الاعضاء الخمسة الدائمين ، ومن ثم فهو يخضع لاستعمال الفيتو . وقد رفض الغرب الموافقة على عضوية دول أوروبا الشرقية « التابعة » فى الامم المتحدة ، وأقفل الاتحاد السوفيتى الطريق أمام دخول عدد كبير من الدول الآسيوية الافريقية الى الامم المتحدة انتقاما من الغرب . بيد انه قد تم حل الازمة عند نهاية عام ١٩٥٥ ، حينما فتحت أبواب المنظمة العالمية على مصراعيها امام أول مجموعة كبيرة من القادمين الجدد . وما أن بدأت العملية حتى أصبح من العسير وقفها من جديد ، ودخلت مجموعة من الاعضاء الجدد ، معظمهم من افريقية بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٦٠ . وأصبحت الامم المتحدة ، بنهاية عام ١٩٦١ ، تمثل مائة وثلاث دول مما ضاعف عدد الاعضاء الاصليين . وفى خمسة عشر عاما تحولت

المنظمة العالمية من «ائتلاف النصر» الذى تم فى أثناء الحرب العالمية الثانية ،
الى برلمان للعالم .

بيد أنها ظلت لاتمثل الحقائق الدولية تمثيلا كاملا . واستمر هذا
الخروج الشاذ على المألوف والذى يتمثل فى استبعاد الصين ذلك البلد
الذى يضم أكبر عدد من السكان فى العالم ، وهذا كله بفضل عدا
الولايات المتحدة المستحكم وكان الامتياز الرئيسى الوحيد الذى قدمه
حلفاء فترة الحرب الى آسيا هو الاعتراف بأن الصين من الدول الكبرى
وقد اختيرت كأحد الاعضاء الخمسة الدائمين ، الذى يتمتع بالاداة القوية
التي هى حق الفيتو . بيد أن الولايات المتحدة رفضت الاعتراف بتغير
الحكومة فى تلك البلاد فى عام ١٩٥٠ ، واستمر نظام الكومينتانج فى
فورموزا بمساعدة أمريكا ، يتحدث فى الامم المتحدة بالنيابة عن الصين ،
وظلت عدة دول أخرى خارج الامم المتحدة بسبب الحرب الباردة .
ومازالت مجالس الامم المتحدة الحيوية تعكس الحقائق الباهتة لعصرولى
ومضى ، أما تعطش الاعضاء الجدد الملح من أجل التوسع فى تمثيلهم ،
فلم يجد ألا استجابة بطيئة .

وقد أدت التغييرات الاساسية التى طرأت على علاقات القوى
الدولية ، فى عام ١٩٦٠ ، الى بث الاضطرابات فى الامم المتحدة .
وحتى عام ١٩٥٥ ، بل وبعدها ، كانت المجموعة الامريكية أكبر
مجموعة جغرافية واحدة فى الامم المتحدة ، فقد كانت احدى وعشرون
دولة من دول نصف الكرة الامريكى تتزعمها الولايات المتحدة ، تحتل
مركز قوة لايمكن النفاذ اليه . فقد تسلحت امريكا بتفوقها السياسى
والاقتصادى على نصف الكرة الغربى ، فحظيت بتأييد قوى من جانب
دول امريكا اللاتينية . وكانت المجموعة الغربية أكبر مجموعة من الناحية
« الايديولوجية » ، فقد كانت تجمع بلاد امريكا اللاتينية مع دول غربى
اوروبا والاعضاء البيض فى الكومنولث البريطانى . وكان الاتحاد
السوفيتى تسانده اقلية تدعو الى الرثاء تتكون من ثلاث دول أعضاء ،
أو أربع ، على أحسن الاحوال اذا حسبنا يوغوسلافيا ، ولم تستطع
الدول غير المنحازة ان تسيطر على أكثر من عشرة أصوات أو اثنى عشر
صوتا ، وكان الاعضاء الافريقيون الاسيويون وكلهم لا يتعدون خمسة
وعشرين ، وكان عدد ضئيل منها مرتبطا بالكتلة الغربية من الناحية
العسكرية والاقتصادية .

بيد ان تكوين الامم المتحدة قد تغير تماما بحلول عام ١٩٦٠ . فمن
بين الاعضاء البالغ عددهم تسعا وتسعين دولة والذين اشتركوا فى
الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة أصبح ما يزيد عن
نصفهم يأتى من افريقية واسيا . ولا يزيد عدد الدول المرتبطة منها مع

الغرب عسكريا عن عشر * وقد ظهرت أول الانقسامات في صفوف دول أمريكا اللاتينية التي كانت متينة من قبل ، فقد انفصلت كوبا ، بالفعل عن الزعامة الأمريكية كما بدأت عدة بلاد أخرى في اتباع سياسة تقضي اما بالوقوف بجانب الدول المحايدة أو الامتناع عن التصويت حول عديد من المشاكل التي ترجع الى الحرب الباردة ، فعلى سبيل المثال استطاعت الولايات المتحدة ، ابان الدورة الخامسة عشرة ، ان تهزم اقتراحا افرو - آسيوى ، يدعو الى عقد اجتماع بين ايزنهاور وخرشوف وذلك لعدم حصول القرار على اغلبيه الثلثين المطلوبة . وكانت هناك دولتان من أمريكا اللاتينية هما كوبا وبوليفيا ، من بين الدول الاربع والاربعين التي صوتت في مصلحة القرار ، وكانت ، من بين الدول السبع عشرة التي امتنعت عن التصويت ، أربع دول من نصف الكرة الأمريكى - جمهورية الدومنيكان ، واكوادور ، والمكسيك ، وبناما . وهكذا نجد أن الولايات المتحدة قد فقدت في المسائل التي تتعلق بالحرب الباردة ، ستة أصوات في نطاق نصف الكرة التي تعيش فيه . وظلت قوة الكتلة الأوروبية الغربية نفسها كما هي دون تغيير وهي إحدى وعشرون دولة ولكن هنا ، أيضا ، لم يعد عدد من الدول الصغيرة مستعدا لان يقف في الصف الأمريكى باخلاص كما اعتاد أن يفعل في السنوات السابقة .

وإذا اخذنا مثلا القرار الافرو - آسيوى نفسه نجد أنه على الرغم من أن دولة أوربية غربية واحدة هي السويد قد صوتت في مصلحته فان النمسا واليونان قد امتنعتا عن التصويت . وتوسعت الكتلة السوفيتية نفسها لتشمل إحدى عشرة دولة وهي من الناحية العددية ليست بالمجموعة الكبيرة في ذاتها ولكنها قوية للدرجة أنها تمارس تأثيرا كبيرا على الدول الصغرى في أفريقية واسيا وأمريكا اللاتينية .

ولم تشكل الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ كى تكون حكومة عالمية . وانما كان القصد منها أن تكون منبرا للتعاون الدولى الاختيارى ، وهدفها الرئيسى منع اندلاع حرب عالمية أخرى ، واستغلال موارد العالم من أجل رخاء الاسرة الانسانية . ولم تكن قراراتها ملزمة للدول الاعضاء ، ولم يكن هناك أى نص فى الميثاق يقضى بمحاسبة أى عضو يتحداها . فبينما سلمت كل دولة بضرورة اقامة أساس للجهود الدولية الفعالة كان كل قطر حريصا على الحفاظ على قداسة « تشريعاته الداخلية » وكانت فكرة اقامة هيئة تعلقو على النزعة القومية ، بل وتقتطع جزءا من السيادة الوطنية ، أبعد ما تكون عن أذهان الدول الاعضاء ، كما أن الدول الكبرى لم تبطل استعمال وسائل العمل الجماعى الثنائى خارج الأمم المتحدة .

وكان المقصود من انشاء الأمم المتحدة ، على أحسن تقدير ، هو أن تكون أهم منبر للجهود الدولية ولكنه ليس المنبر الوحيد .

والواقع ان معظم الاحداث المضطربة التى هزت أو غيرت عالمنا منذ عام ١٩٤٥ ، قد جرت لان الدول قد اختارت العمل خارج الامم المتحدة ولا ينطبق هذا الكلام على الاجراءات السياسية والعسكرية فحسب بل وعلى الجهود الاقتصادية . فقد أعد مشروع مارشال ونفذ خازج الامم المتحدة ، وينطبق هذا الكلام على سلسلة انتعاش أوروبا الاقتصادية برمتها .

وكان الاتحاد السوفيتى الذى تسانده أقلية ضئيلة فى الهيئة الدولية يقابل بفتور فكرة استخدام القوة الدولية فى أى جزء من العالم خشية ان يستغلها الغرب فى دعم مصالحه العالمية . .

ومنذ بداية انشاء الامم المتحدة، ولدى كل من الدول الكبرى تحفظاتها الخاصة عن الدور العالمى المجدد للمنظمة الدولية . وكانت تحفظات الاتحاد السوفيتى ، اكبر التحفظات جميعا ، بيد ان الدول الغربية ناضلت أيضا باصرار ، على مر السنين ، لمنع عرض مجموعة من المسائل الاستعمارية والعنصرية أمام الهيئة العالمية استنادا الى أنها من الامور الداخلية لهذه الدول . وتصبح الامم المتحدة عاجزة تماما حينما تشاء دولة معينة تحدى قراراتها . وغالبا ما تتناسى هذه الدول أن اتحاد جنوب افريقية كان أول من تحدى الامم المتحدة بطريقة ساخرة . واتحاد جنوب افريقية هو أحد اعضاء الكتلة الغربية . وكل ما استطاعت الامم المتحدة أن تفعله هو أنها سعت بفرض تأثير الرأى العام الدولى على المعارضين ، ولم يضع ضغط الرأى العام دائما هباء على الدول الكبرى . أيضا ؛ فان الاتحاد السوفيتى الذى اكتسب لقب أكبر متحيد للامم المتحدة ، قام بسحب قواته من ايران ، ونزل عن مساندته « لحكومة أذربيجان » .

بيد أن هذا الضغط كان يفشل حينما تكون المسألة من مسائل الحزب الباردة مثلما حدث فى المجر عام ١٩٥٦ . ولكن الاتحاد السوفيتى لم يكن الدولة الكبرى الوحيدة التى عاملت الامم المتحدة بازدراء : ففرنسا مثلا ، قاطعت تقريرا جميع المناقشات التى دارت حول الجزائر ورفضت جميع المناشدات المتكررة التى قدمتها الامم المتحدة ضد التفجيرات الذرية فى الصحراء الكبرى . والواقع ان فرنسا تأتى فى المرتبة الثانية بعد الاتحاد السوفيتى ، فى فتور موقفها من الامم المتحدة .

والواقع أن النزاع بين الهند والصين كان المشكلة الوحيدة من نوعها التى لم تعرض قط أمام الهيئة العالمية ، بل وحتى حينما تم التوصل الى تسوية فى عام ١٩٥٤ ، فانها جاءت خارج الامم المتحدة

وقد استخدمت بريطانيا الفيتو خلال حادثة السويس عام ١٩٥٦ ، أما الولايات المتحدة التى كان أمامها أن تطبق حق الفيتو ، فأعلنت عام

١٩٦٠ ، أنها ستمارس استعمال هذه الاداة التى تشل الحركة من أجل منع دخول جمهورية الصين الشعبية الى الامم المتحدة . أما العناد الذى مارسه بعض دول الكتلة الغربية الصغرى ، مثل جنوب افريقية والبرتغال ، وبلجيكا ، فقد نجح بسبب المساندة التى استطاعت الحصول عليها من زعماء التحالف الغربى .

كما أن الامم المتحدة لم تسر على معيار او مبدأ معين للسلوك الدولى فى معالجتها للمشاكل العالمية الكثيرة . فقد كان هناك امثلة كثيرة للتهاون تجاه مشاكل ذات أهمية حيوية ليس فقط للكتلة الشيوعية وانما لبلاد اسيا وافريقية أيضا . وفى كثير من الحالات تعرضت امريكا بسبب زعامتها للمنظمة العالمية لحقائق راسخة امتنعت عن التسليم بها فيما بعد . وقد ذكر من قبل كيف ان حكومة الولايات المتحدة قد تدخلت بالقوة فى كوريا ، قبل الحصول على تصريح من الامم المتحدة ، وقد جاء هذا التصريح بعد حوالى اربع وعشرين ساعة فقط من اصدار الرئيس ترومان اوامره للقوات الامريكية بدخول ميدان الحرب الكورية .

وحيثما تدخلت جمهورية الصين الشعبية فى الحرب الكورية وصمت « بالعدوان » من جانب الامم المتحدة . أما حينما قامت القسوات الانجلو - فرنسية بالتواطؤ مع اسرائيل بغزو مصر ، فلم ينجح الاقتراح الذى يقضى بوصفهم بالعدوان

وبالمثل تمت ادانة الاتحاد السوفيتى بسبب قمعه للثورة فى المجر ، ولكن لم يكن هناك أية ادانة لبلجيكا بسبب الدور الذى أدته فى الكونفو .

وخلال ازمة الشرق الاوسط فى عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩ ابتكر جون فوستر دالاس قاعدة « العدوان غير المباشر » حتى يتم ادانة سورية ، ولكن التدخل العسكرى من جانب الولايات المتحدة فى لبنان لم يتم ادانته حتى لو كعدوان غير مباشر .

وكانت هناك محاولة لوصم الصين والاتحاد السوفيتى « بالعدوان غير المباشر » بسبب لاوس فى عام ١٩٥٩ ، ولكن صرف النظر عن الموضوع بسبب الخوف من الفيتو السوفيتى ، ولم يستطع مجلس الامن الهروب من الفيتو الا باتخاذ قرارا يقضى بارسال بعثة تحقيق الى لاوس . بعد أن أعلن رئيس المجلس ، وهو مندوب من احسدى بلدان امريكا اللاتينية بأن المسألة مسألة اجراءات وانها لا تخضع للفيتو .

وكانت دول اسيا وافريقية تعتبر قمع نضال الشعوب المستعمرة من أجل الاستقلال ، عدوانا من الطراز الاول ، بيد ان الامم المتحدة لم

تر هذا الرأى . وقد استغلت الدول الغربية قوتها النابعة من غالبيتها العددية فى اداة الحركات الشيوعية الرامية الى قمع حرية الشعوب واستقلالها ، او قلب النظم السياسية المؤيدة للغرب ، ولكنها كانت تقاوم دائما أية محاولة لتطبيق المبدأ نفسه على سبوكها فى افريقية وآسيا وامريكا اللاتينية . وكان استخدام المبادئ المزدوجة هو أحد نقاط الضعف الرئيسية فى الهند ، واحد الاهداف الرئيسية لهجمات الدول الافرو - اسيوية .

ولا شك ان الغرب يتهم الكتلة الشيوعية بتطبيق المبادئ المزدوجة بدون أن يعترف أنه هو نفسه يقترب التخبط والمغالطة كليهما .

ولا شك أيضا فى أن قمع الاتحاد السوفيتى للثورة المجرية وقمع الصين للثورة فى التبت لا يتمشىان مع دعوة الكتلة الشيوعية الى تحرير الشعوب المستعمرة من عبودية الغرب ، وعرضت هذه الاحداث كلا من الصين والاتحاد السوفيتى لنقد له ما يبرره . وفى الامم المتحدة أخذ المتحدثون الغربيون يحذرون دول آسيا وافريقية - مرارا - الاستعمار « الجديد الاكثر فظاعة » الذى تمارسه الدول الشيوعية . . . ولا شك انه كان لهذا الكلام بعض الأثر فى أذهان الوفود الافرو - اسيوية . ولم تكن الشعوب - الافرو اسيوية على وجه العموم يغضبها التدخل السوفيتى فى المجر بقدر ما أغضبها الغزو الانجلو - فرنسى لمصر وهما حادثتان هزتا العالم ووقعتا فى الوقت نفسه فى خريف عام ١٩٥٦ .

وقد ساد الاعتقاد بأن الحرب الباردة مسئولة جزئيا عن الاحداث الدامية التى وقعت بالمجر فى عام ١٩٥٦ ، وقد كانت الدول الافرو - اسيوية بعكس الدول الغربية والولايات المتحدة على وجه الخصوص قد وافقت على حدود اوروبا السياسية ولم تكن ترغب فى أن تراها تتغير عن طريق القوة .

واهم من هذا كله أن البلدان الافرو اسيوية اعتبرت أزمة المجر حركة لابعاد الاضواء عن الغزو الانجلو - فرنسى لمصر الذى اذا حكمنا عليه بطريقة هادئة كان عملا يدعو الى السخط اكثر من التدخل السوفيتى فى المجر . . . غير ان رد الفعل الافرو - اسيوى تجاه التصرف العسكرى الصينى فى التبت كان أعنف وأكثر تلقائية ، فقد كانت التبت تنتمى الى المجموعة الافرو - اسيوية وكان واضحا أن قمع الصين للثورة عبارة عن تصفية قاسية لتمنيات سياسية شرعية لشعب اسيوى . . . وقد كان من الممكن ان يكون رد الفعل أعنف وأوضح لولا أن الصين ظلت خارج الامم المتحدة . ونظرا لان الصين كانت بالفعل طرفا مساء اليه ، ونظرا لان الدول الغربية نفسها كانت مترددة فى الدفاع عن حق شعب التبت

فى الاستقلال فان دول افريقية واسيا غير المنحازة لم تدن الصين فى الامم المتحدة بأسلوب عنيف .

بيد أنه ينبغى علينا أن نشير الى محاولات الغرب لتحويل نظر اسيا وافريقية الى « الاستعمار الشيوعى الجديد » لم تلق نجاحا كبيرا فى هذا الشأن . وفى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة أصبح هجوم خروشوف الشامل على الاستعمار الغربى ، ومطالبته بتصفية نظام الاستعمار الغربى على وجه السرعة ، اجراءا محببا للغاية لدى الوفود الآسيوية الافريقية ، بما فى ذلك من دول المجموعة الفرنسية فى افريقية . وقامت الدول الافرو - اسيوية نفسها . من أجل انقاذ الاقتراح السوفيتى من الهزيمة ، بتقديم قرار يطالب باتخاذ خطوات « عاجلة » لمنح الاستقلال للمستعمرات المتبقية والمناطق الخاضعة للوصاية فى العالم ، وهو الاقتراح الذى تمت الموافقة عليه بأغلبية ساحقة ، ودون أى صوت معارض . .

ولم تمتنع عن التصويت سوى تسع دول من بينها الولايات المتحدة . وفى معرض حديثه عن أعمال الجمعية العامة كتب توماس ج . هاميلتون مراسل صحيفة النيويورك تايمز فى الامم المتحدة يقول :

« لم يجد ديفيد أورسمبى - جور ، وزير الدولة البريطانى الا تأييدا طفيفا فى الاتهام الذى وجهه الى الاتحاد السوفيتى بأنه بعد أن قام بتصفية جمهوريات البلطيق ، ووضع أوروبا الشرقية فى فلكه . لم يكن مجرد دولة استعمارية . وانما اعظم الطغاة جميعا » .

وتفكر معظم الدول الافريقية والآسيوية - وخاصة تلك التى حصلت على استقلالها فى غضون السنة أو السنتين الماضيتين - تفكر فى الاستعمار فقط على ضوء سيطرة الرجل الابيض على الشعوب الملونة ، والسوداء والصفراء ، ولا يبدو عليها الاهتمام كثيرا بالاستعمار السوفيتى . وقد كانت الدول الغربية تأمل ان تنضم الدول المستقلة حديثا اليها فى هجومها على الشكل الروسى للاستعمار فانه على عكس ذلك عبر عسدد من الدول عن اتفاقهم فيما بينهم على أن مستر أورسمبى - جور يسعى الى زج مسائل الحرب الباردة . .

وتستطيع الدعاية السوفيتية الآن أن تعلن أن نتيجة تصويت الجمعية العامة التى كانت ٨٩ ضد لا شىء بيان مقنع عن تضامن الدول الاشتراكية مع البلاد الافريقية والآسيوية فى معارضتها المشتركة لكتلة شمال الاطلنطى العدوانية .

« ومن الامور السيئة بالنسبة للولايات المتحدة ، زعيمة العالم الحر ، أن تجد نفسها فى صف الاقلية الضئيلة التى امتنعت عن التصويت .

بيد أن النتيجة كانت مدمرة ، بنوع خاص ، لمركز الولايات المتحدة بالنسبة للاعضاء الافريقيين والاسيويين بسبب المجموعة التي وجدنا أنفسنا وسطها : بريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، والبرتغال ، واسبانيا ، واستراليا ، وجنوب افريقية ، وجمهورية الدومينكان ، وجميعها أهداف صالحة لهجوم الوفود الافريقية والاسيوية والكتلة الشيوعية ، كدول استعمارية ، أو لأسباب أخرى » .

وقد تعرض وقد الولايات المتحدة لفشل ذريع حينما وقفت إحدى اعضائه ، وهي زنجيسة أمريكية ، ورحبت بالموافقة على القرار الافرو - اسيوى .

وكان الوفد نفسه يريد ان يصوت فى مصلحة القرار ، غير أن قرار الامتناع عن التصويت قد جاء فى آخر دقيقة تقريبا من البيت الابيض . ولم يكن هذا ، على أية حال ، هو المثال الوحيد الذى وجدت فيه أمريكا نفسها فى صحبة « سيئة حول مشكلة الاستعمار » .

ففى تاريخ الأمم المتحدة كله ، لم تصوت الولايات المتحدة قط فى مصلحة أى قرار افرو - اسيوى حول الجزائر : ففى عام ١٩٥٩ كان صوت الولايات المتحدة هو الذى أفقد القرار الافرو - اسيوى أغلبية حاسمة ، وفى عام ١٩٦٠ لم يحصل الاعضاء الافرو - اسيويون على أغلبية الثلثين . لندائهم الى الأمم المتحدة للإشراف على استفتاء فى المستعمرة الفرنسية التى مزقتها الصراع . وكانت معارضة أمريكا هى السبب فى فشل هذا القرار (١) .

وكانت مشكلة الاستعمار تمثل أكبر هوة داخل الأمم المتحدة بين الدول الغربية ودول اسيا وافريقية الحديثة العهد بالاستقلال .

(١) قدم الاتحاد السوفييتى ، من جديد ، فى دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٦١ ، اقتراحا يطالب بالاستقلال لجميع الاقاليم غير المستقلة المتبقية فى غضون عام واحد . غير أن القرار قد هزم وامتنعت أغلبية كبيرة من الدول الافرو - اسيوية عن التصويت . وقد غيرت الولايات المتحدة سياستها الاستعمارية عن طريق تأكيدها لأهمية مظهر تقرير المصير فى مشكلة برلين ، وقد مسح ذلك هجوم غربى عنيف وجماعى على الاستعمار الشيوعى . وسلكت الدول غير المنحازة طريقا وسطا وقدمت قرارها الذى يقضى بإنشاء هيئة تكتشف مدى التقدم الذى أحرزه كل اقليم من الاقاليم التى لا تتمتع بالحكم الذاتى نحو الاستقلال على ضوء القرار الذى وافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها عام ١٩٦٠ وصوت الاتحاد السوفييتى وحلفاؤه فى مصلحة القرار الافرو - اسيوى . الذى عارضته أغلبية الدول الغربية .

وانصافا للدول الغربية ، يتعين علينا أن نشير الى أن أغلبية هذه الدول ، وبالتأكيد الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، كانت جميعها تؤيد التحول السلمى والمرحلى من مستعمرة الى بلد مستقل ، وذلك عن طريق الاتفاقيات التى يتم التوصل اليها عن طريق المفاوضات بين الحاكم والمحكوم .

وفى السنوات التى كانت فيها زعامة امريكا للامم المتحدة لا تنازع تقريبا ، نجحت المنظمة العالمية ، بالفعل ، فى مساعدة عدد من الدول الاثرو - آسيوية فى حصولها على الاستقلال .

فقد منحت الولايات المتحدة الفلبين الاستقلال عام ١٩٤٤ ، وأدت دورا رئيسيا فى وقف الحرب فى اندونيسيا ، وفى اقامة صرح الجمهورية الاندونيسية .

وتفخر بريطانيا - بحق - بانسحابها دون صراع من أجزاء كبيرة من الامبراطورية المترامية الاطراف ، ورؤيتها قيام علاقات ودية للغاية بينها وبين مستعمراتها السابقة . غير ان بريطانيا هى البلد الوحيد الذى يستطيع ترك السلطات السياسية فى هدوء فقد احتفظت الولايات المتحدة بقبضتها القوية على الفلبين على حين لم تخضع الدول الاستعمارية الاخرى الا بعد ان ابتليت بحرب ضروس : هولندا فى اندونيسيا ، وفرنسا فى الهند الصينية . وبلجيكيا فى الكونغو : قصة المقاومة العنيدة لمطالب شعب فى الحرية .

وغالبا ما تدعى الدول الغربية لنفسها الفضل فى الدور التحررى الذى قامت به فى تغيير لون خريطة العالم منذ الحرب العالمية الثانية .

والواقع ان كل ما تدعيه من فضل يعود الى بريطانيا العظمى وحدها ويعود بالذات الى حكومة العمال التى تشكلت فى لندن حتى قبل ان تنتهى الحرب بالفعل . فقد رفض تشرشل باصرار فى اثناء الحرب ، الموافقة على طلب الهند الاستقلال العاجل ، ورفض التوسع فى ميثاق الاطلنطى ليشمل اسيا ، وامتنع من ضغط روزفلت عليه من أجل منح الهند حريتها ، والقى بتصريحه المتباهى الشهير فى رده المجلجل على الرئيس الأمريكى بقوله « انه لم يصبح رئيسا لوزراء جلالة الملك لى يشرف على تصفية الامبراطورية ، وكانت حكومة العمال برياسة مستر آتلى » لورد فيما بعد « هى التى قادت بريطانيا العظمى خارج الهند ، وباكستان ، وسيلان ، وبورما ، ومهدت الطريق أمام التحول السلمى لغانا ونيجيريا الى السيادة السياسية .

وقبل ذلك كان تشرشل قد تدخل بالقوة لمساعدة هولندا فى العودة الى اندونيسيا ، وفرنسا الى الهند الصينية « وان كان قد تدخل فى

الثناء الحرب ، ومن اجل مصلحته لمنع ديجول من اعادة فرض الحكم
الفرنسي في سورية ولبنان

وحيثما سقطت حكومة العمال في عام ١٩٥١ ، كان التحسول
السلمي لافريقية البريطانية فوق خط الاستواء ، الى الحرية قد تأكد
تقريبا .

بيد ان فرنسا لم تخضع بسهولة في شمالي افريقية . وقد اثارت
البلاد الافرو - اسيوية ، مرارا ، مشكلتي تونس والمغرب في الامم
المتحدة غير انها لم تواجه بعناد فرنسا فحسب بل ايضا بما اسماه
الاتحاد السوفيتي بـ « الاستعمار الجماعي » - أي غناد واصرار الدولة
الاستعمارية ومساندة الاعضاء الذين هم أكثر قوة في الكتلة الغربية
لها . غير ان الزمن - حينما نشاهد هذا النزاع غير المتكافئ - كان يقف
بثبات في مصلحة الشعوب المستعبدة

فقد أرغم الزمن فرنسا على الاستسلام في الهند الصينية وفي أجزاء
كبيرة من شمالي افريقية (١) .

بيد ان امريكا أدت دورا متقلبا : فبينما كانت تصوت ضد المقترحات
الافرو ، اسيوية في الامم المتحدة والتي تقضي بمناقشة مشكلتي تونس
والمغرب . كانت تمارس ضغطا على فرنسا لحثها على الاعتراف
باستقلالهما .

ومن ناحية اخرى عارضت امريكا في انسحاب فرنسا من الهند
الصينية بل وعرضت تقديم قوات للاشتراك في الحرب .

وحيثما وقعت اتفاقيات جنيف عام ١٩٥٤ ، كانت الولايات المتحدة
أبعد ما تكون عن السعادة ، ولم تكن هي طرفا في هذه الاتفاقيات كما أنها
لم تحترم وعدها بعدم العمل ضدها . وكانت الازمة الطويلة التي حدثت
في لاوس نتيجة - الى حد كبير لسياسة الولايات المتحدة التي خرقت
اتفاقيات جنيف .

وفي افريقية قرب نهاية الخمسينات تأكد الانتقال الى مرحلة
الاستقلال للبلدان التي ليست بها مصالح راسخة للبيض ، أو مجموعة
كبيرة من المستوطنين الأوروبيين ، وبحلول عام ١٩٦٠ كانت جميع البلاد
افريقية فوق خط الاستواء تقريبا قد أصبحت حرة .

وكان الاستثناء البارز هو الجزائر فقد كانت المشكلة هي وجود
جالية فرنسية قوية تبلغ حوالي مليون نسمة .

(١) كما أرغمها على الاستسلام في الجزائر في مارس من عام ١٩٦١ . « المترجم »

بيد أن افريقية السفلى سببت كثيرا من الصعاب الحقيقية . ولم تكن هذه « فقيرة » وإنما غنية ، وكانت المصالح الأوروبية والأمريكية تسيطر على ثرواتها الكبيرة المعدنية منها والحرارية ، وكان السكان الأوروبيون بأعدادهم الضخمة يملكون ويحتلون معظم الأراضي الخصبة الموجودة . ولذلك فإن المطالبة بالاستقلال قد جلبت في أعقابها مجموعة من المشاكل ، واجهت الدول الغربية مهمة صعبة في التوفيق بين عواطفها الحرة تجاه الحرية الإفريقية ، ومصالحها المستثمرة الواسعة ذات الجذور العميقة ، وتعهداتها والتزاماتها أمام السكان الأوروبيين .

وقد تعقدت هذه المهمة أكثر من جراء سياسات التفرقة العنصرية التي تتبعها الجاليات بدرجات عنف متفاوتة ، في افريقية السفلى . وقد ترك تقدم افريقية ذو السرعة الهائلة نحو السيادة السياسية ، للدول الغربية وقتا قصيرا ، كي تقوم بتسوية مصالحها المتنازعة . وكانوا يميلون إلى أن يصبحوا أسرى تعهدات مضت ولا يزالون يسعون إلى جعل المنازعات الإفريقية في نطاق مجال التسوية عن طريق المفاوضات الثنائية .

وفي الجزائر ، تضافرت الدول الغربية جميعها لمنع الجمعية العامة للأمم المتحدة من الموافقة على أي شيء أكثر من قرارات معتدلة ، والمتحدث عن قدرة جنرال ديغول على إيجاد حل بالتشاور مع الزعماء الوطنيين الجزائريين والمصالح الأخرى .

غير أن الأحداث المضطربة التي وقعت في الكونغو قلبت أمورهم رأسا على عقب : ففي الكونغو ، أيضا ، أرادت الدول الغربية أن ترى تقدما سياسيا عن طريق التعاون البلجيكي - الكونغولي ، حتى لا تتعرض مصالح الغرب الضخمة ، في كاتنجا وكاساي ، للخطر . وحتى حينما أصبحت مشكلة الكونغو مشكلة عالمية بسبب عناد البلجيكيين وقصر نظرهم ، سعى الغرب ، باصرار إلى المحافظة على قبضته عليه .

وفي بداية الستينات ، كانت روديسيا الشمالية والجنوبية ، ونياسلاند ، وكينيا ما تزال حكرا لبريطانيا العظمى

بيد أن الصعوبات أخذت في التزايد ، وتعثرت الجهود البريطانية الرامية إلى التقدم عن طريق المفاوضات ، تعثرت أمام المطالب الإفريقية المناهضة بسلطة سياسية كاملة من جهة ، كما تعثرت بسبب اعتراض البيض على أي نزول كبير من جانبهم . وفي افريقية البرتغالية ، تحطم أخيرا ذلك الصمت الذي ظل مخيما طوال خمسة قرون

وقد خسرت البرتغال المعركة في الأمم المتحدة ، بالرغم من التأيد الغربي ، في ادعائها بأن مستعمراتها جزء لا يتجزأ من الوطن الأم .

ووافقت الجمعية العامة بأغلبية ساحقة على قرارات تطالب الحكومة البرتغالية بتقديم المعلومات الى الامم المتحدة عن طبيعة الاوضاع في مستعمراتها . وكان انهيار النظام الاستعماري العتيق هو الذي حول الامم المتحدة ، بسرعة ، من مجال النفوذ المطلق للغرب الى مجتمع دولي يغل بالقلق والاضطراب ، ويموج بأجناس كثيرة ملونة ، وهذه العملية لم تكتمل بعد ، بيد أن نذر الشر كانت واضحة للذين يريدون أن يفتحوا عيونهم عليها . ففي السنوات القادمة سيتحلل النظام الاستعماري نهائيا في افريقية السفلى وامريكا اللاتينية .

ومثل هذه الانتفاضة الهائلة قيمة بأن تحل معها الامها واذا سيطرت الحكمة على الامم ، استطاعت فقط التقليل من الدماء والبؤس اللذين ستتكلفهما هذه الانتفاضة . أما اذا ساد الغباء فانها ستضاعف الثمن الذي سيختلسه الزمن قبل أن يتم تصحيح الخلل الكبير في العلاقات الانسانية .

وحينما ينهار النظام الاستعماري نهائيا ، فان دور الامم المتحدة سوف يتغير . لقد أصبحت بالفعل ، خارج نطاق سيطرة الدول الكبرى الى حد كبير . وستسعى الدول الصغيرة في افريقية واسيا ، وأمريكا اللاتينية الى أن تجعل من الامم المتحدة جهازا يخدم مطالب الانسانية التي هي أكثر إلحاحا . ولا يعني هذا انها ستصبح بين يوم وليلة ، حكومة عالمية . غير أن الجهود ستبذل لاعطائها دورا مستقلا ذا معنى ، دور الراعي لشئون الامم .

هذا هو الدور الذي أرادت الدول الافرو - آسيوية أن تضطلع به الامم المتحدة في الكونغو ، واذا كانت جهودها قد أحبطت ، فلأن، السوفيت والدول الغربية زادت استغلال الامم المتحدة كألعوبة في يد القوى الكبيرة . وتود الدول الحديثة الاستقلال ان تستخدم الامم المتحدة امكانياتها من أجل رفاهية المجتمع الدولي ، ومن أجل سد الثغرة بين الاقلية التي « تمتلك » في العالم ، والغالبيية التي « لا تمتلك » .

وستكون العملية شاقة ، وطويلة ، ومجهدة . وستعارض الدول القوية وغالبا ما ستلقى معارضتها النجاح ، وسيتوقف الكثير على قوة الاقطار الحديثة من الناحية الاقتصادية والسياسية ومن ناحية بنيانها، وستعلو صيحة في عواصم العالم التي هي أكثر تعقيدا في التفكير ، صيحة تقول ان الامم المتحدة قد فشلت ، وانها بحاجة الى ترميمات كبيرة ، وانها قد هوت في الفراغ الذي خلفه خروج الدول الكبرى . وقد وصلت المعركة بالفعل الى مرحلة حاسمة . وحينما تصبح الامم المتحدة شيئا « ينتمي » للدول الصغيرة ، فانها ستصبح منظمة عالمية تختلف

كلية عما هي عليه حتى في وقتنا الحاضر . غير أن الشعور بـ «الانتماء» لم يتحقق بعد .

وطالما ظلت هذه الامم الحديثة ضعيفة من الوجهة الاقتصادية والعسكرية ، فانه لا يمكن ان تتوقع تحصين قارتها من خطر الحرب الباردة مهما استبدت بها الرغبة في تحقيق ذلك . ولكن حدث بمرور الوقت ، أن أخذت هذه الامم تزداد قوة ، وازداد صوتها ارتفاعا ، لا في الشؤون الخاصة بقارتها فحسب ، وانما في محيط الشؤون العالمية الاوسع .

ومما يؤكد ازدياد أهميتها لهفة اكبر دولتين على تنحية الامم الصغيرة جانبا بمختلف أساليب المداينة . ولذا فان الاتجاهات التي بدأت تظهر الان اتجاهات سليمة تدعو الى التفاؤل . فاذا استطاعت الدول الحديثة ان ت تماسك فقط « واذا » هنا بالخط الثلث «لان هناك عوامل كثيرة تفتت من وحدتها وتعاونها » استطاعت ان تمارس تأثيرا عميقا على الشؤون العالمية ، والى أن تكتسب هذه البلاد قوة اقتصادية وعسكرية كافية ستستمر شؤون افريقية ، وآسيا وأمريكا اللاتينية ، خاضعة الى حد كبير لنفوذ اكبر دولتين . فاذا رفضت الدول الكبرى الاشتباك فوق أرض أفرو - آسيوية ، فان هذا الرفض سيكون وليد خوفها من نتائج « حرب الادغال » أكثر مما ينبع من تعاطفها مع أماني افريقية وآسيا ، وهو التعاطف الذي تدعيه .

وانه لمن الطبيعي ان ترغب بلدان افريقية واسيا وأمريكا اللاتينية في ان تؤدي دورا متزايدا الاهمية في الامم المتحدة

وقد سجلت بالفعل طلبها الذي يقضى بالتوسع في تمثيلها في اجهزة الامم المتحدة الحيوية ، واعادة النظر في ميثاق الامم المتحدة كي يتمشى مع الحقائق الجديدة لعالم تغير بشكل كبير . فاذا كان الاتحاد السوفيتي قد استطاع ان يتزعم هذا الطلب حين طالب باجراء تغييرات كبيرة في البنيان التنفيذي للامم المتحدة ، فانه نجح بذلك في اختيار حركة احسن توقيتها ، من اجل طبع صورة راسخة له في الاذهان الافرو - آسيوية ، صورة المدافع العظيم عن حتمية التاريخ .

وقد راقبت الوفود الأفرو - آسيوية ، في الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة راقبت خروشوف برهبة واعجاب ، وهو يخرج بمقترحاته التي ترمى الى اعادة نظر شاملة في بنيان الامم المتحدة التنفيذي . وعبر الزعيم السوفيتي عن معظم ما كان يجول بخاطر الوفود الافرو - آسيوية ومع ذلك وجدت هذه الوفود نفسها عاجزة عن

مساندة طوفان مطالبة : ذلك أنها كانت تعلم انه ليس هناك أمل في موافقة الغرب على هذه المطالب ، وانه اذا تم الاصرار عليها الى آخر مدى فان ذلك لن يؤدي الا الى تدمير وكالات الامم المتحدة الرئيسية . وقد أكد الزعماء الافريقيون والآسيويون ان هذا الأمر سيتم لا محالة ولكنهم لم يؤمنوا بسياسة « الان والا فلا » . وقد أشار جميع الزعماء من امثال نهرو ، وناصر ، وسوكارنو ، وتيتو وهم واضعو اسس عدم الانحياز الدولي ، الى اختلال التوازن في التمثيل في الوكالات الهامة بالامم المتحدة ، ولكنهم أكدوا ضرورة تصحيح ذلك عن طريق الاتفاق وعلى مراحل .

وعلى اية حال كان الزمن في صفهم ، وهم يعلمون تماما انه في الوقت الذي تستجمع فيه الدول الحديثة في العالم قوتها ، سيزداد « انتماء » الامم المتحدة اليهم . وهي تمر اليوم بالفعل بعملية تحول ثوري ولن يمضي وقت طويل حتى تتحول الامم المتحدة بثبات ، من ناد للدول الكبرى ، الى برلمان للدول الحرة .

ولسوء الحظ ان الخسائر الأولية ، اذا كانت خسائر حقا ، سوف يعانى منها الغرب ، فمن سخريه الزمن انه بعد تشكيل الامم المتحدة بوقت قصير وقع الشجار بين حلفاء فترة الحرب ، وتلاشى الأمل في اتفاق الدول الكبرى في الوقت الذي بدأت فيه رياح الحرب الباردة الثلجية في الهبوب ، وبدأ صراع مائع في مجلس الامن ، من أجل مركز القوة ، وظل الغرب منتصرا في هذا الصراع لما يزيد على عشر سنوات . ومن بين أعضاء المجلس الأحد عشر ، هناك خمسة أعضاء دائمون . ويتم اختيار الآخرين على اساس اقليمي كما ينص الميثاق وكان من المفهوم ضمينا ان أحد الأعضاء سيكون من أوروبا الشرقية وآخر يمثل الكومنولث ، غير انه في غضون سنوات قلائل من تأسيس الامم المتحدة تم نقض التفاهم حول تمثيل أوروبا الشرقية ، ومارست الولايات المتحدة قوتها الدولية الهائلة كي تضمن أغلبية دائمة في الجهاز التنفيذي الأعلى للأمم المتحدة ، ولم يمر وقت لم تكن تتحكم فيه بتأييد سبعة أعضاء من أعضاء مجلس الامن ، وهو العدد المطلوب للموافقة على أى قرار لا يخضع للفيتو .

وكانت الفقرة التي تنص في الميثاق على قدرة مجلس الامن على احالة اية مسألة الى الجمعية العامة بأغلبية سبعة أصوات هي التي جعلت الولايات المتحدة تبذل قصارى جهدها كي تضمن وجود سبعة أصوات الى جانبها داخل المجلس ، وقد نبعت معارضتها العنيدة لتمثيل جمهورية الصين الشعبية أساسا من تصميمها على عدم فقدانها مركز الأغلبية الذي تتمتع به في مجلس الامن .

ولكن حدث بعد مرور خمسة عشر عاما من مولد الأمم المتحدة أن بات واضحا أن مركز القوة الذي تتمتع به أمريكا يقترب من نهايته ، وفي دورة عام ١٩٦٠ للجمعية العامة لم تستطع الولايات المتحدة أن تمنع انتخاب بولندا ، أو الجمهورية العربية المتحدة لمجلس الأمن . . ومن ناحية أخرى استطاعت الوفود الأفريقية والآسيوية بمساعدة السوفيت أن تمنع انتخاب البرتغال كي تمثل أوروبا الغربية ، ونجحوا في فرض ترتيب يقضى بأن تعمل ليبيريا لمدة سنة لتحل محلها إيرلندا في السنة التالية .

وقد علق مراسل صحيفة النيويورك تايمز في الأمم المتحدة ، على هذا النجاح الأفرو - آسيوي قائلا : « إن الطلب الأفريقي الذي يدعو إلى إعادة توزيع مقاعد مجلس الأمن لنتيجة منطقية لسياسة القبول الجماعي التي طبقتها الأمم المتحدة عام ١٩٥٥ ، والتي ارتفع عدد الأعضاء بمقتضاها من ٦٠ إلى ٩٩ ، غير أن فقد مقعد أوروبا الغربية ، وإن كان مؤقتا ، يضعف من قوة الغرب في مجلس الأمن ، وربما يكون أهم قرار اتخذته الجمعية . .

ويضم المجلس كما تشكل عام ١٩٦٠ ثلاثة أعضاء أفريقيين - آسيويين هم : الجمهورية العربية المتحدة ، وسيلان ، وليبيريا ، واثنين من الكتلة الشيوعية هما الاتحاد السوفيتي وبولندا ، وهكذا حرمت الولايات المتحدة - لأول مرة - الأصوات السبعة التي كانت تضمونها (١)

وقد أدت الظلال الكثيرة التي ألقتها احتمالات المستقبل ، إلى كثير من إعادة النظر في واشنطن ، وبدا واضحا أن هناك حاجة ماسة إلى اتجاه جديد نحو المسائل التي تعرض على مجلس الأمن :

وفي مايو عام ١٩٦٠ ناقش المجلس القرار السوفيتي الذي يدعو إلى ادانة الولايات المتحدة من أجل تحليق الطائرة (ي - ٢) فوق الأراضي السوفيتية وقد هزم القرار ، غير أن القرار الذي وافق عليه المجلس بناء على طلب الأعضاء الأفرو - آسيويين ، كان يتضمن فقرة تناشد جميع أعضاء المنظمة العالمية « احترام السيادة ، والوحدة الإقليمية ، والاستقلال السياسي لكل منها » .

وعلى حسب تعليق جريدة النيويورك تايمز : « فإن هذه الفقرة ، في سياق المناقشة حول الطائرة (ي - ٢) ، يمكن تفسيرها على أنها تحمل تأنيبا ضمنيًا للولايات المتحدة » .

واستطاع مجلس الأمن ، في شكله الجديد ، أن يوافق في ٢١ من

(١) حدث في انتخابات عام ١٩٦٠ أيضا أن تمت ترقية الرعامة الغربية في مجلس الأمن ، فقد احتلت بولندا مقعد رومانيا لمدة سنة باتفاق خاص مع الفلبين .

فبراير عام ١٩٦١ على قرار يفوض فيه قيادة الأمم المتحدة ، لأول مرة استخدام القوة لمنع قيام الحرب الاهلية ، وادركت الكتلة الغربية أن كل ما تستطيع عمله في مجلس الأمن هو أن تبطل مفعول أى قرار عن طريق حرمان المجموعة الأفرو - آسيوية والكتلة السوفيتية من الأصوات السبعة الايجابية (وهذا هو ما فعلته في الواقع ، في حالة القرار الليبيرى حول أنجولا) ، ولكن لم يعد بإمكانها فرض أى قرار ، حتى لو لم يستخدم الاتحاد السوفيتى حق الفيتو .

وكانت مقدرة أعضاء مجلس الأمن الأفريقيين والآسيويين على تحقيق التوازن ، حتى بين الكتلتين الكبيرتين ، تطورا ثوريا في ذاته ، فقد كانت تعنى أن مجلس الأمن لم يعد عرضة لاستخدامه كأداة من أدوات الحرب الباردة ، وأخذ دوره يتحول الى دور الموفق بين المصالح المتنازعة ، بل أن الولايات المتحدة لم تكن حتى في مركز يسمح لها الآن بإحالة أية مسألة الى الجمعية العامة دون الحصول سلفا على مساندة الأعضاء غير المنحازين في مجلس الأمن .

وإذا استمر هذا الاتجاه ، وإذا نجح الأعضاء الأفريقيون والآسيويون والتابعون لأمريكا اللاتينية ، في المنظمة العالمية مستقبلا في انتخاب عدد كاف من أعضاء مجلس الأمن لا ينتمون الى أية من الكتلتين ، فإنهم سيحرزون نصرا ساحقا في جهودهم من أجل اسناد دور تسوية المصالح المتعارضة للأمم المتحدة بدلا من تقديم مصالح دولة من الدول على حساب دولة أخرى ، وكان اتجاه حكومة الرئيس كيندى الجديدة نحو الأمم المتحدة بدلا من تقديم مصالح دولة من الدول على حساب دولة المظهر الجديد لمجلس الأمن وقد فزع الغرب من تدهور الدور الذى يقوم به مجلس الأمن ، أما الكتلة السوفيتية فعمها السرور ، غير أن هذا الأمر أدى الى ظهور مشاعر متضاربة في افريقية وآسيا : فبينما كانت الدول الحديثة الاستقلال في القارتين ترحب بإمكانية الافادة من المجلس كأداة للتسوية بدلا من زيادة حدة الحرب الباردة ، لاحظت بانزعاج شعورا متزايدا بخيبة الأمل ينمو بين الدوائر الغربية تجاه بنیان الأمم المتحدة كله .

وقدمت نظريات عدة تدعو الى إعادة النظر في الميثاق بطريقة تبطل مبدأ « دولة واحدة : صوت واحد » الذى تقوم عليه المنظمة العالمية ، ومنح الدول الكبرى وزنها في أمور التصويت ، وجعلت بعض هذه النظريات وزنا في التصويت للأعضاء الكبار في المجموعة الافريقية - الآسيوية ، وخصوصا الهند ، ولكن هذا العرض لم يلق الا استقبالا فاترا في العاصمة الهندية .

وكانت الدول الأفرو - آسيوية مدركة للعيوب الكامنة في الهيئة

العالمية ، وكانت تميل الى القاء تبعه هذه العيوب على الصراع من أجل القوة بين الكتلتين المتنافستين . . واستمر اتجاهها الاساسى نحو الأمم المتحدة مليئاً بالأمل والايمان . . وقد كان نقدها عنيفاً فى الدورة الخامسة عشرة ، لفشل الأمم المتحدة فى الكونغو ، وفى بعض التصرفات المعينة المتعلقة بالعزل والتعيين التى قام بها السكرتير العام بنفسه ، ولكن هذه الدول وقفت بعيداً عن الخط السوفيتى الذى كان يطالب بعزل همرشولد ، والغاء المنصب نفسه ، وإعادة تنظيم الهيئات التنفيذية الخاصة بالأمم المتحدة بطريقة شاملة ، وكانت الدول الأفرو - آسيوية تريد منح قيادة الأمم المتحدة فى الكونغو تفويضاً يسرى مفعوله حتى فى ساعة متأخرة ، وذلك أفضل من أن ترى جهود الأمم المتحدة الجماعية تنتهى بالفشل .

وكان هذا الاتجاه نحو أزمة الكونغو يعبر عن فكرتها الأساسية تجاه الأمم المتحدة ، ولم يعجبها كثير من الأمور التى حدثت فى الكونغو تحت راية الأمم المتحدة . ومع ذلك لم تكن هذه الدول تؤيد بعكس الاتحاد السوفيتى أن ترى الأمم المتحدة وهى تنسحب من الكونغو قى عار وخجل .

وحينما نجحت فى استصدار أول قرار بشق الانفس فى فبراير من عام ١٩٦١ من مجلس الأمن ، علقت عليه فوراً أهمية كبيرة .

وكانت بعض الدول أفرو - آسيوية - بما فى ذلك غانا ، وغينيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، وأندونيسيا - قد قررت سحب قواتها من الكونغو فى أول الأمر ، ولكن بعض هذه الدول توقفت عن الانسحاب ، بعد صدور هذا القرار ، بل وكانت المجموعة الأفرو - آسيوية على استعداد لتقديم قوات أكثر الى الأمم المتحدة . وقد كانت الحكومة الهندية أول من تجرأ وسبقت غيرها حين وافقت على طلب همرشولد بارسال فرقة كاملة من القوات المحاربة لتنضم الى قوات الأمم المتحدة فى الكونغو ، وكانت هذه أول مرة توافق فيها الهند على ارسال قوات محاربة بتفويض دولى وتحت اشراف الأمم المتحدة (لم تشترك أية قوات هندية محاربة فى كوريا أو مصر) .

وقد ضغطت الدول أفرو - آسيوية الاعضاء فى مجلس الأمن على همرشولد من أجل استخدام « العنف » فى الكونغو ، وحينما اتسعت هوة الأزمة فى الشهور الأولى المذهلة من عام ١٩٦١ نتيجة لمصرع لومومبا و « اتفاق » الزعماء الكونغويين المؤيدين لبلجيكا على تقسيم الكونغو ، أدركت هذه الدول أنه يتعين عليها أن تبذل كل ما فى وسعها من أجل رؤية الأمم المتحدة « تفعل شيئاً » . وقد ظهر دكتور نكرومة

شخصيا امام دورة الامم المتحدة المستأنفة في مارس ليدعو الى ما يشبه الوصاية الافريقية الجماعية على الكونغو تحت اشراف الامم المتحدة .

وكانت الدول الأفرو - آسيوية تبذل الجهود من أجل انقاذ الكونغو من عدم شرعية وجودها السياسى المضطرب ، وكانت تريد اجتماع البرلمان الكونغوى تحت حماية الأمم المتحدة لاختيار حكومة ودستور للبلاد ، وبعد البيان الذى أصدره فى لندن ، فى مارس ، رؤساء وزارات الكومنولث ، والذى يؤيد اقتراحهم كعلاج ممكن ، نصرا كبيرا لهم (١) .

ولا يزال أمام دول آسيا وافريقية كثير من العقبات التى ينبغى التغلب عليها ، قبل أن تتمكن من ممارسة حقها الشرعى فى الأمم المتحدة ووكالاتها المختلفة ، وتتبع العقبات الرئيسية التى تقف فى طريقها ، من ضعفها الاقتصادى والسياسى ، وعدم خبرتها فى حقل الدبلوماسية الدولية ، ولا تزال تربطها روابط كثيرة بالدول الاستعمارية السابقة ، وهى روابط تفرض عليها نوعا من التعاون ، وتنكر على كثير منها الحرية المطلقة فى العمل ، وتخشى الغالبية العظمى من هذه الدول أن تقع ضحية الملاحظات السوفيتية .

وليست انتصارات السوفيتية بمنأى عن الشك تماما ، فلا يزال هناك دائما عنصر من عناصر الشك حول خطط الشيوعيين السياسية التى تكمن خلف جميع الدوافع السوفيتية لخطب ود شعوب افريقية وآسيا . وليس هذا لأن زعماء افريقية وآسيا الجدد قد ظلوا مناهضين للشيوعية بشكل أساسى فحسب ، وإنما يرجع أيضا جزئيا الى أن أيدى الزعماء الجدد فى آسيا وافريقية مملوءة بالمشاكل الداخلية فى بلادهم .

(١) ساء الموقف من جديد فى الكونغو بعد مأساة مصرع همرشولد فى خادنة طيران غامض ، ولم يكشف النقاب عنه حتى الآن ، وذلك فى روديسيا الشمالية فى ١٨ من سبتمبر عام ١٩٦١ وخرج عدد من الدول الغربية ، وخاصة بريطانيا العظمى ، جهارا تقريبا ضد أى عمل قوى من جانب الامم المتحدة لانهاء أسطورة «استقلال» كاتانجا وتعرض جنود الامم المتحدة العاملون فى كاتانجا لاطار طليعية جسيمة ، ولكن لم تعد اية دولة أفرو - آسيوية ترغب فى تجنب المسئولية فى رؤية نجاح مهمة الامم المتحدة ، وكان من نتيجة الجهود الدبلوماسية ، الى حد كبير ، أن منح مجلس الامن فى ٢٥ من نوفمبر أوثانت السكرتير العام بالنسابة ، تفويضا قويا فى الكونغو ، وفرض الآن باستخدام القوة اذا دعت الضرورة (وليس كملجأ آخر) ليس فقط للقبض على المرتزقة الاجانب فى كاتانجا ، وإنما لانهاء انفصال كاتانجا أيضا . وقد استخدم الاتحاد السوفيتى حق الفيتو أمام محاولة أمريكية لتوسيع مجال القرار ليشمل الكونغو بأكمله ، ولكنه اضاف أنه ينبغى على الولايات المتحدة أن تمنح مهمة الامم المتحدة فى الكونغو تأييدها القوي .

ولذا فانهم يترشون قبل السماح لاية عوامل خارجية تزيد من حدة التفاوت الاجتماعى والاقتصادى ، وتضاعف من عوامل السخط .

وقد نزع الحرب الباردة من الأمم المتحدة كثيرا من الفرص للعمل على رخاء الأسرة الانسانية . . فالدول الكبرى تستغل معظم مواردها الهائلة فى سباق التسلح ، بل واصبحت المعونة الاقتصادية للدول الآخذة فى النمو أداة للصراع من أجل القوة .

وقد عملت بلاد افريقية وآسيا فى الأمم المتحدة لاقتناع الدول الكبرى لتحويل جزء كبير من مواردها لمصلحة الأجزاء التى هى أكثر فقرا من الأسرة الانسانية . ولسوء الحظ فان معظم البلاد يفضل أن يعقد اتفاقيات ثنائية للمعونة ، وأفسح المجال للأمم المتحدة كى تؤدي دورا ضئيلا فى المهمة الكبرى الخاصة بتطوير اقتصاد وموارد افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية .

ولم تضع الجمعية العامة للأمم المتحدة برنامجا متواضعا للمعونة الفنية من أجل الدول المتخلفة الا عام ١٩٤٨ ، وكان المبلغ المخصص لا يزيد عن ٢٨٨٠٠٠ دولار . وبعد أحد عشر عاما ارتفع هذا المبلغ الى ٤٠٨٠٠٠ دولار عام ١٩٥٩ ، وكانت الحكومة الامريكية قد أعلنت فى عام ١٩٤٩ برنامج النقطة الرابعة للمعونة الذى كان عبارة عن اتفاقية ثنائية بين الدول المانحة والدول المتلقية . غير ان الأمم المتحدة استطاعت بحلول عام ١٩٥٠ ، أن تضع برنامجا ضخما للمعونة الفنية تسهم فيه أمريكا بالنصيب الأوفر .

وكان البرنامج ينطوى على بعض العيوب منذ البداية . فان المساهمات كانت اختيارية من جانب الدول الاعضاء . وفى عام ١٩٥٠ بدأت برصيد قدره ١٤ مليون دولار ، وزاد الرصيد فى عام ١٩٥٩ الى ٣١ مليون دولار ، وفى السنوات الأولى قاطع الاتحاد السوفيتى الرصيد ، ولكنه ساهم فى عام ١٩٥٩ بأربعة ملايين روبل ، وتحملت أمريكا نصيبها المقارب بـ ٤٥ ٪ من التكاليف الاجمالية للبرنامج فى عام ١٩٥٨ ، ولكنها خفضت النصيب الى ٤٠ ٪ فى السنة التالية .

أما هيئات الأمم المتحدة الأخرى مثل منظمة العمل الدولية ، ومنظمة التغذية والزراعة ، واليونسكو ، ومنظمة الصحة العالمية فكان لها أرصدها الخاصة ، ولكن كل منها كان يعانى من أزمات مالية مزمنة وكان المال المتوافر يقل سنة بعد أخرى اذا ما قورن بالمشاكل التى كان يعالجها . ولذا فان برامج الأمم المتحدة فى الدول المتخلفة لم تشتمل على اية مشروعات كبيرة ضخمة ، وقد استخدمت معظم الاموال فى إرسال الخبراء فى الإدارة الحكومية ، والصحة العامة ، والتعليم .

والزراعة ومشروعات مشابهة . والواقع أنه لم يتم الموافقة على أى مشروع تزيد نفقاته عن ٢٥٠.٠٠٠ دولار (١) .

وترحب الدول الآسيوية - الإفريقية بمساعدة الأمم المتحدة لأنها لا ترتبط بأى روابط سياسية ، وجميعها مجمعة على المطالبة بتأليف لجنة للتنمية الرأسمالية تابعة للأمم المتحدة ، وذات فاعلية أكثر ، وتكون ذات رصيد كاف .

وفى عام ١٩٥٩ كان أكثر الأمور تشجيعا لها الاقتراح الذى يرمى الى اقامة صندوق خاص للتنمية الاقتصادية تابع للأمم المتحدة ، برأس مال أولى يبلغ ٢٥٠ مليون دولار ، بيد أن حماس الدول المتخلفة المقدمة للمنح لم يكن حماسا منتظما . والى وقتنا هذا فشل الصندوق فى ترك أى أثر على اقتصاد الدول الآخذة فى النمو .

كذلك رحبت الدول الأفرو - آسيوية باقتراح خروشوف فى عام ١٩٥٩ ، الذى يقضى بأن تذهب ١٠ ٪ من المدخرات الناتجة عن نزع السلاح الشامل الى الدول المتخلفة ، بيد أن هذا الأمر قد ظل أملا بعيدا . والحقيقة المؤلمة هى أنه فى أثناء دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٥٩ ، كان برنامج المعونة الفنية للعام التالى ١٢ مليون دولار فقط زيادة عن العام الماضى .

ولا تشجع التجربة حتى الآن على الأمل بأن الأمم المتحدة فى المستقبل القريب ، سوف تتحول بجهود الدول المتقدمة الى أداة فعالة للمعونة الاقتصادية للأعضاء التى هى أقل تطورا فى المجموعة العالمية .

وقد باتت المعونة الاقتصادية بالفعل سلاحا قويا تستخدمه الكتلتان فى الحرب الباردة ، ومن المحتمل أن تصبح أكثر قوة اذا خف أثر الحرب الباردة وتحولت الى منافسة اقتصادية بين الشيوعية العالمية والرأسمالية العالمية . وبينما نجد أن المسكر الشيوعى يشعر بثقة متزايدة ، وهو يحسن استعمال هذا السلاح ، نجد أن ذلك بتعارض كلية مع شكوك الولايات المتحدة ووساوسها الآخذة فى التزايد من فعالية المعونة الاقتصادية للبلاد الآخذة فى النمو .

وكان يتعين على الحكومات الأمريكية ، جمهورية كانت أم ديمقراطية أن تقنع الكونجرس واللجان القوية الأخرى بضرورة تقديم المساعدات الاقتصادية الى الدول الآخذة فى النمو ، وذلك لمصلحة أمن أمريكا

(١) غير أن المجلس التنفيذى للصندوق الخاص بالتنمية الاقتصادية التابع للأمم المتحدة قد وافق فى مايو عام ١٩٦١ على برنامج زراعى يتكلف خمسة ملايين دولار فى كوبا برغم معارضة أمريكا .

نفسها ، وهناك شعور ملموس بالاستياء فى الولايات المتحدة من جراء امتناع الأعضاء القادرين الآخرين فى التحالف الغربى عن الاشتراك ، بالقدر نفسه فى تكاليف بث قوة الحياة فى اقتصاديات افريقية وآسيا الراكدة فان معظم موارد المعونة الاقتصادية التى تقدمها بريطانيا العظمى تقوم مستعمراتها باستهلاكها . أما مايتبقى فيذهب الى مصلحة دول مشروع كولومبو .

وقد اظهرت المانيا الغربية عدم استعدادها للموافقة على دفع نصيب معقول من العبء فقد استطاعت ، حيث انها لا تتحمل اية مسئولية استعمارية ، أن تستخدم انتعاشها الاقتصادى الهائل فى التنافس ، بفاعلية ، مع شركائها فى التحالف الغربى ، وأن تطردهم من الاسواق العالمية . ولم يستثمر الا جزء ضئيل من الموارد الفرنسية فى تنمية العالم الذى يقع خلف المجموعة الفرنسية فى افريقية .

ولذا ، فان العبء قد وقع على كاهل الولايات المتحدة ، وهو عبء يزداد ثقلًا مع النمو الهائل لطلب افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية عصب الحضارة ، ومع عجز أمريكا عن انعاش اقتصادها .

ويشحن هذا الوضع من قوة الدول الشيوعية ، تلك القوة التى لا يبدو انها ستتحوّل عنها حتى لو ذابت ثلوج الحرب الباردة على المدى الطويل والواقع أن مستر خروشف كان يتطلع الى وقت يستطيع فيه أن يستخدم السلاح الاقتصادى بفاعلية اكثر من أجل أن يكسب حرب التعايش السلمى .

الفصل الرابع عشر

في مواجهة الحرب الباردة

هل يمكن أن تتحول الحرب الباردة الى نصر ؟ .

لقد تم خوض غمارها بعزم لا يلبث لمدة ستة عشر عاما او يزيد منذ ان محت الثورة الروسية عام ١٩١٧ النظام الرأسمالي من سدس العالم واقامت نظاما جديدا تماما ومنافسا من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وليس هناك اى دليل على النصر فقط ، وانما ادرك ذوو الفطنة في جميع انحاء العالم باحساس متزايد بالمسؤولية الفردية والجماعية انه بتعين تطويق هذه الحرب الباردة ، وجعلها في نطاق ما وصفه بدقة مستر كريستيان هيرتر وزير الخارجية الامريكية السابق بأنه « البقاء المشترك » .

لقد أصبحت الحرب الباردة ، على نطاق عالمي . ولم يعد أصغر جزء من الارض محصنا ضد تأثيراتها السياسية والاقتصادية او امكانياتها العسكرية المتجمعة القادرة على تدمير الحضارة . وان هذا الطابع العالمي للحرب الباردة يجعل الجهود الرامية الى تسخيم جماحها تلقى متسقة بإزالة .

وقد آلت هذه المهمة الى البلاد التي تقوم بدور عدم الانحياز . نظرا لأن النظامين المتنافسين لم يتفقا بعد حول مبدأ التعايش . والدور الذي اختارته لنفسها هذه الدول هو أن تساعد الشركاء الكبار في الحرب الباردة على التوصل الى اتفاق قد يمكن الأمم من العيش معا ، ومحاولة بناء عالم أفضل ، لا بطريقة سلمية (فهذا مستحيل) وانما بدون حرب .

ومما هو جدير بالذكر أن التنافس الدولي قديم قدم الحضارة نفسها . ومنذ قرون والدول تتصارع ومع ذلك فانها عاشت وازدهرت معا . والتاريخ الاوروي في اربعمئة أو خمسمئة العام الماضية تاريخ لا ينتهي من الصدام المسلح بين الدول القوية . ومع ذلك بينما كان يتم

خوض غمار هذه الحروب . ظلت هناك دائما مجموعة كبيرة من المصالح المشتركة لم يرغب احد في القضاء عليها ، ولم تكن تظهر اية أزمة حقيقية الا حينما تندلع ثورة تهدد بقلب هذه المجموعة المشتركة من المصالح وتهز هذه الازمة الفكر الانساني في مناطق تمتد الى ما بعد حدود اوروبا . وكانت الثورة الفرنسية هي احدى تلك الاحداث المزلزلة . غير انها هزت افكار الناس اكثر من هزات بيشاتهم ، فقد كان شعار الحرية والمساواة والاخاء دعوة على نطاق واسع ، ولكن الثورة نفسها كانت ذات نزعة محافظة في جوهرها ، وقتلت ابناءها في غمضة عين ، وهي لم تجعل من فرنسا امة ثورية وانما اخرجت نابليون بونابرت الذي توج نفسه امبراطورا . وبالرغم من انه احدث تغيرات جوهرية في الصورة الاوروبية ، فانه سدد الطريق امام اى تحول ثورى . وقد كانت الثورة الامريكية نفسها اكثر تحفظا . فالثورة الفرنسية قد اثرت ، على الاقل ، على عقول البشر في جميع انحاء العالم .

اما تأثير الثورة الامريكية فلم يتجاوز نطاق نصف الكرة الغربى .

وفي نطاق المجموعة الاوروبية التى كانت حتى القرن التاسع عشر تمثل المجتمع العالمى ، كانت الامبراطورية الروسية القيصرية الواسعة مبارزة عن « لغز يحوطه الغموض » اذا ما استخدمنا تعبير تشرشل منها . غير ان اكثر القياصرة تقدما حاولوا صبغ روسيا بالصبغة الاوروبية ، وكانت القيم التى يقدرونها ، حقا قيما اوروبية كما كانت الامبراطورية العثمانية الشرقية ظاهرة شاذة عن نظام الاوضاع فى اوروبا ، ولكن كانت لها قيمتها الخاصة ، فقد كانت تقف فى طريق مطامع روسيا فى البحر الابيض المتوسط .

وكانت ثورة اكتوبر فى روسيا انسلاخا عن الماضى . فقد خلقت لأول مرة ، مجتمعا جديدا وحضارة جديدة يستهويان العالم برمته وكانت تتحدى جميع ما كان المجتمع الاوروبى يرعاه من قيم على مر القرون . ومن ثم اخذ العالم الغربى ، الذى لم يعرف روسيا اطلاقا عن كثب ، يواجه شبعا جديدا يهدد تفوق النظام القديم والقائم . وكان العداء المجذب الذى ابدته اوروبا ، وامريكا تجاه الدولة السوفيتية الوليدة ، شيئا جديدا كلية فى تاريخ العلاقات الدولية ، كما كان الترحيب الذى لاقتة الدولة الروسية الحديثة من شعوب العالم المستبعدة ظاهرة جديدة تماما ، ففي عام ١٩١٧ نشأت الخطوط العريضة للصراع العنيف بين الدول ، وهو الصراع الذى تطور بعد ذلك بحوالى عشرين عاما اذ أصبح النظام الشيوعى يتحدى النظام الرأسمالى ، وبين الاثنين جزء كبير من الارض يسعى - وقد تحرر حديثا من السيطرة الأجنبية - الى فرض

نفسه كقوة تفصل بين الكتلتين المتنافستين ، وجمعهما معا في جهد مشترك ، اجباري ، كى تتعايشا .

وأصبح بعض المفكرين الكبار في الغرب يتقبلون ، تقريبا ، هذه الصورة التاريخية للحرب الباردة بفضل الكتابات المتقنة التى أعدها مستر جورج كينان وآخرون . وقد أوضح مستر كينان في كتابه الذى نشر حديثا « روسيا والغرب في ظل لينين وستالين » كيف ان الحرب الباردة امر أقدم وأعمق مما يتصور معظم الناس ، وانها عملية مستمرة نسبيا ، سيتعين على الانسانية ان تعيش معها ، كما كانت تعيش ، لمدة طويلة للغاية ان لم يكن الى الابد - اللهم الا اذا قررت ان تقضى على نفسها بعمل مشترك من العمليات الانتحارية . ويذهب مستر كينان في قضيته الى ان يؤكد ان الحرب الباردة لا يمكن كسبها عن طريق هجوم عنيف مفاجيء او حتى بسلسلة أطول من الاجراءات العدوانية . انها لا يمكن ان تؤدي الى نصر ، على الاطلاق ، وكما قال هو :

« ومن ثم فان هذه الصورة التى ارجو ان اكون قد عرضتها ، صورة حياة دولية ليس فيها أى امر نهائى ، من الناحية الزمنية ، أو أى شيء ليس عرضة لقانون التغير ، وانما ليس فيها شيء مطلق في ذاته ، وهى حياة ليس فيها أية صداقة لا يشوبها عداوة ، أو أية عداوة لا تخالطها مصالح أساسية مشتركة ، وليس فيها أى تدخل خيرى لا ينطوى على ايلام في الوقت نفسه أو أى عمل من أعمال الاحتجاج ، أو أى شر ظاهرى لا ينطوى - كما قال شكسبير - على بعض الروح الطيبة » (١)

(١) وقد أوضح مستر كينان أنه بالرغم من أن النظام السوفيتى قد ولد بهدف واضح هو تحطيم النظام الرأسمالى الغربى وإقامة نظام اشتراكى جديد ومن ثم خلق «حالة حرب» في العلاقات الدولية ، وهو الامر الذى كان يبرر التدخل ، فالواقع أن هذا الوضع لم يكن بمثابة « مفهوم كلاسيكى لحالة الحرب » .

ولم يؤمن الاتحاد السوفيتى على الاطلاق بسياسة الدعوى الى الثورة عن طريق حرب صريحة . فان العقيدة الماركسية اللينينية لا تنص على أنه يمكن تحقيق هذه الاهداف من طريق نزاع عسكري واحد كبير بين عالم الشيوعية وعالم الرأسمالية ، والحكومة السوفيتية لم تعتبر على الاطلاق العمل من جانب قواتها ، الطريق الرئيسى لنشر الثورة العالمية : فقد كان الحكام الشيوعيون يسعون الى تدمير الرأسمالية بوسائل أكثر دهاء . ولذلك فانه من العبث على الغرب أن يواجه الاتحاد السوفيتى بالوضع العسكرى فقط ، فالواقع .. كما قال مستر كينان : ان أية سياسة عسكرية تماما ، تعتمد على فكرة حالة الحرب مآلها الفشل لا محالة في عصر الذرة . ومن السخف الاعتقاد بأن « قواعد الحرب الشاملة قد تكون وسائل مناسبة لحماية المجتمع الغربى من شكل التحدى الذى تواجهه به الشيوعية الروسية » .

ويشير مستر كينان الى التغيرات الكبيرة التى طرأت على الاتحاد السوفيتى منذ عام ١٩٥٣ ، والتي جعلت منه قوة مسئولة وهو يرى أن الاتجاه العام وخاصة في السنوات القليلة الماضية ، يتجه نحو إعادة الامور الى وضعها الطبيعى - نحو الاشتغال بالشئون =

ويجدر بنا ان نتذكر انه بالرغم من الاهداف الشيوعية التي ترمى الى القضاء على النظام الرأسمالى قضاء مبرما ، واعلان انتصار مجتمع جديد ، فان الثورة السوفيتية قد بدأت سلمية نسبيا . ولم تصبح الثورة السوفيتية عنيفة وباهظة الثمن الا بعد تدخل الحلفاء العسكريين ، وان حلفاء روسيا ، ابان الحرب ، هم الذين ضاعفوا من حدة الازمة في ربوع روسيا السوفيتية العريضة . منتحلين في ذلك شتى المعاذير . ومهما كانت التفسيرات الظاهرية المقدمة لتبرير التدخل ، فان الفرض الحقيقى كان القضاء على النظام السوفيتى وهو مازال في المهد ، غير ان هذا الفرض قد فشل : فبعد فشل حملات التدخل الخمس في ازاحة الحكومة الثورية ، كان الاتحاد السوفيتى مرهقا ماديا ، ويشعر بالمرارة من الناحية الذهنية ، غير انه خرج ايضا من المحنة بثقة كبيرة في حيويته . وفشل التدخل في تصفية كابوس الشيوعية .

ذلك انه حفر هذا الكابوس في ذهن الغرب وتبع ذلك حملة شريرة

= الداخلية والدفاعية في الدولة السوفيتية ، بعيدا عن أحلامها الثورية العالمية التي ظهرت في أعقاب الثورة مباشرة .

ولم يكن هناك تغييرات عميقة دائما ، في النظام السوفيتى فحسب ، وانما أصبح لدى الاتحاد السوفيتى الآن مجموعة من الدول الصديقة في أوروبا الشرقية التي لا يستطيع أن تعالج مصالحها ، بطريقة بطولية ، كما يخيل لكثير من الناس في أمريكا ، كما أصبح له حليف في الصين « التي أصبحت علاقتها معها تمثل علاقة حليف من ناحية ، وعلاقة منافس من ناحية أخرى » ويشعر الاتحاد السوفيتى بمسئولية المحافظة على زعامته في عالم معقد .

ويود مستر كينان أن تصبح الولايات المتحدة دولة ناضجة ، ويتعين عليها أن تتخلص من عادة أن تكون متخلفة عشر سنوات عن زمنها ، وإذا كانت الولايات قد عجزت ، خلال الثلاثينات ، عن أن تستجمع قوى كافية من أجل محاربة عدوين هما ألمانيا وروسيا ، وإذا كانت قد اضطرت الى أن تتقبل الاتحاد السوفيتى من أجل محاربة ألمانيا النازية ، فانها لا تستطيع أن تحارب القوى المتمثلة في روسيا والصين ، في وقت واحد ، أو أن تنجح في سبيل هذا الهدف ، في فصل الدولتين على ضوء الوضع العالمى الراهن . ولذلك فان الشيء المنطقى الوحيد الذى تستطيع أن تفعله أمريكا هو وضع فلسفة جديدة للعيش مع الشيوعية العالمية وليس ضدها . وهو ينادى بإيجاد نظرة أمريكية تتقبل التزامات النضج ، وتوافق على العمل في عالم مليء بالقيم النسبية وغير المستقرة . فإذا كان علينا أن نعتبر أنفسنا دولة ناضجة ، وسيعتبر من الآن فصاعدا ، أى شيء آخر في غاية الخطورة ، فحينئذ علينا ، كما تقول عبارة الانجيل « أن نطرح الأشياء الصبائية جانبا » وأول أمور الطفولة التي يجب التخلص منها ، في رأى ، هي أننا نعتبر أنفسنا مثلا أعلى يحتذى به في الشؤون العالمية ، وذلك من أجل الأمن المطلق والصداقة المطلقة ، والانسجام المطلق . وأخيرا يقول مستر كينان وربما لا يكون العالم الذى قام بتشكيله الانسان في أيامنا هذه ، أفضل العوالم التي يمكن تصورها « غير أنه عالم محتمل ، عالم يستحق أن تعيش فيه ، واعتقد أن غايتنا المثلى اليوم يجب أن تتركز في حمايته من الدمار المادى في زمن توصل فيه البشر ، لأول مرة الى الوسائل الفنية الكفيلة بتدميره » .

من انصاف الحقائق والتحريفات عمت البلاد الغربية . وقد قام مستر
ولتر ليبمان ومستر تشارلس ميرز في عام ١٩٢٠ بتحليل طابع الانباء
التي كانت تنشر عن الاتحاد السوفيتي في الولايات المتحدة ، ولم يكن
هذا التحليل على الاطلاق في مصلحة صحافة تدعى نزاهتها وتجربتها .
اما عن بريطانيا فقد اصاب مستر ج.ب. بريسلي كبد الحقيقة حين
قال : ان اذهان محافظي بريطانيا قد اغلقت دون ادراك عظمة الثورة
الروسية ، ولم تفتتح هذه الازهان بعد ذلك .

وقد ظل الاتحاد السوفيتي ، لسنين عدة ، معزولا عن المجتمع
الدولي وعتت الولايات المتحدة وبريطانيا هستيريا معاداة « الحمر »
ورفض الرئيس كوليذج باصرار الاعتراف بالدولة الجديدة ما لم تتخلص
من برنامجها الثوري . وأدت الهستيريا الامريكية الى حملة الاعتقالات
واغارات على نطاق واسع ، ووصلت ذروتها في الحادثة التي تدعو الى
السخرية حينما طرد المجلس التشريعي لنيويورك في ٧ من يناير عام
١٩٢٠ خمسة اعضاء اشتراكيين كانوا جميعا منتخبين عن مدينة
نيويورك .

وفي بريطانيا اعترفت حكومة العمال الاولى بالاتحاد السوفيتي عام
١٩٢٤ ولكن سرعان ما سحب هذا الاعتراف حينما عاد المحافظون الى
الحكم ، وكان على الولايات المتحدة ان تعترف بالاتحاد السوفيتي في
ظروف مختلفة تماما حينما اصابها الكساد العالمي بطريقة مفاجئة واتى
بفرانكلين ديلاانو روزفلت الى مقعد الحكم .

وكانت البداية التي افتتح بها روزفلت في اكتوبر عام ١٩٣٣ علاقة
فعالة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، بداية هامة من الناحية
التاريخية حيث ان جهوده الثانية بعد ذلك بحوالي عشر سنوات ، هي
التي أدت الى اقامة سلام متين فيما بعد الحرب على الاساس الاكيد
للتساوون الفعال القائم بين الدولتين . وقد قال روزفلت في خطابه الذي
أرسله الى الرئيس السوفيتي كالينين . المؤرخ في ١٠ من اكتوبر عام
١٩٣٣ .

« ان من دواعي الأسف الشديد أن هذين الشعبين العظيمين (شعب
الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) اللذين ظلت تربط بينهما تقاليد
سليمة من الصداقة لما يزيد على قرن من الزمان لمصلحتهما المشتركة ،
يفتقران اليوم الى وسيلة عملية للاتصال المباشر بينهما ببعض وان
الصعوبات التي خلقت هذا الموقف الشاذ لجذ خطيرة ولكنها في رأيي
قابلة للحل ، فان من الممكن ازالة الصعوبات القائمة بين الدول الكبرى
عن طريق المحادثات الودية والصريحة فقط » ودعا الحكومة السوفيتية
الى اجراء مفاوضات من أجل اقامة علاقات دبلوماسية .

اما رد مستر كالينين ، الذى جاء فى خلال اسبوع ، فكان معبرا عن الرغبة الشديدة فى التفاهم :

« لقد كنت دائما اتدارس هذا الموقف الشاذ الذى يدعو الى الاسى ، وهو الموقف الذى افتقرت فيه جمهوريتان كبيرتان الى سبل الاتصال المتعارف عليها خلال السنوات الست عشرة الماضية ، واننى اشعر بالقبطة انكم توصلتم ايضا الى النتيجة نفسها ، ولا شك فى أن الصعوبات ، الحالية أو التى ستثار ، بين الدولتين يمكن حلها فقط حينما تقوم بينهما علاقات مباشرة ، وانه ليس هناك من فرصة من ناحية أخرى ، لحلها دون وجود مثل هذه العلاقات . وسأستغل هذه الفرصة الى مدى أبعد ، لأعبر عن رأيى فى أن الموقف الشاذ له تأثير غير مستحب ، ليس فقط على الدولتين المعنيتين وانما على الموقف الدولى العام ، ويؤيد من عناصر القلق ، ويعقد من عملية تدعيم السلام العالمى ، ويشجع القوى التى تميل الى تفكير السلام » (١)

وبعد ثمانية وعشرين عاما من تبادل الرسائل هذه ، ظلت النقاط الاساسية المتضمنة فى الرسالتين صحيحة كما كانت فى ذلك الوقت .

وهناك روابط بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى روابط قانونية وروابط ليست على هذه الدرجة من القانونية . غير أن الافتقار الى التفاهم والثقة المتبادلة لا يهدد فقط شعبيهما وانما الجنس البشرى بأكمله .

وكانت الحرب العالمية الثانية هى التى جمعت بين الاتحاد السوفيتى والديمقراطيات الغربية وهو مالم يكن فى حساب كثير من الناس الذين لهم كلمتهم . وقد كان تحالف زمن الحرب الذى تم تشكيله فجأة ينطوى على نقاط ضعف كثيرة ، وكانت أكبر هذه النقاط ، الكراهية المكشوفة التى يكنىها كثير من الناس للنظام السوفيتى . وحتى حين كان الاتحاد السوفيتى يتحمل العبء الأكبر من هجوم جيش هتلر ، كان هناك أناس فى الولايات المتحدة ، أناس مرموقون لا يستسيقون احتمال هزيمة هتلر على يد الروس . فقد كانوا ضحية حقبة عدة من الدعاية والتحيز ضد السوفيت ، غير أن بعضهم كان يعلم أن عليهم أن يتحسوا بجانب الاتحاد السوفيتى المنتصر أكثر من ألمانيا المنتصرة . وقد عبر السناتور روبرت . ا . تافت عن شعور عناصر قوية كثيرة فى بلاده حين أعلن فى أثناء الحرب أن « انتصار الشيوعية سيكون أكثر خطرا على الولايات المتحدة . من انتصار الفاشية » وقد أوجز مستر جوزيف . ا . ديفز السفير الأمريكى السابق لدى الاتحاد السوفيتى هذه العبارة كثيرا حين

(١) « ونحن فى طريقنا » بقلم فرانكلين روزفلت - لندن . من ١٣٦ - ١٣٨ .

قال « هناك طوائف كبيرة من الشعب تمقت السوفيت الى درجة انهم يودون انتصار هتلر على روسيا » .

وكان معظم الناس في أمريكا وغربي أوروبا مقتنعين بأن قوات هتلر سوف تقضى على روسيا في خلال ثلاثة أو ستة أسابيع على الأكثر ولذلك أخذت الانتصارات السوفيتية الغرب على غرة تماما . فقد كانت النتائج لا تطابق ما ظل يلقى للشعوب الغربية على مر السنين ، عن حقيقة الاتحاد السوفييتي والنظام السوفييتي ، وقد رأى الزعماء الغربيون ذوو النظرة البعيدة ، في انتصارات الاتحاد السوفييتي الظلال المرعبة لما سيأتي من أمور . وقد كتب فيلد مارشال سميتس خطابين الى ونستون تشرشل في خريف عام ١٩٤٣ ، مليئين بالندى الكثيرة لمستقبل النصر السوفييتي على القوات الألمانية وقال :

« ان جهودنا النسبية ، في البر غير ذى بال ، وسرعتها غير كافية » وأخذ الناس في كل مكان يعتقدون أن - روسيا هي التي تكسب الحرب - وبعد ذلك برز السؤال المؤلم :

إذا استمر هذا الانطباع فماذا سيكون مركزنا بعد الحرب إذا قورن بمركز روسيا ؟ . واستمر في «نبوءته» المشؤمة قائلا ؟ قد يتبع (انتصار روسيا على ألمانيا) تغيير « هائل في وضعنا العالمي ويترك روسيا سيدة العالم من الناحية الدبلوماسية » .

وقد أصر ستالين ، خلال العامين الأولين للتحالف الكبير ضد هتلر ، على وضع تسوية سياسية سرية بين شركاء النصر الكبار هذا النصر الذي لم يكن يشك فيه منذ البداية وكان يؤيد التوصل الى اتفاق سرى . يتم تأكيده فيما بعد ، في مؤتمر للصلح يترك التحالف قائما دون مساس حين تنتهي الضرورة التي تقضى بالاتحاد وبهزيمة العدو المشترك .

ان روزفلت عارض بشدة أية اتفاقيات سرية حينما تذكر المصير الذي آل اليه وودرو ولسون . ولكنه بذل جهودا مستمرة لإيجاد تعاون قوى مع الاتحاد السوفييتي . وقد وجد لدى مارشال ستالين استجابة أسرته واصابته بالدهشة

وفي المؤتمرات الكثيرة التي عقدت بين الزعماء الثلاثة كان تشرشل هو الذي يجادل في معظم الأحيان مع ستالين ، الذي وجد بدوره ان من السهل نسبيا الموافقة على معظم مقترحات روزفلت . وقد قال روزفلت لادجار سنو في ٣ من مارس عام ١٩٣٤ أن هناك كثيرا من نقاط الخلاف بين ستالين وتشرشل ولكنه « يوافق على كل اقتراح كنت اقدمه »

والواقع أن روزفلت كان عاكفا على وضع خطة كبيرة لازالة خوف

روسيا المزمّن من التطويق والعزلة اللذين تفرضهما أوروبا . وحينما مات كان هناك حزن ووجوم واضحان في الاتحاد السوفيتي . وأثنى مجلس السوفيت الأعلى ثناء حارا على روزفلت ، وبذلك خالف كل عرف سابق . وانتهى البيان الذي أصدره في الرابع والعشرين من إبريل عام ١٩٤٥ بالعبرة التالية : « فلنكن على يقين من أن الصداقة القائمة بين شعبينا ستظل صامدة » .

بيد أن وفاة روزفلت دمرت كل ما وضعه من أساس للتعاون الأمريكي - السوفيتي فيما بعد الحرب . والواقع أنه حينما نشبت الحرب الباردة بكل عنفوانها في السنوات التي تلت الحرب ، انتشرت أسطورة في الولايات المتحدة تقول بأن روزفلت المحتضر المخرف ، هو الذي نزل عن أوروبا الشرقية لستالين في مؤتمر يالتا .

وقد حدث أول انشقاق كبير بسبب القنبلة الذرية حيث كان الأمريكيون قد صنعوا القنبلة الذرية ، وقرروا لقاءها على اليابان في المراحل الأخيرة من الحرب في منطقة الباسيفيكي ، وإن لم يكن لقاء هذه القنبلة ضروريا من أجل النتائج العسكرية النهائية . وقد احتفظوا بهذه المعلومات دون علم الاتحاد السوفيتي . وكان هذا أول تسرب للسياسة النووية إلى تحالف زمن الحرب . وقد ظل الروس لا يكتثرون بالأمر لعدة سنوات ، وذهب المعلقون إلى الحد الذي قالوا فيه أن ستالين لا يعلق أية أهمية على القنبلة الذرية . ولكن الواقع أن ستالين كان يوليها كثيرا من الاهتمام . فقد كان يدرك تمام الإدراك كيف أن هذا السلاح المدرس المكتشف حديثا قد قوى شكينة الولايات المتحدة في حقن الحرب الباردة .

واخترقت الحرب الباردة الأسوار ، وذلك في مؤتمر دومبارتون أوكس الخاص بمنظمة الأمم المتحدة . فقد شعر الروس بالاذلال الشديد حينما تمت الموافقة على الأرجنتين كعضو مؤسس ، برغم اعتراضاتهم . وقد أدت الأرجنتين الدور القيادي في إبعاد الاتحاد السوفيتي عن عصبة الأمم . وتحولت إلى ما وصفه مستر كروديل هول بأنه « معقل ومقر الحركة الفاشية في نصف الكرة الغربي » .

وفي عام ١٩٤٥ و ١٩٤٦ استغلت الولايات المتحدة الدبلوماسية الذرية في تخويف الاتحاد السوفيتي في الوقت الذي اكتسحت فيه الولايات المتحدة موجة أخرى من الهستيريا المعادية للسوفيت . وفي مؤتمر موسكو في ديسمبر عام ١٩٤٥ ، لم يحصل بيرنز على أي تأييد من الزعماء السياسيين في الداخل ، من أجل بحث أية خطة للإشراف الدولي على الطاقة الذرية مع السوفيت . ويبدو أنه كان يتوقع أن

يشير الروس المسألة لكن الروس ظلوا على تجاهلهم المتعمد ، بل ان الاتفاقيات السياسية المحدودة التي تم التوصل اليها في مؤتمر موسكو سببت كثيرا من المعارضة في الولايات المتحدة ، ووصمت بأنها تهدة لروسيا وقد شكك بيرنز نفسه ، بمرارة ، من ان النقد قد جاء « من اناس معادين للسوفييت بطريقة غير معقولة ، حتى انهم ينظرون الى أى اتفاق حول أى موضوع باعتباره حركة تهدة » بل ان الرئيس ترومان لم يستسغ اتفاقيات موسكو . وقال للشعب الامريكى جهارا « لقد تعبنا من تدليل السوفييت » .

وليس صحيحا ان الاتحاد السوفيتى لم يكثرث مطلقا بالقنبلة الذرية ، فقد المح مستر مولوتوف ، في خطبة له في الذكرى الثامنة والعشرين لثورة اكتوبر ، الى جهود السوفييت لصنعها ، واستخدام الطاقة الذرية في التقدم الاقتصادى . وقال : « انه من المستحيل في الوقت الحالى ان يظل أى سر فنى كبير ، ملكا خالصا لبلد واحد او دائرة ضيقة من الدول . وحيث ان الامر كذلك ، فان اكتشاف الطاقة الذرية لاينبغى ان يشجع الرغبة على استغلال هذا الاكتشاف في لعبة القوى على مسرح السياسة الدولية ، او يشجع اتجاهها مفرقا في التفاؤل فيما يتعلق بمستقبل الدول المحبة للسلام ، اننا سنحصل على الطاقة الذرية واشياء أخرى كثيرة » .

وقد وصف البروفسور د . ف . فليمنج ، الكاتب الامريكى المرموق في حقل العلاقات الدولية ، هذه المرحلة في العلاقات الروسية الامريكية بأنها بداية الحرب الباردة . وقال : ان الغرب برفضه اقتسام اسرار القنبلة الذرية مع الاتحاد السوفيتى قد « دعا الروس الى الذهاب للمدرسة الذرية واثبات جدارتهم » .

ويعتقد بروفسور فليمنج ان الحرب الباردة قد نشبت رسميا يوم ١٥ من نوفمبر عام ١٩٤٥ حينما أصدرت الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا التصريح الثلاثى برفض تقديم أى أسرار عن القنبلة الى الاتحاد السوفيتى وبتأكيد قرارهم الذى يقول بأن افشاء معلومات مفصلة تتعلق بالتطبيق العملى للطاقة الذرية في المجال الصناعى (والعسكرى) لن يسهم في ايجاد ضمانات فعالة ونافذة من الجانب الاخر . ويرى البروفسور فليمنج ان التصريح « يشير الى البداية الرسمية للصراع العالمى بين الغرب والشرق » (١)

وحينما اجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة في لندن في يناير

(١) «الحرب الباردة وأصولها» المجلد الاول بقلم د.ف. فليمنج - لندن عام ١٩٦١

عام ١٩٤٦ لم تكن الحرب الباردة قد قامت وأخذت شكلها الذرى فحسب، بل كانت الدول الاستعمارية قد انطلقت لتستعيد ممتلكاتها التي كانت تملكها قبل الحرب في البحر المتوسط والشرق الاوسط وجنوب شرقى آسيا ، وكان الاتحاد السوفيتى غارقا حتى اذنيه فى شئون ايران . وكان البريطانيون يخوضون غمار الحرب الاهلية فى اليونان الى جانب الحكومة الملكية ، وكانوا يساعدون الهولنديين فى اندونيسيا ، وتدخل الفرنسيون فى سورية ولبنان ، على حين كانت الدول الغربية فى ايران تسعى بمساعدة الحكومة الايرانية الى ضمان انسحاب القوات السوفيتية على وجه السرعة نظرا للتطورات المقلقة فى اذربيجان .

غير ان الامم المتحدة قد نجحت عام ١٩٤٦ (على عكس ما حدث فى السنوات التالية) فى حل هذه الازمات . فانسحب الاتحاد السوفيتى من ايران بعد أن أدرك ، بعد أسابيع من المعارضة ، ان احتفاظه بقوات فى الاراضى الايرانية ضد مشيئة الحكومة الايرانية ، سوف يفضحه امام الدول الاسيوية ، واستخدم الاتحاد السوفيتى ، لأول مرة ، حق الفيتو فى مجلس الامن ليمنع الموافقة على قرار أمريكى يتعلق بأزمة الشرق الادنى ، وذلك كمحاولة منه لاثبات عواطفه المناهضة للاستعمار ، وكان هذا القرار يعبر فقط عن رغبة مجلس الامن فى انسحاب القوات المتحالفة من سورية ولبنان فى اقصر وقت ممكن دون الاشارة الى أى وقت محدد .

وهكذا طبق الاتحاد السوفيتى أول فيتو له فى مسألة لا تختص به مباشرة . غير أنه وضح الطريق الذى كانت ترسمه السياسات الروسية فيما يتعلق بالاقاليم المستعمرة وشبه المستعمرة فى العالم . وكانت الاصوات ضد الاتحاد السوفيتى فى جميع القضايا التى نظرت فيها الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٤٦ .

ووسط هذا الموقف الحرج - والجمعية العامة للامم المتحدة مازالت منعقدة - قام تشرشل برحلة الى الولايات المتحدة ليلقى خطبته الشهيرة فى فولتون بولاية ميسورى . وجازف بروفيسور فليمنج بالاعتقاد بأنه لو كان روزفلت حيا ، ما استطاع الزعيم البريطانى الذهاب الى امريكا على الاطلاق كى يعلن بداية الحرب الباردة وطبيعتها . وعلى حد قول بروفيسور فليمنج كانت الخطبة ظاهرة للعيان . والواقع أنها أوضحت تماما أصل الحرب الباردة وطبيعتها . وعلى حد قول بروفيسور فليمنج كانت الخطبة أول وثيقة سوف توضح أصول الحرب العالمية الثالثة اذا قدر لها القيام ، « فقد كانت خطبته (أى خطبة تشرشل) أول صورة مفصلة عن روسيا الحمراء التى تنطلق من أجل غزو العالم . وقدهيات هذه الخطبة ، التى يساندها بعد صوته بسبب أمجاده الحربية ، وسحر

شخصيته العظيمة - هيات الملايين الفيرة من جيله لغرض « نطاق صحى » ضخمة جديد حول روسيا ، وللقيام بحرب مقدسة عالمية لسحق الشيوعية العالمية باسم الديمقراطية الانجلو - سكسونية . واصبحت صيحة المعركة التى أعلنها تشرشل ، حرفيا ، انجيلا لكل تاجر حرب فى العالم ، فقد قالت كل ماكانوا يريدون قوله . وكان من الممكن استخدامها الى مالا نهاية ، وبطريقة فعالة يساندها فى ذلك اسم تشرشل الكبير « (١) »

وقد كانت الولايات المتحدة تحتكر ، فى ذلك الوقت ، القنبلة الذرية لنفسها . وقد استفلت هذه الميزة تماما فى شن الحرب الباردة فى اواخر الأربعينات . وقد فتحت الولايات المتحدة الطريق واقتفى الاتحاد السوفيتى اثرها ، بأمانة ، بمجرد ان استطاع ان يحرز نصرا فى انتاج الصواريخ النووية . ولقد ذكرنا من قبل فقرات من خطبة مولوتوف فى الذكرى الثامنة والعشرين لثورة اكتوبر ، التى استنكر فيها استغلال اكتشاف الطاقة الذرية فى اغراض الحرب الباردة . وقد كان من مصلحة الدول التى هى اقل قوة طول الفترة النووية من الحرب الباردة ، استغلال هذا النوع من الكلام الاجوف الذى تعبر به عن ولائها .

ولبس الروس مسوح الرهبان فى كلامهم الى أن لحقوا بالامريكيين فى ميدان الاسلحة النووية . وبمجرد أن أحرز الروس نصرا ، انتقلت التعبيرات نفسها الى أمريكا .

ووقعت الولايات المتحدة من جديد فى اواخر الاربعينات ، فى قبضة هستيريا معاداة السوفيت ومناهضة الشيوعية . وانضم السياسيون ، ورجال الصحافة ، وخبراء الراى العام ، والقادة العسكريون فى جبهة تردد التهديدات الذرية ضد روسيا . واصبحت بعض الاساليب مثل « هجوم ذرى خاطف » على الاتحاد السوفيتى تستخدم بحرية كبيرة . وبعد حصار برلين ، ناقش القادة العسكريون بصراحة احتمال شن « حرب ذرية وقائية » .

وقد لخص ميجور جورج فيلدنج اليوت ، المحرر العسكرى لجريدة النيويورك هيرالد تريبيون خلال الحرب ، الشعور السائد حينما أعلن فى كتابه « اذا ضربت روسيا » : « اننا لايمكن أن نسمح للحكومة السوفيتية الحالية بامتلاك القنبلة الذرية بالاضافة الى وسائل القاء هذه القنبلة فى أمريكا الشمالية » . وكانت هذه هى رغبة الشعب الامريكى بأكمله .

وقد تحطم الاحتكار الذرى الذى كانت تتمتع به الولايات المتحدة

(١) ، د.ف. فلمينج ، المصدر نفسه ٢٥٠

في أغسطس عام ١٩٤٩ حينما أصبحت القنبلة الذرية في حوزة الاتحاد السوفيتي . وفي الوقت نفسه وجدت الولايات المتحدة نفسها في قلب حملة مجموعة ضد الشيوعيين واكتشف بعض الشيوعيين في مؤسسات الطاقة الذرية ، وادى هذا الى وضع برنامج صارم لفرض ستر من السرية والحظر على العلماء على جميع المستويات .

وبحلول الخمسينات ظهر شبح المكارثية . وتعرض المثقفون لتهمة اعتناق أفكار هدامة ، غير أن حملة الارهاب التي أعقبت ذلك خلقت جوا من الخمود والركود في الجامعات والمعامل ، بل وفي الحكومة ، وكانت وزارة الدفاع هي التي تحكم . وكان مكتب التحقيقات الفيدرالي هو صاحب الكلمة الأخيرة في كثير من الأمور . وكان مذهب الأحرار المنهار الذي يعتنقه الحزب الديمقراطي يلفظ أنفاسه الأخيرة . وسيطر الجمهوريون على الكونجرس . وأصدر الرئيس ترومان أوامره بصنع القنبلة الهيدروجينية ، وكان ذلك تحت الضغط العسكري ، وضد نصيحة لجنة الطاقة الذرية . وابتدا دين اتشيسون وزير الخارجية في الحديث عن إقامة مراكز قوة ، وعن عدم اجراء مفاوضات مع الاتحاد السوفيتي بدافع من الضعف (١) .

(١) لم تبدل أى جهود منظمة وجادة في الولايات المتحدة لتفهم الدولة السوفيتية . فقد تضامن السياسيون ، والصحفيون والذين يشكلون الراى العام ، في رسم صورة غير حقيقية ومضللة للاتحاد السوفيتي . اما في الاتحاد السوفيتي فقد كانت تجرى دراسة أكاديمية كبيرة حول أمريكا ، وكان الرجل الروسي يحمل شيئا من اللين تجاه أمريكا . غير أن الحكام الروس قد تعودوا النظر الى أمريكا من خلال منظور النظرية الماركسية ، ولم يشرع الأمريكيون في تعديل وجهة نظرهم عن روسيا الا بعد ظهور الاقمار الصناعية والصواريخ العابرة للقارات . ومع ذلك فان مستر ريتشارد نيكسون رفض الاعتقاد بأن السوفيت قد أرسلوا صاروخا الى القمر ، ويقول مستر كينان : ان كثيرا من الأمريكيين لا يزالون يؤمنون أن ستالين لم يمت ، غير أن بعض الجهود الجادة قد بدأت ، بالفعل في أمريكا للتعرف على الاتحاد السوفيتي بطريقة أفضل . وقد ظهر البرنامج المد لموافقة المؤتمر الثاني والعشرين ، في صدر صفحات عدة من الجرائد اليومية الأمريكية البارزة ، ونشرت جريدة « النيويورك تايمز » النص بأكمله . وأجرى كثير من الصحفيين الأمريكيين الكبار مقابلات مطولة مع خروشوف ، ونشرت نتائج هذه المقابلات في جميع أنحاء الولايات المتحدة . وكانت أهم هذه المقابلات ، مقابلة وولتر ليبمان التي استعمل فيها الزعيم السوفيتي التعبير المتداول « ليس هناك رجل محايد » ، والمقابلة التي أجراها خروشوف مع مراسل صحيفة « النيويورك تايمز » حينما كانت أزمة برلين في ذروتها ، والتي استغرقت أربع ساعات ، وكانت المقابلات في عام ١٩٦١ ، وأصبحت بعض المؤلفات الأمريكية الحديثة عن الاتحاد السوفيتي والصين تتسم بطابع الصدق بشكل بارز .

وهكذا بدأت عملية التفاهم الفكرى وانه لن الدلائل الطيبة ان المثقفين الأمريكيين ومؤسسات البحث تقوم بدور ذى مغزى في هذه الجهود التي كانوا في حاجة ماسة اليها والتي جاءت في وقتها .

وقد حصل الاتحاد السوفيتى على القنبلة الهيدروجينية فى الوقت نفسه تقريبا مع الولايات المتحدة .

وقد ضاعف حصار برلين عام ١٩٤٨ من حدة الحرب الباردة فى أوروبا .

ولكنه أثبت أنه بالرغم من احتكار الولايات المتحدة للقنبلة الذرية فإن الوضع الراهن فى أوروبا فيما بعد الحرب ، لا يمكن قلبه دون حرب أخرى . غير أن التقديرات التى دفعت ستالين الى التعجيل بأزمة برلين هازالت غير معروفة ، فربما كان يريد أن يبين للدول الغربية أنه لم يكن خائفا من اختكارهم الذرى . بيد أنه كان يتعين عليه أن يكف عن هذا الأمر . وفشل الحصار ولم تتجرا الحكومة السوفيتية على التدخل فى الممر الجوى للحلفاء . وانتهت الأربعينات بحالة ركود فى أوروبا . غير أن انفجارا أساسيا لم يسبق له مثيل حدث فى آسيا ، فى منتصف القرن ، وأدخل الحرب الباردة الى آسيا . وظلت قائمة فى قارتنا منذ ذلك الوقت .

ففى عام ١٩٤٩ تحولت الصين الى الشيوعية . وانضمت أكبر دولة آسيوية ، يقطنها ربع سكان العالم ، الى المعسكر الشيوعى بزعامة الاتحاد السوفيتى . وكان ذلك بالنسبة لروسيا أكبر كسبا أكبر بكثير من القنبلة الهيدروجينية .

وبعد ذلك بعام اندلعت نيران الحرب الكورية . وحينما كانت هذه الحرب فى ذروتها ، أراد جنرال ماك آرثر استخدام القنابل الذرية لوضع نهاية مدمرة للحرب الكورية . وحينما فشل فى اقناع الحكومة بالموافقة على اقتراحه ، نقل المسألة الى الشعب الأمريكى . ونظم الجمهوريون دورة غير رسمية للكونجرس حيث قرئ خطاب أرسله ماك آرثر الى سناتور جمهورى . وقد أعلن الجنرال الباسل فى خطابه وهنا فى آسيا يكمن المكان الذى اختاره مؤيدو الشيوعية كى يلعبوا لعبتهم الرامية الى غزو العالم ، هنا نحارب معركة أوروبا بالأسلحة على حين لا يزال الدبلوماسيون هناك يخوضون غمارها بالكلمات . .

ولم يكن جنرال ماك آرثر يلقي القول على غواهنه ، فالواقع أن الحرب الكورية كانت بالنسبة له وللكثيرين غيره « معركة أوروبا التى يتم خوض غمارها بالأسلحة » .

غير أن آسيا لم تكن مستعدة لخوض غمار معركة أوروبا بالأسلحة . وساعد بيان جنرال ماك آرثر الدول الآسيوية على تفهم مغزى الحسب الكورية . وحثها على بذل الجهود من أجل وضع حد للحرب فى كوريا ولانهاؤها بأسرع ما يمكن وكما أشرنا من قبل ، ظهر أول تأثير لعدم الانحياز

كقوة دولية حول أزمة عالمية في أثناء الحرب الكورية . وكان الشعور الآسيوي قد ثار بالفعل بسبب القاء أول قنبلتين ذريتين على اليابان البلد الآسيوي ، وبسبب اجراء التجارب النووية في المناطق المجاورة للاراضي الآسيوية . وادرك الآسيويون الآن أن الدول الغربية ومنافسيها قد اختاروا جهة آسيوية أخرى لخوض غمار معركة أوروبا التي ليس لها أية علاقة بالمصالح الوطنية للبلاد غير الشيوعية . ولذلك كرسوا امكانياتهم الدبلوماسية من أجل سرعة تطويق الحرب الكورية ووضع نهاية مبكرة لها .

وباندلاع الحرب الكورية ، وجهت الحرب الباردة مسيرها نحو آسيا وتنحت المشاكل الأوروبية وهي مازالت خطيرة الى الصورة الخلفية . وسيطرت المسائل الآسيوية على العالم طوال الخمسينات ، وأخذت تهدد باندلاع حرب عالمية حول مشكلة جزر كيموي وماتسو في مضائق فورموزا . واندلع القتال على نطاق واسع في الهند الصينية . ولم يعد ممكنا للولايات المتحدة ، بعد تجربة كوريا ، أن تتدخل بالقوة في الهند الصينية . وكانت الحكومة راغبة في ذلك ، لكن حلفاءها ، وخاصة فرنسا ، اعترضوا على ذلك . ولم يمكن انقاذ الهند الصينية لتكون بجانب الدول الغربية .

وقد استطاعت الحرب في كوريا أن تضمن على الأقل العودة الى ما قبل الوضع الراهن ، بعد أن تكلفت الكثير ، بالإضافة الى كسب أرضي طفيف ليس له أهمية كبيرة . لكن الغرب خسر في الهند الصينية . ودخلت دولة أخرى تحت الحكم الشيوعي .

وكانت كارثة الهند الصينية هي التي أدت الى مؤتمر القمة عام ١٩٥٥ ، ويعتبر هذا المؤتمر جهدا سياسيا من جانب زعماء الحرب الباردة لتخفيف حدة التوتر والتوصل الى نظام للتعايش وفشلت الجهود ، وبفشلها انتهى المظهر الاول من مظاهر الحرب الباردة .

وفي المرحلة الثانية التي بدأت بعد ذلك بقليل ، دخلت عناصر جديدة كثيرة في علاقات الدول الكبرى . بيد أن الصورة الشاملة كانت صورة مبادرة وعدوان من جانب السوفييت ، وتردد ودفاع من جانب الغرب . ونفذ جون فوستر دالاس ، الذي أصبح وزيرا للخارجية في الحكومة الجمهورية التي يترأسها الرئيس ايزنهاور ، نفذ سياسة دين اتشيتسون الخاصة بـ «مراكز الثقل» ، وأقام سلسلة من التحالف العسكري مع أكثر من أربعين دولة في محاولة تطويق العالم الشيوعي . غير أن الاتحاد السوفيتي تمكن من اختراق هذا التطويق ، عسكريا واقتصاديا ، وذلك أن التطور المذهل في صناعة الصواريخ السوفيتية قد أبطل مفعول القواعد والتحذيرات العسكرية الغربية على نطاق واسع ، على حين كان

مفعول المعونة الخارجية السوفيتية المساوى في الضخامة يمثل منافسة خطيرة للولايات المتحدة .

وأصبح في امكان الاتحاد السوفيتي ، منذ عام ١٩٥٥ المحافظة على المبادرة في جميع الجبهات :

ففي المجال العسكري منحتة الاقمار الصناعية والصواريخ العابرة القارات تفوقا معترفا به . (وان كان محدودا) على الولايات المتحدة . وأخذ الاتحاد السوفيتي يوقف تجاربه على الاسلحة النووية ويستأنفها على حسب رغبته ، وبما يتناسب مع خطته الكبيرة المتعلقة بالحرب الباردة . واستطاع تخفيض قواته المسلحة ، والحد من تخفيضها برباطة الجاش نفسها ، تاركا بقية العالم يخمن دوافع هذا الامر . واستطاع ان يهاجم الدول الغربية ، دون هوادة ، من أجل سياستها الاستعمارية ، ساعيا الى التأثير على عقول الدول الحديثة الاستقلال التي زاحمت المجتمع العالمي بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٦٠ . كما استطاع ان يشن هجوما سلميا بعرضه عقد معاهدة صلح مدتها عشرون عاما مع الولايات المتحدة ، وأسقط طائرة نفثة امريكية وهي تحلق فوق الاراضي السوفيتية في مهمة تجسس . واستطاع مستر خروشوف ان يقوم بجولة في الولايات المتحدة ، وهدد - على حين كان يقوم بالزيارة - بالرحيل في الحال اذا لم تتوقف المظاهرات العدائية ، واستطاع ان يخلق روح كامب ديفيد ، وأن يحطم مؤتمر القمة في باريس ، وأن يخلق ازمة جديدة حول ألمانيا وبرلين بثقة كاملة في النفس .

وقد كانت هناك أمور كثيرة مسئولة عن هذا التحول الكبير في علاقات الدول ، وكانت التفيرات التي طرات على الاتحاد السوفيتي عقب وفاة ستالين هي أهم هذه الامور . ودخلت روح تحررية - وصفها الياهر ينبرج بابتهاج بأنها « ذوبان الجليد » - دخلت مسرح الاحداث السوفيتي . وازدهر العمل الخلاق الى حد كبير في المعامل ، والجامعات ، في المصنع والمزرعة . وما زال الصراع الداخلي في نطاق هيكل الزعامة السوفيتي يعتبر معضلة بالنسبة للعالم ، غير انها بالتأكيد لم توهن من صلابة بنيان النظام السوفيتي . واستطاع مستر خروشوف ان يدخل اصلاحات بعيدة المدى في الاقتصاد ، والنظام الاداري ، والزراعة ومنح العلماء والمثقفين قدرا كبيرا من الحرية (١) ووضعت علاقته مع الدول الشيوعية الاخرى على أساس جديد بعد ثورة المجر عام ١٩٥٦ .

(١) يقول مستر كينان الذي كان سفيرا لأمريكا في الاتحاد السوفيتي ، والذي كان يتمتع بنظرة وثيقة الى الشؤون السوفيتية ان نوعا من النظام البرلماني قد دخل الى بنيان الحزب الشيوعي السوفيتي .

وتم الاعتراف بحق كل دولة في البحث عن طريقها الخاص الذي يوصلها إلى الاشتراكية ، طالما أنه لم يتم الانحراف عن المبادئ الأساسية للعقيدة الماركسية اللينينية . وتمت الموافقة على زعامة الاتحاد السوفيتي للحركة الشيوعية الدولية . ولا شك أن تصدعا قد حدث داخل نطاق العائلة الشيوعية ، ولكنها كانت مثالب النمو ، والظهور الحتمي لقوة معادلة جديدة في نطاق العالم الشيوعي . فأصبحت الصين شريكا مساويا للاتحاد السوفيتي .

وبالرغم من جميع التقارير التي تشير إلى الخلافات القائمة بين الدولتين ، يقف التحالف الصيني الروسي أشد صمودا من التحالف القائم بين الدول الغربية .

ولم تقف البلاد غير المنحازة ، خلال مجرى الحرب الباردة هذه مكتوفة الأيدي . فقد استغلت كل فرصة سنحت لها ، لا لتبشر بالسلام فحسب وإنما لتتخذ خطوات ثابتة لتخفيف حدة التوتر الدولي ، ومساعدة الدول الكبرى على أن تفهم كل منها الأخرى ، والتوصل إلى مستويات واقعية لتمكن العالم من العيش والنضال في سلام . وقد منحت الحرب الكورية الدول غير المنحازة أول فرصة للعمل من أجل السلام ، ومكنها نجاح جهودها من أن تؤدي دورا أكبر خلال أزمة الهند الصينية . وسعت إلى مساعدة مؤتمر القمة في جنيف عام ١٩٥٥ على تحقيق بعض النتائج الحقيقية . وخلال الفوز الثلاثي لمصر ، ناضلت هذه البلاد ببسالة لوقف القتال ، وضمان انسحاب القوات الغازية واستعادة سيادة مصر واستقلالها .

ومرة أخرى كللت جهودها بالنجاح بفضل المعارضة الروسية - الأمريكية للفزو . وقبل ذلك استطاعت هذه الدول في باندونج أن تؤكد لأول مرة ، شخصية أفرو - آسيوية مجردة نوعا . وفي أواخر الخمسينات قامت الدول غير المنحازة بحملة من أجل وقف التجارب على الأسلحة النووية ، ورحبت بالتأجيل التلقائي لهذه التجارب الذي وافقت عليه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، كما رحبت هذه الدول باتفاق خروشف - ايزنهاور عام ١٩٥٩ على زيارة كل منهما لبلد الآخر ، وشعرت بالفبطة حينما قام رئيس الوزراء السوفيتي برحلته إلى أمريكا ، وحيث روح كامب ديفيد ، وروعت حينما انهار مؤتمر القمة في باريس . واجتمعت تلك الدول في قوة كبيرة في نيويورك لحضور الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، وسعت بكل ما أوتيت من قوة ، وإن كان بدون جدوى ، للجمع بين الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء السوفيتي من جديد لتخفيف حدة التوتر العالمي (١) .

(١) تنبع الازمة الدولية الراهنه الى حد كبير من حقيقة أن ضرورة التماسيح لم تقبلها بعد الدول الكبرى . فقد كان الاتحاد السوفيتي يدعو جهارا الى التماسيح ، =

وقد ناقشنا من قبل ، أسباب نجاح السوفيت في استغلال شعور الدول غير المنحازة والمناهضة للاستعمار . فقد كان طبيعيا أن تجعل التجارب الاستعمارية التي عانت منها شعوب افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية - أن تجعل هذه الشعوب في غاية الحساسية نحو الاستعمار . وتعتبر الدول التي تعاني من السيطرة الأجنبية ، سياسية أم اقتصادية على وجه الخصوص ، تعتبر المسائل العالمية الأخرى غير ذي أهمية ، نسبيا ، في مواجهة مشكلتها المباشرة المتعلقة بتحريرها من السيطرة الأجنبية . واستمرت مشكلة الاستعمار في كونها سور الصين الذي يفصل بين المجموعة الأفر - آسيوية ، والدول الغربية ، وبرغم أن هذه المشكلة أخذت في الاختفاء ، فإنها أبعد ما تكون عن الانتهاء . وما زالت افريقية تعتبرها المشكلة « رقم واحد » وطالما ظلت الجزائر مكبلة ، وظلت أنجولا وموزامبيق في القيد ، وجنوب افريقية ، واتحاد وسط افريقية معملا للكراهية والعداء العنصرى ، فإن من العبث أن نتوقع من الشعوب الأفريقية أن تحول أذهانها عن المشكلة العاجلة النابعة من السيطرة الأجنبية . وحيث أن هذه السيطرة لا تأتي الا من الكتلة الغربية ، فإنها ليس في وضع يسمح لها بعد ، بتقدير الاخطار الماكرة للحكم الشيوعى .

وكانت الدول الأفرو - آسيوية ، في الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٦٠ ، تمثل نصف المجتمع الدولى تقريبا ، واثاح لهم هذا ، الشعور بقوة لم يسبق لها مثيل ، كما أنه جعلهم يدركون نقاط ضعفهم . وقد جعلت أزمة الكونفو الحرب الباردة تدخل الى قلب افريقية ، وظهرت تجمعات عدة من الدول في القارة الافريقية . وانطلقت كلتا الدولتين الكبيرتين الى خطب ود الدول الحديثة في افريقية ، وكانت كثير من هذه الدول لاتزال فى ظل أشكال مختلفة من النفوذ الغربى ، بل انه حينما كانت دولة افريقية حديثة التحرر تنجذب ، من تلقاء نفسها نحو عدم الانحياز ، في عدد من المسائل المعينة ، فإنها كانت

غير أن الشروط التي يستعد على أساسها للتعايش مع النظام الراسمالى لم تعلن بعد . ومطالب السوفيت من الدول الغربية كثيرة لدرجة أن موافقتها الشاملة عليها سيؤدي الى تصفية المراكز الغربية في جميع أنحاء العالم . ووجهة النظر السائدة في الولايات المتحدة ، حتى الآن هي المعارضة الشاملة للنظام الشيوعى . وتستطيع الدول غير المنحازة وهي تدعو الى التعايش ، أن تساعد فحسب في عملية التوصل الى قاعدة عامة تستطيع الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة أن تعيش على أساسها بعضها مع بعض دول حرب شاملة . ويتعين أن يتم التوصل الى الأساس الحقيقى للتعايش من جانب الدول الكبرى . وقد اعترف حتى بعض الكتاب عن الحرب الباردة أمثال وليهيلم ج. جرو ، خبير الشؤون الخارجية بألمانيا الغربية ، بأن الغرب لم يتوصل بعد الى « فلسفته الخاصة المتبعة حول التعايش مع الاتحاد السوفيتى » .

تتجه الى الميل الى الجانب الغربى ، ومن ناحية أخرى نجد أن مشكلة الاستعمار قد ربطت بين البلدان الافريقية والآسيوية داخل قوة تجريدية غير محدودة ، ومع ذلك فإنها تعمل على توحيد الصفوف وقد ألقت الرعب فى نفوس الغرب ، غير أنها أثلجت صدور الزعماء الشيوعيين .

وفى افريقية كانت المشكلة الملحة هى كيفية منع المستعمرين من الدخول من الباب الخلفى لاستعادة ماضطروا الى تسليمه فى مواجهة الكفاح الشعبى المنتصر من أجل الحرية . وادرك الزعماء الافريقيون المسئولون أن التصريح الرسمى بالاستقلال ليس كافيا ، فان الدول الاستعمارية تستطيع ان ارادت ، القضاء على استقلالهم عن طريق التدخل المباشر وغير المباشر . وكانت الحاجة ماسة الى القوة ، تلك القوة التى كان الافتقار اليها شديدا . ومن أجل حماية استقلال الدول الحديثة التحرر ، واضفاء مضمون اقتصادى ايجابى عليها تم الشروع فى السعى الى تغطية ضعف الدول بمفردها عن طريق التجمعات الافريقية الموحدة ، بيد أنه حتى فى هذا الوضع استطاعت الدول الاستعمارية القديمة ومؤيدوها خلق كثير من الخلافات والشقاق .

وكان عام ١٩٦٠ ، عام قوة لم يسبق له مثيل ، وضعف مؤسف للمجموعة الافرو - آسيوية : ففى الكونغو لم يتمكنوا من حماية استقلال البلاد ووحدتها أو حتى انقاذ حياة باتريس لومومبا ، ففى ساعة اليقظة نفسها فى افريقية ، اندلعت الخلافات بين الدول الافريقية نفسها . وعرضت القارة لمناورات الدول الكبرى . وكان الاتحاد السوفيتى برفعه شعار السكرتارية « الثلاثية » يعطى البلاد غير المنحازة وضع قوة منظمة ثالثة ، وهو الوضع الذى كانت هى نفسها عازفة عن اعلانه . وكانت الحكومة الديمقراطية الجديدة فى الولايات المتحدة تواقا الى جذب تأييدها - أى دول عدم الانحياز - ولذلك كان الوقت ساعة اهتمام بها . بيد أنه كانت هناك ، فى الوقت نفسه أخطار ونقاط ضعف جديدة تهدد من وضعها ، وكانت هذه الدول عاجزة الى حد كبير عن ممارسة نفوذها الذى كان قاب قوسين أو أدنى منها .

ومع ذلك فان الحقيقة المتمثلة نفسها فى أن الدول الافرو - آسيوية قد أصبحت تسيطر على الجمعية العالمية . اثمرت نتائج ايجابية فى الصلات الدولية . وفى الشهور الاولى من عام ١٩٦١ كانت حكومة الولايات المتحدة تتحسس بحذر من أجل ايجاد حل لمشكلة الكونغو ، تقبله أغلبية الدول الافريقية . وواجه الرئيس كنيدي مستر خروشوف فى فينا . وعلى الرغم من أن الزعيمين قد افترقا وهما يدركان ادراكا راسخا للهوة السحيقة القائمة بينهما ، بدأ مؤتمر دولى لتسوية مشكلة لاوس فى جنيف . وأدى فشل الغزو الذى تسانده أمريكا لكوبا الى ادخال

تعديلات جديدة على سياسة نصف الكرة الغربى ، فى دوائر واشنطن العليا . ولم توهن نتائج الاحداث المتجمعة فى الكونغرس ، ولاوس ، وكوبا لن توهن تماما من عزم دول العالم الحديثة . فقد اتاحت لها هذه الاحداث فرصا لم يسبق لها مثيل كى تؤدي دورا فى الشؤون العالمية ، هذا الدور الذى ظلت تود أن تؤديه منذ سنين طويلة وهو : تطويق الحرب الباردة ، والاسراع بعملية التغير السلمى فى الصلات الدولية ، ومساعدة العالم على العيش فى سلام (١) .

وفى ربيع عام ١٩٦١ رأى بعض زعماء الدول غير المنحازة أنه من الضرورى ، فى مواجهة الدورة السنوية القادمة للجمعية العامة للأمم

(١) بدت الولايات المتحدة ، قرب نهاية عام ١٩٦١ ، وقد وطلت نفسها على حيا لاوس تحت رئاسة الامير سوفانا فوما كرئيس للوزراء . وان لم يندلع القتال من جديد فى الاسابيع القليلة التالية ، فمن المحتمل تأليف حكومة اتحاد وطنى يؤدي فيها باتيت لاو دورا كبيرا ، قبل نهاية العام . غير أن أزمة جديدة تأخذ فى الظهور الآن فى فيتنام الجنوبية حيث يتعرض الحكم الدكتاتورى بزعامة الرئيس ديم لضغط عسكرى شديد من جانب قوات حزب العصابات التى يقال ان فيتنام الشمالية تمدها بالسلاح . وكانت الولايات المتحدة تفكر فى مسألة تقديم مساعدات لقوات ديم ، بيد أن انزال القوات الامريكية فى فيتنام الجنوبية لن يؤدي الى دعوة الصينيين الى اتخاذ اجراء مضاد مشابه مما يؤدي الى خلق كوريا جديدة فى منطقة الهند الصينية الاستراتيجية ولو تطور مثل هذا الحادث المؤسف ، فمن المحتمل أن تعاني الولايات المتحدة من نكسة أخرى فى النهاية ، وذلك لان الراى العام الآسيوى ضد التدخل العسكرى الاجنبى فى آسيا على طول الخط ، ولان ميزان القوى فى منطقة جنوب شرقى آسيا عامة قد تحول بعيدا عن زعامة امريكا .

وهناك بعض التحركات السرية التى تسير قدما من خلف ستار العدوان الظاهري ، من اجل اعادة الموقف فى شرق وجنوب شرقى آسيا الى حالته الطبيعية . ويسود الاعتقاد بأن الرئيس كنيدي شخصيا ، يؤيد ترك الصين تحتل مقعدها فى الامم المتحدة بيد أن الراى العام الامريكى يقف فى الوقت الحالى صامدا ضد أى تقارب صينى امريكى . ولكن عندما تستعيد الصين مقعدها ، سيظهر تلقائيا ، موقف جديد فى الامم المتحدة ، وحينئذ سيتعين على واضعى السياسة الامريكية أن يسعوا الى عقد اتفاق للتعايش فى سلام مع الصين وفى خريف عام ١٩٦١ اقترح شن بى وزير الخارجية الصينى ، بحذر ، عقد اجتماع بين وزيرى خارجية البلدين ورفضت واشنطن الاقتراح ولكنها أسرمت لتضيف أن الاتصالات المحدودة القائمة مع الصين فى وارسو وجنيف سوف تستمر .

اما أزمة امريكا الحقيقية ففى امريكا الجنوبية . فان امريكا اللاتينية هى التى تدمم الى حد كبير من اقتصاد امريكا الشمالية المورس . ومن المتوقع حدوث تطورات كبيرة فى امريكا الجنوبية فى العامين أو الثلاثة القادمة حيث ستتحذ زعامة الشمال السياسية والاقتصادية . وسيتم تكريس جهود امريكا السياسية بقوة للمحافظة على زعامة نصف الكرة الغربى ، وفى هذه اللحظة توضع ملامح سياسة جديدة تجاه امريكا اللاتينية . ولسوء الحظ أن الاهمية قد وضعت من جديد حول السلاح ، ولكن ليس هناك امريكى واحد يلح فى وضع برنامج تحررى ينص على المساواة الديمقراطية .

المتحدة ، السعى الى تصنيف مكاسب دول عدم الانحياز وخسائرها في الموقف الدولي الجديد ، وتكوين جبهة متحدة في مواجهة مسائل العالم الملحة . ومن هذا الشعور ، ولد مؤتمر بلجراد لزعماء الدول غير المنحازة في الاول من سبتمبر عام ١٩٦١ . وكان الرئيس ناصر والرئيس تيتو يساندهما الرئيس سوكارنو والرئيس نكروما ، والرئيس كيتا ، ومستر نهرو هما الداعيين الى هذا المؤتمر ، وحينما وضعت خطة المؤتمر ، كانت المشكلة الرئيسية التي واجهت زعماء عدم الانحياز هي الطريقة التي يستطيعون بها التأثير على عملية تحول العالم دون صدام عنيف وبأسلوب آخر كيف يضمنون تحرير الاقاليم التي مازالت تعاني من الاستعمار ، ودعم استقلال الدول الحديثة في جو من التعاون الدولي . وكان يتعين ان يتم التحكم بعناية ، واصلاح الضعف الذي تعرضت له دول عدم الانحياز في الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ان كان ذلك ممكنا . كما كانت هناك منافسة من أجل الزعامة في افريقية بين مجموعتين أو ثلاث من دول افريقية ، وكان من الطبيعي أن تسعى مجموعة الدار البيضاء التي يتزعمها دكتور نكروما ، والرئيس ناصر ، ومستر كيتا وآخرون ، لفرض زعامتها . وقد خلقت الحكومة السوفيتية باصرارها على مبدأ « الثلاثية » في السكرتارية ، فرصا جديدة أمام دول عدم الانحياز لتأكيد حقها في المنظمة العالمية . وبينما كانت أغلبية هذه الدول غير مستعدة لتأييد اقتراح « الثلاثية » لم تخف عليها الفرص التي يقدمها هذا الاقتراح . وبالإضافة الى ذلك ، اتفقت مع الاتحاد السوفيتي على أن الاستعمار الغربي قد دخل مرحلة حرجية ، وشكلت الأحداث العنيفة في الكونغو وفي أنجولا والمستعمرات البرتغالية الأخرى . والاضطراب الشديد في افريقية الشرقية والوسطى البريطانية ، وحمى الثورة المتزايدة في جنوب افريقية ، بالإضافة الى رياح الثورة التي تكتسح أمريكا اللاتينية ، شكل كل ذلك دلائل على قرب حدوث عاصفة هائلة ، عاصفة قد تكون مدمرة اذا اطلق لها العنان .

وفي لحظة القوة والاهمية هذه التي بدأت تشعر بها هذه الدول ، وجدت من الضروري تعريف عدم الانحياز ، أو على الأقل وضع بعض المعايير المعينة التي يمكن الحكم عليه عن طريقها . ولم يكن هناك ، حتى الآن أية محاولة لتعريف هذه الفلسفة . فلقد ظهر عدم الانحياز نتيجة طبيعية للحرب الباردة . لقد كان ، الى حد كبير اتجاهها فكريا ، وفلسفة دولية تجريدية ، تجفل عن أي تعريف دقيق . بيد أن قناطر المعالم فاضت بالكثير من المياه منذ أن شرعت الهند في حرث أخدودها الوحيد في أواخر الأربعينات . وأصبح عدم الانحياز الآن ، يحظى بولاء أكثر من ثلاثين دولة وله مؤيدة في جميع أنحاء العالم ، ولم يعد ممكنا تركه مجرد احساس أو مجرد فكرة ، لأن له دورا يتعين عليه أن يؤديه في

شئون الدول ، وهو دور « العامل المساعد » من أجل الاسراع بتحويل المجتمع القديم الى مجتمع حديث يعتمد على بعض القيم الايجابية . وكانت الدول الاجنبية تتخبط حول تعريف مضمون واهداف عدم الانحياز . وكان عدم الانحياز يعتبر في الولايات المتحدة مرادفا للحياد ، وهو تعبير تستنكره جميع الدول غير المنحازة . فلم يكن احد منها مجابدا ، أو يود أن يكون كذلك في مسائل العالم المشتعلة ، والتي تتضمن السلام أو الحرب ، الحرية أو العبودية ، التقدم أو الركود .

وقد عبرت بعض الدول الحديثة التحرر نفسها عن اتباعها انطباعات عدم الانحياز ، بيد أنها كانت تتجه الى الانحياز نحو الدول الغربية ، وحينما قدر لعدم الانحياز أن يؤدي دورا دوليا حيويا ، لم يكن مسموحا تقريبا بهذا الشكل من التضارب الشديد ، وفي المؤتمر التحضيري لمثل دول عدم الانحياز الذي عقد في القاهرة في شهر أبريل ، ثارت بعض الخلافات حول مجال وطريقة تكوين مؤتمر القمة المقترح في بلغراد . غير أن الصحافة الغربية قد ضحمت من هذه الخلافات لاغراض مفهومة ، فان ظهور عدم الانحياز كقوة دولية فعالة لا يمكن استساغته في أي من المعسكرين ، فإذا كانت الدول الغربية أكثر حساسية منه . فان ذلك لأنها شعرت بأن عدم الانحياز قوة مناهضة للاستعمار في الأساس وأنه كلما قوى معسكر الدول غير المنحازة ، ضعفت المصالح الاقتصادية والسياسية الخاصة بالدول الغربية في آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية .

ولم تكن الخلافات في القاهرة خطيرة . فبينما كان ناصر وتيتو يرغبان في قصر مؤتمر بلغراد على الدول التي اتبعت بعض المبادئ المحدودة التي تمثل عدم الانحياز ، كانت الهند ترغب في تفسير عدم الانحياز بطريقة أكثر تحررا حتى لا يتحول الى قاعدة جامدة ، وحتى يمكنه الانتشار الى مزيد من الدول . وكان الداعون الأفريقيون أيضا يرون أنه يتعين على مؤتمر بلغراد أن يناقش بعض المشاكل الإقليمية الخاصة مثل حق المغرب في موريتانيا وحق اندونيسيا في إيريان الغربية ، وشعرت الهند من ناحية أخرى أنه يتعين عليها أن تهتم بالمشاكل العامة الخاصة بالحرب والسلام ، والحرية والتحرر ، والتقدم الاقتصادي . وتم الوصول بسهولة الى تسوية للموضوع ، فبينما تم استبعاد بعض المسائل الجدلية الخاصة ، وضعت المسائل الكبرى مثل الجزائر وفلسطين والكونغو في جدول الأعمال حيث أن هذه المسائل كانت ترمز الى المشاكل العامة .

ووضع المؤتمر التحضيري في القاهرة خمسة معايير يتم على أساسها الحكم على دولة ما اذا كانت تعتبر غير منحازة أو لا . وكان هذا تطورا كبيرا في عدم الانحياز . وتقرر أن الدولة غير المنحازة هي الدولة

التي يتعين عليها أن تتبع سياسة مستقلة للتعايش بين الدول ذات النظم السياسية والاجتماعية المختلفة. ويتعين عليها أن تساند باستمرار حركة الاستقلال الوطني ، وينبغي ألا تكون عضواً في تحالف عسكري متعدد الجوانب يدخل في نطاق سياسة الدول الكبرى ، وإذا كان لديها اتفاق ثنائي مع دولة كبيرة ، أو عضو في حلف دفاعي إقليمي ، فإنه يتعين ألا تكون الاتفاقية أو الحلف وقع عن عمد في نطاق الحرب الباردة ، وإذا كانت قد نزلت عن قواعد عسكرية لدولة أجنبية فيتعين ألا يكون الامتياز قد تم في نطاق الحرب الباردة .

وكانت هذه محاولة لتعريف عدم الانحياز ، ووضع معيار معين للحكم عليه ، وإية دراسة لهذه المعايير الخمسة تبين أن عدم الانحياز فلسفة إيجابية ، بشكل أساسي ، يعكس الحياد الذي يعني تقبل الأمور كما هي . وجعلت المعايير الخمسة من عدم الانحياز قوة تقف في مواجهة الحرب الباردة ، وقوة من أجل خلق نظام عالمي جديد يعتمد على استقلال الدول ، وسيادتها ومساواتها دون قيد .

وفي مؤتمر القمة ببلفراد أوضح المشرفون على المؤتمر أهداف عدم الانحياز بالتفصيل . وكان أبلغ تعريف هو التعريف الذي قدمه الرئيس سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا حيث قال :

« ان عدم الانحياز لا يعني التحول الى دولة حائزة بين الكتلتين العملاقتين ، وإنما عدم الانحياز تكاتف فعال من أجل الاستقلال والسعي وراء السلام ، والعدالة الاجتماعية . اننا نناضل من أجل ارساء أساس سريع لتوازن وطيد جديد ، فماذا نعني بقولنا : توازن وطيد جديد ؟ . انه يعني أنه ينبغي أن تصبح جميع الدول مستقلة ، وأن تحصل جميع الدول على الحرية في إقامة أسسها القومية ، السياسية والاقتصادية والثقافية .

ونحن نريد أن نقول انه ينبغي أن تكون جميع الدول حرة في تنظيم علاقاتها الدولية وفق ما يتراءى لها ، معتمدة على مبادئ المساواة ، والعدالة ، والمنفعة المتبادلة .

ونريد أن نقول ان أية دولة لن تتدخل في كفاح أية دولة أخرى . ولن تحاول أية قوة أن ترغم أية دولة أخرى على تغيير ايدولوجيتها . وفي كل قضية كان أساس التوتر الدولي يكمن في الاستعمار والتوسع والتقسيم الإجباري للدول . وقد أثبت التاريخ في الماضي ، وحقائق الحاضر أنه من الممكن تعايش النظم الاجتماعية المختلفة جنباً الى جنب ، ولكن لا يمكن أن يكون التعايش بين الاستقلال والعدالة من جانب والتوسع والاستعمار من جانب آخر . اننا نود المحافظة على الاستقلال الذي

حصلنا عليه بعد توضيحات كبيرة للغاية . وعلينا ، نحن دول عدم الانحياز
فى العالم ، وقد ادركنا وتقبلنا حقيقة الدول الناشئة ، علينا واجب
محتم بأن نظفر بموافقة الشعوب والدول الاخرى وأن نخبرها بصراحة
انها لا تستطيع التقدم على حساب ملايين من الشعوب المهزومة .

وفى الوقت الذى عقد فيه مؤتمر القمة فى بلغراد ، كانت أزمة
برلين قد تأججت مهددة العالم بحرب نووية وكانت كلتا الكتلتين تقوم
بإستعدادات ومناورات عسكرية ؛ وجازفت أوروبا بالوقوف على حافة
الهاوية . وقام مستر نهرو ، كأكبر سياسى للدول غير المنحازة منا ،
وكأب روى لعدم الانحياز ، قام بدور رئيسى فى اقناع المؤتمر بمنح
الاولوية المطلقة للمسألة الخاصة بالحرب والسلام التى تتضاءل أمامها
المسائل الاخرى ، كما أشار بذلك مستر نهرو . وفى عشية المؤتمر ،
استأنف الاتحاد السوفيتى ، وحده ، التجارب على الاسلحة النووية فى
الجو . وكان لهذا الأمر تأثير مروع على مؤتمر عدم الانحياز ، وسلطت
الأضواء بطريقة أكثر إثارة على الخطر الذى يهدد الجنس البشرى .

وأصدر المؤتمر نداء للسلام موجهًا الى الولايات المتحدة والاتحاد
السوفيتى . وقد حمل بعض الشخصيات الكبيرة فى مؤتمر القمة
ببلغراد النداء بأنفسهم الى موسكو وواشنطن ، فسلم مستر نهرو ،
ودكتور نكروما الرسالة الى خروشوف فى الكرملين . على حين سلمها
الرئيس سوكارنو والرئيس كيتا الى الرئيس كنيدي فى واشنطن .
وبعكس ما كانت عليه الحال عام ١٩٦٠ ، لم يستطع زعيما الدولتين
الكبيرتين أن يديرا ظهوريهما لنداء الدول غير المنحازة ، الذى يدعو الى
تخفيف حدة التوتر وتسوية المنازعات دون اللجوء الى الحرب . واجتمع
كل من مستر خروشوف والرئيس كنيدي بالزعماء غير المنحازين ،
وأجابا على النداء ببعض التفصيل وبدون اضاءة للوقت . وفى لحظة
من لحظات الأزمة العميقة ، أظهرت الدولتان الكبيرتان ، وهما متورطتان
فى نزال متكافئ ، يستحيل فيه النصر لآى من الجانبين ، أظهرتا
حرصهما على استقلال الجسر الذى أقامه مؤتمر بلغراد (١) .

(١) * أسهم مؤتمر بلغراد ، بطريقة غير مباشرة ، فى تقديم حل نهائى لمشكلتى ألمانيا
وبرلين وذلك أولا :

عن طريق حث الكتلتين الكبيرتين على التفاوض ، وثانيا :

بإظهار أن مددا كبيرا تقريبا من الدول الإفرو - آسيوية يميل الى مواجهة الحقيقة،
وتقبل التقسيم السياسى لألمانيا الى دولتين كحقيقة كريهة ولكنها غير قابلة للتغيير فى
الوقت الراهن على الأقل وجعل هذا الدول الغربية تدرك أنها اذا عرضت المشكلة الألمانية
على الأمم المتحدة ، فان الاغلبية قد تصوت فى مصلحة الاعتراف بالحدود السياسية
للقائمة فى ألمانيا ، وفى أوروبا الشرقية أيضا . وظهرت حكومة الولايات المتحدة فى خريف =

وحاول المعلقون الغربيون أن يفسروا مؤتمر بلغراد بأنه انتصار للاعتدال الذي كان يدعو اليه نهرو . وتم تفسير بيسان رئيس الوزراء الهندي الذي يقول فيه ان مشكلة الحرب والسلام قد غطت على جميع المشاكل الاخرى بما فيها من الاستعمار ، تم تفسيره على أنه يعنى أن الهند أعادت النظر فى مشكلة الاستعمار وأنها غير مستعدة أن تمنحها الاولوية التى يوليها اياها الزعماء الافريقيون . غير أن هذا ، فى الواقع ، كان تفسيراً خاطئاً لما حدث فى بلغراد . فقد كان مؤتمر القمة فى بلغراد ينطوى على خلافاته الخاصة ، حيث أنه لا بد أن تكون هناك خلافات بين الدول الغيور على استقلالها . بيد أنه لم يكن هناك أى خلاف حول ضخمة المشكلة الاستعمارية .

وقد دعا التصريح الذى أعلنه مؤتمر القمة فى بلغراد الى اقامة نظام دولى جديد يعتمد على التصفية السريعة للاستعمار . فان عملية التحرير التى بدأت طلائعها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ووصلت الى اوج مجدها . وكانت بقايا الاستعمار مجرد خطأ فى تسلسل سير التاريخ لم يعد فى الامكان تحمله . وما يزال الاستعمار قوة مدمرة حتى الآن . فقد لقي آلاف من الافريقيين مصرعهم أو فوّى طريقهم الى ذلك فى انجولا والمستعمرات البرتغالية الاخرى ، وكانت هناك مناطق مضطربة كثيرة فى العالم تتضل جميعا بالمشكلة الاستعمارية .

وفى الجزائر ما زالت الحرب التى اندلعت منذ نحو سبع سنوات مستمرة الى الآن (١) . واستمرت مشكلة لاوس تأبى أى حل ، وأخذت فيتنام الجنوبية تدخل مرحلة حرجة . وينتظر مليون لاجئ فلسطينى عاجزون ، فرصة تتيح لهم العودة الى ديارهم ، واستمر الخطر يحيق بوحدة الكونغو ، واستمرت مقاطعة كاتانجا الانفصالية فى تلقى التأييد المعنوى والمادى من دول تملك مصالح وطيدة فى مواردها الفنية من النحاس واليورانيوم ، وسادت التفرقة العنصرية بأسوأ صورها ، فى جنوب افريقية واتحاد أواسط افريقية . واجتاحت حمى الثورة العميقة أمريكا اللاتينية بدولها وشعوبها التى ترغب فى تأكيد حقوقها فى مواردها الطبيعية . وترسم جميع هذه العوامل وغيرها صورة لعالم متقدم كثيراً فى عملية التحول . وكان المجتمع العالمى (الامم المتحدة)

= عام ١٩٦١ وقد وطدت نفسها على الاعتراف الدولى بدولتى ألمانيا . وخفف خروشوف من الازمة التى كان قد أثارها فى نهاية العام حول عقد معاهدة صلح ألمانية . وبرغم انه ما زالت هناك بعض الصعوبات التى ينبغى التغلب عليها ، قبل التوصل الى اتفاق حول ألمانيا وبرلين ، فان ملامح التقارب المحتم ظهرت واضحة : وهى الموافقة على تقسيم ألمانيا وضمنان دولى لحقوق الغرب فى برلين الغربية .

(١) حصلت الجزائر على استقلالها فى أوائل عام ١٩٦٢ (المرحم) .

يتكون من مائة وثلاث دول فى عام ١٩٦١ ، كان حوالى النصف منها ينتمى الى آسيا وأفريقية . وكان العالم يتحرك فى اتجاه نظام جديد يفرض المساواة والكرامة بين الدول . ويمكن أن تكون عملية التحول سلمية أو عنيفة وتريدها دول عدم الانحياز أن تكون سلمية لكن الأمر لا يعتمد عليها وحدها . ذلك أنه يعتمد على مدى استعداد الدول الاستعمارية ، على تقبل مقتضيات الزمن المتغير ، وتركها بكرامتها ، الامتيازات ومراكز القوى التى ظلت تتمتع بها ردحا من الزمن .

وتناضل دول عدم الانحياز من أجل إقامة نظام جديد يعترف فيه بكرامتها ومساواتها وحريتها ، ليس كشعارات ونداءات وإنما كحقائق راسخة ومحترمة . ولم تكن الحرب الباردة بالنسبة لها شرا خالصا . ذلك أنها ساعدت عملية التغير . فقد كان التدهور الذى حل بالدول الأوروبية ، وظهور الكتلة الشيوعية كمنافسة للكتلة الرأسمالية بزعامة الولايات المتحدة سببا فى الإسراع بخطى التحول . فقد أصبح لدى الدول الحديثة الاستقلال مصدر بديل لطلب المساعدة السياسية والاقتصادية ، ولم تعد تحت رحمة مجموعة واحدة من الدول . فقد تمكنت فى الحقبة التى تلت الحرب العالمية الثانية من أن تفرض نفسها على تيار الأحداث العالمية كقوة فعالة فى مصلحة الحرية والسلام والبناء الاقتصادى فى ثلثى العالم ، فى جو سلمى خلاق .

وكان هذا الموقف المعقد ينطوى على كثير من المتناقضات . فزعماء الدول غير المنحازة يمقتون الشيوعية . وكان هؤلاء الزعماء برجوازيين بحكم المولد والتقاليد والعرف ، وكانت المجتمعات التى يرغبون فى خلقها مجتمعات برجوازية تنادى بالمساواة . ولذلك فإنها تشترك مع الدول الغربية فى مجموعة كبيرة من القيم . ومع ذلك كانت هذه الدول فى صدام مستمر مع الغرب ، وأعطت الدول الغربية انطبعا بأنها عازمة على تحطيم مصالحها - أى الدول الغربية - العالمية . وكان النزاع يدور حول الحكم الاستعمارى وحول السيطرة الأجنبية على الموارد الطبيعية للمستعمرات السابقة . وقد حدث الصدام بين الدول الجديدة والغرب لأنه كان ، ولا يزال ، يمارس النمط التقليدى من الاستعمار فى أفريقية وأمريكا اللاتينية وآسيا ، وحيثما كانت بعض الدول مثل بريطانيا ، قادرة على الاستجابة فى الوقت المناسب ، وبطريقة كريمة ، لأماني الزعماء البورجوازيين الوطنيين ، كانت العلاقات بين الدول الآسيوية والأفريقية والدول الأوروبية ، طيبة على وجه العموم ، لكن الأمر لم يخل تماما من بعض الأزمات .

وقد تسممت العلاقات حيثما فشلت الدول الغربية فى النزول عن مصالحها . لقد أدى الاستعمار الجماعى الى مناهضة جماعية

للاستعمار (١) . وقد عانت الولايات المتحدة في آسيا وأفريقية بسبب دفاعها عن مصالح أوروبا السياسية والاقتصادية الراسخة .

ولم تكن دول عدم الانحياز تود أن ترى انتصار الشيوعية في العالم ، ومع ذلك اتجهت مرارا إلى الاتحاد السوفيتي من أجل المساندة والمساعدة . وهذا تناقض آخر في عصرنا الحديث . وقد شرحنا في فصل سابق الحوافز التي تكمن خلف المساعدات السوفيتية لزعماء الدول غير المنحازة البورجوازيين . ويظل الهدف النهائي للدول الشيوعية هو انتصار الشيوعية الدولية ، ولم يكن هذا بالسر على الإطلاق . بيد أن الدول الشيوعية كانت مستعدة ، في الوقت الحاضر ، أن تساعد الدول الحديثة في آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية كي تقف على أقدامها من الناحية الاقتصادية والسياسية لأن ذلك ، في التقديرات الشيوعية ، سيولد الصراع بين الدول الحديثة والدول الاستعمارية ويعجل بعملية انهيار النظام الاستعماري الرأسمالي .

كما أنه قد يكون في إمكان الاتحاد السوفيتي استغلال الرأي العام الدولي في الحرب الباردة ضد البلاد الرأسمالية . ولذا قدم الاتحاد السوفيتي كل مساعدة ممكنة للدول الحديثة في نضالها ضد أوروبا الغربية والولايات المتحدة . وقد تقبلت الدول الناشئة هذه المساعدات وكسبت من ورائها ، وكانت تدرك طوال الوقت أن هدف السوفييت النهائي هو التوسع في النظام الشيوعي في جميع أنحاء العالم ، وتأمل هذه الدول أن النظم التي ترغب في إقامتها في بلادها ستكون من القوة بحيث تصد تيار الشيوعية .

وليس في هذه النظم أو المجتمعات مبادئ متعنتة كثيرة . وغالبا

(١) * ظهر موقف حاد نوعا في الحلقة الدراسية التي عقدت في نيودلهي في أكتوبر عام ١٩٦١ حول الاستعمار البرتغالي . وقد حضره عدد من وفود الدول الأفريقية التي بحث الحكومة الهندية ، مرارا ، على طرد البرتغاليين بالقوة من جوا . وقالت هذه الوفود إن هذا الأمر سوف يضعف قبضة البرتغال على مستعمراتها الأفريقية .

بيد أن المتحدثين الرسميين الهنود عارضوا أعمال العنف ، ولم تؤد حجتهم في استخدام الكفاح السلمي ضد البرتغاليين في جوا إلا إلى إصابة الأفريقيين ، وخاصة هؤلاء القادمين من المستعمرات البرتغالية ، بالدهشة وخيبة الأمل . وتحرر المراقبون حينما اكتشفوا أنه بينما كانت حكومة الهند تعقد الرجاء على أن نجاح الكفاح من أجل الحرية في أنجولا سوف يسرع بتحرير جوا ، كان شعب أفريقية البرتغالية يتطلع إلى الهند كي تبدأ بتصفية الاستعمار البرتغالي ، بيد أن المناقشات في الحلقة الدراسية قد أدت إلى اتفاق عام ينص على ضرورة قيام جميع الدول المناهضة للاستعمار بتأليف جبهة متحدة في الأمم المتحدة وفي الأماكن الأخرى من أجل تحقيق حرية المستعمرات الباقية وخاصة حينما يعتمد حتى أسوأ النظم الاستعمارية ، وهو الاستعمار البرتغالي ، على المساعدات المادية اللاموسة من الحلفاء بما في ذلك من الولايات المتحدة وبريطانيا .

ما تتناسى الدول الغربية أن معظم دعايتها المعادية للشيوعية لا تجد أذنا مصفية في آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية لسبب بسيط هو أنها لم تتعامل من قبل مع الدول الشيوعية . ويعتبر الاتحاد السوفيتى ، فى الوقت الحاضر ، محسنا ، وفى بعض الاحيان يعتبر محسنا ناجحا للغاية . وقد أصبحت الجارات غير الشيوعية للصين أكثر تعقيدا فى التفكير لكن افريقية وأمريكا اللاتينية لاتزالا تجهلان الدوافع والاستراتيجية الشيوعية . ويتمتع زعماء الدول الحديثة بعقلية متفتحة نسبيا وهم يقومون بعملية إعادة بناء مجتمعاتهم . فهم يقدرّون الحريات الديمقراطية التى يمارسها الغرب ولكنهم يعرفون أيضا نقاط الضعف فى النظم الديمقراطية الغربية . وتود جميع الدول الحديثة تقريبا أن تقيم مجتمعا يدين بالمساواة ، ودولة رفاهية تسمى بالدولة الاشتراكية . . وتود الافادة من خبرات البلاد الشيوعية والرأسمالية على حد سواء . ولم تفتنّها الرأسمالية أو الشيوعية ولا تعتقد أغلبية هذه الدول باستحالة وضع تركيب يشتمل على أفضل ما يقدمه النظامان ، وعلى أية حال يقوم العلم والتكنولوجيات ببناء عالم جديد متجانس فى شكله الى حد كبير .

وتعتقد الدول الحديثة انه حينما تتولى زمام امورها ، وحينما تتغلب على الركود الذى ظل قرونا وتصل الى مرحلة الانطلاق فى اقتصادها ، وحينما تقيم مجتمعات مستقرة ، وتجتاز حواجز الفقر والجهل ، فان ميزانها الحضارى سيكون له تأثير مهدىء على سياسة الدول . وقد يكون هذا مجرد أمنية ، مجرد حلم لن يتحقق . ولكن الحلم قائم بالفعل ، وهو يلهم ملايين الشعوب فى آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية كي تشن كفاحا لا هوادة فيه من أجل اقامة نظام اجتماعى جديد . والسلام هو الشئ الذى هم فى أمس الحاجة اليه . وهم يعلمون جيدا أن الحرب سوف تفنى الجنس البشرى . والأمم الذى ترفضه هذه الدول هو أن ترى نفسها وهى تستخدم كمخالب قط فى الصراع من أجل القوة . انها دول ضعيفة ، وتكمن فيها جميع نقاط الضعف التى فى الضعيف ، ومع ذلك تتمتع هذه الدول بقوة فى الإرادة ، وقوة فى المشابرة التى حركت الجبال وحولت الصحارى الى جنان .

ويدرك زعماء الدول الحديثة انه كلما كانت عملية التحول أكثر عنفا ، تعرضوا للخسارة ، ولا يعتبر هؤلاء الزعماء ثوريين متطرفين . فانهم يودون أن يروا عالما جديدا يتطور بالسرعة المرغوبة ولكنهم لا يريدون ثورات جامحة . ونظرا لانهم فى اشد الحاجة الى السلام ، فانهم يسعون الى تطويق الحرب الباردة وحث الدول الكبرى على التعايش .

وقد نجحوا في ذلك الى حد ما . ونشأ موقف فهمت فيه الكتلتان دول عدم الانحياز وقدرتها . فالكتلتان الكبيرتان مجهزتان بالقدر نفسه ، بأسلحة الدمار العالمية ، كما انهما تخشيان ، بقدر متساو ، بدء أية حرب ، من أجل هذا كان اعتمادهما على الدول غير المنحازة من أجل حل الازمات المتجمدة . واذا كان من المتعذر التوصل الى خلف لمستر همرشولد في الأمم المتحدة (١) . فان البحث جار عن مواطن مقبول من العالم غير المنحاز ، مواطن يستطيع أن يقدم ، على الأقل ، حلا وسطا لأية مشكلة معقدة . ويتعين على الدول غير المنحازة أن تربط نفسها بأي جهود تبذل لحل مشكلة نزع السلاح التي يبدو انها عويصة . ولن تستطيع الدول الكبرى أن تفعل شيئا في مجتمع عالمي تسيطر عليه افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، دون كسب تأييد هذه الدول .

ان عدم الانحياز فلسفة دولية تجتذب مزيدا من الأنصار على مر الشهور . وهناك صيحة تدعو الى تفريق الجيوش من وسط أوروبا ، وإلى اقامة منطقة خالية من الأسلحة الذرية في شرقي آسيا والباسفيكي . . وكل هذه دلائل على قوة عدم الانحياز الصاعدة . وهناك محاولة جادة في كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة لدراسة دوافع عدم الانحياز والتعمق في مبدئه . وقد مضى العهد الذي وصيم فيه عدم الانحياز بأنه مناف للاخلاق وأصبح عدم الانحياز الآن فكرة أساسية حديثة تلقى الاحترام على النطاق الدولي .

ومع ذلك لن يقيض لعدم الانحياز البقاء الا اذا تحرر العالم من خطر الحرب النووية . لكن ما ان تنشب هذه الحرب حتى لا يسلم ركن في الارض من الفناء . واذا هلك أقوى أمم الارض وأكثرها ثراء ، فان القلة الفقيرة الناجية ستجد أنه لا قيمة للحياة فوق كوكب محترق تمزقت أشلاؤه ، ولا يستطيع عدم الانحياز أن يؤدي دوره كقوة فعالة الا اذا امتنعت الدولتان الكبيرتان عن الصدام الفعلي . لذا يتعين على عدم الانحياز أن يجعل جل اهتمامه للحيلولة دون الحرب الباردة ، وشن حملة - لا هوادة فيها - على الحرب . وان هذه الحملة مستمرة .

(١) * تم اختيار أولثانت بعد كتابة هذه السطور . (المترجم) .

ملحق نداء بلجبراد للسلام

أصدر مؤتمر القمة للدول غير المنحازة الخمس والعشرين والمنعقد في بلجبراد نداء للسلام موجها الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، وذلك في نهاية مؤتمرهم الذي استمر خمسة ايام ابتداء من ٥ من سبتمبر عام ١٩٦١ .

وقد أبرقوا بنداء السلام الى موسكو وواشنطن . وسلمه مستر نهرو ودكتور نكروما ، فيما بعد ، شخصيا ، الى مستر خروشوف في الكرملين يوم ٧ من سبتمبر وعقد معه محادثات استمرت ساعتين ونصف الساعة .

وسلم الرئيس سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا والرئيس كيتا رئيس جمهورية مالي نداء السلام الى الرئيس كيندي في البيت الابيض يوم ١٢ من سبتمبر ، وعقدا معه اجتماعين .

وأرسل مستر كنيدي ردا رسميا لمبعوثي بلجبراد في ١٦ من سبتمبر بينما رد المستر خروشوف على نداء السلام في ٢٢ من سبتمبر وهذا هو النص الحرفي لنداء السلام .

« ان هذا المؤتمر لرؤساء دول أو حكومات البلاد غير المنحازة ليشعر بالقلق البالغ ازاء الموقف الخطير القائم ، الى جانب التوتر الدولي المائل ، الامر الذي لم يحدث مثيله من قبل ، والذي يهدد العالم بخطر احتمال وقوع نزاع مفاجيء قد يتحول بلا مراء الى حرب عالمية .

ففي هذا العصر الذي يجرى فيه تكديس الاسلحة النووية ، واسلحة الدمار الشامل فان مثل هذا النزاع وهذه الحرب سوف يؤديان لامحالة الى دمار لم يسمع به أحد من قبل ، ان لم يؤديا الى فناء العالم .

ويرى هذا المؤتمر انه يجب تجنب هذه الكارثة ، وعلى ذلك فان الضرورة الملحة تقضي أن توقف فوراً الاطراف المعنية ، وخاصة الولايات

المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفييتي ، استعداداتهما الأخيرة للحرب
بخططهما ، وألا تتخذ خطوات من شأنها أن تضاعف أو تسهم في ازدياد
تدهور الموقف . وأن تستأنفا المفاوضات من أجل تسوية سلمية لأية
خلافات قائمة بينهما مع الاحترام التام لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة ،
وان تواعلا المفاوضات حتى تحقق الدولتان ، مع بقية العالم ، نزع
السلاح نزعاً كاملاً وإقرار السلام الدائم .

ومع أن القرارات التي قد تؤدي إلى حرب أو سلام في الوقت الحاضر
ترجع إلى الدول الكبرى ، فإن آثارها تصيب العالم بوجه عام ، ولذا
فإن جميع الأمم والشعوب تحرص دائماً ، على أن تكون مناهج وتصرفات
الدول الكبرى مما يمكن الجنس البشري من السير قدماً نحو السلام
والرخاء نحو فناء المدنية .

ويناشد هذا المؤتمر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس مجلس
وزراء الاتحاد السوفييتي ، لعلمه اليقين بأنهما يسعيان إلى السلام ، أن
يشرعا بأسرع ما يمكن في إجراء اتصالات مباشرة بينهما لتجنب خطر
النزاع المائل وإقرار السلام .

ويعرب هذا المؤتمر عن أمله الوطيد في أن جميع الأمم الممثلة هنا ،
وهي تقدر الخطورة البالغة للموقف ، سوف توجه نداء مماثلاً لرعماء
الدول الكبرى المعنية وبذلك تكون قد أعلنت ووافقت عن رغبة جميع
البشر وتصميمهم على تحقيق السلام وإقرار الأمن الدائمين لجميع
الأمم » .

رد الرئيس كنيدي

رد الرئيس كنيدي على نداء بلجراد للسلام ، وهو النداء الذي قام
الرئيس سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا ، والرئيس كيتا رئيس
جمهورية مالي بتسليمه إليه ، قال كنيدي :

« لقد درست بعناية الرسالة التي بعثها مؤتمر دون عدم الانحياز
والتي تفضلتم بتقديمها إلى شخصيا ، وحكومة أمريكا تدرك أن دول
عدم الانحياز التي اجتمعت في بلجراد تمثل قطاعاً هاماً من الرأي العام
العالمي ، كما تدرك بصفة خاصة أن شعوبها تشاطر شعبنا الاهتمام
الحيوي بالمحافظة على السلام . وسوف نولي رسالة المؤتمر ، في مداولاتنا
المستمرة مع حكومات الولايات المتحدة ومع حلفائنا كل عناية واهتمام .

أما بالنسبة لاقتراح دخول في مفاوضات مباشرة مع خروشوفه
رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي ، فنحن على استعداد لاستخدام الوسائل
المناسبة الموجودة حالياً لتحقيق إمكان تخطي المأزق الحالي . ولقد كانت

سياستنا ، ولا تزال تسعى لتسوية مشاكلنا مع الآخرين بالوسائل السلمية .

ونحن لن نحاول أن نخلق الازمات ، ونحن نعتقد أن من واجب جميع الحكومات المسئولة ان تكشف جميع الطرق الممكنة ، ومنها المفاوضات على مستوى عال ، لايجاد حلول يقبلها الجميع للمشاكل الدولية الراهنة . ومع هذا فما لم يكن هناك سابق استعداد دقيق لهذه المفاوضات فانها قد تفشل ، وقد تؤدي الى انهيار الموقف ، ولهذا فنحن نشعر انه في الوقت الذي يتفاقم فيه التوتر ، من الضروري بصفة خاصة ان يسبق المفاوضات التي اقترحها مؤتمر بلجراد اعداد دقيق ، ليس هذا فحسب ، وانما يجب ان تكون امامها ايضا فرصة معقولة للنجاح .

وسيجتمع وزراء خارجية دول الغرب غدا في واشنطن ، وفي الاسبوع القادم سيرأس وزير الخارجية الامريكية وفد الولايات الى الجمعية العامة للأمم المتحدة . ونحن نعلم ان جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي سيكون هناك ، وسيتيح هذا فرصة لاجراء مباحثات جدية حول المانيا وغيرها من المشاكل اذا ثبت أن الجانب السوفيتي على استعداد لذلك . وان الوسائل الدبلوماسية المفتوحة لاكتشاف الخطوات البناءة في سبيل تخفيف التوتر . وهناك وسائل اخرى في متناول اليد يمكنها ان تخدم غرضا نافعا . ومع هذا فمن الواضح انه من الاهمية بمكان انه لن تكون هناك تصرفات من جانب واحد تجعل التقدم السلمي مستحيلا .

ونحن لانجد سببا لعدم نجاح المفاوضات ، آخر الامر ، في الازمة الحالية ، هذا اذا نظرنا الى الامور نظرة واقعية ، وكانت لدى الطرف الآخر ، ولدينا رغبة صادقة في الوصول الى حل يرضاه الطرفان ، ومع هذا فنحن لاننوي الدخول في مفاوضات تحت ضغط انذارات او تهديدات . ومن الواضح ايضا أننا لانعزم البحث في التخلي عن مسؤولياتنا او نبذ القيم الاخلاقية من أجل وضع هذه المسؤوليات موضع التنفيذ .

ومع ذلك فاننا نؤمن بإمكانية الوصول الى حل يستطيع ان يخدم المصالح الحيوية لطرفي الازمة .

وقد لاحظت الولايات المتحدة بعناية الفقرات المتضمنة في بيانات مؤتمر بلجراد التي اعترفت بأن الموقف في برلين والمانيا له اهميته الحيوية بالنسبة للتطورات المقبلة في العلاقات الدولية . ولقد كانت سياستنا دائما - وسوف تبقى - ان تتم تسوية الخلافات بواقعية واحساس بالمسئولية ، ونود ان نشير هنا الى ان هذه الازمة خلقها السوفييت . ولم يخلقها الامريكيون ونحن نصدق على ما جاء في بيان

المؤتمر عن حقوق جميع الشعوب في الوحدة ، وتقرير المصير والاستقلال، واستنكارها للارهاب والتدخل في ممارسة حق تقرير المصير ، ونحن نرى أن هذه المبادئ تنطبق على شعب ألمانيا وشعب برلين على السواء. وكانت سياستنا في هذه المنطقة هي احترام هذه المبادئ ، وليست لدينا بالمرّة نية النزوع الى القوة أو التهديد بالقوة لحل مشاكل برلين وألمانيا ولكننا مصممون على احترام التزاماتنا ونحن على استعداد لمقابلة القوة بالقوة اذا استخدمت ضدنا .

وبينما يفيق الولايات المتحدة وحلفاؤها جميعا على ضرورة اجراء مفاوضات بشأن هذه المشكلة فإن على الاتحاد السوفييتي أن يبسدي استعدادا للاشتراك في مناقشة تعتمد على الاحترام المتبادل . ولقد كانت شروط الاستعداد الوحيدة التي ابداهها هي شروط تطالب الغرب بأن يتخلى عن حقوقه .

ولا تزال الولايات المتحدة تعتقد ان عقد اتفاقية مناسبة لحظر التجارب تحت رقابة فعالة من الامور ذات الاهمية البالغة ، ولكننا نريد أن نؤكد من جديد ايماننا بضرورة استئناف مفاوضات حظر التجارب النووية على حدة بخلاف مفاوضات نزع السلاح التام الشامل وقد ضاعف استئناف السوفيت لتجاربهم في الجو من ضرورة الاسراع بتوقيع اتفاقية حظر التجارب حظرا كاملا ، ولا ينبغي أن نسمح لمفاوضات نزع السلاح العام المعقدة بأن تؤخر تحقيق هذه الخطوة الامامية ذات المغزى .

وينبغي على أنؤكد مرة أخرى أسفى لان الاتحاد السوفييتي رفض عرض المملكة المتحدة والولايات المتحدة لوقف التجارب في الجو التي ينجم عنها تساقط الغبار الذرى .

ولم نعلن عن عزمنا على استئناف تجارب تحت الارض الا بعد أن درسنا بعناية مقتضيات الامن الحيوية في الولايات المتحدة الامريكية ، وبعد الاستفزازات التي بلغت أوجها .

ونستطيع أن نؤكد لدول عدم الانحياز استعدادنا المستمر للتفاوض من أجل الوصول الى معاهدة فعالة ، ولكن مصالح أمن بلادنا وبلاد حلفائنا في العالم الحر يجب حمايتها ، وتتطلع الولايات المتحدة الى اليوم الذي سينظر فيه بالفعل في موضوع حظر التجارب النووية في دورة الجمعية العامة القادمة التي نرجو أن ترحزح السوفييت عن موقفهم . فتركوا معارضتهم للرقابة الفعالة وبقبلوا توقيع اتفاقية لحظر التجارب النووية .

ويسر الولايات المتحدة أن تلاحظ أن المشتركين في المؤتمر الاخير ببلجراد قد ذكروا اهمية وجود نظام فعال للتفتيش والاشراف . هذا

هو جوهر الامر ، وواضح من مقترحات الولايات المتحدة من أجل مفاوضات التجارب النووية ، ان الولايات المتحدة تفكر في اجراءات التفتيش والاشراف في حقل نزع السلاح ، بحيث تسهم فيها دول عدم الانحياز وغيرها من الدول .

ومنذ شهور والولايات المتحدة تقوم بدراسة واسعة النطاق لمشكلة نزع السلاح الشامل . وكانت نتيجة الدراسة ان طلب الى الكونجرس تأليف هيئة لنزع السلاح ، كذلك أسفرت الدراسة عن ظهور خطة شاملة لنزع السلاح نزعا كاملا ، وهذه الخطة في مراحل الاعداد الاخيرة ، تمهيدا لعرضها على الملأ . وتكفل هذه الخطة برنامجا يضمن وجود نزع للسلاح عام وكامل يؤكد ان الحرب لم تعد أداة لحل المنازعات الدولية . ولهذا يجب ان يصحب نزع السلاح ايجاد اجراءات يعتمد عليها في تسوية المنازعات سلميا والمحافظة على السلام وفقا لمبادئ ميثاق الامم المتحدة .

والتزام الولايات المتحدة بهذه الاهداف عميق ، ولن يجد زملاؤنا في المجتمع الدولي اننا ضعاف القلب في هذا الميدان .

وقد بدأت محادثات يوم ٦ من سبتمبر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في نيويورك من أجل تقريب وجهتي نظر الجانبين واجراء مداولات مرضية من أجل نزع السلاح . وتنص المقترحات التي عرضتها الولايات المتحدة في هذه المباحثات على اشتراك البلدان غير المنحازة في مقاضات ضخمة تجري في المستقبل من أجل نزع السلاح . ونصت أيضا على اجراء مفاوضات تحت اشراف الامم المتحدة اذا وافق الاتحاد السوفييتي . وتعتقد الولايات المتحدة أن الجمعية العامة ستسنع لها فرصة تدارس هذا الامر : ذلك ان لجنة تضم الجميع موجودة بالفعل في شكل لجنة نزع السلاح ، وهي تستطيع أن تجتمع في أي وقت . وختاما دعني أقول بامسيادة الرئيس : اننا وجدنا في الرسالة وفي بيان المؤتمر عناصر تعكس رغبة أصيلة لتخفيف حدة التوتر ، وهي لو طبقت بطريقة حيادية وموضوعية حقا ، لاسهمت بطريقة ايجابية ، في تخفيف حدة التوتر العالمي .

ونحن نحترم كما هو عهدنا دائما رغبة الشعوب الأخرى في أن تبقى غير منحازة . ونحن نفهم رغبتها المتعطشة الى السلام ونشاطها هذه الرغبة ونحن على استعداد كما هو عهدنا دائما للتضافر مع جميع الخطوات التي تتخذ لتحسين الموقف الدولي ونحن نتطلع الى استمرار العلاقات الودية بيننا وبين الحكومات والشعوب المشتركة في اجتماع بلجراد .

واشنطن - ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٦١

جون ف. كينيدي

رد الرئيس خروشوف

وبعث مستر خروشوف برد مماثل الى مستر نهرو والدكتور نكروما .
وذلك في الثاني والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦١ . واذاعت وكالة تاس .
نص الرسالة في نيودلهي في الرابع والعشرين من سبتمبر .

السيد المحترم رئيس الوزراء

لقد درست ، باهتمام وشغف كبيرين ، الرسالة التي بعث بها
المؤتمر ، المنتهى اخيرا لرؤساء دول وحكومات ٢٥ امة غير منحازة ،
ولقد تأثرت كثيرا لانكم تجشمتهم عبء احضار الرسالة الى موسكو
وتسليمها لي شخصيا . واني لأعبر عن امتناني العميق لجميع اطراف
المؤتمر ، الموقرين ، لانهم بعثوا بهذه الرسالة . ومما يثلج الصدر ان راي
الحكومة السوفيتية في الموقف العالمي الراهن يتفق ، في جوانب كثيرة ،
مع الاعتبارات التي عرضتها الرسالة التي بعث بها المسئولون في المؤتمر .
ولقد أثلج صدري وثائق المؤتمر ، الاخرى ، المتشعبة بالقلق على مصاير
العالم .

وكيف لا يبتهج المرء حين يجد ان حكومات الدول الحيادية ، التي
يشكل سكانها ثلث الجنس البشري ، قد رفعت صوتها لتدافع عن السلام .
وتندد في اصرار ، بسياسة الاستعدادات للحرب . وتزداد أهمية هذا
الامر بالنسبة للتطورات الدولية ، اذا عرفنا ان الكفاح من أجل منع
الحرب وتعزيز السلام سنظل العمود الفقري لجميع جوانب السياسة
الخارجية للدول الاشتراكية التي تشكل ثلثا آخر من الجنس البشري .
وهكذا اتسعت دائرة الدول التي تعتبر الاشتغال بقضية السلام
رسالتها الحيوية .

وليس من شك في ان اصرار المؤتمر على المبادرة الى ابرام مصادقة
لنزع السلاح العام التام ستلقى اهتماما من جميع الناس : نعم ، انها
اكثر المسائل الحاحا وأهمية ، ذلك اننا نعيش فيها على مفتاح يمكن ان
نعتمد عليه من أجل استتباب السلام في الارض .

ان الحكومة السوفيتية تنظر ، باحترام كبير ، الى الاعتبارات
والنتائج التي وصل اليها المؤتمر في عدد من المسائل الدولية الاخرى ،
بما في ذلك من مسألة التصفية النهائية الكاملة للاستعمار واليوم نستطيع
ان نقول بكل ثقة : ان ضغط القوى المجتمعة للشعوب ستقضي بسرعة ،
بسرعة جدا ، على مقاومة الدول التي تتشبث بملكاتها الاستعمارية التي
ظلت عشرات من السنين تهب لها الثروة ، غير ان هذا حدث لأن الاستعماريين
سرقوا شعوب المستعمرة واستغلواهم بطريقة وحشية . عرق ودم هذه

الشعوب — هذا هو مصدر ثروة الدول الاستعمارية وقد اقترب اليوم الذى سيختفى فيه الاستعمار من على ظهر الارض كلية .

وفى الرسالة التى تسلمتها عبر المشتركين فى المؤتمر عن قلقهم الشديد بسبب تفاقم الموقف الدولى وخطر الحرب ، وان الحكومة السوفيتية تشاركهم فى هذا القلق كل المشاركة .

وطوال الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية لم يشعر الناس بخطر الحرب مثلما يشعرون به اليوم . وكلكم يعرف ، دون شك ، أن هذه الاوضاع لا تظهر من تلقاء نفسها ، وانما هى وليدة نشاط تمارسه قوى معينة لا تهتم باقرار السلام .

ولا يغرب عن بالنا ان سياسة دول حلف الاطلنطى تزداد تأثرا بدوائر لا تريد الا الحرب ، ولا تريد الا دفع العالم الى الحرب . ويبدو أنهم اكتشفوا أن الزمن يعمل ضد النظام الاستعماري القديم القائم على السيطرة والاضطهاد ، وعلى انتهاك حقوق الشعوب الاساسية ، وهم يظنون أن الوقت قد حان للمقاومة بكل شيء وشن الحرب لايقاف التفيرات الهائلة التى تطرا اليوم على حياة الشعوب فى جميع انحاء العالم وبخاصة فى القارات التى كانت بالأمس فقط تثن من سوط السادة الاستعماريين .

وهذه النتيجة تفرض نفسها عندما تدركون أن حكومات الدول الغربية تضاعف من استعداداتها العسكرية بكل طريقة وتضاعف من ميزانياتها العسكرية التى باتت اليوم متضخمة بالفعل وتستدعى الاحتياطى وتشيع بين صفوف شعوبها الروح العسكرية التى ظهرت بصورة متطرفة فى عدد من حلف شمال الاطلنطى . ويبدو أن هذه الاقطار لا تمانع فى استغلال المسألة الجوهرية التى لا تحتمل أى تأجيل — من أجل المواجهة العامة — وهذه المسألة هى عقد معاهدة صلح المانية تؤدي الى تحسين الموقف فى أوروبا بطريقة جوهرية ، هذا اذا ادركنا حقيقة الوضع الذى ظهر فى المانيا نتيجة لتأليف دولتين المانيتين تتمتعان بالسيادة وسيخدم هذا قضية السلام العالمى بطريقة جادة .

وطبيعى أن الشعب السوفيتى لا يستطيع أن يقف موقف المتفرج السلبي وهو يرى بعض الدول تقدم على اجراءات لا معنى لها — ولاكن صريحا — اجراءات خطيرة مغامرة . ولقد اضطررنا لاتخاذ اجراءات تعرفونها من أجل تعزيز أمن بلادنا . ولو لم نفعل ذلك لعرضنا بلدنا لوضع خطير على حين أن القوى المعتدية تهددها .

واود ان انتهز هذه الفرصة لاعلن عن ايماننا العميق بأن الاجراءات التى اتخذناها لا تخدم فقط مصلحة الشعب السوفيتى وحلفائنا الذين

يدافعون مثلنا عن قضية السلام ويلمسون الحاجة الى وضع خط تحت الحرب العالمية الثانية وعقد معاهدة صلح المانية من أجل هذا الغرض ، وانما تخدم أيضا جميع الشعوب الاخرى التى تتطلع الى حياة يسودها السلام . ونحن مفتبطون لأن اجراءاتنا الدفاعية قد وجدت من يفهمها حق الفهم فى معظم دوائر الراى العام ، العريضة ، فى عدد كبير من البلدان .

وأود كذلك أن أقول لكم ، بصراحة وبلا مواربة . بالرغم من أنكم لا تجهلون هذا ، أن الاتحاد السوفييتى لا يريد أن يسير فى طريق المنافسه العسكرية الذى سارت فيه دول الغرب . ليست هذه سياستنا ، وليس هذا طريقنا ، ونحن لا نحب أن نسير فى هذا الطريق الا اذا اضطررنا الى ذلك . وان أعظم رغبة لنا وأقدسها هو أن نعيش فى وئام مع جميع الدول ، أن نعيش فى عالم ليس فيه تسليح ، فى عالم ليس فيه حروب .

من أجل هذا نطالب ، بالحاج بأن يتخذ الساسة المسئولون عن مصائر العالم القرار الوحيد السديد : أن يضعوا حدا للبقية الباقية من الحرب العالمية الثانية ، وأن يسحقوا تماما أجهزة الحرب التى لدى الدول . وأن يحطموا كل الأسلحة بما فى ذلك من الأسلحة النووية التى ستقضى نهائيا على مشكلة تجارب الاسلحة النووية ، ان هاتين المشكلتين مرتبطتان ارتباطا عضويا ولا يمكن فصل احدهما عن الاخرى ولا يمكن حلها الا فى وقت واحد . . هذا ما حاولت أن أؤكد به بكل سبيل خلال لقائى الاخير بالرئيس كنيدي فى فيينا .

والمشتركون فى مؤتمر الأمم غير الملتزمة يحثون فى رسالتهم على اجراء مفاوضات بين الدول الكبرى لاستبعاد خطر الحرب .

وهم يقترحون بصفة خاصة اجراء محادثات مباشرة بين رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتى ورئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية . .

ماذا نقول فى هذا ؟

تعرفون بالطبع أن الاتحاد السوفييتى كان يطالب دائما بحل المشاكل البارزة عن طريق المفاوضات ، ومن الطبيعى ايضا ان تؤمن اليوم بأن المحادثات بين الدول وبخاصة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة باعتبارهما اكبر دولتين وأعظمهما أثرا تستطيع - ويجب - أن تؤدى دورا هاما فى تصفية الجو الدولى ، ونحن على استعداد من أجل ضمان السلام لاجراء محادثات فى أى وقت وفى أى مكان وعلى أى مستوى .

ومنذ وقت طويل والحاجة ملحة كى يجتمع ساسة الامم التى حاربت ألمانيا الهتلرية ويجلسوا الى مائدة مؤتمر للسلام مع ممثلى الدولتين الألمانيةيتين فى جو من الهدوء ، ودون ما انفعال لكى يصلوا الى معاهدة صلح تطفىء الجمرات المتبقية من اللهب العالمى الذى اندلع منذ خمسة عشر عاما مضت . ان هذه الجمرة موجودة بالفعل ، وهى ليست فى اى مكان وانما فى اواسط افريقية بالذات ، ومنها انتشر هذا اللهب الذى اهلك بالسنته عشرات الملايين من الناس . ونحن شعب الاتحاد السوفييتى نعرف أكثر من أى أحد آخر ثمن هذه المأساة وكيف ذهبت بأرواح الكثير من البشر .

ولسنا بحاجة لان نقول ان الحاجة ماسة الى التفاوض حول المشاكل الدولية الكبرى . ولقد قلنا هذا فى أكثر من مناسبة ، غير ان الحاجة ليست الى المفاوضات من أجل المفاوضات ، وقد علمتنا التجربة المرة أن نتحدث عن هذا الأمر بصراحة ، ولن تشر المحادثات الا اذا اشترك فيها الساسة ولديهم رغبة جادة واستعداد للوصول الى اتفاقيات تعتبر أساسا لدعم السلام .

ويجب أن يكون لدى المشتركين فى المحادثات من الشجاعة ما يمكنهم من مواجهة الحقائق ويجب أن يدركوا بوضوح أنه ليس هناك من يستطيع أن يحول تيار الاحداث التى تعكس التطور الطبيعى للمجتمع الانسانى .

لقد اضطررنا للحديث عن هذه النقطة ، لأن بعض زعماء الغرب لا يسلّمون من اتجاهات مسترعية للنظر حتى حين تتعرض لهم القضايا للخطر . . انهم يكتفون بالنظر الينا ويقولون : اننا لا نستمع الى صوت العقل . . اليس صحيحا أن بعض زعماء الغرب دأبوا على تطعيم بياناتهم بأقوال مؤداها أنهم يلتزمون موقفا خشنا ، وأنهم يستعذبون كلمة « خشنا » هذه الكلمة بكل طريقة ؟

أما نحن فنعتقد أن الزعماء الذين أولتهم الشعوب ثقتهما يشبهون من يمسك الدفة ان عليهم أن يتطلعوا الى الأمام ، وأن يروا بوضوح الطريق الذى ستسلكه سفن دولتهم ، وعليهم على أية حال أن يروا هذا الطريق وأن يتجنبوا المخاطر والصخور الخفية . اليس صحيحا أن البداية الطيبة نفسها قد تتجه اتجاهات مختلفة ؟ ان المفاوضات تستطيع أن تصنع طريقا موثوقا به ، طريقا تستطيع هذه السفن أن تسلكه بثقة كى تصل الى المياه الهادئة وتتجنب العاصفة المتجمعة ، أما اذا حكم أحد بفشل المفاوضات سلفا وكرر التعويذة التى تنادى بالحاجة الى اتخاذ موقف خشن كما يفعل ساسة معينون فى بون مثلا ، فان

المفاوضات قد تجعل سفن الدولة ترتطم باليابسة وبالشعب الخبيثة
الجالبة الكوارث على الشعوب .

أريدكم أن تنصفوني ، ان الحكومة السوفيتية على استعداد للاشتراك
في المفاوضات التي قد تهدف حقا الى الوصول الى أسرع حل للمشاكل
الدولية الملحة قبل أى شيء آخر ، وذلك فى مؤتمر للصلح يبحث فى
إبرام معاهدة صلح المانية وتهدة الموقف فى برلين الغربية على هذا
الاساس ، والحكومة السوفيتية على يقين من أنه كلما سارعنا الى عقد
هذه المفاوضات الجادة كان ذلك أفضل . وسيكون من دواعى الحنكة
السياسية الكبرى أن تبرم هذه المعاهدة فى أسرع وقت وفقا لاساس
معتق عليه .

واذا اردنا دعم السلام وتهدة الموقف فى أوروبا وفى أنحاء العالم
فان من الامور المستحبة ان تعترف البلدان الاخرى التى لم تعترف بعد
بوجود دولتين المانيتين - جمهورية المانيا الديمقراطية وجمهورية المانيا
الاتحادية - على أن يكون الاعتراف « قانونيا » وعلى أن تنشئ العلاقات
معهما . وسنحقق الغرض نفسه اذا سمحنا بدخول جمهورية المانيا
الديمقراطية وجمهورية المانيا الاتحادية منظمة الامم المتحدة .

ان هذا كله سيخلق حازا خطيرا تماما فى الدوائر التى تسعى
الى الانتقال فى المانيا الغربية ، تلك الدوائر التى تحشد قواها ، كما هو
معروف ، لكى تغير الظروف التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ،
ان دخول الدولتين الالمانيتين الامم المتحدة وانشاء العلاقات معهما
سيعالج الوضع القائم فى المانيا وسيسهل هذا الى حد كبير فى دعم
قضية السلام العالمى .

واسمحوا لى يا سيادة رئيس الوزراء أن أعبر مرة أخرى عن
اغتيابى بالجهود التى تبذلونها شخصيا وببذلها معكم كبار الساسة فى
الامم الاخرى غير الملتزمة من اجل تصفية الجو الدولى ، واود ان اؤكد
لكم أن الحكومة السوفيتية ستظل مخلصه لسياسة السلام ولن تألو
جهدا فى تمكين الشعوب من أن تعيش بلا خوف من الحرب فى ظل
السلام والرخاء .

ن . خروشوف

اعلان بلغراد

فيما يلي نص الاعلان الذي اصدره مؤتمر بلغراد للدول غير المنحازة
في السادس من سبتمبر عام ١٩٦١ :

عقد مؤتمر رؤساء الدول وحكومات الاقطار غير المنحازة ببلغراد
من الاول من سبتمبر حتى السادس من سبتمبر عام ١٩٦١ لتبادل
وجهات النظر في المشاكل الدولية بغية المشاركة بصورة اكثر فاعلية
لخدمة السلام العالمى وتحقيق التعاون السلمى بين الشعوب . وقد
اشترك فى هذا المؤتمر الدول الآتية :

افغانستان - الجزائر - بورما - كمبوديا - سيلان - الكونغو -
كوبا - قبرص - اثيوبيا - غانا - غينيا - الهند - اندونيسيا -
العراق - لبنان - مالى - المغرب - نيبال - المملكة العربية السعودية -
الصومال - السودان - تونس - الجمهورية العربية المتحدة - اليمن -
يوغوسلافيا . وحضر المؤتمر مراقبون عن كل من بوليفيا والبرازيل
واكوادور .

وجاء اجتماع رؤساء دول وحكومات البلدان السالف ذكرها فى
وقت ساءت فيه حال الاحداث الدولية ، وتعرض السلام لتهديد خطير .

وان الدول المشتركة فى المؤتمر اذ تشعر بقلق بالغ نحو مستقبل
السلام واذا تعبر عن آماني الغالبية العظمى لشعوب العالم وهى فى
الوقت نفسه اذ تدرك انه لا يمكن ولا يجوز لاي شعب او حكومة فى
وقتنا هذا التخلي عن تحمل مسئولية المحافظة على السلام العالمى .

وقد درست بالتفصيل ، وفى جو من المساواة والاخلاص والثقة
المتبادلة الحالة الراهنة للعلاقات الدولية والاتجاهات السائدة فى عالم
اليوم . . وتعلن ما يأتى :

ان رؤساء دول وحكومات البلاد غير المنحازة اذ يلاحظون وجود
ازمات تؤدي الى صراع عالمى خلال الانتقال من نظام قديم قام على
السيطرة الى نظام جديد يقوم على التعاون بين الامم ودعامته الحرية
والمساواة والعدالة الاجتماعية من اجل تنمية الرخاء .

وهم اذ يعتبرون ان الاساليب والاشكال الديناميكية للتغير الاجتماعى
كثيرا ما تسفر او تعبر عن صراع بين القوى القومية القديمة والقوى
التي ظهرت حديثا .

ويرون انه لا يمكن تحقيق سلام دائم الا اذا أدت هذه المجابهة الى

عالم تنمحي منه سيطرة الإستعمار والتوسع الجديد بجميع مظاهرها ،
وهم يعترفون بأن ما يهدد السلام العالمى فى فترة الصراع هذه فى
افريقية وآسيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية من حالات طارئة خطيرة
بالإضافة الى ما يمكن أن يؤدى اليه انتنافس بين الدول الكبرى من
اشتعال حرب عالمية ، وأن القضاء على أسباب الصراع قضاء كاملا لايعنى
الا القضاء على الاستعمار فى جميع صورته وأشكاله مع قبول وممارسة
سياسة التعايش السلمى فى العالم ، وأنه على هدى من هذه المبادئ
فان فترة الانتقال والصراع هذه يمكن أن ترسى أساسا وطيدا للتعاون
والاخوة بين الامم ، لذا فان رؤساء الدول والحكومات غير المنحازة
يعلنون :

ان الحرب لم تهدد البشرية من قبل بعواقب أوخم مما تهددها بها
اليوم ، ومن ناحية أخرى لم تنهيا للبشرية فى أى وقت مضى قوى أشد
مما أتيح لها اليوم للقضاء على الحرب كأداة سياسية فى العلاقات
الدولية .

ان الاستعمار تخور قواه اليوم ، والامبراطورية الاستعمارية وغيرها
من أشكال السيطرة الاجنبية على الشعوب فى آسيا وافريقية وأمريكا
اللاتينية تختفى بالتدرج ، ولقد تحققت انتصارات كبيرة فى نضال
شعوب عدة من أجل الاستقلال الوطنى والمساواة .

وعلى هذا النحو نفسه فان شعوب أمريكا اللاتينية لا تزال تساهم
مساهمة ايجابية متزايدة فى تحسين العلاقات الدولية . كما ان التغيرات
الاجتماعية الكبرى فى العالم تدفع هذا التطور خطوات أخرى الى
الامام .

وهذا كله لا يعجل بنهاية عهد السيطرة الاجنبية على الشعوب
فحسب ، بل يعجل كذلك بالتعاون السلمى القائم على مبادئ الاستقلال
والمساواة فى الحقوق بين الشعوب كشرط أساسى لحريتها وتقدمها .

ان تقدما هائلا قد تحقق فى التطور العلمى والفنى وفى وسائل
التنمية الاقتصادية .

ولقد دفعت هذه التطورات فى العالم الى زيادة الوعى لدى الغالبية
العظمى من أبناء البشر فأصبحت تعرف أن الحرب بين الشعوب ليست
أسلوبا بائدا فحسب وانما هى كذلك جريمة ضد الانسانية . وأن وعى
الشعوب هذا فى طريقه الى أن يصبح قوة معنوية عظيمة قادرة على أن
تباشر نفوذا فعالا فى تطور العلاقات الدولية .

ان حكومات البلاد المشتركة فى المؤتمر استندت الى هذا والى

ارادة شعوبها ولذا ترفض رفضا قاطعا الراى القائل بأن الحرب بما فى ذلك من الحرب الباردة أمر لا مفر منه ، ذلك أن هذا الراى يعكس شعورا بالعجز واليأس معا ، وهو يتعارض مع التقدم العالمى ، كما تؤكد هذه الحكومات ايمانها الذى لا يتزعزع بأن المجتمع الدولى قادر على تنظيم حياته دون الرجوع الى وسائل تمت بالفعل الى عصر مضى من تاريخ الانسان .

غير أن الكتل العسكرية القائمة التى اخذت تتحول الى تجمعات عسكرية واقتصادية وسياسية تزداد قوة تشير بالضرورة بحكم منطق وطبيعة العلاقات بينها تفاقما فى العلاقات الدولية بين وقت وآخر . وان الحرب الباردة والخطر الشديد الدائم من تحولها الى حرب فعلية انما أصبح جزءا من الموقف الذى يسود العلاقات الدولية .

ومن أجل هذا كله يرغب رؤساء وممثلو حكومات البلاد غير المنحازة أن يوجهوا أنظار المجتمع العالمى الى الموقف القائم والى ضرورة قيام كل الشعوب ببذل الجهود لايجاد طريق مضمون يؤدى الى اقرار السلام .

ويتميز العالم اليوم بوجود نظم اجتماعية مختلفة ولا ترى البلاد المشتركة فى هذا المؤتمر أن هذه الاختلافات تشكل عقبة لايمكن تخطيها فى سبيل اقرار السلام اذا ما انتفت محاولات السيطرة والتدخل فى التطور الداخلى للشعوب والامم الاخرى .

ويجب على كل الشعوب والامم أن تحل مشاكل نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية طبقا لظروفها وحاجاتها وامكانياتها وبالإضافة الى ذلك فإن كل محاولة لفرض أى نظام اجتماعى أو سياسى أو غير ذلك على الشعوب بالقوة ومن الخارج انما هى تهديد مباشر للسلام العالمى .

وتعتبر البلاد المشتركة أن مبادئ التعايش السلمى فى هذه الظروف هى البديل الوحيد « للحرب الباردة » وللكارثة الذرية الشاملة المحتمل وقوعها .

ولذلك فإن هذه المبادئ التى تتضمن حق الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها وحقها فى الاستقلال ، وفى حرية تقرير أشكال وأساليب تطورها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية يجب أن تكون المعيار الوحيد لجميع العلاقات الدولية .

ان التعاون الدولى الفعال فى ميادين التبادل المادى والثقافى بين الشعوب وسيلة أساسية لدعم الثقة بامكانية تحقيق التعايش السلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة .

وفي هذا الصدد يؤكد المشتركون في المؤتمر أن سياسة التعايش
تعنى بذل جهد فعال للقضاء على المظالم التاريخية وتصفية الاضطهاد
الوطني ، وتكفل هذه السياسة في الوقت ذاته لكل شعب تطوره المستقل

ولما كانت البلاد المشتركة تدرك أن الاختلافات الايديولوجية إنما
هي بالضرورة جزء من نمو المجتمع الانساني ، فانها ترى أن على الشعوب
والحكومات أن تمتنع عن استخدام هذه العقائد في شن الحرب الباردة ،
أو ممارسة أي ضغط أو فرض لارادتها .

أن رؤساء دول حكومات البلاد غير المنحازة الذين اشتركوا في المؤتمر
لا يقترحون حلاً محدوداً لجميع الخلافات الدولية وخاصة القائمة بين
الكتلتين ، وإنما يودون قبل كل شيء أن يوجهوا الانظار الى المشاكل
الحادة لعصرنا التي يجب أن تحل على وجه السرعة لكيلا تؤدي الى
هواقب وخيمة لايمكن علاجها .

وفي هذا المجال يؤكدون بوجه خاص الحاجة الى الشعور العظيم
بالمسؤولية والتفكير الواقعي عن القيام بحل مختلف المشاكل الناجمة عن
الاختلافات في النظم الاجتماعية .

ومما يجعل الدول غير المنحازة أكثر رغبة في انتهاج هذا السبيل
أنها تدرك أن السلام والاستقرار في هذا العالم يتوقفان الى حد كبير على
العلاقات المتبادلة بين الدول الكبرى .

وإذا يدرك المشتركون في المؤتمر هذا ، يرون أنه يتعين على الدول
الكبرى ، من حيث المبدأ ، أن تتخذ اجراءات أكثر تصميمًا من أجل حل
مختلف المشاكل عن طريق المفاوضات ، على أن تبتدى في الوقت نفسه
الاتجاه البناء الضروري والاستعداد للوصول الى حلول يقبلها الجميع
وتخدم السلام العالمي .

ويعتبر المشتركون في المؤتمر أن وجود الدول غير المنحازة ، في ظل
الظروف الراهنة ، والنشاط الذي تبذله لخدمة السلام ، من العوامل
الهامة لحماية السلام العالمي .

ويرى المشتركون في المؤتمر أنه من الضروري أن تشترك الدول غير
المنحازة في حل المشاكل الدولية البارزة التي تتعلق بالسلام والامن ،
اذ ليس من بينها من يستطيع أن يظل بمعزل عن هذه المشاكل ، أو
لايأبى بها .

وهي ترى أن التوسع في رقعة الدول غير الملتزمة في العالم هو البديل
الوحيد الذي لا غنى عنه لسياسة التقسيم الشامل للعالم الى كتلتين ،
وسياسة تفاقم الحرب الباردة . والدول غير المنحازة تشجع وتساند
كل الشعوب التي تحارب من أجل الاستقلال والمساواة .

والمشتركون في المؤتمر على يقين من أن ظهور الاقطار التي تحررت حديثا سيسهم في تضييق رقعة العداوات بين الكتل ،وبذلك يشجع جميع الاتجاهات الرامية الى دعم السلام وقرار التعاون السلمي بين امم مستقلة متكافئة .

١ - يؤكد المشتركون في المؤتمر تأييدهم التام للاعلان الخاص بمنح الاستقلال للبلاد والشعوب المستعمرة وهو الذي اقرته الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الخامسة عشرة ، ويوصون بالقضاء على الاستعمار قضاء مبرما عاجلا غير مشروط ، وقد عقد المجتمعون العزم على بذل الجهود المشتركة لوضع نهاية لجميع أنواع الاستعمار الجديد والسيطرة الاستعمارية في جميع اشكالها ومظاهرها .

٢ - يطالب المشتركون في المؤتمر بانهاء الاعمال العسكرية فورا وكذا اجراءات القمع الموجهة ضد الشعوب غير المستقلة لتمكينها . في حرية وبالوسائل السلمية ، من ممارسة حقها في الاستقلال التام واحترام تكامل اراضيها القومية ، وان كل معونة يقدمها بلد الى اية دولة استعمارية فيما تقوم به من اعمال القمع يعتبر منافيا لميثاق الامم المتحدة .

ان البلاد المشتركة لتحترم بشدة التكامل الاقليمي لجميع الدول وتعارض بشتى الوسائل اية دولة تهدف الى ضم اراضي دولة اخرى اليها

٣ - تعتبر الدول المشتركة كفاح شعب الجزائر كفاحا عادلا وضروريا من اجل الحرية وتقرير المصير والاستقلال وكذلك من اجل وحدة اراضيها القومية بما في ذلك من الصحراء ، ولهذا فهي مصممة على تقديم كل تأييد وعون ممكن لشعب الجزائر . وان رؤساء الدول والحكومات ليسعدهم ، بصفة خاصة ، ان يمثل الجزائر في هذا المؤتمر رئيس حكومة الجزائر المؤقتة والممثل الشرعى لها .

٤ - توجه الدول المشتركة بقلق بالغ الانظار الى تطورات الموقف في انجولا والى اجراءات القمع غير المحتملة التى تتخذها السلطات الاستعمارية البرتغالية ضد شعبها وتطالب بوضع نهاية عاجلة لاية اراقة لدماء شعب انجولا . ويطالب المشتركون أن تقدم جميع البلاد المحبة للسلام وخاصة الدول الاعضاء فى الامم المتحدة مساعدتها لشعب انجولا حتى يتمكن دون امهال من اقامة دولة حرة مستقلة .

٥ - يطالب المشتركون في المؤتمر بانهاء كل احتلال استعماري على الفور وبارجاع وحدة الاراضى للشعوب صاحبة الحق المشروع وذلك بالنسبة للبلاد التى انتهكت فيها هذه الوحدة فى آسيا وافريقية وامريكا اللاتينية ، كما يطالبون بانسحاب القوات الاجنبية من اراضيها الوطنية .

٦ - تطالب البلاد المشتركة بجلاء القوات المسلحة الفرنسية عن جميع الاراضى التونسية فورا نظرا لحق تونس المشروع في ممارسة سيادتها الوطنية الكاملة .

٧ - تطالب البلاد المشتركة بالآ تكرر الاحداث المفجعة في الكونفو وتشعر أن من واجب المجتمع الدولي أن يواصل بذل ما في وسعه لمحو آثارها ولمنع أى تدخل أجنبى جديد في هذه الدولة الافريقية الفتية وأن يساعد الكونفو على الانطلاق بحرية في طريق التطور المستقل على أساس احترام سيادته ووحدته وسلامة أراضيه .

٨ - يستنكر المشتركون في المؤتمر ، باصرار ، سياسة التفرقة العنصرية التى يمارسها اتحاد جنوب افريقية ويطالبون بالتخلي عن هذه السياسة فورا كما يقررون أن سياسة التفرقة العنصرية في أى مكان من العالم تشكل انتهاكا لميثاق الامم المتحدة وللإعلان العالمى لحقوق الانسان

٩ - تعلن الدول المشتركة احترامها المطلق لحقوق الاقليات العنصرية والدينية التى ينبغى حمايتها بصفة خاصة من جرائم ابادة الجنس أو أى انتهاك آخر لحقوقها الانسانية الاساسية .

١٠ - يندد المشتركون في المؤتمر بالسياسة الاستعمارية التى تنتهج في الشرق الاوسط ويعلنون تأييدهم لاعادة جميع حقوق الشعب العربى في فلسطين كاملة طبقا لميثاق الامم المتحدة وقراراتها .

١١ - تعتبر البلاد المشتركة اقامة قواعد اجنبية عسكرية والاحتفاظ بها في اراضى البلاد الاخرى ولا سيما اذا كان هذا ضد ارادتها الصريحة انتهاكا صارخا لسيادة هذه الدولة . وتعلن تأييدها الكامل للبلاد التى تسعى لاجلاء هذه القواعد . وتدعو تلك البلاد التى تحتفظ بقواعد اجنبية الى التفكير جديا في الغاء هذه القواعد مساهمة منها في دعم السلام العالمى .

١٢ - تعتقد الدول المشتركة أن من الواجب احترام حق كوبا ، شأنها شأن أية امة اخرى ، في اختيار انظمتها السياسية والاجتماعية بحرية بما يتماشى مع ظروفها واحتياجاتها وامكانياتها .

كما تعترف بأن وجود القواعد العسكرية لامريكا الشمالية في جوانتانامو بكوبا ، والتى عارض في بقائها حكومة كوبا وشعبها ، يؤثر على سيادة هذا البلد ووحدة اراضيه .

١٣ - يؤكد المشتركون في المؤتمر ، من جديد ، أن :

(١) لجميع الشعوب الحق في الوحدة وتقدير المصير والاستقلال وفي

أن تقرر بمقتضى هذا الحق وضعها السياسى ، وتعمل بحرية ، ودون ضغط أو إرهاب ، فى سبيل تطورها الاقتصادى والاجتماعى والثقافى .

(ب) لجميع الشعوب ، تحقيقا لغاياتها ، أن تتصرف بحرية فى ثروتها ومواردها الطبيعية على ألا يؤثر ذلك على التزاماتها الناشئة عن التعاون الاقتصادى الدولى ، القائم على مبدأ المنفعة المتبادلة والقانون الدولى .

١٤ - تعبر البلاد المشتركة عن تصميمها على ألا يكون هناك أى إرهاب أو تدخل أو تطفل فى ممارسة الشعوب لحقوقها فى تقرير مصيرها بما فى ذلك من حقها فى انتهاج سياسات مستقلة بناءة لتحقيق سيادتها والمحافظة عليها .

١٥ - يعتبر المشتركون أن نزع السلاح ضرورة محتمة وأنه أكثر واجبات البشرية إلحاحا . وأن الحل الأساسى لهذه المشكلة التى أصبحت تحتمة حالة التسليح الحاضرة ، فى رأى البلاد المشتركة بالاجماع ، لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق نزع السلاح العام الشامل تحت رقابة دولية حازمة .

١٦ - ويبين رؤساء الدول والحكومات أن نزع السلاح الشامل الكامل يجب أن يتضمن إلغاء القوات المسلحة والتسلح والقواعد الأجنبية وصناعة الأسلحة كما يتضمن منشآت ومواقع التدريب العسكرى ماعدا تلك التى تستخدم لأغراض الأمن الداخلى .

وأن يتضمن أيضا تحريم انتاج وامتلاك واستعمال الأسلحة النووية ، والأسلحة النووية الحرارية تحريما قاطعا وكذلك الأسلحة البكتريولوجية والكيميائية التى تهدف إلى استخدام أسلحة الدمار الشامل فى الاراضى الإقليمية .

١٧ - تدعو البلاد المشتركة جميع الدول عامة والدول التى تكشف الفضاء الخارجى فى الحاضر ، بوجه الخصوص ، أن تتعهد باستخدام الفضاء الخارجى للأغراض السلمية وحدها ، وتعرب عن أملها فى أن ينشئ المجتمع الدولى عن طريق اجراء جماعى وكالة دولية بقصد تشجيع وتنسيق جهود الانسان فى ميدان التعاون الدولى لاستخدام الفضاء الخارجى لأغراض السلام .

١٨ - يحث المشتركون فى المؤتمر الدول الكبرى على أن توقع دون مزيد من الإبطاء ، معاهدة لنزع السلاح نزعاً شاملاً كاملاً وذلك لانقاذ البشرية من ويلات الحرب ولتحويل الطاقة المالية التى توزع فى الوقت الحالى على التسليح بحيث تستخدم فى تحقيق التطور السلمى والاقتصادى والاجتماعى للبشرية كلها . كما ترى البلاد المشتركة فى المؤتمر أنه :

(أ) ينبغي أن تمثل الشعوب غير المنحازة في جميع المؤتمرات الدولية المقبلة التي تعقد لبحث موضوع نزع السلاح .

(ب) ينبغي أن تتم جميع المناقشات التي تدور حول موضوع نزع السلاح تحت رعاية الأمم المتحدة .

(ج) ينبغي أن يكون نزع السلاح الشامل الكامل عن طريق نظام فعال بالإشراف والرقابة وأن تضم الأطراف القائمة بهذه المهمة عددا من الأعضاء المنتميين إلى الأمم غير المنحازة .

١٩ - يرى المشتركون في المؤتمر أنه من الضروري إبرام اتفاق لتحريم جميع التجارب النووية والنووية الحرارية ولتحقيق هذا الهدف يتعين استئناف المفاوضات فورا إما منفصلة أو كجزء من مفاوضات نزع السلاح وإلى أن يتم ذلك يجب أن يستأنف وقف جميع التجارب النووية وأن يراعى هذا الاجراء من جانب جميع البلاد .

٢٠ - توصي البلاد المشتركة في المؤتمر بعقد اجتماع خاص للجمعية العامة للأمم المتحدة في الدورة القادمة ليتخذ قرارا باجتماع دورة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة لمناقشة نزع السلاح أو اتخاذ قرار بعقد مؤتمر عالمي لنزع السلاح تحت رعاية الأمم المتحدة من أجل وضع مشروع نزع السلاح العام موضع التنفيذ .

٢١ - ترى البلاد المشتركة في المؤتمر وجوب بذل الجهود لازالة عدم التوازن الاقتصادي الموروث عن الاستعمار والتوسع .

٢٢ - وترى ضرورة سد الثغرات الدائمة الاتساع في مستوى المعيشة بين الدول المتقدمة اقتصاديا القليلة العدد ، والبلاد الكثيرة التي هي أقل تطورا وذلك عن طريق زيادة التنمية الاقتصادية والصناعية والزراعية .

٢٣ - وتوصي البلاد المشتركة في المؤتمر أن يتم فورا انشاء وتشغيل صندوق تابع للأمم المتحدة .

٢٤ - توافق هذه البلاد على أن تطالب بمنح البلاد التي هي أقل تطورا من الناحية الاقتصادية شروطا عادلة في التجارة ، كما تطالب بصفة خاصة ببذل جهود بناءة للقضاء على التقلبات الشديدة في تجارة السلع الأولية وعلى التدابير والاعمال التي تضر بتجارة البلاد حديثة التطور وتؤثر على دخولها .

٢٥ - تطالب هذه البلاد بصفة عامة بتطبيق ثمار الثورة العلمية والفنية في جميع ميادين التطور الاقتصادي وذلك للاسراع بتحقيق العدالة الاجتماعية الدولية .

٢٦ - وتوصى الدول المشتركة في المؤتمر والتي تعترف بحكومة جمهورية الصين الشعبية بأن تقبل الجمعية العامة في دورتها القادمة ممثلى حكومة جمهورية الصين الشعبية على انهم الممثلون الشرعيون الوحيدون لهذا البلد في الامم المتحدة .

٢٧ - ترى البلاد المشتركة في المؤتمر ان المشكلة الالمانية ليست مجرد مشكلة اقليمية وانما يحتمل ان يكون لها اثر حاسم على مجرى تطورات المستقبل في العلاقات الدولية .

وان البلاد المشتركة وقد ازعجها هذا التطور الذي ادى الى حدة تفاقم الموقف الحالى فيما يتعلق بألمانيا وبرلين تناشد جميع الاطراف المعنية الا تلجأ الى استخدام القوة او التهديد باستخدام القوة لحل المشكلة الالمانية او مشكلة برلين ، طبقا للنداء الذى وجهه رؤساء الدول والحكومات فى الخامس من سبتمبر عام ١٩٦١ .

وقد قرر رؤساء دول وممثلو حكومات البلاد غير المنحازة انه يجب ارسال هذا البيان الى الامم المتحدة وتوجيه انتباه جميع الدول الاعضاء فى هذه المنظمة العالمية اليه وكذلك سيرسل هذا البيان الى جميع الدول الاخرى .

فهرس

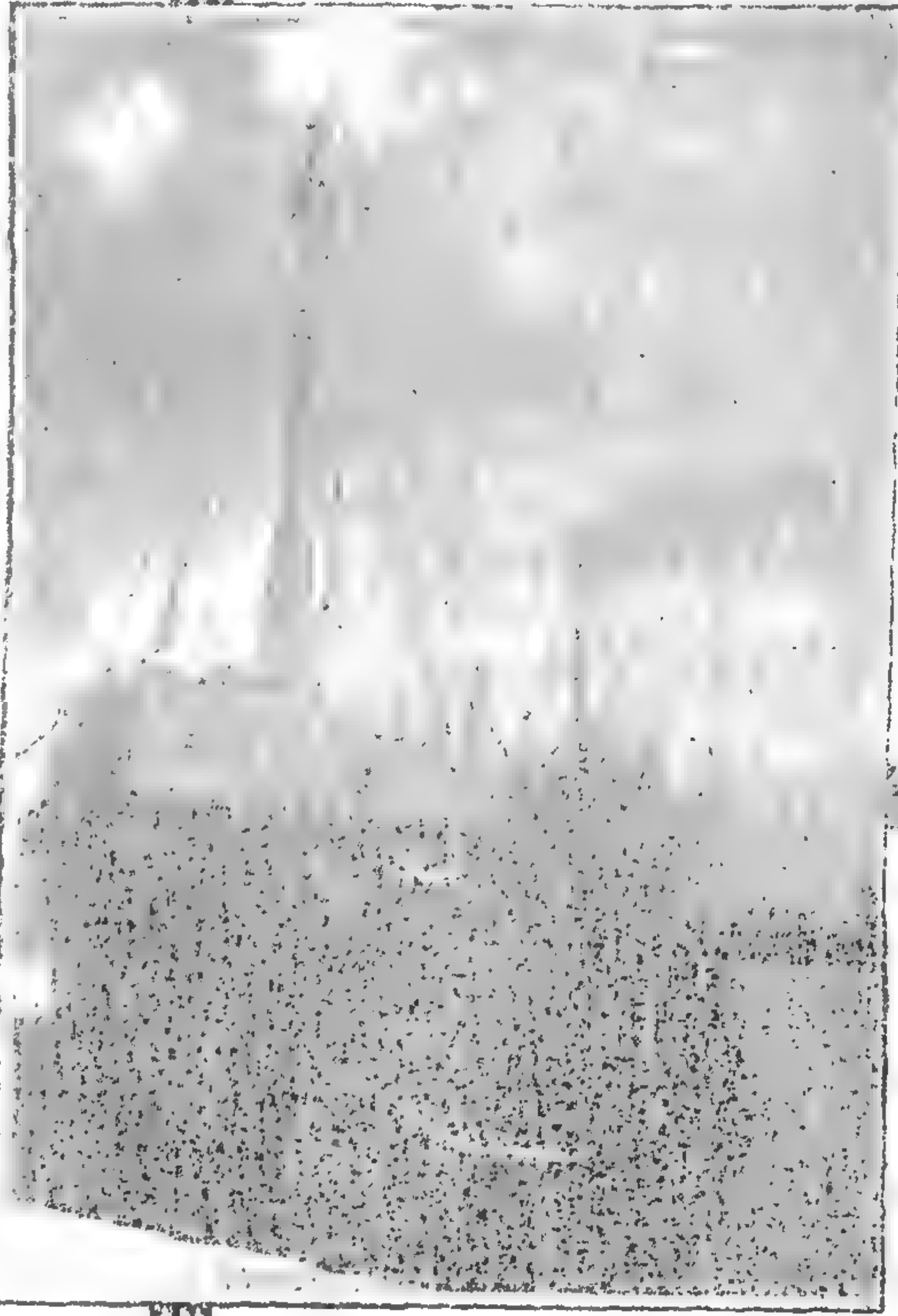
| الموضوع | صفحة |
|---------------------------------------|------|
| تقديم | ٣ |
| مقدمة | ٧ |
| مقدمة المؤلف | ١١ |
| الفصل الأول | |
| الحرب الباردة تدخل آسيا | ١٥ |
| الفصل الثاني | |
| الدول الحديثة وعلاقتها بالدول القديمة | ٢١ |
| الفصل الثالث | |
| ميزان القوى المتغير | ٥٣ |
| الفصل الرابع | |
| آسيا وإفريقية في ميزان القوى الجديد | ٦٩ |
| الفصل الخامس | |
| المظاهر الاقتصادية للحرب الباردة | ٨٣ |
| الفصل السادس | |
| تطور السياسة الأمريكية في آسيا | ٩٩ |
| الفصل السابع | |
| الشيوعية في آسيا | ١١٧ |

| الموضوع | الصفحة |
|---------------------------------|-------------|
| الفصل الثامن | |
| الولايات المتحدة في أفريقية | ١٢٧ |
| الفصل التاسع | |
| السوفييت في أفريقية | ١٤٩ |
| الفصل العاشر | |
| الصين في الأسرة الافرو - آسيوية | ١٦٥ |
| الفصل الحادى عشر | |
| ضرورة عدم الانحياز | ١٨٣ |
| الفصل الثانى عشر | |
| قيود التعايش | ٢٠٧ |
| الفصل الثالث عشر | |
| آسيا وأفريقيا والأمم المتحدة | ٢٤١ |
| الفصل الرابع عشر | |
| في مواجهة الحرب الباردة | ٢٦٧ |
| ملحق نداء بلجراد للسلام | ٢٩٥ |



يؤدى اسطول

الجمعية التعاونية للبترول
ش.م.ع.
خدمات ممتازة



للملاحة

العالمية

في

الموانئ

العربية

هيئة قناة السويس

السفن العابرة لأول مرة خلال شهر أكتوبر ١٩٦٢ : -

عبرت القناة خلال شهر أكتوبر عام ١٩٦٢ لأول مرة ٨٥ سفينة، منها ١٣ ناقلة وتزيد الحمولة الكلية لحمس منها على ٢٠٠٠٠ طن كما هو مبين بالكشف التالي : -

| اسم السفينة | العلم | الحمولة الكلية | حمولة البضائع | اتجاه العبور |
|----------------|---------|----------------|---------------|--------------|
| | (طن) | (طن) | | |
| مسورفن (ناقلة) | انجلترا | ٢٦٦٣٦ | ١٨٠٣٢ | جنوب/شمال |
| برتش هومار | انجلترا | ٣٢٨٨٨ | فارغة | شمال/جنوب |
| اسواوروبا | بنما | ٣١٩٠٣ | " | " |
| فيجيا | فرنسا | ٣٢٨٥٨ | " | " |
| ت.س. بترسن | ليبيريا | ٣٢٦٩٠ | " | " |

جنسيات السفن التي عبرت القناة خلال شهر أكتوبر عام ١٩٦٢ : -

السفن التي عبرت القناة خلال أكتوبر ١٩٦٢ ترفع أعلام ٣٩ جنسية مختلفة مقسابل ٣٤ جنسية في أكتوبر الماضي ٠٠ وكان ترتيب الجنسيات العشر الاولى خلال شهر أكتوبر ١٩٦٢ كالآتي : -

انجلترا - ليبيريا - النرويج - فرنسا - إيطاليا - اليونان -
هولندا - السويد - ألمانيا - بنما •

بينما كان هذا الترتيب في أكتوبر ١٩٦١ كالآتي : -

انجلترا - النرويج - ليبيريا - فرنسا - إيطاليا - اليونان -
هولندا - بنما - ألمانيا - السويد •

وقد زادت الحمولة الصافية لجميع الدول العشر الأولى التي
عبرت سفنها القناة خلال الشهر الحالي مقارنة بمثيلاتها في أكتوبر
من العام الماضي بالنسب الآتية : -

انجلترا ٧١٪ ، ليبيريا ٢٨٣٪ ، النرويج ١٤٦٪ فرنسا
١١٧٪ ، إيطاليا ١٧٣٪ ، اليونان ١٥٨٪ ، هولندا ١٨٤٪
السويد ٥٠٣٪ ، ألمانيا ٢٨١٪ بنما ٩٥٪ •

المسافرون على البواخر : -

بلغ عدد ركاب البواخر التي عبرت القناة خلال أكتوبر الحالي
١٩١٩٨ مسافرا مقابل ٢٨١٨٣ مسافرا في أكتوبر الماضي •



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع ميسون - مدينة القدس

٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤

مجموعته إخترنا لك

تصدر

أسبوعية باللغات العالمية
يشترك في تحريرها وأعدادها
لجنة إخترنالك



المراسلات

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبد الرحمن الفزع

ت: ٧٧٥٠٣ / ٤٠٨١٤ / ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢

Bibliotheca Alexandrina



0683310

